الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

اتجاهات الفكر القومي في المشرق العربي
(بلاد الشام والعراق)
دراسة اقتصادية- اجتماعية - سياسية
١٩٤٥-١٩٦٣

أطروحة أعدت لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف
الأستاذة الدكتورة
سمر بهلوان

إعداد
أسامة سمعان
2010

إهداء

إلى شهداء القضية القومية، من المناضلين القوميين.

وإلى شهداء الجيوش العربية الذين قضوا في سبيل تحرير الأمة العربية ووحدتها ورفاه شعبها.

وإلى أبطال المقاومة على ارض فلسطين ولبنان والعراق، الذين يصنعون اليوم مجداً لهذه الأمة عز نظيره.

شكر

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من شجعني على إعداد هذه الدراسة، والمضي معي في كل خطوة من خطوات إعدادها، إلى أن وصلت إلى تمامها في هذا الشكل، وسأقدم شكري لمن سيأتي ذكرهم، وأتقدم بالأسف الشديد لكل من ساعدني على إتمامها ولم أذكره، لذلك، أعدّ هذا الشكر موصولاً لهم ويعذروني على ذلك.

بادئ ذي بدء، أتقدم بالشكر العميق للسيدة الأستاذة الدكتورة سمر بهلوان، التي تفضلت بالإشراف الدقيق على الدراسة، والتشجيع، والصبر والإرشاد في مراجعة الفصول ومباحثها وإجابتها على أسئلتي بصبر وتحمل.

كما أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور محمود عامر الذي غمرني بعلمه الواسع، ومعرفته المفعمة بالمحبة لطلاب العلم، وآرائه القيمة، مما أضفى المزيد من التدقيق لهذه الدراسة.

و الشكر موصول لجميع الأساتذة في قسم التاريخ بجامعة دمشق، على ما قدموه لي من ملاحظات وتوجيهات منذ مناقشة مشروع الدراسة وحتى نهايتها، ما صوب الكثير من مسارها في الاتجاه العلمي السليم.

كما أتقدم بالشكر الوفير للعاملين في المراكز والمؤسسات، لاسيما مكتبة الأسد في دمشق، ومكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، ومكتبة المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (I.F.P.O) في بيروت

وإن نسيت فلا أنسى توجيه شكر إلى الصديق قاسم الفوعاني على اهتمامه وعطفه ومساعدته في تأمين المراجع، والشكر موصول إلى الأصدقاء الأعزاء، علي أشعل، ود.علي جمعة، وعلي الديراني، وماجد سعيفان على تقديم العون بكل ما احتجته منهم لإتمام هذه الدراسة.

وأخيراً أشكر عائلتي، إخوتي وأخواتي ، وزوجتي كوكب المعلوف، وابن عمي محمد حسن سمعان، على دعمهم وتشجيعهم لي الذي كان بلا حدود، إذ جعلوا الحياة أكثر سهولة لطالب كان عليه الكثير من الالتزامات.

مخطط الدراسة

الموضوع	الصفحة
مقدمة:.....	٢
الفصل الأول التمهيدي	
موجز عن الفكر القومي في المشرق العربي عموماً وبلاد الشام والعراق خصوصا منذ بروز اليقظة القومية العربية في بداية القرن التاسع عشر حتى تشكيل جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥	٧-٦٣
مدخل: تعريف بمصطلحات الفكر القومي: القومية كواقع اجتماعي وكفكرة وشعور وانتماء ووعي ومبدأ وحركة.....	٩
أولاً: عوامل اليقظة العربية والحركة القومية عموماً واليقظة والحركة القومية العربية خصوصاً:.....	٩
١- العوامل السياسية: الوضع الدولي والعربي:.....	١٠
أ- فرض الهيمنة الاستعمارية على المشرق العربي.....	١٠
ب- الاتجاهات الفكرية- السياسية ودورها.....	٢١
ج-طموحات الهاشميين بعد الحرب العالمية الأولى.....	٢٢
٢- العوامل الاقتصادية- الاجتماعية دولياً وعربياً:.....	٢٥
أ-نظام الملل والامتيازات الأجنبية.....	٢٥
ب-الأوضاع الاقتصادية- الاجتماعية في المشرق العربي والإصلاحات العثمانية.	٢٧
٣- العوامل الثقافية التاريخية والمستجدة.....	٣٤
أ- بداية النهوض القومي العربي في ظل الإصلاحات العثمانية.....	٣٦
ب- الفكرة القومية مبادؤها واتجاهاتها.....	٤٢
ج- العرب في مواجهة سياسة التتريك ١٩٠٩-١٩١٤.....	٤٥
د- الفكرة القومية خلال الحرب العالمية الأولى١٩١٤-١٩١٨.....	٤٩
ثانياً: موجز عن اتجاهات وتطور الحركة القومية في بلاد الشام والعراق حتى تشكيل جامعة الدول العربية ١٩٤٥:.....	٥١
١-موجز عن اتجاهات الفكر القومي حتى عام ١٩٤٥	٥١
أ-الاتجاه القومي العربي.....	٥١
ب-الاتجاه القومي الإقليمي.....	٥٢
ج-الاتجاه القومي العنصري.....	٥٦
٢- موجز عن تطور الحركة القومية بمختلف اتجاهاتها في بلاد الشام.....	٦٠
٣- موجز عن تطور الحركة القومية بمختلف اتجاهاتها في العراق.....	٦٢
الفصل الثاني:	
اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام والعراق منذ تشكل جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ حتى قيام الوحدة السورية- المصرية عام ١٩٥٨: دراسة اقتصادية اجتماعية وسياسية أيديولوجية	٦٤-١٣٩
أولاً: تطور الوضع الدولي والعربي والمحلي لبلاد الشام والعراق وتأثيره على الفكر القومي ١٩٤٥- ١٩٥٨:.....	٦٦
١-الوضع الدولي والعربي وتأثيره على الفكر القومي ١٩٤٥-١٩٥٨.....	٦٧
٢-أوضاع بلاد الشام عموماً والقضية الفلسطينية خصوصاً وتأثيرها على الفكر	

القومي.١٩٤٥- ١٩٥٨..... ٧٣
٣-أوضاع العراق وتأثرها في الفكر القومي ١٩٤٥-١٩٥٨..... ٩٦
ثانياً: دراسة اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام ١٩٤٥- ١٩٥٨:..... ١٠٢
١-دراسة اتجاهات الفكر القومي في سورية ١٩٤٥-١٩٥٨..... ١٠٢
أ-الاتجاه القومي العربي..... ١٠٢
ب-الاتجاه القومي الإقليمي..... ١١٧
٢-دراسة اتجاهات الفكر القومي في لبنان ١٩٤٥-١٩٥٨..... ١١٨
أ-الاتجاه القومي العربي..... ١١٨
ب-الاتجاه القومي الإقليمي..... ١٢٤
ج- الاتجاه القومي العنصري..... ١٢٦
٣-دراسة اتجاهات الفكر القومي في فلسطين ١٩٤٥-١٩٥٨ ..... ١٢٧
أ-الاتجاه القومي العربي..... ١٢٧
ب-الاتجاه القومي الإقليمي..... ١٢٩
٤-دراسة اتجاهات الفكر القومي في الأردن ١٩٤٥-١٩٥٨..... ١٢٩
أ-الاتجاه القومي العربي..... ١٢٩
ب-الاتجاه القومي الإقليمي..... ١٣٠
ثالثا: دراسة اتجاهات الفكر القومي في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨..... ١٣٤
أ-الاتجاه القومي العربي..... ١٣٥
ب-الاتجاه القومي الإقليمي..... ١٣٦
ج- الاتجاه القومي العنصري..... ١٣٩

الفصل الثالث: ١٤
اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام والعراق منذ قيام الوحدة السورية- المصرية عام ١٩٥٨ وصولاً إلى وصولاً إلى حكم حزب البعث في العراق وسوريا عام ١٩٦٣. دراسة اقتصادية -اجتماعية وسياسية- أيديولوجية. ٠- ٢٠ ١
أولاً: مستجدات الوضع الدولي والعربي والمحلي لبلاد الشام والعراق وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٤٢
١- مستجدات الوضع الدولي والعربي وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٤٢
٢- مستجدات أوضاع بلاد الشام عموماً والقضية الفلسطينية خصوصا وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٤٣
٣- مستجدات أوضاع العراق وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٦٢
ثانيا: دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٦٦
١- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في سوريا ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٦٦
٢- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في لبنان ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٦٧
٣- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في فلسطين ١٩٥٨- ١٩٦٣... ١٧٧
٤- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في الأردن ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٧٧
ثالثاً: دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣..... ١٧٧
رابعاً: دراسة الاتجاهات القومية اقتصادياً –اجتماعياً وسياسياً فكرياً ١٨٠
١- دراسة الاتجاه القومي العربي:..... ١٨٠
أ-الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية..... ١٨٠
ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية..... ١٨١

- دراسة الاتجاه القومي الإقليمي:..... ١٩٣
أ-الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية..... ١٩٣
ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية..... ١٩٥
- دراسة الاتجاه القومي العنصري:..... ١٩٩
ا-الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية..... ١٩٩
ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية..... ٢٠١

الفصل الرابع: ٢٠٢-
الفكر القومي العربي وجامعة الدول العربية ٢٣٩
أولاً:النهـوض القـومي العربـي ومكوّنـات الظـروف التاريخيـة المناسـبة لتشـكّل الجامعة: ٢٠٤
١- مظاهر الحركة العربية الممتدة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥..... ٢٠٤
٢- الظروف التاريخية لتأسيس الجامعة العربية..... ٢٠٨
٣- تشكل جامعة الدول العربية وأبر انجازاتها حتى عام ١٩٦٣..... ٢١٠
أ- بروتوكول الإسكندرية..... ٢١١
ب- ميثاق جامعة الدول العربية..... ٢١٢
ج-ابرز انجازات الجامعة العربية حتى عام ١٩٦٣..... ٢١٣
ثانياً: رؤية الفكر القومي لدور الجامعة العربية ١٩٤٥ ــ ١٩٦٣:..... ٢١٧
١-جذور أزمة جامعة الدول العربية..... ٢١٨
أ- الإرث التاريخي..... ٢١٩
ب- كابحات الحركة السياسية..... ٢٢٥
ثالثاً: الجامعة العربية وسبل تطويرها ١٩٤٥-١٩٦٣..... ٢٢٨
١-الجامعة العربية والإصلاحات الداخلية ١٩٤٥-١٩٦٣..... ٢٢٩
أ- الإصلاح الدفاعي..... ٢٢٩
ب-الإصلاح الاقتصادي القومي العربي:..... ٢٣٠
٢-مساعي الجامعة العربية لتحقيق الاندماج الاقتصادي العربي:..... ٢٣١
أ- اتفاقية الوحدة الاقتصادية ١٩٥٧..... ٢٣٣
ب- الجامعة العربية والوحدة الثقافية ١٩٤٥- ١٩٦٣..... ٢٣٤
٣- سبل تطوير الجامعة العربية..... ٢٣٦
الخاتمة:..... ٢٣٩
نظرة مستقبلية حول الوحدة العربية:..... ٢٤١
ملاحق الدراسة ٢٤٦
المصادر والمراجع..... ٢٩٣

المقدمة

أولاً : حول اختيار الدراسة وأهميتها وأهدافها وإشكالياتها:

أمام هذا الواقع الذي أظهرت فيه الدولة العثمانية الإسلامية عجزها في الدفاع عن أرض العرب والمسلمين، أعلن العرب، منذ الربع الثالث للقرن التاسع عشر، رفضهم لهذا الواقع، معبرين عن ذلك ببلوغهم فكرة القومية العربية، متنكبين في مجرى نضالهم مسؤولية تحقيق أهداف سبعة هي: **الاستقلال الوطني القومي**، في مواجهة الهيمنة الأجنبية الإقليمية والدولية. **الوحدة العربية**، في مواجهة التجزئة بكل صورها القطرية والطائفية والقبلية. **الديمقراطية**، في

مواجهة الاستبداد بكل صوره ومستوياته. **العلمانية**، في مواجهة أساليب التمييز و حرمان العقل من كونه الشرع الأساسي والأعلى عند الإنسان.**التنمية المستقلة**، في مواجهة التخلف أو النمو التابع والمشوه. **العدالة الاجتماعية**، في مواجهة الظلم والاستغلال بكل صوره ومستوياته. **التجدد الحضاري**، في مواجهة التجمد التراثي من الداخل والمسخ الثقافي من الخارج، مع الأخذ بعين الاعتبار تفاوت نسبة التمسك والتطبيق لتلك الأهداف ما بين تيار وآخر، لكن الحركة القومية العربية أعطت النضال من أجل الاستقلال أولوية على الأهداف جميعها، وبذلك استطاعت سوريا ولبنان أن تحققا عام ١٩٤٦ استقلالهما السياسي عن الانتداب الفرنسي، لتتبعهما باقي الأقطار العربية، في الخمسينيات والستينيات وحتى السبعينيات من القرن العشرين، لتحقيق الهدف الاستقلالي ذاته، باستثناء فلسطين العربية، حيث أقيم كيان صهيوني عنصري على أرضها باستقدام المهاجرين اليهود من أوطانهم الأصلية وزرعهم بالاستيطان، فيما شرد شعب فلسطين خارج أرضه، بهدف استمرار التجزئة و منع قيام نهضة عربية شاملة. وبقيت خارج التحرير بعض المناطق العربية التي ألحقها الاستعمار الغربي بدول الجوار، مثل لواء الإسكندرون والأهواز، لتكون أسباباً خلافية مستقبلية لإضعاف الأمة العربية في حروب مستقبلية مع جيرانها من دول العالم الإسلامي.

لقد واجهت القوى الوطنية العربية هذه الموجات الاستعمارية وأهدافها لتجزيء الأمة العربية، منذ بداياتها، بالرفض السياسي، والمقاومة المسلحة، وكانت المواجهات تخبو حيناً لأسباب تتعلق بالاستعدادات أو نقص السلاح أو غيرها، لتعود أقوى إرادةً وأشد زخماً في الكفاح من أجل الحرية والنهوض بالأمة العربية.

وتأتي دراسة ذلك الواقع العربي النضالي، ضمن سياق الأسباب الحقيقية لاختيار موضوع كهذا، يناقش اتجاهات الفكر القومي العربي وتطوره. لاسيما وأنه قد واجه بنجاح كبير الهجمة الامبريالية التي تعرضت لها الأمة العربية في الفترة الواقعة بين عام ١٩٤٥ تاريخ قيام الجامعة العربية وعام ١٩٦٣ تاريخ وصول حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في قطرين عربيين هما سورية والعراق. وهي مرحلة من أدق مراحل النضال القومي العربي وأكثرها تعقيداً، نظراً لتدخل قوى رجعية عربية وإقليمية وصهيونية ، وامبريالية دولية في الصراع الدائر في المشرق العربي، وقد برزت في تلك المرحلة محطات نضالية مهمة لمواجهة الأساليب الجديدة للاستعمار، أبرزها: رفض الهيمنة الامبريالية التي قادتها الولايات المتحدة الأميركية تحت عنوان الدفاع عن "الشرق الأوسط" ١٩٥٢[١]، وصولاً إلى إقامة أحلاف عسكرية ١٩٥٥ ينضوي

---

[١] - مصطلح سياسي درج الساسة على استخدامه بداية إعلان تأسيس الكيان الصهيوني على أرض فلسطين ١٤ أيار ١٩٤٨، إذ بدأ الكتّاب والساسة الغربيون يروجون لهذا المصطلح رغبة منهم في تثبيت كيان هذا العدو، والسعي لدمجه ضمن المنطقة، وعلى هذا الأساس تعاملت أجهزة الإعلام والدوائر الغربية على

تحتها دول عربية وإسلامية تحت عنوان مواجهة التوسع الشيوعي، وطوراً بالاعتداءات المتمادية من قبل الكيان الصهيوني، وطوراً بالهجمات الأوروبية العدوانية المباشرة على الأمة العربية كما في العدوان الثلاثي ١٩٥٦. وكانت حركة القومية العربية تسقط المشاريع وتحبط الاعتداءات، الواحد تلو الآخر إلى أن تمكنت من انجاز أعظم حدث تاريخي في تاريخنا المعاصر، متمثلاً بالوحدة السورية- المصرية عام ١٩٥٨.

بيد أن حركة القومية العربية لم تتمكن من الاحتفاظ بانجازها الأهم في تاريخها، ولا استطاعت أن تؤمن استمرار شروط الاندفاع الوحدوي الناجح، فسقط الانجاز الكبير الذي أحدث زلزالاً سياسياً كبيراً على المستوي السياسي- الفكري ألا وهو الانفصال عام ١٩٦١، الذي كاد أن يُسقط الفكرة القومية برمتها.

تأتي أهمية المتابعة لاتجاهات الفكر القومي العربي من كونها تعرفنا بالمحطات المفصلية التي مر بها الكفاح العربي.

ولئن حظيت المحطات النضالية لحركة القومية العربية بالكتابة التاريخية بقدر ليس بقليل، فإن مرحلة الدراسة ١٩٤٥-١٩٦٣، وما كان لها من أثر مميز في جوانب متعددة ، لم تحظ بدراسة تاريخية شاملة ومعمقة، وما يتعلق بها من جوانب الحركة القومية، ومن الدرس العلمي لجميع أبعادها، ما دفعنا إلى تقديم هذه الدراسة.

أما أهداف هذه الدراسة المندمجة بالضرورة مع أهميتها فيمكن إيجازها بالآتي:

١- التعرف على طبيعة العوامل التي دفعت لتطور الفكر القومي العربي.

٢- التطرق إلى كيفية قدرة الحركة القومية على الخروج من المواجهات القاسية مع الامبريالية خلال السنوات التي تناولتها الدراسة.

٣- متابعة التحول الذي أحدثه الفكر القومي وبلورته للخروج من مرحلة الضبابية إلى مرحلة الجلاء والوضوح العلميين.

٤- إلقاء الضوء على أبرز المشكلات التي واجهت الفكر القومي وأحدثت انهيارات أصابت الفكر القومي بالصميم.

٥- إظهار الأساليب التي اعتمدتها الحركة القومية في تحقيق أهدافها وبرامجها على مختلف الأصعدة، الاقتصادية -الاجتماعية والسياسية .

٦- العمل على إيضاح المواقف السياسية، المحلية والإقليمية العربية والدولية ، من أهداف الحركة القومية وانجازاتها الايجابية.

أنها أقطار "شرق أوسطية" في مسعى منها لـ "تطبيع" الوجود "الإسرائيلي" ضمن المنطقة العربية، ولذلك يأتي وضع هذا المصطلح بين قوسين ليعبر عن تحفظ الباحث عليه.

٧- وعلى الرغم مما حققته حركة القومية العربية من انجازات مهمة، فقد بقيت هناك إشكاليات حقيقية، اجتهد الكثير من الباحثين في الإجابة عن بعضها، ونجتهد بدورنا للإجابة عن بعضها الآخر.

ومن أبرز هذه الإشكاليات:

أ- لماذا بعد إن شهدت الحركة القومية العربية نهوضاً ممتازاً بعد قيام جامعة الدول العربية ولغاية الوحدة السورية – المصرية، تراجعت بعد انفصال الوحدة السورية – المصرية بشكل ملحوظ؟

ب-الحركة القومية العربية وإن تعددت تشكيلاتها التنظيمية وتنوعت أساليبها النضالية، تنتمي كلها إلى مدرسة فكرية واحدة، فلماذا لم تكن متماسكة بالقدر المطلوب؟.

ت-ثمة وحدة نضالية عربية على مدى الوطن العربي في وجه الامبريالية والصهيونية، ولكن منبع الفكرة القومية العربية بقي مشرقي النشأة، فلماذا لم تنجح الفكرة في موطن نشوئها في تقديم النموذج الوحدوي الأمثل للوطن العربي كله؟.

ث- هل كان الدور الانقلابي الذي قامت به المؤسسات العسكرية العربية في المشرق، إضعاف الحركة القومية العربية أم تقويتها؟.

ج- دراسة المعوقات التي وقفت أمام الحركات القومية العربية المضافة إلى الدراسات التي قدمتها الجهود البحثية العربية الأخرى.

ثانياً: حول منهج الدراسة والصعوبات التي واجهتها وأبرز مصادرها.

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي بشقيه الوصفي و التحليلي، وقد ركّزت على الجانب التحليلي بصورة معمقة بالقدر الذي يخدم فكرتها وأهدافها، مبتعدة عن الجانب السردي إلا بالقدر اللازم لتوضيح بعض جوانبها.

ومن الصعوبات التي واجهتها الدراسة في بناء الموضوع وحبكه، هو تعدد أقطار المشرق العربي، وتشعب معلوماته بسبب التباينات الحاصلة بفعل تنوع الأنظمة السياسية، والتداخلات في كثير من المجالات الفكرية.

ومن أهم الصعوبات التي واجهت الطالب، مشقة العثور على المصادر العلمية، لاسيما الوثائق الرسمية الأرشيفية في الأقطار العربية، مع توفر مصادر مهمة تناولت الموضوع، بحماسة كلية إلى جانب الوحدة العربية الكاملة الشاملة، أو الكره الشديد ومناصبتها العداء لمشروع الفكر القومي العربي الوحدوي من قبل عرب وأجانب.

وبحكم وحدة الوطن العربي الجغرافية واشتراك شعبه بمقومات قومية واحدة، من حيث الثقافة الواحدة لدرجة تميزه بهوية مشتركة، مابين المشرق العربي والمغرب، كان ثمة صعوبة بالغة في حصر الموضوع كلياً في إطار المشرق العربي، وقطع التفاعل مع الأقطار العربية

الأخرى، فوجد الطالب نفسه مضطراً بين حين وآخر إلى الخروج من النطاق الجغرافي للمشرق العربي إلى رحاب الوطن العربي، كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول.**الفصل الأول (التمهيدي):** وقد تناول الأوضاع السياسية والاقتصادية –الاجتماعية التي عاشها العرب في ظل الدولة العثمانية، ما قبل الحرب العالمية الأولى، والظروف التي أدت إلى انبعاث الفكر القومي العربي، وتركيبته، ومضمونه والتحولات التي طرأت عليه، والتيارات الفكرية التي عاصرته لغاية نهاية الحرب العالمية الثانية. أما **الفصل الثاني** فقد درس واقع المشرق العربي اقتصادياً اجتماعياً وفكرياً سياسياً، وتنامي الفكر القومي العربي بعد الحرب العالمية الثانية، ومواجهته المشاريع الاستعمارية التي هدفت إلى الهيمنة على الوطن العربي. ووقوع نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ التي تسببت بقيام الكيان الصهيوني وتهجير الشعب العربي الفلسطيني من أرضه، وظهور قوى قومية عربية، تمثلت بأحزاب قومية فاعلة في طليعتها حزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب. وفي **الفصل الثالث** تمت دراسة الدوافع القومية وغير القومية التي أدت إلى قيام المشاريع العربية الوحدوية، التي تحقق بعضها، ولم يتحقق بعضها الآخر، ولكنها باءت جميعها بالفشل باستثناء "الجامعة العربية". وتوسع البحث في أسباب قيام الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨–١٩٦١، والأسس التي قامت عليها، وموقف القوى السياسية المحلية والعربية والدولية منها، وأسباب فشلها.

أما **الفصل الرابع** فقد تناول موقف القوى القومية من سقوط الوحدة السورية– المصرية عام ١٩٦١، والتطورات الفكرية والسياسية التي حدثت بعدها، لاسيما حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي استطاع الوصول إلى الحكم في قطرين مشرقيين، العراق وسوريا عام ١٩٦٣ والأزمات التي واجهها الفكر القومي العربي.

وقد خلص البحث إلى **نتائج** وضح فيها طبيعة أزمة الفكر القومي الذي تأثر بالفكر القومي الأوروبي في بداياته، بسبب الظروف التي نشأت خلالها الفكرة القومية العربية، وغياب الديمقراطية في الفكر والسلوك، وانتهت الدراسة إلى وجوب التمسك بالفكر القومي كونه فكراً تحريراً –توحيدياً بامتياز، وهذا ما يفرض تطوير الفكر القومي، وتحديثه، وعصرنته، لكي يتمكن من مواجهة المعضلات المستجدة على مختلف الأصعدة، ومواجهة قوى الامبريالية التي بلغت أعلى مرحلة من التوحش.

استعانت الدراسة بوثائق أرشيفية قام بجمعها وتوثيقها ونشرها مركز دراسات الوحدة العربية، بعنوان المشاريع العربية الوحدوية ١٩١٣–١٩٨٩، ووثائق أرشيفية أجنبية من وزارتي الخارجية البريطانية والفرنسية، وبمصادر رسمية صادرة عن الدول العربية والأحزاب السياسية، وبمصادر دوّن أحداثها معاصرون للفترة التي خصصت لها هذه الدراسة وأبرزها: كتاب البدايات

لفايز إسماعيل الذي تحدث عن فترة المخاض التي اجتازها حزب البعث بدءاً من العام ١٩٤١ والسنوات التي تلت التأسيس لغاية ١٩٥١، ومذكرا ت كل من الوزيرين في دولة الوحدة رياض المالكي بكتابه المعنون "ذكريات على درب الكفاح والهزيمة"، وأحمد عبد الكريم بكتابه المعنون "حصاد"، أما الصحافي السوري غسان زكريا نسيب عبد الحميد السراج فقد تحدث في كتابه المعنون "السلطان الأحمر"عن أساليب المخابرات في حكم سوريا في زمن الوحدة وتركيبة التنظيمات العسكرية التي عملت على إسقاط الوحدة، وقد دون مطيع السمان مذكراته كقطع فنية لأحداث عاشها في السلك العسكري السوري، من ضمنها فترة الدراسة.

ومن المذكرات المهمة كتاب هاني الفكيكي، وهو قيادي سابق عاصر أحداث فترة الدراسة، يروي فيه تجربته في حزب البعث العربي الاشتراكي– العراق، ومذكرات خالد بكداش وقد أعده عماد ندّاف ، يعرض فيه سيرته الذاتية و ومفهوم الحزب الشيوعي السوري للوحدة وموقفه من الوحدة التي قامت. بالإضافة إلى الاستعانة بمصادر عربية ومصادر أجنبية مترجمة وأخرى بلغاتها الأصلية مع الرجوع إلى دراسات عديدة في دوريات تاريخية وسياسية. وقد أسهمت جميع هذه المصادر في إيضاح الأحداث التي تناولتها هذه الدراسة، وتقديمها بما يرجى تحقيقه من فائدة للمكتبة العربية، بحيث يكسبها الدقة العلمية في إيرادها لجملة من المعلومات التاريخية المهمة.

ختاماً. أرجو أن تكون الدراسة قد خرجت بحلة مقبولة، و مضمون جيد، فإن استطعت فهو توفيق من الله، وإن شابها بعضاً من عدم الوضوح بسبب صعوبة الوصول إلى المعلومة، فهو واقع البشر في صعوبة الوصول إلى الكما

الفصل الأول التمهيدي

موجز عن الفكر القومي في المشرق العربي عموماً وبلاد الشام والعراق خصوصا منذ بروز اليقظة القومية العربية في بداية القرن التاسع عشر حتى تشكيل جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥.

محتويات الفصل الأول

الموضوع

مدخل: تعريف بمصطلحات الفكر القومي: القومية كواقع اجتماعي وكفكرة وشعور وانتماء ووعي ومبدأ وحركة.

أولاً: عوامل اليقظة العربية والحركة القومية عموماً واليقظة والحركة القومية العربية خصوصاً:

١- العوامل السياسية: الوضع الدولي والعربي:
أ- فرض الهيمنة الاستعمارية على المشرق العربي.
ب- الاتجاهات الفكرية- السياسية ودورها.
ج-طموحات الهاشميين بعد الحرب العالمية الأولى.

٢- العوامل الاقتصادية- الاجتماعية دولياً وعربياً:
أ-نظام الملل والامتيازات الأجنبية
ب-الأوضاع الاقتصادية- الاجتماعية في المشرق العربي والإصلاحات العثمانية.
٣- العوامل الثقافية التاريخية والمستجدة.
أ- بداية النهوض القومي العربي في ظل الإصلاحات العثمانية.
ب- الفكرة القومية مبادؤها واتجاهاتها.
ج- العرب في مواجهة سياسة التتريك ١٩٠٩-١٩١٤.
د- الفكرة القومية خلال الحرب العالمية الأولى١٩١٤-١٩١٨
ثانياً: موجز عن اتجاهات وتطور الحركة القومية في بلاد الشام والعراق حتى تشكيل جامعة الدول العربية ١٩٤٥:
١-موجز عن اتجاهات الفكر القومي حتى عام ١٩٤٥ .
أ-الاتجاه القومي العربي.
ب-الاتجاه القومي الإقليمي.
ج- الاتجاه القومي العنصري.
٢- موجز عن تطور الحركة القومية بمختلف اتجاهاتها في بلاد الشام.
٣- موجز عن تطور الحركة القومية بمختلف اتجاهاتها في العراق.
خاتمة الفصل الأول.

مدخل: تعريف بمصطلحات الفكر القومي:

مفهوم القومية واسع جداً، وله أكثر من مدلول، فالقومية العربية تعني الواقع الاجتماعي والثقافي واللغوي والتاريخي والنفسي للأمة العربية، وتعني الواقع للنضال القومي، وبالتالي، فهي تعني حركة الجماهير العربية الهادفة إلى تحقيق دولتها القومية الواحدة، والقومية العربية، كما أية قومية "رابطة تاريخية داخل التاريخ" [٢]

هذا يعني أن مضامينها والأشكال المعبرة عن هذه المضامين في تطور وتبدل مستمرين على المراحل التاريخية المختلفة التي تمر بها، وما العقيدة القومية سوى التعبير عن مضمون

[٢] حتي، فيليب، **تاريخ سورية**، نيويورك، ١٩٥١ ، ج٢، ترجمة جورج حداد و عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت،١٩٥٨ ص٣٥٥

وشكل القومية في مرحلة تاريخية ما، ولذلك لا يجوز حصر القومية ضمن العقيدة من باب عدم جواز حصر الكل في الجزء، ولا يجوز اعتبار القومية عقيدة[٣].

والعروبة هي الرابطة التي تربط بين العرب وتشعرهم بوحدة الانتماء إلى أمة واحدة هي الأمة العربية، بغض النظر عن اسم الدولة التي يحملون جنسيتها بصورة رسمية وعن الديانة التي يدينون بها، فالعربي هو من كانت لغته العربية، وعاش على الأرض العربية، وهنا تكون العروبة انتماء، وهي إرادة تتجلى بوحدة الهدف والمصير، فالوحدة العربية تستلزم بدورها وحدة النضال العربي لتغيير الواقع المجزأ والمختلف الذي يعيشه العرب اليوم[٤].

أما مصطلح شعب، وعلى الرغم من تعدد معانيه ، فإننا نفضل المعنى الذي يدل على جزء من الأمة له كيان سياسي، كقولنا شعب سوريا، وشعب مصر، كأجزاء من الأمة العربية[٥].

أولاً: عوامل اليقظة العربية والحركة القومية عموماً واليقظة والحركة القومية العربية خصوصاً:

أخذ الفكر القومي العربي ينهض بشكل ملحوظ على مستوى الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه، في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، من جرّاء السياسة الاستعمارية عامة، والبريطانية والفرنسية خاصة، فضلاً عن سياسة القمع العثمانية إزاء المشرق العربي

١- العوامل السياسية: الوضع الدولي والعربي.

تعرض الوطن العربي إلى ثلاث موجات استعمارية عدوانية رئيسة، بدأت الأولى على يد الاستعمار الفرنسي في الجزائر عام ١٨٣٠، وأعقبها الاستعمار البريطاني في عدن ١٨٣٩، حيث أخذ الزحف الاستعماري البريطاني بالتمدد انطلاقا من عدن على طول الساحل الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية، حتى سيطر عليها جميعها وصولاً إلى الكويت شمالاً قبل نهاية القرن التاسع عشر.

وكانت الموجة الثانية في ثمانينات القرن التاسع عشر حين أحذ النفوذ الفرنسي يتسع من الجزائر إلى تونس عام ١٨٨١، فيما احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢، وفي العقدين التاليين استطاعت بريطانيا أن تتخذ من مصر قاعدة للتوسع في السودان حتى تمكنت عام ١٨٩٩، بموجب اتفاقية الحكم الذاتي من رفع العلم البريطاني على سراي الحكم في أم درمان.

و جاءت الموجة الثالثة، في العقد الثاني من القرن العشرين قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى، فبدأت بانقضاض إيطاليا على ليبيا عام ١٩١١- ١٩١٢، فيما بدأت فرنسا بالتوسع

---

(٣) العطار ، نادر، **تاريخ سورية في العصور الحديثة**، ج١، مطبعة الإنشاء، دمشق ، ١٩٦٢، ص ٢٣٧-٢٣٨.
(٤) محمد، نجاح، **الحركة القومية العربية في سورية**، الجزء الأول، دار البعث دمشق، ١٩٨٧.ص١٨
(٥) المرجع نفسه، ص ١٩

انطلاقاً من الجزائر باتجاه مراكش، في ظل منافسة اسبانية، حتى انفردت بها عام ١٩١٤. أما في المشرق العربي فقد كانت هذه الموجة أخطر فترة في تاريخه، إذ سقطت بلاد الشام والعراق دفعة واحدة، كجزء من مساومات الصلح، فاستولت فرنسا على لبنان وسورية، وبريطانيا على فلسطين والأردن والعراق.

أمام هذا الواقع الذي أظهرت فيه الدولة العثمانية الإسلامية عجزها في الدفاع عن أرض العرب والمسلمين، أعلن العرب، منذ الربع الثالث للقرن التاسع عشر، رفضهم لهذا الواقع، معبرين عن ذلك ببلوغهم فكرة القومية العربية

مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وعقدت الهدنة بين الحلفاء وألمانيا بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩١٨، وبات العرب ينتظرون تحقيق الحلفاء لوعودهم باستقلال البلاد العربية، وشكل مؤتمر الصلح١٩١٩ الذي حضره الأمير فيصل رئيساً للوفد الحجازي وممثلاً لوالده الشريف حسين، حيث لاقى صعوبات كثيرة أثارتها فرنسا وبريطانيا، من عدم الاعتراف به، واعتراضها على تسلمه البلاد السورية (الطبيعية)، ومجابهته باتفاقية سايكس –بيكو وقضية فلسطين وما يحيط بها من ضغط صهيوني واستعماري، ثم شارك في المؤتمر بعد تراجع فرنسا عن موقفها.

أ- فرض الهيمنة الاستعمارية على المشرق العربي.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها فيصل، وتذكيره بحقوق العرب في الوحدة والاستقلال، ومطالبته الحلفاء بتنفيذ وعودهم للعرب، اتخذ مؤتمر الصلح قراراً بتاريخ ٣٠ كانون الثاني عام ١٩١٩ بفصل لبنان وسورية وفلسطين والعراق عن السلطنة العثمانية، على أن تكون تحت إشراف وصي يعمل باسم عصبة الأمم وفق ميثاقها المؤلف من ٢٦ مادة والتي نصت المادة ٢٢ منه على نظام الانتداب.

تقدم الأمير فيصل باقتراح إلى مؤتمر الصلح، بإرسال لجنة تحقيق للوقوف على رغبات السكان في البلاد، وفيما أيده الرئيس الأميركي ودرو ولسن Woodrow Wilson (١٩١٢-١٩٢٠) قابلته بريطانيا وفرنسا بفتور واضح، فتشكلت لجنة "كينغ –كرين" King-Crane من أميركيين، وإزاء وضوح موقف فرنسا وبريطانيا، تنادى المؤتمر السوري في ٨ حزيران ١٩١٩ واشترك فيه ممثلون من مختلف المناطق السورية، واتخذ المؤتمرون قرارات مهمة كان أبرزها: الاستقلال التام للبلاد السورية، ورفض الانتداب والادعاءات الفرنسية بحقوق لها في سورية، ورفض فصل فلسطين عن سورية ورفض مطالب الصهيونيين فيها. والمطالبة باستقلال العراق، ورفض اتفاقية سايكس–بيكو[٦].

---

[٦] جريدة المنار، ج ٢١، ١٩١٩ ص ٢٢١-٢٢٣. في: خوري، يوسف. **المشاريع العربية الوحدوية ١٩١٣-١٩٨٩**، مؤسسة دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠ ص ٢٦.

أجرت لجنة التحقيق استفتاءً شعبياً واسعاً ورفعت تقريرها إلى الرئيس ولسن الذي أرسل بدوره نسخاً منه إلى الدول الحليفة، وقد تضمن اقتراحات أبرزها: تكوين اتحاد بين لبنان وسورية وفلسطين و شرقي الأردن، تتولى زعامته إحدى هذه الدول، وتتفق فيما بينها، وأن تكون الوصاية (بمعنى المساعدة الفنية) لأميركا أو بريطانيا، وحذر التقرير من قيام دولة يهودية، ولكن الحلفاء أهملوا التقرير ولم يأخذوا به[٧]. وفي شهر شباط ١٩٢٠ عاد فيصل إلى دمشق حاملاً مشروع اتفاق بينه وبين كليمنصو يتضمن اعتراف فيصل بفصل لبنان عن سورية بحماية فرنسا، مقابل الاعتراف باستقلال سورية ومساعدتها على توحيد نفسها على أن تلبي المصالح الفرنسية، ليحصل من قادة الشعب السوري على التفويض بعقد الاتفاق نهائياً، الأمر الذي رفضه المؤتمر السوري المنعقد في ٨ آذار ١٩٢٠ مكرراً مطالبه في المؤتمر السابق، معلناً الملكية في سورية بزعامة فيصل[٨].

جاء رد الحلفاء على مقررات المؤتمر السوري سريعاً، فعقد المجلس الأعلى مؤتمراً في سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠ تقرر فيه: فرض الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، والانتداب البريطاني على شرقي الأردن والعراق وفلسطين على أن ينفذ وعد بلفور. وتنازلت فرنسا عن منطقة الموصل وألحقت بالعراق مقابل حصة نفطية منه.

أطلقت فرنسا يد غورو Gouraud قائدها في الشرق لفرض الانتداب، فوجه إنذاراً إلى الحكومة السورية مدته أربعة أيام يطلب فيه: وضع سكة حديد رياق– حلب تحت تصرف الفرنسيين، قبول الانتداب، إلغاء التجنيد الإجباري، تسريح المجندين، قبول الأوراق النقدية التي أصدرها بنك سورية و لبنان، معاقبة "المجرمين" الذين استرسلوا في معاداة فرنسا[٩].

رفض الشعب السوري قبول الإنذار فيما اتجه الملك فيصل لقبول الإنذار وطلب تمديد المهلة يومين إضافيين. ولكن السلطة الفرنسية أمرت جنودها بالزحف من لبنان باتجاه دمشق، وعندما علمت الحكومة بالنوايا الفرنسية استنفرت عدداً من الجنود ليتقابل الجيشان في ميسلون حيث سقط وزير الدفاع يوسف العظمة شهيداً مع معظم جنوده، دخل على أثرها الفرنسيون إلى دمشق وطلبوا من فيصل مغادرة سورية، فغادرها إلى فلسطين ثم أوروبا.

---

[٧] للتفصيل، راجع: سعيد. أمين. **الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، منشورات عيسى البابي الحلبي، مصر ج٢ د. ت ص ٧١. و قدورة، زاهية: **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥ ص ٢٥٨.

[٨] مقررات المؤتمر: جريدة **المنار**، ج٢١ ،١٩٢٠ ص ٤٤١–٤٤٤ أيضاً: خوري، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

[٩] الحصري، ساطع. **يوم ميسلون: صفحة من تاريخ العرب الحديث، مكتبة الكشاف**، بيروت ١٩٦٤، ص ١١٨.

نفذت فرنسا وصايتها على سورية ولبنان قبل صدور صك الانتداب وقسّمت سورية إلى دويلات طائفية، وأعلنت قيام دولة لبنان الكبير.

حكم الفرنسيون سورية ولبنان ١٩٢٠-١٩٢٨ حكماً استبدادياً مطلقاً، أدى إلى مواجهات متتالية بالثورات التي كان أبرزها الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٧ التي كان من نتائجها وضع دستور للبنان ١٩٢٦ ولسورية عام ١٩٢٨. بيد أن التدخل المباشر من قبل السلطات الفرنسية في ظل الحكم الوطني، والتحولات السياسية التي حصلت في أوروبا دفعت الفرنسيين تحت الضغط السوري – اللبناني، والنضال الوطني التحرري إلى وضع معاهدتين مع البلدين عام ١٩٣٦ أظهرت من خلالهما استعدادها للاعتراف باستقلالهما.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩، وتم تعليق الدستورين اللبناني والسوري من قبل المفوض السامي "دي مارتيل "De Martèle" وفرض حكم عسكري استبدادي بذريعة الحرب، إلى أن سقطت فرنسا بيد الألمان، اضطر الحلفاء الإنكليز والفرنسيون الأحرار إلى القيام بحملة على سورية ولبنان عام ١٩٤١ لطرد الفيشيين و إعلان استقلال البلدين، كانت لها نتائج إيجابية على الصعيد الدولي دون الداخلي إلى أن تم انتزاع الاستقلال السياسي عام ١٩٤٣، والجلاء عام ١٩٤٦[١٠].

هنا لا بد من ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي أن سورية ولبنان كانا آخر بلدين عربيين وقعا تحت الاحتلال الغربي١٩٢٠ وهما أول بلدين عربيين نالا الاستقلال السياسي الكامل١٩٤٦.

أما في منطقة النفوذ البريطاني فقد دفعت بريطانيا بقواتها العسكرية بقيادة الجنرال "مود" Maud باتجاه العراق فاحتلت بغداد بتاريخ ١١ آذار ١٩١٧ ، وبعد يومين أصدر الجنرال مود منشوراً يهدف إلى التقرب من أهل العراق جاء فيه: "إننا لم ندخل بلادكم أعداء فاتحين، إنما دخلناها محررين"[١١]. واستكملت سيطرتها على العراق بما فيه الموصل، بتاريخ إعلان الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨.

وكان أول بيان رسمي وصريح حول مستقبل العراق قد وضعته الحكومة البريطانية عام ١٩١٨، إذ أمرت بإجراء استفتاء عام يحدد فيه العراقيون اختيارهم لنظام الحكم مع التأكيد على

---

[١٠] شعيب، علي عبد المنعم. **تاريخ لبنان، من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٦٣-١٧٠.

[١١] المحاسني، زكي. **النهضة العربية الحديثة** (العراق)، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، كتبها محمد بديع شريف، زكي المحاسني، أحمد عزت عبد الكريم، وضع خطتها وقام بترجمتها وترتيبها محمد شفيق غربال جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٧٢

أن الوضع النهائي للبلاد العربية سيقرر نهائياً في مؤتمر الصلح، فلم يرض ذلك العراقيين، فأبرقت وزارة المستعمرات البريطانية إلى النائب العام في ١٤ شباط ١٩١٩، مطالبة إياه بتقديم دستور لحكومة عربية مستندة إلى رغبة السكان، وخاضعاً للسيطرة البريطانية وفيه من المرونة ما يفسح المجال لاشتراك أهل البلاد[١٢]. ولكن السلطات البريطانية وضعت أسساً استعمارية فاستبدلته بسبب معارضة بعض البريطانيين، فجاء المشروع الجديد شاملاً مبادئ الانتداب، وما إن أعلنت مقررات سان ريمو ١٩٢٠ حتى اندلعت ثورة عارمة شملت كل أنحاء العراق، مستمدة زخمها من جذوة نضالية عالية المستوى، ومن تجربة السوريين و إعلانهم الاستقلال بزعامة فيصل، ويزيد في إضرام نارها فتاوى علماء الدين وعلى رأسهم المجتهد الشيرازي[١٣].

ولما لم تتمكن بريطانيا من تهدئة الثورة، عينت حاكماً مدنياً على العراق [١٤]، فاتصل بأعيان البلاد، وتألفت وزارة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني نقيب بغداد ٢٣ تشرين أول ١٩٢٠، ولكن الهيمنة البريطانية كانت باقية عليها.

وعندما غادر الملك فيصل سورية بعد معركة ميسلون، كان البريطانيون يرون فيه حلاً لمعضلاتهم في العراق، فانعقد مؤتمر في القاهرة ١٩٢١ برئاسة وزير المستعمرات "ونستون تشرشل" "Winston Churchill" (١٨٧١–١٩٦٥) وحضور مسؤولين إنكليز وعراقيين، حيث تم ترشيح الملك فيصل ملكاً على العراق[١٥].

دخل فيصل إلى العراق ونادى به رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب بتاريخ ١١ تموز ١٩٢١ ملكاً على العراق. فأجري استفتاءً شعبياً نال فيه الأمير فيصل أغلبية الأصوات ٩٤٪، وفي ٢٣ آب ١٩٢١ توج فيصل ملكاً على العراق.

ظن العراقيون بأن تنصيب فيصل ملكاً يعني استقلال العراق، وأن العلاقة ما بين العراقيين والإنكليز علاقة ندية، ولكن الأمر كان على صورة سيد ومسود، مما جعل الملك فيصل يخوض

---

[١٢] المحاسني. مرجع سابق، ص٢٩٥.

[١٣] هو محمد تقي بن محب علي بن محمد علي كلشن الحائري الشيرازي: مجتهد إمامي، من أركان الثورة العراقية على الإنكليز سنة ١٩٢٠، وأول من دعا إليها من رجال الدين. ولد بشيراز، ونشأ في الحائر، وأقام في سامراء. ولاّه حملة الفكرة الاستقلالية في النجف، زعامتهم الدينية، فانتقل إلى كربلاء، وأصدر فتواه في: أن المسلم لا يجوز أن يختار غير المسلم حاكماً عليه. راجع: (الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠).

[١٤] هو "بيرسي كوكس"“Beirci Cocks” وقد عُيّن بتاريخ ١١ تشرين الأول ١٩٢٠.

[١٥] الريحاني، أمين: **ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية**، ج٢، دار الجيل، بيروت ١٩٥١، ص ٣٧٧.

معركة تفاوضية شاقة، ولكنها بارعة، اعتمد خلالها سياسة "خذ وطالب" step by step [١٦] عبر معاهدات متعددة بدءاً من المعاهدة الموضوعة عام ١٩٢٢ والبرتوكول الملحق بها عام ١٩٢٣ ثم معاهدة ١٩٢٦ وعام ١٩٢٧ وكان أبرزها معاهدة ١٩٣٠ التي ضمنت فيها بريطانيا استقلال العراق بإدخاله إلى عصبة الأمم، ولكنها في الوقت نفسه قيدت العراق بتواجد الجيش البريطاني في العراق بحجة حماية المواصلات الجوية، ولذلك تعهد العراق الموافقة على احتفاظ بريطانيا بقاعدتين جويتين، في البصرة والحبانية. وفي العام ١٩٣٢ قبل العراق عضواً في عصبة الأمم، وبذلك أصبح العراق الدولة السابعة والخمسين[١٧].

وبعد وفاة الملك فيصل في العام ١٩٣٣ واعتلاء ابنه الملك غازي العرش، حصلت أوضاع داخلية، كتمرد الآشوريين ١٩٣٣ والاضطرابات التي قامت ١٩٣٥ في وسط العراق، وحدوث انقلاب بكر صدقي ضد حكومة ياسين الهاشمي عام ١٩٣٦ والذي أدى إلى مصرع وزير الدفاع العراقي جعفر العسكري، ثم مقتل بكر صدقي، كل هذه الأحداث أفسحت المجال لتمكين البريطانيين من تعزيز سلطتهم على الشعب العراقي والحكومة العراقية أيضاً.

وعندما توفي الملك غازي عام ١٩٣٩، كان ولى العهد فيصل الثاني دون السن القانونية فتولى خاله الأمير عبد الإله الهاشمي وصياً على العرش[١٨].

وفي العام ١٩٤١ قامت ثورة بقيادة رشيد عالي الكيلاني، بدعم من دول المحور، استولى خلالها على الحكم بمساعدة العسكريين، وألف حكومة رفعت لواء معارضة الوجود البريطاني في العراق، فأيدت ألمانيا هذه الخطوة، فبادلها عبارات التأييد، مما جعل الموقف البريطاني من حكومة الكيلاني معادياً، فأمرت قواتها بالقضاء على حكومته، ودارت معارك بين الطرفين أدت إلى تشتت القوات العراقية واضطرار رشيد عالي الكيلاني إلى مغادرة العراق في ٦ أيار ١٩٤١. وكان من نتائج هذه الثورة وما رافقها من أحداث سقوط الأسرة الهاشمية كقائدة للصراع القومي في وجه أعداء الأمة العربية من الوجدان القومي العربي.

وفي شرقي الأردن الذي كان ما زال جزءاً من سورية عندما توج فيصل ملكاً عليها، فرض الانتداب البريطاني، في "سان ريمو"، على الأردن وفلسطين والعراق، ثم صدر عن عصبة الأمم صك واحد بانتداب بريطانيا على الأردن وفلسطين.

---

(١٦) -Khaddouri, Majid. *Independent Iraq: A study in Iraqi Politics 1923-1953,* Oxford 1960, p5.

(١٧) – Ibid:p.p314-٣١٧

(١٨) Longrigg, Stephen. H: *Iraq 1900-1950*, London, 1956, p.2.

وكان أن عين هربرت صموئيل Herbert Samuel (١٩٢٠-١٩٢٨) مفوضاً سامياً، وقد وصل إلى السلط يوم ٢٠ آب ١٩٢٠ وأبلغ الأهالي بأن منطقتهم خاضعة للانتداب البريطاني ولا تريد إلحاقها بإدارة فلسطين، بل تريد تأسيس إدارة منفردة تساعدهم على حكم أنفسهم، فتألفت على الأثر في كل من الكرك والسلط وإربد حكومة محلية، أما العقبة ومعان فبقيتا تابعتين للحجاز. وعندما وصلت صيحات الاستغاثة من السوريين تطلب من ينوب عن فيصل الذي غادر سورية بعد ميسلون، غادر الأمير عبدالله مكة المكرمة في ١ تشرين الأول ١٩٢٠ إلى المدينة المنورة ومنها إلى معان فبلغها في ٢١ تشرين الثاني من العام نفسه[١٩].

وبعد وصوله بأسبوعين أصدر بياناً قال فيه "توالت علينا الدعوات وصمت آذاننا الصرخات لكي نشارك السوريين في قتال المعتدين الفرنسيين"[٢٠].

هدد الفرنسيون عبدالله بإرسال حملة عسكرية إلى شرقي الأردن، فطلب البريطانيون من الحكومة الفرنسية بأن تُعطي تعليمات للجنرال غورو "بأن يمتنع عن اتخاذ أي إجراء عسكري في منطقة نفوذنا إلا إذا جاء الوقت الذي يعتبر فيه أن عملاً كهذا لا مفر منه..." وفي هذه الأثناء قدم الصهيوني "حاييم وايزمن" "Wiseman" إلى وزير المستعمرات البريطانية يطلب فيها إدخال شرقي الأردن ضمن منطقة الوطن القومي اليهودي[٢١].

تقدم الأمير عبدالله إلى عمان فبلغها في ٢ آذار ١٩٢١، فتلقى فوراً رسالة من هربرت صموئيل يبلغه فيها رغبة تشرشل في اللقاء به شريطة المحافظة على الهدوء في تلك الآونة[٢٢]. وفي لقائه مع تشرشل في ٢٧ آذار ١٩٢١ طالب الأمير عبدالله بأن يتولى أمير عربي شؤون فلسطين والأردن معاً، فرفض تشرشل، بحجة أن بريطانيا تتولى إدارة فلسطين لكي تنفذ التزاماتها بموجب صك الانتداب المزمع إصداره، فاقترح الأمير عبدالله ضم شرقي الأردن إلى العراق، فأجابه تشرشل بأن المواد المتعلقة بالصهيونية في صك الانتداب لن تطبق على شرقي الأردن[٢٣]. وبنتيجة الاجتماع اعترفت بريطانيا بالأمير عبدالله أميراً هاشمياً على الأردن وتم الاتفاق على إنشاء حكومة وطنية برئاسته، على أن تعود حكومة عمان إلى المندوب البريطاني بالمشورة والرأي[٢٤].

---

[١٩] موسى. مرجع سابق، ص ٥٨٨.

[٢٠] الحسين، عبدالله بن. **مذكراتي ١٨٨٢-١٩٥١**، الدار الأهلية، عمان، ١٩٨٩، ص ١٦٧-١٧٢.

[٢١] **F.O. 733/16/16836 ايضاً** : موسى، مرجع سابق ، ص ٥٩٠.

[٢٢]. F.O. 371/2587 and 320-

[٢٣] **F.O. 686/74-**

[٢٤] المحاسني. مرجع سابق، ص ٤٦٤.

ثار الأردنيون على الوضع القائم مطالبين بالاستقلال استقلالاً فعلياً، فسارعت بريطانيا لتهدئة الحال ووعدت باستقلال الأردن في ٢٥ أيار ١٩٢٣، ولكنها عملت على المماطلة وعلى تمكين سلطتها بضم قوة الدرك الوطني إليها. فأثار هذا العمل أحرار الأردن، مما اضطر الأمير عبدالله إلى وضع أسس التشريع والإدارة، وألفت لجنة من ممثلي الشعب لوضع المشروع، ولكن بريطانيا نسفت المشروع بوضع قانون جديد للانتخابات، مما أدى إلى انفجار الوضع الشعبي، فأرسل الوطنيون الأردنيون مذكرة إلى عصبة الأمم جاء فيها: "باسم الحضارة والإنسانية نلفت نظر عصبة الأمم إلى جميع الحقائق المؤلمة التي يوقعها ممثلو بريطانيا العظمى، ونرجو إيفاد لجنة حيادية نزيهة للنظر في تحقيق المطالب الوطنية في الأردن"[٢٥].

وظلت الأوضاع غير مستقرة في البلاد إلى أن عقدت معاهدة ١٩٢٨ بين بريطانيا والحكومة الأردنية، جعلت الشؤون الخارجية، والرقابة الاقتصادية، والشؤون القضائية، بأيدي الإنكليز فضلاً عن حقهم في الاحتفاظ بقوات عسكرية كافية في الأردن.

ولما لم ترض هذه المعاهدة الشعب الأردني، طالبت الحكومة الأردنية بتعديل المعاهدة، وبعد مماطلة استمرت ست سنوات، أبرمت معاهدة ثانية نصت على نقل الأردن من حكم الانتداب إلى الحكم المستقل، على أن يبقى الجيش تحت سيطرة الإنكليز.

وخلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء، فوافقت بريطانيا، تحت الضغط الشعبي، على إنهاء انتدابه والاعتراف باستقلال الأردن ، بعد أن قيدته بنصوص كثيرة ضمنت سيطرتها على الشؤون المالية والأمن والجيش بمعاهدة صداقة وتحالف في ٢٢ آذار ١٩٤٦ وفي نيسان ١٩٤٦ اجتمع المجلس التشريعي وقرر الأردن دولة مستقلة استقلالاً تاماً ذات حكم ملكي وراثي نيابي، كما بويع الأمير عبدالله ملكاً دستورياً وأصبح الأردن منذ ذلك الحين يعرف باسم المملكة الأردنية الهاشمية[٢٦].

أما في فلسطين فقد أقامت بريطانيا إدارة عسكرية سعت إلى تهدئة ردة الفعل العربية إزاء وعد بلفور، وعلى تراجع الحلفاء عن تعهداتهم. إلى أن بدأ مؤتمر السلام أعماله في باريس ١٩١٩، حيث كان الوفد العربي الذي ترأسه الأمير فيصل في موقع الدفاع بشأن مصير الدولة العربية الموعودة، بينما الحركة الصهيونية كانت في موقع الهجوم بشأن فلسطين.

في مؤتمر السلام كان الموقف العربي حرجاً للغاية. إذ رفضت فرنسا إدراج الوفد العربي في قائمة الوفود المشاركة كون إمارة الحجاز لم تكن رسمياً طرفاً في الحرب، وكانت وزارة

---

[٢٥] المرجع السابق، ص ٤٦٦.

[٢٦] قدورة،زاهية.مرجع سابق، ص١٦٤

الخارجية الأميركية قد أسقطتها من لائحة الدول المشاركة في المؤتمر. ثم تراجعت فرنسا عن موقفها وكذلك الولايات المتحدة لقاء تدخلات من قبل بريطانيا.

ومن ناحية أخرى تجمعت في المؤتمر وفود صهيونية من أقطار عالمية عديدة، وكان أهمها الوفد الأميركي، الذي نال التأييد من الرئيس الأميركي ولسن فيما يتعلق بالمطالب الصهيونية في فلسطين. إذ تميز موقفه بازدواجية المعايير والتأرجح بين القيم الإنسانية التي أطلقها وبين الانحياز الفاضح للصهيونية. وكانت الحركة الصهيونية قد عقدت بتاريخ ١٨ كانون الأول ١٩١٨ مؤتمر يافا للمستوطنين، وفي المؤتمر جرى تشكيل جمعية تأسيسية حمل "وايزمن" معه مطالب المستوطنين إلى مؤتمر السلام.

رداً على هذا المؤتمر عقد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس، بتاريخ ٢٧ كانون الثاني إلى ١٠ شباط ١٩١٩، للنظر في المطالب الفلسطينية من مؤتمر باريس للسلام، وفي هذه المرحلة لم يكن الهم الفلسطيني تحقيق الاستقلال بقدر ما كان تخليص فلسطين من براثن الأطماع الصهيونية، فيما كانت الحركة القومية في دمشق تناضل في مواجهة مشاريع الانتداب وأطماع فرنسا.

أبلغ مؤتمر القدس قراراته إلى مؤتمر الصلح، ولتعزيز الموقف العربي هناك، حضر وفد فلسطيني إلى دمشق لإبلاغ الوطنيين العرب مضمون القرار الذي يدعو فلسطين "سورية الجنوبية" وتوحيدها مع "سورية الشمالية" وأرسلت المذكرات وعرائض الاحتجاج إلى المؤتمر ضد وعد بلفور.

وبينما مؤتمر السلام يعقد المعاهدات مع الدول التي هزمت في الحرب، أكره العثمانيون على توقيع معاهدة سيفر ١٠ آب ١٩١٩ التي أدخل الحلفاء فيها مطلبين صهيونيين: يعهد بإدارة فلسطين عملاً بأحكام المادة ٢٢ من عصبة الأمم إلى دولة منتدبة. وأن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ و الذي أقرّته دول الحلفاء بعد ذلك[٢٧].

و من أجل توثيق الصلة بالحركة القومية العربية، عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني في دمشق بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٢٠ تكريساً لوحدة المصير القومي، واتخذ مقررات قومية في طليعتها:

– إن أهالي سورية الشمالية والساحلية يعتبرون سورية الجنوبية "فلسطين" قطعة متممة لسورية.

---

[٢٧] على الرغم من رفض مصطفى كمال معاهدة سيفر التي استبدلت بمعاهدة لوزان، فقد عاد الحلفاء إلى تأكيد ما ورد في سيفر بشأن فلسطين بالمعاهدة الجديدة. راجع: شوفاني، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

– رفض الهجرة الصهيونية لخطرها على كيان البلاد السياسي ورفض جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود[٢٨].

وبعد إقرار ميثاق عصبة الأمم ٢٨ نيسان ١٩١٩، الذي تضمن نظام الانتداب، وإعلان المؤتمر السوري الملكية في سورية ١٩٢٠ وما تلا ذلك، من فرض الانتداب في سان ريمو وبعد زوال الحكم العربي الفيصلي في سورية ودخول الفرنسيين إلى دمشق. عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث (١٣–١٩ كانون الأول ١٩٢٠) في حيفا برئاسة موسى كاظم الحسيني ليضع أسس العمل الفلسطيني في المرحلة الجديدة، وكان هذا المؤتمر الأول في سلسلة مؤتمرات دورية بلغ عددها سبعة، توقفت عام ١٩٢٨.

أعلن المؤتمر الفلسطيني الثالث استنكاره للإجراءات التي قامت بها السلطات البريطانية وفي طليعتها الاعتراف بالجمعية الصهيونية هيئة رسمية[٢٩].

في هذا الجو من الاحتقان الشعبي تحول موكب الاحتفال بموسم النبي موسى في القدس إلى مظاهرة وطنية للإعراب عن السخط والاحتجاج ضد الصهيونية والإدارة البريطانية حدث خلالها صدام مسلح بين العرب والصهيونيين أدى إلى سقوط عدد من الشهداء العرب والقتلى الصهيونيين فضلاً عن الجرحى من الجانبين[٣٠].

صدر صك الانتداب بشأن فلسطين وشرقي الأردن عن عصبة الأمم في ٢٤ تموز ١٩٢٢ وأصبح نافذ المفعول في ٢٩ أيلول ١٩٢٣، وهو مؤلف من مقدمة و ٢٨ مادة وقد تضمنت المقدمة نص وعد بلفور، ومصادقة عصبة الأمم على الانتداب البريطاني، ومبرره المعلن تهيئة فلسطين لتصبح "وطناً قومياً يهودياً"، والصك وثيقة دولية رسمية شكلت الغطاء الضروري لسياسة بريطانيا في تهويد فلسطين. وتضمنت المواد: العمل على إنشاء "وكالة يهودية" معترف بها لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء "الوطن اليهودي"، وتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وتشجيع حشدهم في الأراضي الأميرية والموات، وضرورة تضمين قانون الجنسية الفلسطينية نصوصاً تضمن تسهيل اكتساب اليهود للجنسية الفلسطينية" وأن تكون اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب الإنكليزية والعربية.

---

[٢٨] **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٧٣، ص ٢١٦.

[٢٩] المرجع نفسه، ص ٢١٧

[٣٠] شوفاني. مرجع سابق ، ص ٣٨١.

والجدير بالذكر أن مجلس عصبة الأمم وافق لاحقاً، على استثناء شرق الأردن من تطبيق مواد صك الانتداب المتعلقة بإنشاء الوطن القومي اليهودي[٣١]. وكان الهدف من جرّاء ذلك أن يستوعب الأردن النتائج الناجمة عن تهويد فلسطين، فالفصل كان ظاهرياً والدمج كان واقعياً، وهذا ما يفسر وضع الأردن وفلسطين تحت انتداب دولة واحدة هي بريطانيا[٣٢].

على الرغم من المواجهة العربية في فلسطين للمشروع الانكلو – صهيوني، والتي تمثلت بعقد المؤتمرات وتأسيس الأحزاب السياسية والوطنية والقومية، والثورات المتتالية بدءاً من أحداث يافا وثورة البراق ١٩٢٩ وحركة القسام ١٩٣٥ والثورة الكبرى ١٩٣٦–١٩٣٩ فإن السياسة البريطانية في فلسطين سجلت تقدماً ملموساً لصالح الصهيونيين لا يستهان به.

أمعنت السياسة البريطانية في عهد المندوب السامي "آرثر واكهوب" "Arthur Wauchope" (١٩٢٨–١٩٣١) في تهويد فلسطين، إذ تضاعفت الهجرة اليهودية إليها. وعزز تسليح العصابات الصهيونية وفي طليعتها منظمة الهاغاناه[٣٣]. وقامت بنسف بيوت عديدة يملكها العرب الفلسطينيون، بحجج واهية، وليس أدل على ذلك ما حدث في مدينة يافا عام ١٩٣٦ عندما أقدمت السلطات البريطانية على نسف ٢٢٠ منزلاً بحجة "تجميل" الشوارع، فيما أعلن وزير المستعمرات، في مجلس العموم، أنها نسفت لكونها مركزاً للثائرين وان البوليس البريطاني لم يكن يستطيع الدخول إليها[٣٤].

وخلال الثورة الكبرى ١٩٣٦–١٩٣٩، وعلى أثر تشكيل اللجنة الملكية (البريطانية) لدرس أسباب الاضطرابات، ورفع تقريرها بتقسيم فلسطين، إلى دولتين واحدة عربية تشمل غزة وبئر السبع وصحراء النقب والخليل ونابلس والقسم الشرقي من مناطق طولكرم وجنين وبيسان وبلدة يافا مع شرق الأردن، وكان فيها ١٢٥٠ يهودي فقط مقابل ٣٢٥ ألف عربي يمتلكون ثلاثة ملايين وربع مليون دونم، وتضمن الاقتراح موضوع التقرير، أن يتم تبادل السكان، ومعنى ذلك أن يتم التبادل بين ٣٢٥ ألف عربي مقابل ١٢٥٠ يهودي[٣٥]. رفض العرب مشروع التقسيم واستؤنفت الثورة حتى عام ١٩٣٩، عندما تشكلت لجنة "جون ودهيد" "John Wood Head"

---

[٣١] الأمم المتحدة. **منشأ القضية الفلسطينية وتطورها**، نيويورك ١٩٩٠، ١١٧–١٢٥.

[٣٢] **فلسطين تاريخها وقضيتها**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية. قبرص، ١٩٨٣، ص ٥٦.

[٣٣] تصاعد رقم الهجرة اليهودية من ٩٥٠٠ مهاجر سنة ١٩٣٢ لبى ٣٧٠٠٠ مهاجر سنة ١٩٣٥، و٤٣٠٠٠ سنة١٩٣٤ و٦٢٠٠٠ سنة ١٩٣٥ عدا الآلاف الذين دخلوا تهريباً وبخصوص التسليح، اكتشفت عرضاً في= تشرين الأول سنة ١٩٣٥، شحنة ضخمة من الأسلحة والذخائر آتية لليهود من بلجيكا في براميل الإسمنت ولم تصادرها السلطات البريطانية. **فلسطين تاريخها وقضيتها**، ص٦٥ .

[٣٤] **فلسطين تاريخها وقضيتها**، ص ٦٩.

[٣٥] **فلسطين تاريخها وقضيتها** ، ص ٧١.

الفنية التي قدمت إلى فلسطين ٢٧ نيسان ١٩٣٨، وقدمت تقريرها الذي خلص إلى القول أن العرب سيقاومون التقسيم بثورة علنية ولا يمكن تنفيذه إلا بإخمادها بقوة تفوق قوتهم، ونفت إمكان إقامة دعائم السلام في فلسطين[٣٦].

جاء التقرير انتصاراً للعرب فأعلنت عزمها على عقد مؤتمر في لندن، تم عقده في منتصف كانون الثاني ١٩٣٩، حضره كل من العراق ومصر والسعودية واليمن وشرق الأردن ووفد فلسطيني، صدر في نتيجته تسوية نشرت تفاصيلها في بلاغ رسمي عرف بالكتاب الأبيض ١٩٣٩، تضمن اعتراف بريطانيا المبدئي بحق فلسطين بالاستقلال، وحددت الهجرة، وقيدت انتقال الأراضي، بيد أن العرب واليهود رفضوه وأعلن اليهود الصهاينة الثورة على الكتاب الأبيض[٣٧].

هدأت الثورة الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية، وانتقل الثقل الصهيوني إلى الولايات المتحدة الأميركية، حيث أصبح الموقف الأميركي واضحاً جداً في تأييد الصهيونية، وقد تجلى ذلك في المذكرة التي قدمها عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب الأميركيين، بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتصريح بلفور، مؤيدة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، إلى أن وعد الرئيس الأميركي تيودور روزفلت Franklin) Roosevelt ١٨٨٢-١٩٤٥) بالمساعدة على إقامة دولة يهودية وإلغاء الكتاب الأبيض متمنياً على الشعب الأميركي مساعدة الصهاينة على إقامة وطن قومي لهم[٣٨].

شهدت أقطار المشرق العربي، في فترة ما بين الحربين، أوضاعاً سياسيةً أكثر سوءاً من فترة الحكم العثماني، ولم يستكن العرب للظلم الاستعماري بل واجهوه بالرفض والثورات وبكل ما أوتوا من قوة، وكان أخطر ما فعله الاستعمار الغربي، هو تقسيم المشرق العربي سياسياً، وسلخ لواء الإسكندرون عن سورية، وسلخ الاحواز عن العراق، وتهويد فلسطين. و في ظروف كهذه كان لا بد من تغيرات جديدة في الوضع الاقتصادي الاجتماعي في هذه الفترة، يتبعها تحولات على صعيد الفكرة القومية.

ب- الاتجاهات الفكرية- السياسية ودورها ١٩١٨-١٩٤٥:

في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧، أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً على البلاد العربية، وطير الأمير عبدالله، الذي كان وزيراً لخارجية والده، هذا النبأ برقياً إلى الحكومات المتحالفة والمحايدة طالباً الاعتراف باللقب الجديد، فأحدث الخبر موجة من الاضطراب لدى البريطانيين

---

[٣٦] المرجع نفسه، ص ٧٤-٧٥.

[٣٧] قدورة، **تاريخ العرب الحديث**، ص ٢١٨.

[٣٨] -Stevens, Richard p: *America Zionism and U.S. Foreign Policy 1942- 1947* New York, 1962 p.p 43-58,83-84

والفرنسيين، إذ اعتبروه خالياً من بعد النظر، غير أنهم في النهاية أبلغوا الشريف حسين في الثالث من كانون الثاني ١٩١٧ اعترافهم به ملكاً على الحجاز فقط.

ومن ناحية أخرى كشفت ثورة تشرين الأول ١٩١٧ البلشفية في روسيا عن اتفاقية سايكس- بيكو بنشرها في ٨ تشرين الثاني من العام نفسه[٣٩].

وفي العام التالي ١٩١٨ بلغت مسامع الضباط والجنود العرب في جيش فيصل أنباء وعد بلفور، فكانت دهشتهم كبيرة وأعلنوا أنهم لن يواصلوا القتال إلى جانب الإنكليز ما لم تقدم بريطانيا تأكيدات بأنها ستنفذ وعودها الأساسية.

وكان جواب الشريف حسين إلى الأمير فيصل على ما حدث يشوبه نوع من البساطة السياسية إذ قال: "الحلفاء أجل وأكبر من أن يخلفوا بحرف من مقرراتنا معهم، وهم أحرص الناس على ملاحظة مثل هذه الدقائق. فلا تفكر في ذلك واطمئن واعلم أنه لا حكم بيننا وبين الترك إلاّ السيف"[٤٠].

ج- طموحات الهاشميين بعد الحرب العالمية الأولى.

"وافق الحسين وأبناؤه على أن يخلف "علي"، الابن الأكبر أباه على الحجاز، وأن يصبح "عبدالله" الابن الثاني ملكاً على العراق، وأن يصبح "فيصل" الابن الثالث ملكاً على سورية"[٤١].وهذه التوجهات تنسجم مع الأهداف البريطانية التقسيمية في المشرق العربي.

هذا التحول في المشروع السياسي أنتج توجهات قومية جديدة، لاسيما في الفترة الواقعة ما بين ١٩١٩-١٩٣٦ التي يمكن تسميتها بالحقبة السورية والعراقية التي بدأت بالظهور عندما أجريت الانتخابات قبيل وصول لجنة كينغ -كراين إلى البلاد السورية للوقوف على رغبة السكان في تقرير مصير وطنهم. وتبلورت مطالبها في مقررات المؤتمر السوري ٢ تموز ١٩١٩ التي تضمنت طلب الاستقلال التام للبلاد السورية التي يحدها شمالاً جبال طوروس وجنوباً رفح، فالخط المار من جنوب الجوف إلى جنوب العقبة الشامية والعقبة الحجازية وشرقاً نهر الفرات فالخابور والخط الممتد شرقي أبي كمال إلى شرقي الجوف وغرباً البحر المتوسط بدون حماية ولا وصاية.

وفي البيان السياسي الذي ألقاه الأمير فيصل في دار الحكومة بدمشق١٩١٩ وردت عبارة الأمة السورية إذ قال " سورية يجب أن تكون مستقلة وكذلك العراق يريد استقلاله ولا يريد معاونة أو حماية. نحن لا نرضى في سورية أن نبيع استقلالنا بما نحتاج إليه من المعاونات في ابتداء

---

[٣٩] موسى، مرجع سابق، ص ٣٧٦.

[٤٠] P.R.O,and F.O371/3395,686/37,

[٤١] سيل، باتريك. **الصراع على سورية**، ترجمة سمير عبده، محمود فلاحة، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٣، ص٢١.

تشكلنا بل إن الأمة السورية هي أمة تريد أن تستقل وتأخذ ما تحتاجه من المعاونة بثمنه أي بدراهم معدودات"[٤٢].

وخلال المؤتمر السوري الثاني المنعقد بتاريخ ١٩٢٠/٣/٨ الذي توج فيه فيصل ملكاً على سورية جاء في مقدمة القرار "إن المؤتمر السوري العام الذي يمثل الأمة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية "فلسطين" تمثيلاً تاماً يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الأحد الموافق ٧ آذار سنة ١٩٢٠ القرار التالي:

"... أعلنا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الأساس النيابي، على أن تراعى أماني اللبنانيين الوطنية وكيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطن هجرة لهم، وقد اخترنا سمو الأمير فيصل... ملكاً دستورياً على سورية"[٤٣].

من ناحيتهم قرر العراقيون عبر اجتماعات عقدت في الكاظمية ١٩١٩/١/٨ وبغداد١٩١٩/١/٢٢، ومطالب قدمت إلى لجنة "كينغ كراين" في دمشق حزيران١٩١٩، وحلب تموز ١٩١٩[٤٤]. استقلال العراق، ورفع الحواجز بين سورية والعراق، وتميز المؤتمر العراقي المنعقد في دمشق بتاريخ ١٩٢٠/٣/٨ بالمطالبة بتتويج الأمير عبدالله بن الحسين ملكاً على العراق والمطالبة بالاتحاد السياسي والاقتصادي بين سورية والعراق على غرار مطالب المؤتمر السوري[٤٥].

وبعد مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ وسقوط الحكم العربي في سورية بعد معركة ميسلون، و فرض الانتداب من قبل فرنسا على سورية ولبنان والانتداب البريطاني على فلسطين وشرقي الأردن والعراق، والإجراءات الإدارية التقسيمية التي اتخذها الجنرال غورو (Gouraud) احتج سكان الساحل اللبناني عام ١٩٢٣ على إجراءات غورو وإلحاقهم بجبل لبنان، مطالبين بإلحاقهم بسورية[٤٦]، كما احتج نواب المدن والأقضية الأخرى التي ألحقت بلبنان الكبير، مطالبين

---

[٤٢] جريدة **العاصمة**، دمشق، العدد ٢٤، الملحق تاريخ ١٩١٩/٥/١٩: جريدة **القبلة**، مكة، السنة الثالثة العدد ٢٨٤، ٢٢ شعبان ١٣٣٧، ص٢-٤.

[٤٣] جريدة المنار، ج٢١، ١٩٢٠، ص٤٤١-٤٤٤.

[٤٤] سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، ص ٢٠-٢٣.

[٤٥] **القبلة** العدد ٣٧٣ تاريخ ١٩ رجب ١٣٣٨ هـ ص١.

[٤٦] **القلم الصريح**، (مرجعيون-لبنان)، العدد ٥٩، تاريخ ١٩٢٣/٣/١٨.

باستقلالهم عن لبنان الصغير على أن يكون لهم اتحاد مع لبنان والبلاد السورية[٤٧]. ثم تلا هذه الاحتجاجات سلسلة من المؤتمرات، عرفت بمؤتمرات الساحل بين ١٩٢٧ و١٩٣٦، شارك فيها لبنانيون وسوريون، أكدت المطالبة بوحدة سورية، وأن ثمة قضية سورية لا تقبل التجزئة كون السوريين أمة واحدة تربطها جامعة القومية، ويعتبر مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة لعام ١٩٣٦ آخر مؤتمر وحدوي يطالب بقوة بضرورة تحقيق الوحدة السورية، أما بقية المؤتمرات فقد كانت مطالبها أقل شدة[٤٨].

لئن توقف العمل الوحدوي عام ١٩٣٦، بسبب ما شهده ذلك العام من توقيع معاهدتين بين فرنسا وكل من سورية ولبنان، إذ تعهدت فرنسا فيهما الاعتراف باستقلال كل من البلدين وإدخالهما عصبة الأمم، مما دفع بالأمور باتجاه حمل تعقيدات جمة اقتضت تعديل أسلوب النضال القومي، وهذا ما وصفه أنطون سعادة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ بقوله: إن الأمر الواقع يقسم سورية إلى عدة مناطق أقرّها الاعتراف الدولي وأوجد منها معضلة في الحقوق القومية والدولية تحتاج إلى كل ما في نهضتنا من مرونة سياسية وشكلية لحلها... [٤٩].

وخلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، حدثت تطورات جديدة بعد سقوط فرنسا عام ١٩٤٠، وانتقال السلطة في لبنان وسورية إلى الألمان والإيطاليين، إذ لاحت أمام الهاشميين، بسبب ضعف فرنسا، فرصاً وحدوية جديدة في سورية الكبرى، في ظل تسابق ألماني بريطاني في كسب ولاء العرب من خلال بيانات وتصريحات تعترف بحقوق العرب في تحقيق أمانيهم القومية. فأعلن الملك الأردني عبدالله مشروعه توحيد سورية الكبرى، الذي لاقى فتوراً من البريطانيين، إذ تبلغ مجلس الوزراء الأردني بتاريخ ١٩٤١/٧/١٤ جواباً من الحكومة البريطانية جاء فيه: "إن المثل الأعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحوذ على عطف حكومة جلالته التام، على أن القضية يرجع أمرها إلى تبصر العرب أنفسهم عندما يكون الميدان أكثر جلاءً مما هو عليه في الوقت الحاضر. أما فيما يتعلق بالقرار الموحد قيد النظر، فإن حكومة جلالته تلزم رأيها التأكيدي، كل تقرب من الحكومة السورية أو من أية حكومة أخرى من الحكومات كالتي تضعها حكومة شرقي الأردن نصب عينيها ينبغي إرجاؤه ريثما تغدو الحالة أكثر استقراراً"[٥٠].

---

[٤٧] الخطيب، أنور: **الدولة والنظم الدستورية، المجموعة الدستورية القسم الثاني**، ج١، ص١٨. أيضاً: خوري. مرجع سابق، ص ٥١.

[٤٨] للمزيد من المعلومات حول مؤتمرات الساحل، انظر: حلاق، **مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة**.

[٤٩] سعادة، أنطون: **الآثار الكاملة**، الجزء الثاني، منشورات الحزب السوري القومي ، بيروت ١٩٧٦- ص ٢٣٤.

[٥٠] سعادة. **الآثار الكاملة**، الجزء الثاني ، ص ٣٦.

كما لاقى المشروع الهاشمي من قبل الأحزاب في سورية ولبنان رفضاً شبه كلياً.إلى أن قامت الجامعة العربية، التي استطاعت الإسهام في تشكيل مفهوم جديد للعروبة، أفصح عنه مفوض الحكومة اللبنانية القاضي يوسف شربل في محاكمة أنطون سعاده المتهم بالعداء للعروبة بسبب دعوته إلى وحدة الأقطار العربية في المشرق العربي، فيقول: "هذا الوطن (لبنان) كان يعمل أنطون سعادة وحزبه على تهديمه ودمجه بوطن من نسج خياله (سورية الكبرى)، معارضاً بذلك ليس فقط سكان لبنان الذين تضامنوا على بنيانه بالرغم من تعدد طوائفهم، بل جاء معارضاً أيضاً فكرة العروبة التي لا تتنافى ووجود دول عدة مستقل بعضها عن بعضها الآخر، تستشعر بمجمل عوامل الأخوة والجوار"[٥١].

تبين أن واقع الفكرة القومية في فترة ما بين الحربين أصيب بنكسة كبيرة بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية التي طرأت بفعل الانتداب، وهذا ما يمكن أن يعكسه واقع الأحزاب السياسية التي نشأت في تلك الفترة ومشاريعها السياسية وأهدافها المرحلية والإستراتيجية.

٢- العوامل الاقتصادية- الاجتماعية دولياً وعربياً.

كانت الإقطاعيات الحكومية في الدولة العثمانية على ثلاثة أنواع: "التيمار" وتمنح للجنود "السباهية"، "والزعامت" وقد منحت لضباط السواري، وجميع هذه الإقطاعيات لا توّرث بل تعود إلى الدولة بوفاة صاحب الإقطاع. وإلى جانب هذا النوع من الإقطاع كان في نوع آخر من الإقطاع[٥٢]، بني على أساس وجود عصبيات، وذلك منذ العهد المملوكي، عنصرية كالأكراد والعرب والتركمان، وعصبيات مذهبية كالإسماعيلية والنصيرية والدروز والموارنة وغيرهم[٥٣].

وكان الشيخ يدير شؤون مقاطعته، ويلتزم بدفع الضرائب المترتبة عليها للوالي المتربع فوق البناء الإقطاعي، والذي له الزعامة على العامة والمشايخ والأمراء، ويلتزم بدفع الضرائب المستحقة للدولة على المقاطعات التي يحكمها بنفسه[٥٤]. وكان لا بدَّ في ظل هذا التنظيم من حصول اصطدامات محلية بين الولاة العثمانيين (الإقطاع الحكومي) أو بين الولاة وملتزمي الجباية، أو أي أمير محلي يبغي مد نفوذه وجباية الضرائب، وقد تمتع بحق استخدام قوة مسلحة كافية لجمع الضرائب" فتارة كان يستخدمها في حل نزاع نشب بينه وبين جيرانه الإقطاعيين إذا

---

[٥١] وزارة الأنباء في لبنان. **قضية الحزب القومي**، بيروت ١٩٤٩، ص ٧٩.

[٥٢] المحبي، محمد الأمين. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**،ج١، القاهرة ١٨٦٩، ص ٣٠. أيضاً: رافق ، المرجع نفسه، ص ٤٦

[٥٣] عوض، عبد العزيز محمد. الإدارة العثمانية في ولاية سورية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٢٤.

[٥٤] المرجع نفسه، ص ١٨.

رغب في توسيع أملاكه على حساب أملاكهم، وطوراً يستخدمها لنجدة رئيسه إذا وقع في مشكلة مشابهة"[٥٥].

- نظام الملل والامتيازات الأجنبية.

من جهة التقاليد والعلاقات الاجتماعية السائدة في المشرق العربي، فقد كان بمعظمها سمات مجتمع عربي- إسلامي، حيث كانت الانقسامات والتحالفات تتم وفق الانتماءات ذات الطابع (القيسي- اليمني) والنسيج الاجتماعي متعدد المذاهب والطوائف والأصول "الأثنية"، وكان المسلمون السّنة هم على مذهب السلطة العثمانية[٥٦].

نظمت الدولة العثمانية شؤون الطوائف الدينية غير الإسلامية، منذ عهد السلطان محمد الثاني (١٤٢١- ١٤٥١) في إطار توازن سياسي تمارس من خلاله الطائفة الدينية التي عدته "ملة"، حق مواطنية أفرادها في إطار الدولة، "ويحق لأفراد الدولة الملة انتخاب رؤسائهم مقترناً بالبراءة السلطانية، ومنح هؤلاء الرؤساء حق إدارة رعاياهم في الشؤون العامة والشخصية"[٥٧].

تزاوج نظام الملل العثماني، الذي هدف إلى ضبط الخصوصيات المذهبية في إطار الدولة، مع سياسات الدول الأوروبية التوسعية التي بدأت بأشكال قانونية مع السلطة العثمانية، منذ بدء منح الامتيازات الأجنبية بموجب اتفاقية عقدت بين السلطان العثماني سليمان القانوني والملك الفرنسي فرنسوا الأول عام ١٥٣٥[٥٨] والتي كانت تجارية في البدايات ثم تطورت فيما بعد إلى حماية الأقليات الطائفية.

صحيح أن العلاقات التجارية بين الشرق والغرب كانت قائمة قبل العثمانيين، ولكن اكتشاف البرتغاليين لطريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح، أدى إلى انتزاع المبادرة من يد أصحاب القوافل والملاحين العرب الذين كانوا يقومون، منذ القرن الحادي عشر، بالدور الأول في تجارة الترانزيت بين الوطن العربي والغرب والشرق الأقصى ومناطق أخرى من العالم، الأمر الذي غير في أشكال النشاط الاقتصادي، مما أدى إلى تراجع في الدور الاقتصادي العربي، ليصبح نشاطاً داخلياً لعالم يشهد تطور الأنظمة الاقتصادية وفق نهج استعماري على هامش العمليات التجارية الكبرى[٥٩]. هذه الهامشية في علاقات التبادل العالمية كانت مدخلا لتغلغل

---

[٥٥] المرجع نفسه، ص ١٩.

[٥٦] -Chevallier, Dominique: La Société du Mont-Liban à L'Époque de la Révolution Industrielle en Europe, Paris 1971. pp.66-105.

[٥٧] كوثراني، وجيه. **الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، ١٨٦٠-١٩٢٠**، معهد الإنماء العربي، ط٣، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣٨.

[٥٨] المرجع نفسه، ص ٤١.

[٥٩] -Abel, Armand: *Psychologie et Comportement, Monde Musulman Contemporain*, Bruxelles, 1962, p 19.

"رأسمالي" أوروبي في الداخل، أدى إلى نشوء أنماط إنتاج مختلفة قلبت ميزان التبادل لصالح الغرب، و جعل الاحتكار الأوروبي سيداً لا يملك الشرق حياله أية وسيلة دفاع لاسيما في مجالي الاقتصاد والسياسة(٦٠).

وفي ظل تلك التطورات والأوضاع فتحت الامتيازات الأجنبية المجال أمام التجار الأوروبيين الداخل العثماني للهيمنة على عمليات التبادل، وكانت الهيمنة تزداد كلما ضعفت السلطنة وتفككت مؤسساتها الإدارية والاقتصادية والعسكرية، وكان أن وصلت النتيجة إلى الحد الذي بات فيه التجار الأوروبيون يشكلون مع قنصلياتهم جاليات قوية تتمتع بسلطات مستقلة عن السلطة المحلية العثمانية وتشكل عملياً دولاً داخل الدولة"(٦١).

ومع ازدياد الضعف الذي بلغته الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر برزت دلالات أخرى عن التغلغل الأوروبي في شؤون السلطنة، كان أبرزها المعاهدة الإنكليزية – العثمانية للتجارة عام ١٨٣٨ التي حددت رسم الاستيراد بـ ٥٪ بينما تدفع الصادرات من الولايات العثمانية رسماً قدره ١٢٪، فقطعت هذه الاتفاقية، التي شملت كل الدول الأوروبية، أية محاولة لبناء صناعة عثمانية(٦٢).

إذا كانت طبيعة النظام العثماني على هذا النحو من عدم القدرة على التطور في زمن شهد فيه العالم تطوراً هائلاً على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فمما لا ريب فيه أن الوضع الاقتصادي– الاجتماعي والمناطق المحكومة عثمانياً كان على صورة الوضع السياسي المتردي القائم فيها.

ب– الأوضاع الاقتصادية – الاجتماعية في المشرق العربي والإصلاحات العثمانية:

شهد القرن التاسع عشر أزمات اقتصادية واجتماعية حادة في السلطنة العثمانية بلغت ذروتها عندما أعلنت الدولة العثمانية إفلاسها عام ١٨٧٥ بسبب سيطرة الرأسمال الأوروبي، في المواصلات والبنوك وفي الديون العامة، مما أدى إلى تدخل الدول الأوروبية عن طريق هيئات الديون الغربية وتوجيه الموارد المالية في صالح القروض المالية(٦٣). وكان لا بد أن يشمل هذا الوضع المشرق العربي، لاسيما وأن تغييرات كبيرة أخذت تتسم بالطابع العالمي في مجالي

---

(٦٠) –Kalisky, René: *Le Monde Arabe: Le Réveil de la Quête de L'unité*, T2 Verviers, Belgique, 1968, p 7.

(٦١) -Weinstock N. *Le Mouvement Révolutionnaire Arabe*, p 22
كوثراني، مرجع سابق ، ص٤٣

(٦٢) Rodinson, Maxim. *Islam et capitalisme*, Paris, 1966, p 135
-

(٦٣) شارل عيساوي. **التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠–١٩١٤**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص ٢٥.

الإنتاج والتجارة، إذ اندمج "الشرق الأوسط" في النظام الدولي للتجارة والنقل على فترات زمنية مختلفة، حيث فُتحت طرق جديدة، خصوصاً قناة السويس، وأعيد استخدام طرق قديمة مثل طريق "تبريز طرابزون". فعملت على سحب التجارة من مناطق تابعة للسلطنة العثمانية و توجيهها عبر أراضٍ خارجها، وأُنشئت موانئ الإسكندرية وبيروت وأزمير، فجلب ذلك حركة النقل البحري التي كانت مبعثرة بين الموانئ الصغيرة. و في مناطق أخرى حلت السكك الحديدية محل قوافل المشاة لتحقق مزيداً من تركيز التجارة وتلبية الأسواق الأوروبية، وأدخلت محاصيل جديدة، وتم التوسع في إنتاج المحاصيل القديمة المستخدمة في الصناعة، مثل القطن المصري، والتبغ التركي، والأفيون الإيراني. ووسعت البنوك الحديثة أعمالها على حساب الصيارفة التقليديين، ونافست المصنوعات الأوروبية الحديثة منتجات الشرق الأوسط اليدوية، وقضت على الكثير من الحرفيين[٦٤].

واجهت بلاد الشام ركوداً اقتصادياً فيما بين النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، إذ ارتفعت الأسعار وقلت قيمة صادرات سورية الطبيعية إلى بريطانيا بشكل حاد و تراجعت التجارة الفرنسية التي كانت أكبر حجما [٦٥]. وفي عام ١٨٤٧ ذكر القنصل الفرنسي في تقريره، أن قبيلة عنزة أغارت على مدينة حلب وصدها السكان بعدما دمرت حقول الشعير والقمح [٦٦].

وذكر القنصلان البريطانيان في حلب ودمشق، بين عامي ١٨٦٠– ١٨٦١، ما قاله الأول: من أن بداية التخريب لسورية ترجع إلى نحو ٨٠ عاما، عندما اندفعت قبائل عنيزة من وسط الجزيرة العربية مدفوعة بالمجاعة في حشود كبيرة على الحدود الشرقية للسهول السورية، حيث تراجعت القرى تدريجياً أمام انتشار الدمار قرب عكا وبين اللاذقية وطرابلس، وازداد تقدمها على حساب الزيادة في قطعان الماشية ومراعي البدو. أما الثاني فقد قال شارحا ظاهرة انعدام الأمن حيث يوجد في بشالك دمشق، أكثر من ٢٠٠٠ قرية مهجرة ومدمرة. كان من بينها ألف قرية تُزرع، أصبحت في عداد الذكريات"[٦٧].

وليس خافياً، أن الحكم المصري لسورية الذي امتد ما بين ١٨٣١–١٨٤٠، حاول إيقاف التدهور الاقتصادي عن طريق التوسع في الزراعة وزيادة التجارة، ولكن الانسحاب المصري عقبه

---

[٦٤] عيساوي، مرجع سابق، ص ٣٥.

[٦٥] -Own, Roger. *The Middle East in the World Economy*, London: Methuen, 1981. Chaps. 1-3 ,6-7, and 10-12 (listes)

[٦٦] −France Archives du Ministère des Affaires étrangères**,** *correspondance commerciale***,** "Geoffroy to Gguiz May1847" Alep), vol.31

[٦٧] -Great Britain, Public Record office, Foreign office*: Skene to Bulwer,12 May 1860,* (*Fo 78/538*) and *Rogers to Bulwer 10 June 1861 ,(Fo78/ 1586).*

تدهور حيث أبعدت المنافسة الأوروبية لكثير من الصناع عن صناعتهم والحرفيين عن حرفهم[٦٨].

وفي السبعينيات من القرن التاسع عشر، حصل قحط في دمشق عام ١٨٧٨ وفي حلب عام ١٨٨٠، وكانت المصنوعات الحرفية والتجارة الخارجية مستمرتين، واتجه رأس المال الأجنبي الفرنسي إلى الاستثمار في السكك الحديدية، وكانت الهجرة إلى أميركا سمة الفترة. فنتج عنها تدفق التحويلات النقدية التي أسهمت في زيادة موازنة المدفوعات، وجاءت التحويلات للنقد الأجنبي مرسلة كنفقات للإرساليات الأجنبية، فضلاً عن عائدات السياحة[٦٩].

وجرت محاولات رسمية لتعزيز الوضع الاقتصادي عام ١٨٦٨ إذ أصدر المجلس السوري برئاسة رشيد باشا، قرارات تتضمن شق طريق للعربات من البصرة مرورا بحماه وحمص وبعلبك وصولاً إلى طريق بيروت دمشق، وإصلاح الجسور، وتسجيل المرهونات العقارية وتسجيل مساحة الأراضي وتحسين الصناعة، لاسيما الزجاج. وإقامة حاميات في البتراء والسلط لمراقبة أعمال البدو، وإجبارهم على الاستيطان والاشتغال بالزراعة[٧٠].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت فلسطين كأول منطقة استعادت نشاطها الاقتصادي، ففي عام ١٨٥١ أوضح القنصل البريطاني في القدس إلى التحسن فيها، مشيراً إلى الزيادة الكبيرة في الموارد المالية التي جمعت خلال السنوات الأخيرة بسبب اتساع نطاق الزراعة وزيادة التجارة في يافا، وإعادة بناء القرى وبسبب الأموال التي صرفت من أجل بناء الأديرة، وتزايد الزوار الأوروبيين والأميركيين القادمين إلى فلسطين[٧١].

وفي المرحلة الزمنية نفسها كانت بيروت تزدهر بسرعة، إذ ذكر القنصل الفرنسي عام ١٨٤٧ أن الأموال في لبنان آخذة بالتحسن، والإقطاع آخذ بتفكك مستمر بسبب رفضه للإصلاحات الإدارية التي قام بها إبراهيم باشا وما نتج عنها من نزاعات مسلحة أثناء غزوه لبلاد الشام، وبعد المصادمات الطائفية وإقامة النظام الخاص بمتصرفية جبل لبنان عام ١٨٦١ وإعفائه من الضرائب تزايد الرخاء الاقتصادي[٧٢].

---

[٦٨] عيساوي. مرجع سابق، ص٤٣.

[٦٩] عيساوي. مرجع سابق، ، ص ٤٦– ٤٧.

[٧٠] المرجع السابق، ص٤٧.

[٧١] -Great Britain, Public Record office, Foreign office "*Finn to canning*", 7 November 1851 (FO 78/874.

[٧٢] -France. Archives du Ministère des Affaires Etrangères, correspondance commerciale, (vol,5) p. 364

أما اللاذقية فقد استمرت على تخلفها، وقد تناولها تقرير **بريطاني** لعام ١٨٧٤ مفصلاً الزراعة المحدودة في السهول، وسوء حالة الطرق والجسور، وتدني مستوى معيشة القرويين وغلبة الأمّية عليهم، ويضيف "إن تناقص عدد السكان في هذه الجبال والسهول قد تم تدريجيا خلال القرون القليلة الأخيرة، إذ نزح المحاصرون إلى أضنه وأضرت الضرائب بزراعة التبغ وازدادت تجارة اللاذقية نقصاً"[٧٣].

ونستطيع القول إن سورية، الطبيعية، تقدمت في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، نتيجة للتطورات المذكورة، تقدما" ملحوظا" بحيث فاق التطور في سورية نظيره في العراق[٧٤].

وشهد العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إصلاحات خلال حكم نامق باشا (١٨٦١-١٨٦٨) إذ دفع الرواتب المتأخرة للجنود، وأوقف اختلاسات العسكر، وحقق فائضاً في الموارد المالية. ولعلّ مدحت باشا ١٨٦٩- ١٨٧٢ كان أعظم المصلحين العثمانيين في القرن التاسع عشر وقد غطّى نشاطه الكثير من مظاهر الحكم والاقتصاد والمجتمع[٧٥]. وبعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، دخل العراق مرحلة جديدة بسبب تأثره بافتتاح الطريق التجاري الجديد، الذي أصبح في متناول السفن القادمة من أوروبا، فازداد حجم التجارة الخارجية زيادة كبيرة، وساعدت زيادة الطلب الخارجي على الغلال العراقية وتمره على التوسع بالزراعة واستقرار البدو.

وفي مطلع القرن العشرين، ازداد التقدم في العراق ازدياداً ملحوظاً، وتزايد اهتمام الحكومة العثمانية أكثر بالتنمية، وتوافرت لديها موارد مالية كافية بعد زيادة الفوائد الجمركية عام ١٩٠٧ واجتذب العراق الألمان ليصبح مخرجاً لخط حديد برلين -بغداد، وليتخذ منها مصدراً لإمداد برلين بالقطن والنفط.

وعلى الرغم من الوضع الأفضل في العراق نسبياً، فهذا لا يعني أن الحياة الاقتصادية - الاجتماعية كانت تتحسن جوهرياً، إنما كانت عرضة للاضطراب والتردي أمام أي حدث أو هزة.

كان للأوضاع الاقتصادية المضطربة في بلاد الشام والعراق انعكاساتها على النمو السكاني إذ بلغ عدد السكان عام ١٨١٤ حوالي ٧.٥ ملايين نسمة، واستمر النمو السكاني بطيئاً، فكانت نسبته بين الأعوام ١٨٦٧- ١٩١٤ حوالي ١.٣ بالمائة سنوياً فقط.

ولعل السبب في بطء النمو السكاني يعود إلى تكرار المجاعات العامة التي حصلت في العراق بين الأعوام ١٦٨٩ و١٨٧٨، والأوبئة مثل الطاعون والكوليرا التي أصابت السكان في

---

(٧٣) Great Britain, *Accounts and Papers 1875*, vol.75, Beirut, PP 372-383.

(٧٤) عيساوي. مرجع سابق، ص ٤٧.

(٧٥) المرجع السابق، ص ٥٠.

كل من العراق وسورية، فضلاً عن الصراعات الطائفية التي كانت توقف عملية الاقتصاد وتدمّر القرى والمدن كما في الأعوام ١٨٣١–١٨٤٠ ناهيك عن الهجرة من مختلف المناطق السورية إلى أميركا[٧٦].

كان مستوى التعليم في سورية والعراق منخفضاً جداً، إذ أن المدارس المتاحة للمسلمين كانت مدارس دينية تقتصر على تعليم الأطفال قراءة القرآن، ويمكن التعبير عن الحالة التعليمية بما ورد على لسان أحد رجال الدين الأميركيين إذ قال: لا يوجد أي مدرسة في فلسطين، فيما عدا مدارس الإرسالية البروتستانتية [٧٧].

هذا الواقع التعليمي السيئ، على الرغم من إقدام الحكومة العثمانية على بذل نشاط ملحوظ في التعليم العام بصدور قانون التعليم ١٨٦٩[٧٨]، هو أحد الأسباب الرئيسة التي استقدمت الإرساليات الأجنبية مستفيدة من الامتيازات التجارية والسياسية للأوروبيين لتأتي إلى سورية تحت عناوين تعليمية، فكانت مدارس الفرنسيسكان الإيطالية في فلسطين، واليسوعية الفرنسية في لبنان ١٨٣١ والراهبات الكاثوليكيات، ثم تبعهم البروتستانت، فالمدارس الأرثوذكسية الروسية في فلسطين ثم لبنان وسورية، ولم يقتصر دور هذه الإرساليات على التعليم والتبشير الديني، بل تعداه إلى أهداف سياسية ذات أبعاد خطيرة تمثلت بزرع الشك والريبة في نفوس المسلمين، تسبب بإثارة النزاع الطائفي وإذكاء نار العداوة والبغضاء بين السكان[٧٩]. وكانت معظم الإرساليات التابعة للدول الكبيرة ترى من واجبها تعزيز النفوذ السياسي لبلدانها في هذه المنطقة ورعاية مصالحها[٨٠]. فكان أفراد الإرساليات يعملون بهمة ونشاط بارزين لغرس محبة أوطانهم في نفوس تلاميذهم الذين يتعلمون في مدارسهم[٨١].

وكان هذا الاتجاه واضحاً عندما عمّت فرنسا موجة عاطفية تطالب بضم سورية الطبيعية إلى فرنسا يوماً ما، معلنين للملأ بأن سورية هي "فرنسا الشرق". وعلى الرغم من رفض السوريين

---

[٧٦] عيساوي، مرجع سابق، ص ٥٦–٥٩.

[٧٧] -Bowrin, John: *Report on the Commercial Statistics of Syria Addressed to lord Viscount Palmerston*. New york : (n. pb.), 1972, pp 107-108 .

[٧٨] -Shaw, Stanford Jay, and Ezel Shaw*: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, 2 vols. Cambridge Mass: Cambridge University Press), 1977 vol.2, pp 111-113 and 249-252.

[٧٩] -Young, George**:** *Nationalism and war in the near east*, Oxford, 1915 vol. 2 pp. 223-229

[٨٠] **المنار**، مجلد ١٧ ، الجزء الأول، ٢٨ ديسمبر/كانون أول ١٩١٣ ص ٨–٩.

[٨١] -France. Archives du Ministères des Affaires Etrangères, *correspondance commerciale*, vol. 5, p. 346

قبول سلطة فرنسية عليهم، بلغ الغباء في الرأي العام الفرنسي حداً من تصديق مقولة رغبة سورية في الانضمام إلى فرنسا إبان الحرب ١٩١٤–١٩١٨ وفي أثناء انعقاد مؤتمر الصلح ١٩١٩[٨٢].

إن التحسن الاقتصادي الذي حصل في البلاد نتج عن تغلغل رؤوس أموال أجنبية وإدخال صناعات جديدة مدرة للربح مثل النسيج والحرير والدخان، فتحولت الكثير من الزراعات إلى مزروعات تستخدم في الصناعة، على أن الصناعة الآلية التي أدخلت إلى البلاد كانت محدودة، ولهذا لم يخدم الاقتصاد إلاّ شكلاً، وارتبطت التغييرات الاقتصادية بتحولات اجتماعية جديدة ، حيث خلقت طبقة تابعة للرأسمال الأجنبي، وحينها بدأت الطبقة العمالية بالنشوء ، وبدأت الهجرة من الريف إلى المدينة، ونتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي حصلت في القرن التاسع عشر وقعت تغيرات في البنية الاجتماعية، إذ كان لفرض النظام على مساحات واسعة في بلاد الشام والعراق، مما جعل الرقعة الزراعية أكثر اتساعاً فيهما، وأدى إلى سرعة استقرار البدو. ومن ثم تناقصت نسبة البدو الرحل إلى جملة عدد السكان تناقصاً شديداً. إذ نقصت نسبة البدو في العراق من ٣٥ بالمائة عام ١٨٦٧إلى ١٧ بالمائة عام ١٩٠٥، وهناك أرقام تجعل نسبتهم ٧ بالمائة عام ١٩٣٠[٨٣].

شهدت سورية، ثلاثة تيارات من المهاجرين إليها: الأرمن، والجراكسة المسلمين، واليهود، فقد عاش عدد لا بأس به من الأرمن في حلب قروناً عديدة وقد عملوا في التجارة والصناعة الحرفية، وقدر عدد الأرمن فيها عام ١٨٩٠ بأربعة آلاف نسمة وفي الولاية قدر عددهم ٤٨ ألف نسمة[٨٤]. وقدر عدد الأرمن في بقية أنحاء سورية بـ ٢٥٠٠ نسمة، وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية كان هناك ٢٠٠ ألف أرمني في سورية ولبنان، وأربعة آلاف في فلسطين[٨٥].

كان عدد اليهود في فلسطين محدوداً إذ قدر عام ١٨٠٦ بألفين، ثم تجاوز عددهم التسعين ألفاً بحلول عام ١٩١٤[٨٦]، وهذه الزيادة نشأت بفعل الهجرة اليهودية – الصهيونية غير المشروعة إلى فلسطين من أجل الهدف الصهيوني العدواني.

---

[٨٢] زين، زين نور الدين: **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان**، دار النهار، بيروت، ١٩٧١، ص٣٣.

[٨٣] –Issawi, Charles*: The Economic History of the Middle East 18 00-1914* Chicago,III:University of Chicagopress,1966,p.157

[٨٤] -Cuinet, vital*: La Turquie d'Asie: Géographie administrative et Raisonnée de chaque Province de L'Asie Mineure***,** vol.2, pp114 and 164

[٨٥] -Hourani, Albert: *Minorities in the Arab World***,** London: Oxford University Press Royal Institute of International Affairs, 1947, p.12.

[٨٦] -Great Britain, Public Record Office, Foreign Office**,** *Trotter, Report on Visit10 August 1891* **(195/1723)**

ومن القفقاس وروسيا والبلقان تدفق الجراكسة على الإمبراطورية العثمانية في الأعوام ١٨٧٦_١٨٧٨. وقد قدر فارس الخوري الموظف في القنصلية البريطانية في دمشق عدد العائلات الجركسية في ولاية الشام بـ ٥٥٤٠ عائلة (استقروا في القنيطرة وعمان) وكان تعدادهم نحو ثلاثين ألف نسمة. وهناك ٦٧٠ أسرة أخرى كانت في حماه وعدد أكبر في ولاية حلب وإقليم دير الزور(٨٧).

لأسباب كثيرة أهمها التدخل الأجنبي ألغي النظام العثماني بسمته الدينية وبصبغته الإقطاعية –العسكرية ليحل محله نظام استبدادي– عسكري– استعماري، أدى إلى إحداث تحولات لم يشهدها المشرق العربي من قبل.

يلاحظ ألبرت حوراني في دراسة مهمة له، أن المشرق العربي تحت الحكم العثماني قد خبر ما يسميه" بسياسة الأعيان" حيث لعب الأعيان دور الوسيط بين السكان المحليين في الأقاليم العربية وبين الإدارة المركزية، والأعيان، وفق الحوراني، ينتمون إلى ثلاث مجموعات رئيسة: طبقة العلماء، والعسكريين، والإقطاعيين الزراعيين، الذين كانوا يسيطرون على ملكيات كبيرة، وكانت وظيفتهم جباية الضرائب، والمحافظة على سطوة الحكومة المركزية على السكان المحليين.

ولكن في مرحلة الانتداب احتفظ هؤلاء الوجهاء بدور الوسيط السياسي بين سلطة الانتداب الغربي والسكان دون المهمات الأخرى التي كانوا يقومون بها في الماضي(٨٨).

والتغيير حاصل عن تعيين إدارة استعمارية عملت على نزع السلطات عن الزعامات العسكرية، وإعطائها إلى سلطات الاحتلال، فالضباط العرب الذين قاتلوا إلى جانب الحلفاء خلال الثورة العربية الكبرى استبدلوا بضباط فرنسيين وإنكليز بعد الحرب، وفي الوقت نفسه تعاظم تراجع دور علماء الدين بتوسيع التعليم العلماني ونظام الحكم الحديث، وهو تراجع بدأ قبل عقود بفعل الإصلاحات العثمانية التي زعزعت وضع العلماء وأوهنت المصدر المستقل لعونهم الاقتصادي بوضع جزء كبير من الأرض الموقوفة تحت سيطرة الحكومة والملكيات الخاصة.

حصل تحول كبير في طبيعة الدور الذي كان يلعبه الأعيان وانحصر، تحت الانتداب، بالتجار ومالكي الأراضي، فيما انخرط معظم ضباط الجيش العربي والعلماء إما بفئة التجار أو المالكين "وأدى الامتصاص النهائي لاقتصاديات المشرق العربي في إطار السوق الدولية إلى توسيع التجارة الخارجية مع أوروبا، وقد بلغت في بعض البلاد حوالي ٣٠ بالمائة من الناتج

---

(٨٧) -Great Britain, Public Record Office, Foreign Office, "Report" **618/3)**.

(٨٨) -Hourani, Albert: *Ottoman Reform and the Politics of Notables*, in: William Roepolk and R.L. chambers. eds, *Beginning of Modernization in the Middle east: the Nineteenth century*, Chicago, III, University of Chicago Press, 1968,p.p 41-68.

القومي الإجمالي، وارتفع مقدار التجارة العراقية في أواخر الثلاثينات إلى ٥٠ بالمائة من ناتجه القومي الإجمالي، ففتح مثل هذا التطور سلسلة واسعة من الفرص أمام مالكي الأراضي الكبار لتوظيف جزء من رؤوس أموالهم في الفعاليات التجارية. وبحلول الثلاثينات كانت بعض الأسر الثرية في المشرق العربي تستثمر في الصناعة[٨٩].

لم تكن العلاقة بين سلطات الانتداب وطبقة التجار ومالكي الأراضي في غاية الصفاء، فقد كان التقسيم السياسي هو أحد أهم أسباب التوتر بين الطرفين، لما تسبب من ضرر في تجارتهم الداخلية. ولكن التجارة الخارجية التي أفسحت المجال أمام طبقة التجار إلى زيادة ثرواتهم، جعلت الرأسمال الوطني مرتبطاً بالمصالح الأجنبية، ولذلك إذا ما برزت أهمية طرحهم قضية الاستقلال والوحدة، فلأن لهم مصلحة في التجارة الداخلية بدون موانع جمركية، ولذلك وجدناهم في مفاوضاتهم مع سلطات الانتداب لا يذهبون بعيداً بما يهدد مصالح الدول المنتدبة لأن ثمة ارتباط بين المصالح كان قد وجد. ومن خلال هذه العلاقة كانت سلطات الانتداب تعمل على نهب الثروات الوطنية.

أما الطبقات الشعبية الفقيرة فقد بقيت على فقرها في ظل نظام رأسمالي لا رأسمال وطني فيه، وهو نظام ليس له من نتيجة سوى التحفيز على حرب الطبقات في المجتمع بفعل الاحتكار والإفقار. وإن تفاوت وضع الأقطار العربية في نسبة هذا الانفتاح والتبعية للغرب ما بين منطقة وأخرى كما الفرق بين برجوازية سورية المحافظة وبرجوازية لبنان التي نهجت نظام الانفتاح الواسع على الغرب.

٣- العوامل الثقافية التاريخية والمستجدة.

أدركت السلطة العثمانية حاجتها إلى الإصلاح، فبدأت في أوائل القرن التاسع عشر بحركة إصلاحية تناولت حقولاً متعددة، أبرزها القضاء على الإنكشارية بسبب تمردها على السلطة ورفضها الإصلاحات العسكرية في صفوفها ١٨٢٦[٩٠]، واستمرت الإصلاحات بالمراسيم الإصلاحية المعروفة بخط شريف كلخانة ٣ تشرين الثاني ١٨٣٩ المعززة بإصدار خط همايون ١٨ شباط ١٨٥٦ المستمرة إلى سنة ١٨٨٠ وهي ما سميت بالتنظيمات الخيرية[٩١].

---

[٨٩] قزيها. في: أوين، روجر. وآخرون. **الحياة الفكرية في المشرق العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، إعداد مروان بحيري، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت ١٩٨٣، ص ١٧٦.

[٩٠] المحامي، محمد فريد بك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨ ص ٤٢٩.

[٩١] -Hurewtz, Jacob: *Colman(ed.) Diplomacy in the near and the Middle East: A Documentary Record. Princeton, N, J*: Van Nostrand, 1956 Vols. P.P 113 and 149.

استهدفت هذه التنظيمات تحديث الإدارة، والمساواة بين المسلمين وغيرهم من أبناء الدولة العثمانية، وتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، مثل حرمة الحياة والمال وإلغاء الالتزام، وفرض التجنيد المنظم والمساواة بين الأديان في تطبيق القوانين، وفي تطبيق العدالة، وفي الضرائب، ودخول المدارس، وفي الوظائف العامة[٩٢].

وجاءت القوانين العثمانية الجديدة وهي مشبعة بالمؤثرات الغربية، إذ كان القانون الفرنسي في الأساس، وكان القانون التجاري لسنة ١٨٥٠ هو لحد كبير مأخوذ عن القانون الفرنسي، وهذا ما ينسحب على القانون الجزائي ١٨٥٨، وغيرها من القوانين مثل قانون التجارة ١٨٦٣، وقوانين أصول المحاكمات[٩٣]. وفي العام ١٨٤٦ أصدر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) قانون الولايات المدني الذي قسم الإمبراطورية إلى ولايات ومتصرفيات وقائمقاميات ونواحي، وبذلك قسمت البلاد العربية بموجب هذا القانون إلى ولايات: حلب، بيروت، سورية، بغداد، الموصل، البصرة، طرابلس الغرب، الحجاز، اليمن ومتصرفيات: تتبع العاصمة مباشرة هي: جبل لبنان، القدس، دير الزور، بنغازي، ونفذه بالكامل السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦). وفي العام ١٨٧٦ تولى السلطان عبد الحميد العرش وأعلن الدستور، ولكنه سرعان ما علقه عام ١٨٧٨ بسبب الحرب الروسية- العثمانية[٩٤].

كما شهدت الأقطار العثمانية إصلاحات مهمة في عهد السلطان عبد الحميد، إذ أنشأت جامعة استانبول، وافتتحت المدارس والكليات العسكرية في العاصمة و وفي عدد من المدن المهمة مثل، دمشق وبغداد، وفي مجال المواصلات جرى مد خطوط سكك حديد ربطت أجزاء الدولة بعضها ببعض وبأوروبا أيضاً، وأنشئت في البلاد شبكة من خطوط التلغراف، وكثر عدد المطابع، وازداد عدد الكتب المطبوعة، وجرى تحديث الجيش على يد ضباط ألمان[٩٥].

ولكن محاولات الإصلاح لم تصطدم بالمعارضة الداخلية التي ارتبطت مصالحها بالأوضاع القائمة، بل اصطدمت بمعارضة الدول الأجنبية التي وجدت في أملاك الدولة العثمانية هدفاً لاستعمارها منذ غزو نابليون مصر في العام ١٧٩٨ واستيلائه عليها، ولولا تدمير أسطوله من قبل القوات البحرية البريطانية لما أجبر على الانسحاب منها. وفي العام ١٨٣٠ غزت فرنسا الجزائر واستولت عليها فيما استولت بريطانيا على عدن عام ١٨٣٩ لتجعلها قاعدة

---

(٩٢) - Davison , Rodric H :*Reform in the Ottoman Empire 1856-1876,* New york,1974, p.335.

(٩٣) - Davison ,Ibid. P.P, 44,92-94 and 253.

(٩٤) موسى، سليمان. **الحركة العربية**، دار النهار، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٩.

(٩٥) -Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, London, Oxford, university, 1961,p.p181-194.

لتموين سفنها في طريقها إلى مستعمراتها في الهند[٩٦]. وإذ خاضت فرنسا وبريطانيا حرب القرم (١٨٥٤-١٨٥٦) لتمنعا روسيا من الاستيلاء على اسطنبول ووصولها إلى المياه الدافئة، ظلت عملية الاقتطاع مستمرة، فاستولت بريطانيا على قبرص عام ١٨٧٨[٩٧]. بينما احتلت روسيا مناطق مهمة في القفقاس والأناضول، وفي عام ١٨٧٦ وصلت الجيوش الروسية إلى ضواحي اسطنبول ناهيك عن التدخلات الأوروبية السافرة بشؤون الدولة العثمانية التي احتاجت إلى معونة بعضها، فقد سبق لها أن استعانت بالروس لمنع جيش محمد علي من دخول اسطنبول، واستعانت بالجيوش البريطانية لإخراج الجيوش المصرية من سورية، كما تدخلت فرنسا إبان الحرب الأهلية في لبنان ١٨٦٠ بحجة حماية المسيحيين. فضلا عن التدخل الأوروبي في تقسيم إمارة جبل لبنان إلى قائممقاميتين، ومن ثم وضع نظام متصرفية جبل لبنان[٩٨].

أ- بدايات النهوض القومي العربي في ظل الإصلاحات العثمانية.

وعن طريق الإصلاحات أخذت الآراء الغربية، بما فيها مفاهيم الحرية والمساواة والوطنية، تصل إلى الأوساط الشعبية، منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر وتجد تعابيرها في اللغتين التركية والعربية، وذلك عن طريق البعثات والمدارس العسكرية، و أنتجت مع الوقت نخبة مطلعة على جوانب الثقافة الغربية والفكر الليبرالي، ولهذا بدأ مع السبعينات من القرن التاسع عشر النظر في تحديد السلطة المطلقة للسلطان، وتمثل ذلك لدى بعض المفكرين الأتراك مثل شناسي، وضيا باشا ونامق كمال، وهم ممن غلب عليهم الالتزام بالإسلام ووضع مفاهيم الحرية وسيادة الشعب في إطار إسلامي (الشورى، البيعة) وظهر مثل هذا الفكر في بعض المناطق العربية مثل مصر وبلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٩٩].

إزاء هذه الأوضاع، هبت الرياح القومية في السلطنة العثمانية، (سواء تركيا أو البلاد العربية)، وكانت أول محاولة عثمانية للعمل المنظم بهدف مواجهة التحديات (حزيران ١٨٦٥) يوم أنشأ ستة شبان أتراك جمعية سرية أطلقوا عليها اسم "العثمانيون الفتيان" سنة ١٨٦٧ وأصدروا جريدة "الحرية" عام ١٨٦٨، وقد جعلوا أساس برنامجهم "حب الوطن من الإيمان " و"شاورهم في الأمر" واستمروا في نشاطهم من الآستانة وباريس حتى حل أول مجلس "للمبعوثان"

---

[٩٦] مراد، محمد عدنان. **بريطانيا والعرب**، دار طلاس، دمشق ١٩٨٩، ص٨٤.

[٩٧] المحامي. مرجع سابق، ص ٦٧٠.

[٩٨] الصليبي، كمال. **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار، بيروت ١٩٧٨، ص١٤٧-١٤٨.

[٩٩] الدوري، عبد العزيز. **التكوين التاريخي للأمة العربية**، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦، ص ١٤٢.

سنة ١٨٧٨ لينهي عملهم في الآستانة ويبدأ في الخارج باسم (تركيا الفتاة)، وليصبح فيما بعد "الاتحاد والترقي"[١٠٠].

وفيما كان المشرق العربي مسرحاً لأحداث جسام تمثلت بحملة محمد علي على بلاد الشام والثورات التي واجهتها في سورية، سواء في جبل لبنان أو حوران. ثم ما أعقبها من حروب طائفية في جبل لبنان ودمشق عام ١٨٦٠، برز بطرس البستاني عبر كتاباته مبشراً بحب الوطن، والمصالحة، وقد أصدر لهذه الغاية صحيفة "نفير سورية" (ابتداءً من أيلول ١٨٦٠) دعا فيها للاتفاق بين الطوائف مذكراً أبناء الوطن أنه يجمعهم وطن واحد. ولغة واحدة وعادات ومصالح مشتركة[١٠١]. وأنشأ المدرسة الوطنية في بيروت لتعنى بلغة الوطن وتدعو إلى حبه، وتشجع الصلات الوطنية بين طلابها، وأصدر البستاني في عام ١٨٧٠ مجلة الجنان، وهي مجلة أدبية سياسية نصف شهرية، استمرت حتى عام ١٨٨٦ كما أصدر "الجنة" ثم " الجنينة"[١٠٢] والوطن عند البستاني هو سورية ولكن في نطاق الدولة العثمانية، وكان حريصا على ربط الجماعة الوطنية بالعروبة كون العربية لغة وثقافة قاعدة مشتركة لأبناء الوطن[١٠٣].

وقد أدت المجلات العلمية والصحف السياسية دوراً ممتازاً في نشر الفكرة القومية في القرن التاسع عشر، كان أبرزها جريدة "حديقة الأخبار" وهي أول صحيفة عربية صدرت في بيروت عام ١٨٥٧. وجريدة "الجوائب" الأسبوعية التي أصدرها أحمد الشدياق في اسطنبول عام ١٨٦١ ، فكانت أشهر الصحف العربية آنذاك لجهة انتشارها الواسع، إذ عنيت بالسياسة الدولية . ومجلتا "البيان" و"الضياء" اللتان أصدرهما إبراهيم اليازجي عام ١٨٨٣.[١٠٤].

وصدر عام ١٨٦٩ جريدة أسبوعية باسم " البشير"، وفي عام ١٨٩٨ صدرت مجلة علمية نصف شهرية دعيت " المشرق" وفي عام ١٨٧٤ أصدر مسلمو بيروت جريدة باسم "ثمرات الفنون"، واشترك في تحريرها نخبة من الشبان المثقفين في طليعتهم أديب اسحق[١٠٥]. وأسس خليل سركيس، جريدة نصف شهرية عام ١٨٧٧ باسم "لسان الحال" وتحولت إلى يومية منذ ١٨٩٤ وفي عام ١٨٨٠ أسس الموارنة جريدة "المصباح" والبروتستانت "كوكب الصبح المنير"

---

(١٠٠) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, pp181-194

–

(١٠١) دي طرازي، فيليب. تاريخ الصحافة العربية ٤ أجزاء، المطبعة الأدبية،ج١، بيروت ١٩١٣–١٩٣٣. ص٦٤ و٨٩ وما يليها.

(١٠٢) مجلة الجنان. السنة ١ – ١٨٧٠، ص ٧٠–٧١.

(١٠٣) المرجع نفسه، ص٣٤.

(١٠٤) رافق. مرجع سابق، ص٥١٣.

(١٠٥) -Hourani, Albert*: Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939*, London, 1962 P.

والأرثوذكس "الهدية". وأصدرت، في عام ١٨٨٦، السلطة العثمانية في بيروت جريدة باسم "بيروت". وعلى الرغم من تنوع ولاءات هذه الصحف فقد أسهمت في إغناء الفكر العربي[١٠٦].

وبالإضافة إلى المجهود الفردي للأدباء والمفكرين عبر الصحف، فقد برزت فكرة العمل الجماعي عن طريق الجمعيات وظهرت أول جمعية في بيروت عام ١٨٤٧ باسم "جمعية الآداب والعلوم" وضمت بين أعضائها بطرس البستاني وناصيف البازجي، ثم قامت في عام ١٨٥٠ "الجمعية الشرقية" واقتصرت عضويتها على المسيحيين فقط، وبحلهما قامت "الجمعية العلمية السورية" التي ظهرت عام ١٨٥٧ في غمرة الحوادث الطائفية في جبل لبنان، وقد ضمت في صفوفها طوائف عدة، وبلغ عدد أعضائها ١٥٠ عضواً، وربما جاء تشكيلها على هذا النحو بفعل المرسوم الذي أصدره السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١) في العام ١٨٥٦ الذي تضمن اعترافاً صريحاً بالمساواة الكاملة بين جميع الأديان في الإمبراطورية العثمانية[١٠٧].

كان إبراهيم اليازجي أحد أعضاء الجمعية، وهو الذي طالما تغنى بمجد العرب، وأشار إلى تفوقهم العلمي، ورأى أن تأخرهم جاء بسبب إهمالهم العلوم وإحلال التعصب الأعمى محل الدين[١٠٨] وهو صاحب القصيدة البائية التي جاء في مطلعها:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب[١٠٩]

ولعل أعمال الجمعية ونشاطها أنتج دلالات عدة، إذ يشير القنصل الروسي (ك م. بازيلي)، الذي عمل في سورية خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٣٩- ١٨٥٣، في تقرير له سنة ١٨٦٨ إلى الاجتماعات الأدبية في بيروت التي كانوا يتحدثون خلالها عن الأمجاد العربية، إلاّ أن الأحاديث كانت تتناول الظلم التركي[١١٠].

الواضح هو أن الإطار ثقافي الاتجاه، وليس من دعوة لكيان سياسي، والتطلعات كانت في نطاق سوري، والفكرة العثمانية كانت لا تزال هي السائدة في تلك الفترة[١١١].

---

[١٠٦] انظر حول الصحافة العربية بعامة: دي طرازي، مرجع سابق ج٣ ، بيروت ١٩١٣-١٩٣٣.

[١٠٧] أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٢٣.

[١٠٨] راجع: سابا، عيسى ميخائيل. **الشيخ إبراهيم اليازجي، سلسلة نوابغ الفكر العربي**، ١٤، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٥، ص ٤٩-٥١ و ٧١-٧٤.

[١٠٩] قلعجي، قدري. **الثورة العربية الكبرى، ١٩١٦-١٩٢٥**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩، ص ٤٨.

[١١٠] أزاكوفيتش، ليفين زلمان: **الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان-سورية – مصر**، ترجمه عن الروسية بشير السباعي، دار ابن خلدون، بيروت،١٩٧٨ ، ص٧٧.

[١١١] -Dawn, c. Ernest. *From Ottomanism to Arabism: Essays on the Origins of Arab Nationalism,* Urbana III: University of Illinois Press 1973. P.132

هذا التنبيه الثقافي يخفي وراءه عوامل مختلفة من القلق في سورية، متصلة بالتطورات الاقتصادية–الاجتماعية، من انحلال في النظام الإقطاعي،إلى ظهور ملكيات فردية كبيرة، وفئات من المسيحيين ترتبط بالمصالح التجارية والصناعية الغربية، ومن ردود فعل من المسلمين للنظام الجديد الذي أحدثته التنظيمات كونه أدى إلى تقليص حكم الشريعة الإسلامية.

ويجدر بنا أن نعرف أين تقف الحركة العربية من تياري الفكر اليساري المدني واليميني الديني، إذ أفادت الحركة العربية من الاتجاهين ولم تذب في أي منهما، وعملت على استقطابهما لهدف عربي واحد.

اشتهر في الجانب اليساري العلماني كل من فرنسيس مراش وشبلي شميل وفرح انطون، في حين اشتهر بين دعاة الإصلاح الديني من العروبيين عبد الرحمن الكواكبي، الذي شكل حلقة الوصل، في مجال الفكر الديني، بين الحركة العربية اللاطائفية والحركة الدينية اليمينية السلفية الداعية للجامعة الإسلامية التي تمثلت بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وبمحمد رضا[١١٢].

ولد فرنسيس مراش في حلب ١٨٣٦ ودرس الطب في باريس، وترك كتابين "غابة الحق" و"مشهد الأحوال" وكان كتاب غابة الحق على شكل حوار، تدور مواضيعه حول إقامة "مملكة الحضارة والحرية" ويظهر فيه أثر الفكر الأوروبي المعاصر لتلك الفترة، من خلال دعوته إلى الحرية والمساواة والقضاء على الرق. وقال: إن العرب يحتاجون قبل كل شيء إلى مدارس حديثة وحب للوطن خال من الاعتبارات الدينية[١١٣].

إلى جانب مراش كان سوري آخر يدعى شبلي الشميل الذي آمن بقوة الجماهير الشعبية، وبأهمية التعليم في إنهاء أيام الطغاة، كما آمن بالاشتراكية ويعدّ "أول من نشر بالعربية فكرة الاشتراكية، وإن لم يكن أول من سماها بهذا الاسم"[١١٤].

ونادى بالعلمانية من طرابلس الشام، فرح أنطون (١٨٧٢–١٩٢٢) الذي نزح إلى مصر، وكان من أشهر أعماله إصداره مجلة "الجامعة في مصر، ونشره كتاب ابن رشد وفلسفته" وقد دعا فرح أنطون في كتاباته إلى فصل الدين عن الدولة، وهاجم الاستبداد، وآمن بالاشتراكية العلمية[١١٥].

---

[١١٢] رافق. مرجع سابق، ص ٥١٦.

[١١٣] الكيالي، سامي. **الحركة الأدبية في حلب**، القاهرة، ١٩٥٧. المرجع السابق، ص ٥١٧.

[١١٤] حوراني، **ألبرت. الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨–١٩٣٩، تعريب كريم عزقول**، ط٤ دار النهار للنشر، بيروت،١٩٨٦ ص.٣٠٢.

[١١٥] أنظر آراء فرح أنطون وشرحها في: حوراني. مرجع سابق ،ص ٣٠٣–٣١٠

وفي الجانب المقابل وقف مفكر سوري آخر هو محمد رشيد رضا (١٨٦٥- ١٩٣٥) يدعو إلى بعث الأمة الإسلامية، وتطبيق المبادئ الإسلامية الأولى، كما في عهد السلف الصالح، وإلى التوفيق بين العلم الحديث والدين، آمن بالقومية العربية التي تجمع أبناء الأمة الواحدة. وقد أصدر محمد رشيد رضا جريدة المنار وترك عددا من الكتب وأشهر مؤلفاته تاريخ الأستاذ الإمام، ترجم فيه أستاذه محمد عبده.

وقف رشيد رضا إلى جانب العرب ضد العثمانيين وهاجم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، ودعا جميع العثمانيين لاستبدال الحكم الاستبدادي بحكومة الشورى. وأدى دوراً فعّالاً في الدفاع عن استقلال العرب، وأصبح رئيساً للمؤتمر السوري في ١٩٢٠ وعضواً في المؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف في ١٩٢١ وعضواً في اللجنة التنفيذية التي أقامها المؤتمر في القاهرة، التي أيدت الاستقلال السوري الفلسطيني.

وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت على أفكار رشيد رضا، فإن هدفه في تحقيق خير الإسلام كان مؤكداً، وهو إذ يبرر موقفه المؤيد للدولة العربية المستقلة يقول: " إن مصلحة العرب السياسية هي مصلحة الأمة بمجموعها، إذ من شأن الدولة العربية المستقلة أن تحيي لغة الإسلام وشريعته"[١١٦].

ظهر أول عمل سياسي منظم عام ١٨٧٥، المصادف تاريخ إعلان الدولة العثمانية إفلاسها، عندما أسس بعض الشباب المثقف من أعضاء "الجمعية العلمية السورية" "جمعية سرية" في بيروت، ووضعوا برنامجاً قومياً متّبعين طريقة جديدة للتصريح به بواسطة النشرات الثورية التي علقت على الجدران سراً في مدن ولايتي دمشق وبيروت.

عُلّقت المناشير في العام ١٨٨٠، بعد خسارة الدولة العثمانية الحرب مع روسيا التي بدأت في العام ١٨٧٧، وانتهت عام ١٨٧٨، وبعدما انحسرت الإمبراطورية العثمانية عن أوروبا، حيث لم يبق للدولة فيها إلاّ أربع قطع صغيرة لا اتصال بين ثلاث منها إلا طريق البحر[١١٧]. و ذلك بعد تعليق الدستور العثماني ١٨٧٨، واحتلال بريطانيا لجزيرة قبرص[١١٨]. فاتجهت الحركة الاستقلالية في الوطن العربي إلى الدعوة لاستقلال سورية، فالتذمر والقلق في سورية أصبح واضحاً. والدولة العثمانية في انحدار رغم الإصلاحات، وأزّم ذلك ضغط الدول الغربية، ومع

---

[١١٦] حوراني. مرجع سابق ، ص ٣٦٥ .

[١١٧] المحامي. مرجع سابق، ص ٦٦٤.

[١١٨] المرجع السابق، ص ٦٧٠.

حرص المسلمين على سلامة الدولة أمام الخطر الخارجي، فإن الشعور بعجز الدولة عن حماية البلاد كان سبباً للقلق والتفكير بالمصير[١١٩].

لذلك تضمن المنشور الأول ١٨٨٠ الصادر عن "الجمعية السرية" لوماً لأهل الشام لاستكانتهم واستسلامهم لطغيان الأتراك فيما هم نهباً لمطامع الدول الأوروبية، داعياً إلى الوحدة مؤكداً قيمتها وضرورتها.

وتضمن المنشور الثاني المطالبة الصريحة بتحقيق الاستقلال الذاتي للبلاد الشامية ويؤكد عزم كتبته على العمل في سبيل وطنهم مهما يكلفهم ذلك، أما المنشور الثالث والأكثر أهمية، فقد تضمن برنامجاً سياسياً على النحو التالي:

منح سورية (الطبيعية) الاستقلال متحدة مع جبل لبنان، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد. ورفع الرقابة والقيود الأخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم. واستخدام القوات المجندة من أهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط[١٢٠].

يبدو واضحاً، رفض صريح لبرتوكول متصرفية جبل لبنان وفصلها إدارياً عن سورية، لأنه جزء من تعديلات إدارية من وحي أوروبي يهدف إلى تقسيم المشرق العربي والوطن العربي بأسره، والطلب لتعزيز اللغة العربية بهدف تحقيق نهضة فكرية عربية، وتعزيز الحرية التي بدونها لا تقوم نهضة شاملة، أما البند الأخير من البرنامج يبدو أن كتبته كانوا يتوجسون من احتمال تدخل أوروبي في بلادهم فهم يريدون بقاء الجيش في البلاد العربية للدفاع عنها في وجه المطامع الأوروبية.

شهدت الحركة العربية بعد العام ١٨٨٠ تطوراً بطيئاً بسبب الإجراءات الإدارية والسياسة الاستبدادية والهجمة الاستعمارية التي شهدها الوطن العربي، ففي العام ١٨٨٢ احتلت بريطانيا مصر ثم السودان١٨٩٩، وكانت فرنسا قد احتلت تونس عام ١٨٨١، الأمر الذي جزّأ النضال العربي، ففي مصر ولدت القومية المصرية المطالبة بجلاء القوات البريطانية. وقد وطدت الإدارة العثمانية سيطرتها على المشرق العربي بتقسيمات إدارية ١٨٨٧، فيما قمع الحريات سائر على قدم وساق وقد عقد بطء الاتصالات الأمور، ولذلك بقي الأمر شبه مستكين، ولكنه كالجمر تحت الرماد إلى أن سقط الاستبداد الحميدي عام ١٩٠٩، حيث بدأ عهد جديد من النضال القومي في المشرق العربي مع نشوء الجمعيات السياسية

---

[١١٩] حصل اثر قيام حرب القرم سنة ١٨٥٦ ما يشبه هذا الموقف في حلب. أنظر:الصلح، عادل. **سطور من الرسالة: تاريخ حركة استقلال قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧**، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٢٨.

[١٢٠] انطونيوس. مرجع سابق، ص ١٥٣-١٥٥.

ب- الفكرة القومية: مبادؤها واتجاهاتها.

يتضح مما تقدم أن تركيبة الفكرة القومية في هذه المرحلة كانت تقوم على المبادئ التالية:

- رفض العصبيات الطائفية والمذهبية، التي تسببت بحروب أهلية، طائفية أسهمت في إضعاف العرب، وإحلال عصبية قومية توحيدية بدلاً عنها، خاصة وأن الأسباب لم تكن دينية، إنما كانت اقتصادية اجتماعية متمثلة بالاضطهاد الإقطاعي للفلاحين، وغيرها من أساليب الاستغلال للفئات الفقيرة في المجتمع.
- رفض الرابطة العثمانية الدينية، وإحلال الرابطة العربية التي تعبر عنها اللغة العربية أصدق تعبير.
- رفض النظام العثماني الاستبدادي، وإحلال النظام الديمقراطي الذي تخضع فيه السلطة التنفيذية للسلطة التشريعية.
- الدعوة إلى إقامة دولة علمانية.
- الوطن القومي هو سورية (الطبيعية) التي تضم لبنان وفلسطين والأردن.

أما اتجاهات الفكر القومي فيمكن تحديدها بثلاثة:

- **الاتجاه الأول:** إسلامي سلفي يدعو إلى إبقاء الرابطة العثمانية وإصلاح الدولة العثمانية، وقد عبر عنه محمد رشيد رضا.
- **الاتجاه الثاني** : قومي علماني يدعو إلى إقامة الدولة القومية الديمقراطية العلمانية، وقد عبر عنه شبلي الشميل وفرح أنطون.
- **الاتجاه الثالث:** توفيقي، شكل حلقة ربط بين الاتجاهين السابقين، وقد عبر عنه عبد الرحمن الكواكبي بدعوته لإقامة خلافة عربية تقوم أسس الاتحاد فيها على قواعد علمانية.

خلال المرحلة التي أعقبت العام ١٨٨٠ شهد الفكر القومي والسياسي تحولات فكرية مهمة سيكون لها تأثير كبير في مجرى الأحداث التي تلت، سواء ما أقدم عليه القوميون من عقد مؤتمر في باريس ١٩١٣، أو إعلان الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، وسنحاول تلمس الاتجاهات الجديدة من خلال ثلاثة مفكرين عاصروا المرحلة هم: عبد الرحمن الكواكبي، نجيب عازوري، عبد الغني العريسي.

مع عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٢)، يتعاظم الشعور القومي عمن سبقه من المفكرين القوميين، وهو الذي بدأ حياته في الصحافة والقانون، إذ يُعد الكواكبي رائداً في معالجة المفهوم القومي الحديث للقومية العربية، وقد فرّق بين مفهوم الحركة العربية وفكرة الجامعة الإسلامية، وانتقد الدولة العثمانية التي فرّقت بين القوميات واتبعت سياسة متميزة ضد القوميات غير التركية، ونادى بإعادة الخلافة إلى العرب داعياً إلى الجسد الإسلامي، وفي كتابه أم القرى

ذكر أن "العرب هم أحرص الأمم على احترام العهود عزةً، واحترام الذمة إنسانية، واحترام الجوار شهامة، وبذلك المعروف مروءة." وفي كلام الكواكبي عن أهمية اللغة العربية ذكر أنها "من أغني لغات المسلمين في المعارف وهي مصونة بالقرآن الكريم من أن تموت"[١٢١].

آمن الكواكبي بالرابطة القومية ونادى بها بين جميع أبناء الأمة فوجّه نداءه الشهير: "يا قوم، وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين، أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الأبناء والأجداد، فقد كفى ما فعل ذلك على أيدي المثيرين، وأجلكم أن لا تهتدوا إلى وسائل الاتحاد وأنتم المتنوّرون السابقون..." [١٢٢]. كما آمن بالاشتراكية، وقد طالب " أن تكون الأراضي والأملاك الثابتة والآلات والمعامل الصناعية مشتركة الشيوع بين عامة الأمة، وأن الأعمال والثمرات تكون موزعة بوجوه متقاربة بين الجميع، وأن الحكومة تضع القوانين لكافة الشؤون حتى الجزئيات وتقوم بتنفيذها"[١٢٣].

أما نجيب عازوري (١٨٧٠ –١٩١٦م) المولود في قرية عازور في جنوب لبنان، فقد نشر كتابه "يقظة الأمة العربية" ١٩٠٤[١٢٤]. الذي يتنبّأ فيه عازوري بأن السلطان عبد الحميد الثاني سيكون آخر حكام الأتراك لأنه أخبثهم[١٢٥]. ويقول حول سبب تطلعات العرب القومية بأنها تحركت بفعل محاولة الأتراك استعباد الأمة العربية في سياق سحقها للثورات التي أشعلها الأكراد والأرمن [١٢٦].

ويحدد عازوري الوطن العربي حيث ستقام دولة إمبراطورية عربية تمتد من دجلة والفرات إلى برزخ السويس، ومن المتوسط إلى بحر عمان، بعبارة أخرى ستضم هذه الإمبراطورية العراق وسورية وشبه الجزيرة العربية، وستحترم الحكم الذاتي للبنان واستقلال إمارات اليمن ونجد والعراق، وسترفض هذه الإمبراطورية فكرة الوحدة مع مصر،" لأن المصريين لا ينتمون إلى العرق العربي ، فهم من عائلة البرابرة الأفريقيين واللغة التي كانوا يتكلمونها قبل الإسلام لا تشبه العربية

---

[١٢١] الكواكبي، عبد الرحمن. **الأعمال الكاملة**، نشر محمد عمارة، القاهرة، ١٩٧٠ ص٣٠٣-٣٠٤.

[١٢٢] الكواكبي، عبد الرحمن. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢١.

[١٢٣] المرجع نفسه، ص ٧٩.

[١٢٤] ويلد، ستيفان. نجيب عازوري وكتابه يقظة الأمة العربية، في: أوين، روجر. وآخرون. **الحياة الفكرية في المشرق العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، إعداد مروان بحيري، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت ١٩٨٣،ص ١١٠.

[١٢٥] عازوري، نجيب. **يقظة الأمة العربية**، تعريب وتقديم أحمد بو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت د.ت ص ١٨٢.

[١٢٦] المصدر نفسه، ص ٢١٢.

قط"[١٢٧]. ويظل هذا الرأي مرتبطاً بنجيب عازوري، لأن المعطيات القومية العربية في مصر والسودان والمغرب العربي تؤكد على عروبة هذه المنطقة من الوطن منذ أقدم العصور، جغرافياً وتاريخياً، بكل المضمون التاريخي من مقومات الروابط بين والشعوب.

يريد عازوري قيام دولة عربية بالحدود المبيّنة، ولكنها تحت إرشاد دولة أوروبية، فيقول " لا يملك أحد الحق في حكمنا غير فرنسا، ولن يُهتف بحرارة لأي دولة غيرها إذا نزلت في البلدان العربية يوم يتقرر تجزئة الإمبراطورية التركية "[١٢٨].

برزت الميول الغربية لدى عازوري في أكثر من مكان في كتابه، إذ تبدو تطلعاته العربية ضمن إطار المصالح الأوروبية في المنطقة، فهو يبرر احتلال بريطانيا لجزيرة قبرص "لأن هذه القاعدة تتيح للبحرية البريطانية الدفاع عن "الدردنيل" وخليج "الاسكندرونة" ووادي الفرات (هذه المفاتيح الثلاثة إلى آسيا والمتوسط) ضد اندفاع روسي"[١٢٩]. وهو يبرر لفرنسا احتلالها للجزائر ليس من أجل بناء مستعمرة بقدر ما هو تخليص للمتوسط من قرصنة البرابرة التي فتكت بالتجارة الدولية ودمرتها[١٣٠]، وهو من شدة تعلّقه العاطفي بفرنسا وجد بالأمة الفرنسية أمة نبيلة "أن الأمة الفرنسية في جوهرها أمة نبيلة، وقد تولّت فرنسا الحروب الصليبية، وهي حملات خطرة، فعادت نتائجها بالخير على العالم بأسره"[١٣١]. والواقع أن نتائج الحروب الصليبية عادت بنتائج مهمة لأوروبا، بما نهب من الشرق من ثروات، ما تسببت للشرق من خسائر فادحة.

وينبري عازوري لمعالجة كيفية فصل السلطة الروحية عن السلطة الدنيوية فيؤكد أن الخليفة لن تكون له سلطة دنيوية خارج ولاية الحجاز، فالوطن العربي سيقدّم كذلك الخلافة الدينية العامة على الإسلام، إلى ذلك الشريف سليل النبي الذي سيحتضن قضيّته بإخلاص ويكرس نفسه لهذا العمل. وسيحظى الخليفة الديني باعتباره دولة سياسية تامة الاستقلال بولاية الحجاز الفعلية بأسرها، من ضمنها المدينة المنورة وإقليمها حتى العقبة. أنه سيتمتع بمظاهر التكريم الذي يتمتع بها الملك، كما سيتمتّع بسلطة أدبية حقيقية على جميع المسلمين في العالم[١٣٢].

ولعل أكثر ما أبرز شهرة نجيب عازوري هو ما جاء في كتابه من تحذير للتطلّعات الصهيونية من أجل إقامة وطن قومي في فلسطين وكلامه يكاد يلامس التنبؤات إذ يقول في هذا المجال " إن ظاهرتين هامتين، متشابهتي الطبيعة، بيد أنهما متعارضتان، لم تجذبا انتباه أحد

---

[١٢٧] المصدر نفسه ص ١١٩.

[١٢٨] المصدر السابق، ص ١٣٣.

[١٢٩] المصدر السابق، ص ١١١.

[١٣٠] عازوري. مصدر سابق ، ص ١١٥.

[١٣١] المصدر نفسه، ص ١١٥.

[١٣٢] المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

حتى الآن تتضحان في هذه الآونة في تركيا الآسيوية، أعني: يقظة الأمة العربية وجهود اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة "إسرائيل" القديمة على نطاق واسع . ومصير هاتين الحركتين هو أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأخرى، وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متضاربين يتعلق مصير العالم بأسره " [١٣٣]. وعلى الرغم من أهمية قوله هذا، لم يدرك عازوري، أو أنه تجاهل، التزاوج بين الفكر اليهودي وأهداف الرأسمالية الاستعمارية الذي أدى إلى نشوء الفكر الصهيوني.

3- العرب في مواجهة سياسة التتريك ١٩٠٩-١٩١٤.

بتاريخ ٢١- ٢٣ تموز ١٩٠٨ حدث تطوّر بالغ الخطورة في عاصمة الدولة العثمانية، مفصحاً عن نجاح الانقلاب الذي قامت به جماعة الاتحاد والترقي.

هلل العرب بالانقلاب الجديد ووسط حماس عارم أعلن تأسيس أول جمعية عربية "الإخاء العربي العثماني". من أغراضها: حماية الدستور، وصهر العرب والعثمانيين، ومساواة المقاطعات العربية مع غيرها، واستعمال اللغة العربية في التعليم[١٣٤].

ولكن هذا الحماس اصطدم مع أول انتخاب مع البرلمان الجديد، إذ حدد أعضاء النواب العرب بستين مقعداً من أصل ٢٤٥ مقعداً، في وقت كان عدد العرب، حوالي نصف سكان الإمبراطورية وكان التمييز بادياً بعد خلع عبد الحميد، واعتماد الاتحاد والترقي سياسة طورانية لتدعيم القومية التركية[١٣٥].

تعاظمت سياسة التتريك بعد عام ١٩١٢ وخسارة الدولة العثمانية الحرب مع دول البلقان التي انفصلت نهائياً عن الدولة العثمانية، وتعاظمت الكراهية العربية للأتراك بعد هزيمة تركيا في ليبيا أمام الإيطاليين عام١٩١١.

في غمرة هذه الأجواء تأسس المنتدى الأدبي في اسطنبول عام ١٩٠٩ بأهداف غير سياسية، ولكنه أسهم في مناقشة القضايا العربية في فروعه المنتشرة في البلاد العربية[١٣٦].

وفي العام ١٩١٢ أسس السوريون[١٣٧] في القاهرة حزب اللامركزية الإدارية العثمانية، كان من أبرز أهدافه تعبئة الرأي العام لتأييد اللامركزية. وفي العام نفسه تأسست جمعية بيروت

---

[١٣٣] المصدر السابق، ص ٤١.

[١٣٤] رافق. مرجع سابق، ص ٥٣٤.

[١٣٥] المرجع السابق، ص ٥٣٥.

[١٣٦] أنطونيوس. مرجع سابق، ص١٤٨.

[١٣٧] كان من بين مؤسسي حزب اللامركزية رفيق العظم (دمشق)، رشيد رضا (طرابلس الشام)، اسكندر عمون (جبل لبنان)، فؤاد الخطيب (جبل لبنان)، سليم عبد الهادي (جنين)، حافظ السعيد (يافا)، نايف تللو (دمشق)، علي النشاشيبي (القدس).

الإصلاحية التي حلها العثمانيون عام ١٩١٣. هذا على صعيد الجمعيات العلنية، أما الجمعيات السرية والتي ظهرت فيما بعد كان أبرزها: الجمعية القحطانية التي دعت إلى جعل الإمبراطورية العثمانية ملكية ثنائية عربية وتركية، وتأسست العربية الفتاة في باريس عام ١٩١١ ثم انتقلت إلى بيروت فدمشق، وفي عام ١٩١٤ أسس عزيز علي المصري جمعية العهد[١٣٨]. وكانت أهداف الجمعيتين الأخيرتين العمل على استقلال العرب وانفصالهم عن الدولة العثمانية.

إن تعدّد هذه الجمعيات ليس إلاّ دليلاً على بروز حيوية جديدة في الوعي القومي الذي لاقى تجاوباً مع الشعب العربي في المشرق، وترتقي الجهود فتعقد هذه الجمعيات مؤتمراً قومياً عربياً في باريس عام ١٩١٣.

وجد بعض الأحرار العرب أن تأسيس القضية العربية يقضي بنقلها إلى المستوى الدولي، فتألفت لجنة تحضيرية وقررت عقد مؤتمر في باريس، ووجهت الدعوات إلى الجمعيات العربية المحلية والاغترابية لحضوره. وقد جاء في الأسباب الموجبة لعقده: "ويصارحون العالم كله بأن اللامركزية هي قوام حياة العرب، وأنهم شركاء في هذه المملكة بل هم الأكثرية المطلقة فيها[١٣٩].

كانت النية تتجه في البداية إلى أن يعالج المؤتمر القضايا المتعلقة بسورية فقط، ثم قرر أن يعالج القضايا العربية كلها[١٤٠]. وكان جميع أعضاء المؤتمر من سورية الطبيعية باستثناء عضوين عراقيين[١٤١].

من بين الذين ألقوا خطباً في المؤتمر، كان عبد الغني العريسي ١٨٩١-١٩١٦ الذي يكتسب الحديث عنه أهمية خاصة، لما يعبّر من خلاله عن جمعية العربية الفتاة التي أسسها شبان عرب تعلموا في فرنسا، وهم في ذروة الحماس القومي.

سافر إلى فرنسا عام ١٩١٢ لدراسة الصحافة وشارك في المؤتمر العربي في باريس، و ألقى خطابا افتتاحيا في الاجتماع الأول للمؤتمر. ثم عاد إلى بيروت أواخر سنة ١٩١٣، وكانت حركة القومية العربية قد بلغت تحولاً من ظاهرة ثقافية قومية إلى حركة سياسية تحررية.

وفي العام ١٩١١ وبمناسبة يوم المولد النبوي محمد(ص)، يكتب عبد الغني العريسي من أجل التفاهم العربي- التركي على أساس القبول بمطالب العرب الخاصة، وفي طليعتها احترام اللغة العربية، إذ يمتزج الدين الإسلامي الذي يشكل الرابطة العثمانية باللغة العربية، ويمضي

---

[١٣٨] أنطونيوس. مرجع سابق، ص ١٨٥.

[١٣٩] جريدة **المؤيد**، القاهرة، ٢٧ آذار ١٩١٣.

[١٤٠] ذكر موسى. مرجع سابق، ص ٣٧. بأن توفيق السويدي وهو عراقي كان طالباً في باريس في أثناء انعقاد المؤتمر، فأقنع زملاءه بأن يطلقوا على المؤتمر اسم "المؤتمر العربي" بدل "المؤتمر السوري".

[١٤١] المرجع السابق، ص ٣٧.

مفصحاً عن رسالة قومية بقوله: "إن محمداً هو رجل كسائر الرجال وإنه داعية تقدمي لحرية الفكر العامة، وانه نبي الأمم جمعاء وخصوصاً العرب الذين كان انتسابه لأمتهم شرفاً عظيماً لها"[١٤٢].

ويمضي في مقالته بلسان النبي (ص) "من يتطاول على حقوقكم فعاملوه بالمثل... إنهم يضربونكم في عقر داركم فلا تغضبون، ويزدرونكم فلا تردون، كالحمير المستأجرة التي تموت من أجل ربح الآخرين". ويخلص إلى قول حديث غير مسند ينسبه للنبي (ص) "إن العرب هم أشرف الأمم، فالذي يهينهم أو يؤذيهم يهينني ويؤذيني، فالله قد بعثني نبياً بينهم.... الويل لمن يمس لغتي أو شريعتي بسوء"[١٤٣].

وفي مكان آخر يستخدم الدين ليبرز الوطن والقومية فيقول: "إن قومنا لا يشعرون بالأشياء إلاّ بصددها الديني ولذا يجب علينا استخدام شعائر الدين وأعظمها الخلافة... بيد أن الدين لا ينفي الوطن، فالإسلام دين وقومية... أن الدين الإسلامي لا ينكر الوطنية، بل إنه يحترم أخوة المواطنين من غير المسلمين باعتباره ضمانة لمساواتهم وقيماً على حريتهم، إن لنا ما لهم وعلينا ما عليهم"[١٤٤].

وإذ يرفض العريسي الاستبداد التركي فهو يرفض بحزم الاستعمار الأوروبي الذي يقترب من احتلال البلاد العربية، وهذا موقف يتماشى مع تفكيره على الرغم من إظهاره احترامه العميق لمفاهيم السياسة الغربية، ولذلك نراه يكتب، غداة احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب ١٩١١، نداءً لحمل السلاح تحت عنوان "موت مشرّف" فوصف التبرير الإيطالي لغزو ليبيا وهو "واجب إيطاليا "الإنساني" بأنه "إنسانية الظالم"... إنهم يريدون لهم أن يعيشوا كما يعيش الجزائريون في ظل "الإنسانية" الفرنسية، وهم يريدون أن يقتلوا، باسم "الإنسانية" عشرة منا جرّاء موت واحد منهم، كما يقتل المصريون في ظل "الإنسانية" الإنكليزية"[١٤٥]. وحمل عبد الغني العريسي على الاستبداد التركي مطالباً بالديمقراطية، إذ أن الإصلاحات يجب أن لا تتم تحت ضغط القوى الخارجية ، بل بإرادة الأكثرية الشعبية، فيقول" كان تطبيقا لإصلاحات في السابق يتم نتيجة لجهود أوروبا، أما الآن فهي نتيجة لشعب مفكر يصوغ الإصلاحات بيديه، وهو حدث يقف بين أعظم الأحداث في التاريخ العثماني بأسره.. إن حكم العدد الأكبر قد بدأ مفعوله بالظهور، وعلى عقلاء الأمة إسناد

---

[١٤٢] العريسي، عبد الغني: جريدة **المفيد** ، العدد ٦٣٨ تاريخ ١٩١١/٢/١٢.

[١٤٣] العريسي، المصدر السابق

[١٤٤] المصدر نفسه ، العدد ٧٢٣ تاريخ ٢٠/ ١٩١١/٦.

[١٤٥] العريسي، مصدرسابق، العدد ٧٩٥ تاريخ ١٩١١/١٠/١.

هذا الحكم حتى تصبح الدولة ديمقراطية، وتعمل لصالح جميع الناس، لا لصالح رجل واحد، ولا لصالح عدد صغير من البشر"[١٤٦].

ويتقدم تفكير عبد الغني العريسي ليضع تعريفاً للقومية العربية في افتتاحية بتاريخ ١٥ كانون الأول ١٩١٣ فيقول "ونقصد بالعربي كل من يرتبط بهذه الأمة بوحدة اللغة، وروابط القرابة، ونزعة العرب"[١٤٧].

يبدو الاضطراب الفكري عند عبد الغني العريسي ورفاقه في العربية الفتاة واضحا" في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، والاقتباس عن المفاهيم الغربية إلى حدود تبنيها أحياناً كان بيناً، كما عند عازوري، فكيف يظهرون احترامهم للمفاهيم السياسية الغربية؟! وهي نفسها التي كان لها انعكاسها السلوكي في البلاد العربية التي احتلوها، وهم إذ يستخدمون الدين في بناء فكرة قومية يجهلون أن القومية لا تتأسس على الدين الذي له طابعه العالمي. ولعل التأثر بالمفاهيم الغربية كان بسبب الإرساليات الأجنبية من جهة، ومن جهة أخرى تلقي العلم بالجامعات الغربية، حيث اطّلعوا على الأفكار التي رافقت قيام الوحدة الإيطالية ١٨٦٠-١٩١٩، والأفكار التي رافقت الوحدة الألمانية ١٨٦٦-١٨٧١[١٤٨] دون دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي رافقت بلوغ الدولة في أوروبا مرحلة الدولة القومية، وهي ظروف تختلف عن ظروف تطور المجتمع العربي.

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى وأُرسل جمال باشا قائداً للجيش الرابع الرابض في البلاد العربية، مارس سياسة البطش والتنكيل، وأعدم مجموعة من شباب الحركة القومية العربية، ما كان له أثر في التطلع نحو الشريف حسين الذي كان قد بدأ اتصالاته بالغرب، ممثلاً ببريطانيا للتحالف معه على أمل المساعدة في استقلال البلاد العربية، مما أحدث تحولاً في واقع الفكرة القومية.

د- الفكرة القومية خلال الحرب العالمية الأولى١٩١٤-١٩١٨:

تبين أن أصحاب الاتجاهات العروبية من المسلمين في العهد العثماني، قبل بداية الحرب العالمية الأولى، إنهم لم يطرحوا فكرة القومية العربية أو الوحدة العربية أو فكرة الانفصال عن الدولة المركزية العثمانية باستثناء قلة منهم، فيما كان رواد القومية العربية والعاملين من أجل الانفصال عن الدولة العثمانية والاتحاد على أساس المفاهيم القومية وليست الدينية، هم

---

[١٤٦] العريسي، المصدر السابق، العدد ١٤٣١ تاريخ ١٩١٣/١١/٢٣.

[١٤٧] المصدر نفسه، العدد ١٤٣٥ تاريخ ١٩١٣/١٢/١٥.

[١٤٨] راجع: نوار، عبد العزيز. **التاريخ المعاصر أوروبا: من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣، ص ٢٤٣-٢٦٥ و ٢٦٧-٢٩٠.

المسيحيون العرب الذين نادوا بالفكر القومي العربي الآسيوي وضرورة التخلي عن الوحدة القائمة على الفكر الديني[١٤٩]. وعندما وقع المشرق العربي تحت الاحتلال الغربي حدثت تحولات سياسية واقتصادية مهمة،شكلت عوامل دفع في نهوض الفكرة القومية خلال الحرب ، وإلى ما بعدها.

وما إن وضعت الحرب أوزارها، وجلا العثمانيون عن الأراضي العربية، حتى أيقن الثوار العرب بفشل الثورة في تحقيق أهدافهم كلها، وقد أعلنت القوات الحليفة الأرض العربية أرض العدو المحتلة.

كان العرب في بدايات الحرب يتوزعون في ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

الاتجاه السوري: "وهذا يُعنى في الدرجة الأولى بمستقبل سورية، وأكثر ما يخشاه هذا التيار هو أن تأتي فرنسا إلى سورية ويكون لها فيها امتيازات خاصة تتعدى الامتيازات الاقتصادية والمالية.وهو يكره فرنسا كرهاً شديداً، ولو حكم الفرنسيون سوريا، فليس من المستبعد أن يتحالف السوريون مع الأتراك، بسبب إدراكهم أساليب فرنسا الاستعمارية في تونس وأماكن أخرى من المستعمرات الفرنسية التي كان سكانها من المسلمين. أما مركز البطريركية المارونية في لبنان فتوقها شديد إلى الحكم الفرنسي. فيما نصارى سورية يعارضون الاحتلال الفرنسي لبلادهم معارضة لا تقل عنفاً عن معارضة المسلمين، وهذا الموقف الحرج الذي ترى بريطانيا نفسها فيه أصبح أمراً واضحاً. ووزارة الخارجية البريطانية قد وصلت إلى نوع من الاتفاق مع الفرنسيين، و بموجب هذا الاتفاق، ستحصل فرنسا على ممتلكات في هذه المنطقة. وقد وصلت أخبار هذه الاتفاقية إلى أصدقاء بريطانيا من العرب، ولذا فهم يؤمون مكاتب البريطانيين مستوضحين عما إذا كانوا باعوهم للفرنسيين.

الاتجاه الحجازي. مفاوضات بريطانيا مع هذا الاتجاه تتركز فعلاً على مخطط إقامة مملكة عربية دينية وزمنية... إذ يستحيل جمع كلمة العرب في كل من سورية والعراق واليمن وفي غيرها من البلدان العربية وحملهم على الاعتراف برئيس زمني واحد يتولى حكمهم ولو اعترفوا برئيس ديني واحد ... وتيار الشريف هو أكثر الأحزاب اعتدالاً وتفهماً...

---

[١٤٩] حلاق، حسان. **مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦**، الدار الجامعي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣، ص٧.

الاتجاه العراقي: هذا التيار يطلب إقامة حكومة مستقلة في العراق، وهو يرغب كثيراً في معرفة الأجزاء التي تنوي بريطانيا إعطاءها للعراق... ومعرفة نوع الحكم الذي سيقام فيه" [١٥٠].

هذا الواقع الذي حال دون قدرة الشريف حسين على مجابهة حقيقة المصالح البريطانية والفرنسية، دفعه إلى تعديل إستراتيجيته بحيث يتحول مشروع المملكة الهاشمية العربية الواحدة إلى ممالك هاشمية متعددة.

ثانياً: موجز عن اتجاهات وتطور الحركة القومية في بلاد الشام والعراق حتى تشكيل الجامعة العربية ١٩٤٥:

في غمرة الأحداث التي مرت على المشرق العربي، خلال الحرب العالمية الأولى، وما شابه من نقض للعهود التي قطعتها بريطانيا على نفسها تجاه العرب، و إعلان الأرض العربية المحررة من الوجود العثماني، أرض العدو المحتلة، وما تبع ذلك من إجراءات في مؤتمر الصلح، وفرض الانتداب البريطاني والفرنسي في مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠، وفق اتفاقية سايكس- بيكو على "الهلال الخصيب"، كل هذه التطورات السياسية خلقت أوضاعاً جديدة، كان لها تأثير مباشر على العرب، وقد تمثّل هذا التأثير في الأحزاب التي نشأت وعبرت عن خمسة اتجاهات رئيسية:

١- موجز عن اتجاهات الفكر القومي حتى عام ١٩٤٥.

كان لنتائج مؤتمر سان ريمو١٩٢٠ نتائج مؤثرة لجهة فرض الانتداب بالقوة وعدم احترام إرادة الشعب العربي في المشرق، فكان لا بد من مناهضة الانتداب عبر العمل الشامل المنظم، ولهذا نشأت الأحزاب القومية من أجل تحرير الأمة من الاحتلال، وتأمين الرخاء الاقتصادي في المجتمع، فجاء اعتماد الفكرة القومية لتحقيق هذه الغاية النبيلة.

أ- الاتجاه القومي العربي.

انفردت عصبة العمل القومي في العام ١٩٣٣ بالدعوة إلى قيام وحدة عربية شاملة، وقد وصل صداها إلى العراق وكان من أبرز أعضائها هناك يونس السبعاوي[١٥١]. وانتشرت في سورية، ولكن انتشارها كان ضعيفاً وتفرق مؤيدوها وقد ورثها حزب البعث العربي الاشتراكي فيما بعد.

---

[١٥٠] -Presland, Johen *: Deeds Bey – a study of sir Wyndham Deeds, 1883-1923,* London, 1942, p.p. 244-248.

[١٥١] يونس السبعاوي:(١٩١٠- ١٩٤٢) من قادة حركة أيار في العراق ١٩٤١، ولد في الموصل من قبيلة طيء، درس في كلية الحقوق، وعمل في الصحافة والترجمة، انتمى أثناء دراسته في دمشق سنة ١٩٣٣ إلى عصبة العمل القومي، ثم انتسب إلى نادي المثنى في العراق،عين وزيراً في حكومة الدفاع الوطني التي ترأسها رشيد عالي الكيلاني، اعتقل بعد فشل الحركة حركة أيار وأعدم سنة ١٩٤٢. موسوعة أعلام العراق ج٣ ص ٢٩٢ راجع : الملحق رقم (٧) خريطة الوطن العربي.

أما الأحزاب في فلسطين فقد أعطت الأولوية للمسألة الفلسطينية، ضمن الاطار القومي العربي، وكان من أبرز هذه الأحزاب الحزب الوطني العربي الفلسطيني ١٩٢٣ الذي حدد أغراضه السياسية "ببقاء فلسطين عربية لأهلها العرب وتحديد انتمائها العربي في كونها جزء من البلاد العربية، ومناهضة النفوذ الأجنبي والصهيوني وعدم الاعتراف بوعد بلفور[١٥٢]. والحزب الحر الفلسطيني ١٩٢٧ الذي حدد غايته بخدمة فلسطين معلنا هوية الحزب العربية الوطنية، والسعي للاستقلال التام لتحقيق الأماني الوطنية والسيادة القومية، والسير بالبلاد نحو وحدة قومية اجتماعية[١٥٣]. ومؤتمر الشباب العربي الفلسطيني ١٩٣٢ الذي حدد في ميثاقه القومي أن البلاد العربية وحدة تامة الأجزاء وتوحيد الجهود في كل قطر من الأقطار العربية من أجل استقرارها ومقاومة كل الأفكار التي ترمي إلى اقتصار العمل السياسي على الإقليمية، ورفض الاستعمار ومواجهة كل من يسعى لبيع أراض فلسطينية لليهود، معتبراً مثل هذه الأفعال خيانة عظمى[١٥٤]. وحزب الاستقلال العربي الذي تأسس في فلسطين عام ١٩٣٢، و قد نصت مبادئه على: استقلال البلاد العربة استقلالاً تاماً. والبلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة. وفلسطين بلاد عربية وهي جزء طبيعي من سورية[١٥٥]

أما التيار القومي العربي في العراق فقد اقتصر على ثلاثة أحزاب أبرزها: حزب العهد العراقي ١٩١٩ الذي تحدث عن استقلال العراق ضمن الوحدة العربية[١٥٦]، وحزب الاستقلال الوطني المؤسس عام ١٩٢٤ الذي دعا إلى "تنشيط حركة الوحدة العربية" دون أن ينسى "الاعتماد على عطف الشعب البريطاني"[١٥٧]. وفي الأردن تأسست جمعية العهد العربي التي رفعت شعار القومية العربية لتنافس حزب الاستقلال السوري[١٥٨].

---

[١٥٢] القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين. وثيقة رقم ٧، ص: ٧٢١. أيضاً: خوري، مرجع سابق، ٥٧٥.

[١٥٣] خوري، مرجع سابق، ص ٥٧٥ – ٥٧٦ .

[١٥٤] المرجع السابق، ص ٥٧٦.

[١٥٥] المرجع نفسه، ص ٥٧٧.

[١٥٦] خوري، مرجع سابق، ، ص ١٣ – ٣٠ .

[١٥٧] المرجع السابق، ص: ٧٣ – ٧٥ .

[١٥٨] شتيوي، في:مجموعة مؤلفين، **الأحزاب السياسية في العالم العربي**، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ٢٠٠٦ ، ص: ٩٨.

ب- الاتجاه القومي الإقليمي. بعد فرض الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ وقيام الثورات المسلحة المتتالية التي كان أبرزها الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥[١٥٩].

وبفعل قيام المؤتمرات الشعبية خلال الأعوام: ١٩٢١ – ١٩٢٧ – ١٩٢٨ – ١٩٣٣ – ١٩٣٦ التي أكّدت عدم انفصال لبنان عن سورية والمطالبة بوحدة سورية، كل ذلك بزخم من المؤتمر السوري الذي انعقد في ١٩١٩ و١٩٢٠. فقد شهدت سورية قيام عدد من الأحزاب كان لها تأثير في حمل أهداف الثورات ومقررات المؤتمرات والنضال في أوساط الشعب باتجاه تعزيز مطلب الوحدة القومية والاستقلال لسورية، وكان أبرز هذه الأحزاب: حزب الشعب، وحزب الوحدة، وحزب الكتلة الوطنية، والحزب الشيوعي، والحزب السوري القومي الاجتماعي.

فحزب الشعب هو أول حزب سياسي، أنشئ في سورية بعد الاحتلال الفرنسي، وقد أسّسه عام ١٩٢٥ عدد من رجال دمشق، على رأسهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وتضمن برنامج الحزب: العمل لتأمين استقلال سورية ووحدتها وانتخاب مجلس تأسيسي انتخاباً حراً[١٦٠].

فيما نص برنامج حزب الوحدة على توحيد سورية تحت حكومة واحدة مستقلة على أساس السيادة القومية والنهوض الاقتصادي، وتخفيض الضرائب وإيجاد التآلف بين المجموع السوري وتحسين حال الطبقة العامة[١٦١].

وفي أواخر عام ١٩٢٦ بدأت الكتلة الوطنية بالظهور على الساحة السياسية، إذ تشكلت من حزبي الشعب والحزب الوطني، وقد أدت دوراً مهماً في قيادة النضال الوطني من أجل الاستقلال حتى عام ١٩٤٦، وكان من أبرز رجالاتها: شكري القوتلي، وفارس الخوري، وصبري العسلي وغيرهم..

وبانتخاب شكري القوتلي رئيسا للجمهورية، استمر حزب الكتلة الوطنية في تسيير شؤون البلاد إلى ما بعد جلاء المستعمر الفرنسي[١٦٢]. وإذ اعتبر المفوض الفرنسي سورية شعوباً ودولاً مفككةً، نشر الحزب بياناً يدعو فيه الفرنسيين إلى تحديد نطاق الخلاف، آخذا على السلطة

---

[١٥٩] الثورات السورية، ١٩١٨ – ١٩٢٠ شملت : ثورة الدنادشة، والحمام، والجزيرة، والفورات، والشيخ صالح العلي، وهنانو. والثورة السورية الكبرى شملت ١٩٢٥: ثورة جبل العرب، وحماه، وحمص، والعلمون، وغوطة دمشق.راجع: المعلم، وليد: **سورية**، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨، ص: ١٧٥.

[١٦٠] فرزات، محمد حرب. **الحياة الحزبية في سورية**، دار الرواد، دمشق، ١٩٥٥، ص: ١٠٠.

[١٦١] فرزات، مرجع سابق ص: ١٠٥.

[١٦٢] عبد الكريم، احمد. **حصاد**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، ص: ٢٣٨ .

الفرنسية إبقاءها القيود على الحريات، ومراعاتها للطائفية معلناً رغبة الحزب في التفاهم مع فرنسا، والبيان مسبوك بصيغة تسودها روح التساهل والاستعطاف[١٦٣].

وقي لبنان كان زخم الفكرة السورية قوياً ليدفع بوحدة سورية على يد اللبنانيين أولاً، لرفع لواء وحدة سورية الكبرى، فكان أن أسس لبنانيون مقيمون في مصر عام ١٩١٨ حزب الاتحاد السوري برئاسة ميشيل لطف الله، ووكيل الرئيس الشيخ محمد رضا، للمطالبة باستقلال سورية استقلالاً تاماً بضمانة الأمم المتحدة، وأن يكون الحكم فيها ديمقراطيا لا مركزيا، وقوانينها مدنية بحتة، باستثناء الأحوال الشخصية وقد رسم المؤسسون حدود سورية القومية "من جبل طوروس شمالاً، والخابور فالفرات شرقاً، والصحراء العربية فمداين صالح جنوباً، والبحر الأحمر فخط العقبة ورفح فالبحر المتوسط غرباً"[١٦٤].

وعلى أرض مصر أيضاً أسس لبنانيون آخرون، من بينهم : فارس نمر، وخليل خياط، عام ١٩٢٠ الحزب السوري المعتدل وسلّموا مطالب الحزب إلى شارلز كرين "Charles Crane" رئيس اللجنة الأميركية التي جاءت إلى البلاد السورية للوقوف على رأي السكان وقد تضمنت المطالب بعدم تجزئة سورية كما حددها حزب الاتحاد السوري ولكنه طالب بنفس الوقت بتقسيم سورية إلى ولايات مستقلة بشؤونها الداخلية وضمها إلى حكومة مركزية نيابية مدنية، كما طالب بفصل الدين عن الدولة[١٦٥].

ومن المغترب عاد أنطون سعاده إلى بيروت فدمشق ووجد السوريين وقد تملّكت الفكرة السورية عقولهم ووجدانهم فتبنّاها وأسس الحزب السوري القومي الاجتماعي عام ١٩٣٢، سراً، ليسير بهذه الفكرة إلى التحقيق العملي.

ولما وجد سعادة بأنه لا يوجد إجماع على تحديد الهوية وضع مبدأه الأساسي الأول: "سورية للسوريين والسوريون أمة تامة" الذي أراد منه "سلامة وحدة الأمة السورية وسلامة وحدة وطنها، وانتفاء كل إبهام من الوجهة الحقوقية في أن السوريين أمة هي وحدها صاحبة الحق في ملكية كل شبر من سورية والتصرف به والبت بشأنه".

و من الوجهة الداخلية، أراد أن يكون الوطن "... ملك عام لا يجوز حتى ولا لأفراد سوريين، التصرف بشبر من أرضه تصرفا يلغي، أو يمكن أن يلغي، فكرة الوطن الواحد وسلامة وحدة هذا الوطن الضرورية لسلامة وحدة الأمة السورية"[١٦٦].

---

[١٦٣] فرزات، مرجع سابق، ص: ١٠٧.

[١٦٤] سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، مرجع سابق، ج٢، ص٤١.

[١٦٥] المرجع السابق، ص ٤٤.

[١٦٦] سعادة، **مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته**، ص٩ و١٠ .

ولكي يحفظ للسوريين وحدهم بحق تمثيل قضيتهم والبت في مصير مصالحهم وحياتهم ويجعل قضيتهم قضية كلية غير قابلة للتجزئة، وضع المبدأ الثاني القائل "القضية السورية هي قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى"[١٦٧].

ولما كانت من وجهة نظره عملية "الترابط بين الأمة والوطن" هو المبدأ الوحيد الذي تتم به وحدة الحياة وضع المبدأ الثالث القائل "القضية السورية هي قضية الأمة السورية والوطن السوري" و بما أن الأمة السورية تعاني من العصبيات الطائفية والعشائرية وضع مبدأه الثالث "الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلي "باعتبار أن هذا المبدأ ينقذ سورية من النعرات الدموية التي من شأنها إهمال المصلحة القومية العامة والانصراف إلى الانشقاق والفساد والتخاذل، معتبراً الشعب السوري هو مزيج سلالي والفكرة القومية لا تقوم على مبدأ وحدة السلالة بل على مبدأ الوحدة الاجتماعية الطبيعية لمزيج سلالي"[١٦٨].

أما الوطن السوري الذي نشأت فيه الأمة السورية فهي بنظره "ذات حدود جغرافية تميّزها عن سواها تمتد من جبال طورس، في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب شاملة شبه جزيرة سناء وخليج العقبة ومن البحر السوري في الغرب شاملة جزيرة قبرص إلى قوس صحراء العربية وخليج العجم في الشرق ويعبر عنها بلفظ عام: الهلال السوري الخصيب ونجمته جزيرة قبرص"[١٦٩]. وهذا ما وضعه في المبدأ الخامس.

وكونه اعتبر وحدة المجتمع هي قاعدة وحدة المصالح، ووحدة المصالح هي وحدة الحياة وضع المبدأ السادس "الأمة السورية مجتمع واحد"[١٧٠].

وإذ اعتبر سعادة أن الأمة تستمد مثلها من نفسية شعبها، وأن في شعب سورية كل علم وكل فن في العالم وضع من أجل تحقيق الاستقلال الفكري المبدأ الأساسي السابع "تستمد النهضة القومية الاجتماعية فكرها من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي"[١٧١].

---

[١٦٧] المرجع نفسه ، ص ١١ و ١٢.

[١٦٨] سعادة، **مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته**، ص ٣٣.

[١٦٩] المرجع السابق،ص ٣٦-٤٠. راجع: الملحق رقم (٦) خريطة الوطن السوري.

[١٧٠] المرجع السابق، ص ٣٦-٤٠.

[١٧١] المرجع **السابق**، ص ٣٦-٤٠.

أما المبدأ الأخير من المبادئ الأساسية الذي يقول "مصلحة سورية فوق كل مصلحة" وُضع لتقييد جميع المبادئ بمصلحة الشعب، فلا يعود الشعب يقاد بالدعوات لمبادئ تخدم غير مصلحته هو. وقد جعل المبادئ الإصلاحية على الأساس المدني بفصل الدين عن الدولة وإزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب، ومنع المؤسسات الدينية من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين، ومن أجل تحقيق العدل الاجتماعي الاقتصادي دعا إلى إلغاء الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج وإنصاف العمل وصيانة مصلحة الأمة والدولة.

ويبدو أن سعادة آمن بالقوة بمظهريها المادي والنفسي، فدعا إلى "إعداد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والوطن"[١٧٢].

أما مفهومه لعروبة سورية فقد ثبّتها في غاية الحزب التي جاء فيها:"بعث نهضة سورية قومية اجتماعية تكفل تحقيق مبادئه وتعيد إلى الأمة السورية حيويتها وقوتها وتنظيم حركة تؤدي إلى استقلال الأمة السورية استقلالاً تاماً وتثبيت سيادتها وإقامة نظام جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها والسعي لإنشاء جبهة عربية". إنه بذلك يعتقد بأن سورية هي المؤهلة لقيادة الوطن العربي فيقول: "إننا لن نتنازل عن مركزنا في العالم العربي ولا عن رسالتنا إلى العالم العربي، ولكننا نريد قبل كل شيء أن نكون أقوياء بأنفسنا لنتمكّن من تأدية رسالتنا، يجب على سورية أن تكون قوية بنهضتها القومية الاجتماعية لتستطيع القيام بمهمتها الكبرى"[١٧٣]. وقد تعرض الحزب إلى سلسلة من الاضطهاد صادرة عن السلطات الفرنسية.

وفي الأردن وجدت الأحزاب السياسية في الأردن قبل نشوء الإمارة عام ١٩٢١، مثل: حزب العربية الفتاة، وحزب الاستقلال العربي، وحزب العهد السوري، وحزب الاتحاد السوري، وحزب الوطني السوري. وكان اهتمام هذه الأحزاب هو تحرير البلاد السورية المنطوق بتحديدها في المؤتمر السوري وإعلانها دولة مستقلة وهذه الأحزاب جلّها يحمل توجّهات الأمير عبدالله بن الحسين القومية[١٧٤]

ج- الاتجاه القومي العنصري:

عملت سلطة الانتداب على تشجيع قيام أحزاب موالية لها لتعزيز إجراءاتها في تقسيم سورية إلى دويلات طائفية، والتمهيد لتحقيق وعد بلفور في فلسطين، و تمكين السيطرة على العراق، وإرضاء الهاشميين بشرق الأردن. فكان أن وجدت أحزاب وضعت في مبادئها ما يشير إلى دعم الانتداب راجية منه الحرية بالتوسل. ونشأت أحزاب أخرى مستسلمة لإرادة المحتل في

---

[١٧٢] سعادة، **مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته** ، ص ٤٣-٦٠.

[١٧٣] المرجع نفسه، ص ٦٣-٦٨.

[١٧٤] شتيوي، مجموعة مؤلفين، **الأحزاب السياسية في العالم العربي**، ص: ٩٧.

إجراءاته التقسيمية، فأعلنت ولاءها للسلطة المحلية مدافعة عن كيانها الوطني الجديد، فاعتمد بعض هذه الأحزاب تشكيل ذاته على أساس طائفي فئوي كما في لبنان، فيما نشأت أحزاب على أساس أثني في العراق.

منذ استتب الأمر للفرنسيين بعد معركة ميسلون، أطل مؤيدوهم بأحزابهم الموالية للاستعمار، وكان أبرز هذه الأحزاب في لبنان، حزب الترقي "Progressiste" الذي رفع شعاره "في سبيل لبنان مع فرنسا، ووضع برنامجه بصيانة الاستقلال السياسي للبنان الكبير مع الانتداب الفرنساوي، والذود عن التقاليد القومية وحرية الأديان"[١٧٥].

وبعد انكشاف أمر الحزب السوري القومي الاجتماعي لدى السلطات الفرنسية وإدراكها حجم المخاطر التي قد يحدثها في مواجهة مخططاتها، أوعزت سلطة الانتداب للصيدلي الرياضي بيار الجميل لتأسيس حزب "الكتائب اللبنانية على أساس العنصرية الفينيقي بهدف إضعاف الحزب السوري القومي الاجتماعي في الأوساط المسيحية، فأخذ عن أنطون سعادة مفهوم العلمانية، ومحاربة الإقطاع والطائفية وجعل مبدأه الأساسي "لبنان وطن مستقل واللبنانيون أمة ذات سيادة قومية مميزة"[١٧٦] معتبراً أن الوحدة العربية لا تخدم لبنان ولا تخدم الدول العربية ولذلك فهو يدعو إلى التعاون بين الدول العربية[١٧٧].

وفي السياق نفسه تأسس حزب الكتلة الوطنية اللبنانية الذي حدد مبدأه "اللبنانيون أمة واحدة، ولبنان جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة" و"التعاون الوثيق مع البلدان المجاورة بما لا يمس استقلال لبنان وسيادته الوطنية[١٧٨]. وعلى نفس المفاهيم نشأ الحزب اللبناني عام ١٩٣٨.

وفي المرحلة ما بين ١٩٢١– ١٩٤٥ شهد الأردن حوالي ١٢ حزباً توزّعوا في اتجاهات لا قومية بل كان بعضها موال للحكومة الأردنية، وقد تمثّل في ثلاثة أحزاب هي: أم القرى، ١٩٢١–١٩٢٥، الذي كان همّه الأساسي مقاومة حزب الاستقلال. وحزب التضامن الأردني ١٩٣٣ وكان مشروعه الدفاع عن الحكومة ومقرراتها وسياستها، وحزب الإخاء الوطني ١٩٣٧ الذي ضمّ وجهاء وشيوخ العشائر[١٧٩].

---

[١٧٥] **البشير**، جريدة، بيروت، العدد ٢٦٦٣ تاريخ ١٩٢١/١/٤

[١٧٦] **الأحزاب السياسية في لبنان عام**، ١٩٥٩ ص٥٤. ايضا: خوري، مرجع سابق، ص **٥٨٥**.

[١٧٧] النادي الثقافي العربي، **القوى السياسية في لبنان**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠ ص٧–٣٢.

[١٧٨] الحصري، ساطع. **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت١٩٨١ ص ١٢٨.

[١٧٩] الحصري، مرجع سابق ، ص: ٩٨.

وبعضها الآخر عمل على أساس كياني – وطني لا قومي، وقد بدأ هذا الاتجاه مع حزب أحرار الأردن ١٩٢١ الذي أسسه مثقّفون أردنيون وقد رفعوا شعار "الأردن للأردنيين". ثم تأسس حزب الشعب ١٩٢٧ كأوّل جمعية سياسية معارضة تنبثق عن البيئة المحلية.

وبعد المعاهدة البريطانية – الأردنية عام ١٩٢٨ نشأت أحزاب وطنية أخرى معارضة للحكومة ولتداعيات المعاهدة، فكان تأسيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني، المنبثقة عن المؤتمر الوطني الأول للمعارضة ضد المعاهدة البريطانية – الأردنية. ثم تأسس حزب معارض باسم جمعية الشباب الأردني المثقف ١٩٣٣ وهو تنظيم شبابي للمعارضة السياسية. وشهدت المعارضة الأردنية تأسيس حزب معارض في دمشق عام ١٩٣٦ باسم الحزب الوطني الأردني.

و تأسس في العراق عدد من الأحزاب يمكن تصنيفها بأحزاب موالية لسلطة الانتداب البريطاني كالحزب الحر العراقي المؤسس عام ١٩٢٢ الذي جاء في منشوره الصادر بتاريخ ١٩٢٤/١٠/٢٠ المقدم إلى الملك فيصل "... ولا ينكر الحزب ما لحليفتنا بريطانيا العظمى من الفضيلة في الإخلاص لنا، ويرغب الحزب في دوام هذا الإخلاص المتبادل التي نتأكد بأنه سيسير بنا في طريق تقدمنا بنتيجة ترضينا[١٨٠]. وحزب الاستقلال الوطني الذي تأسس عام ١٩٢٤ وقد جاء في نظامه الأساسي بأنه يعتمد في "سياسته الخارجية على عطف العالم المتمدّن وعلى الأخص على عطف الشعب البريطاني النبيل، والسعي إلى تقوية المناسبات الودّية بين الحكومتين العراقية والبريطانية"[١٨١].

وأحزاب موالية للسلطة العراقية وكان محور شعاراتها، استقلال العراق. وأبرز هذه الأحزاب جمعية النهضة العراقية ١٩٢١ والحزب الوطني العراقي المؤسس عام ١٩٢٢[١٨٢]. وحزب الأمة العراقي ١٩٢٤ الذي أضاف إلى همّه الاستقلالي سعيه إلى تعديل المعاهدة البريطانية – العراقية ١٩٢٢ بما يلائم مصلحة البلاد[١٨٣]. وهذا ما أدى إلى عقد معاهدات متتالية، فكانت معاهدة ثانية عام ١٩٢٦، وثالثة في كانون أول عام ١٩٢٧ وقع عليها في لندن ولم تبرم، ورابعة في حزيران التي نال العراق بموجبها ١٩٣٠ الاستقلال الاسمي، بسبب بقاء الجيوش البريطانية قابعة على أرض العراق الذي بقي تحت تأثير السياسة البريطانية لغاية سقوط الحكم الملكي عام ١٩٥٨[١٨٤].

---

[١٨٠] جريدة **العراق**، العدد ٧٣٨، تاريخ ١٩٢٤/١٠/٢٠. في: العمر، فاروق صالح. **تاريخ الأحزاب السياسية العراقية، ١٩٢١-١٩٣٢**، مركز دراسات الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٨ ص: ٦١ . ٦٤.

[١٨١] المرجع نفسه، ص: ٧٣– ٧٥.

[١٨٢] المرجع السابق، ص: ٣١-٥١ .

[١٨٣] العمر. مرجع سابق، ص: ٦٥ – ٧٠ .

[١٨٤] قدورة ، زاهية، مرجع سابق، ص ١٣٥-١٥٣

وبرز في العراق دون غيره من أقطار المشرق العربي أحزاب أثنيه – كردية البنية نشأت في الموصل كان الهدف من إنشائها، تأكيد عراقية الأكراد في شمال العراق، ومواجهة الأطماع التركية ومن هذه الأحزاب: جمعية الدفاع عن الموصل ١٩٢٥ التي عملت على المحافظة على ولاية الموصل بكونها عراقية، والحزب الوطني العراقي في الموصل الذي هدف إلى مواجهة الدعاية الضارة بالوحدة العراقية "والسعي لخير الموصل". وجمعية الدفاع الوطني في السليمانية التي رفعت شعارها: الدفاع عن حدود الموصل والموصل جزء من العراق، والكردي المنضوي في الجمعية هو عراقي[١٨٥].

تعود جذور التيار القومي الكردي إلى حركات التمرد والثورات التي قام بها الأكراد ضد السلطنة العثمانية، إذ استندت الإشارة إليها في معاهدة سيفر الموقعة بين تركيا والحلفاء ١٠ آب ١٩٢٠، على أثر هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، بمنح كردستان الحكم الذاتي لمدة عامين تمهيداً لاستقلال الإقليم استقلالاً تاماً[١٨٦].

بيد أن الأحداث التي جرت في تركيا بين جيش التحرير بقيادة مصطفى كمال واليونانيين الذين منّوا بسلسلة من الهزائم توجت بسيطرة الأتراك على أزمير، بدأت المفاوضات بين الكماليين والحلفاء في مدينة لوزان– سويسرا، في الفترة ما بين ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ ونيسان ١٩٢٣، التي توجت بمعاهدة لوزان التي حلت محل اتفاقية سيفر والتي جاءت خالية من ذكر كردستان.[١٨٧]

وإقليم كردستان هو المنطقة الجبلية التي تحيط بمنابع نهري دجلة والفرات وجبال زغروس وهضبة أرمينيا، وتبلغ مساحته حوالي ٣٩١ ألف كلم^{٢} موزعة سياسياً بين ثلاث دول، ففي تركيا يقع الجزء الأكبر ١٩٤ ألف كلم^{٢} وعدد سكانه ١٢ مليون نسمة، وفي العراق ٧٢ ألف كلم^{٢} وعدد سكانه من الأكراد حوالي مليوني نسمة، وفي إيران نحو ١٢٥ ألف كلم^{٢} وعدد سكانه حوالي مليون نسمة[١٨٨]

وعلى الرغم من تأسيس أحزاب كردية في العراق جعلت من أهدافها تأكيد شمال العراق جزءاً لا يتجزأ عنه[١٨٩]. كانت المصالح الاستعمارية في الشرق قد تبدلت بعد الحرب العالمية

---

[١٨٥] العمر، مرجع سابق ، ص: ٧٧ – ٨٤.

[١٨٦] عطية الله. مرجع سابق،(نص المعاهدة)، ص٦٦٥

[١٨٧] نص معاهدة لوزان، عطية الله. مرجع سابق، ص ١٠٧١

[١٨٨] أحمد، حسن. ملف **المعلومات**، العدد١٠، الأقليات في العالم العربي، المركز العربي للمعلومات، ١٩٩٤ بيروت، ص ٣١.

[١٨٩] سبق ذكر هذه الأحزاب في الفصل الأول.

الثانية، مما أتاح للأكراد تأسيس أحزاب متعددة مثل "الكومه لي" و "رزكاري كورد" و"هيوا" وحزب "شورش" التي أقدمت في العام ١٩٤٦على إجراء مفاوضات فيما بينها، أدت إلى التوحد في حزب جامع هو الحزب الديمقراطي الكردي- العراقي، الذي ضم بشكل رئيسي حزبي "رزكاري كرد" وحزب "شورش".[١٩٠]

٢- موجز عن تطور الحركة القومية بمختلف اتجاهاتها في بلاد الشام حتى عام ١٩٤٥.

لم ينشغل الفكر السياسي في بلاد الشام، بعد الحرب العالمية الأولى، بالإسهام في المصالحة بين الحداثة والدين، الاتجاه العام للفكر السياسي كان أميل إلى العلمانية عن قناعة، فانبثق عن هذا الاتجاه العام، اتجاه لمحاربة الطائفية مرتبط بالفكر القومي، وتوضحت النزعة العلمانية إذ ذاك لدى مفكرين أمثال الدكتور شهبندر خاصة، ولدى أحزاب سياسية عقائدية كالحزب السوري القومي الاجتماعي، وعصبة العمل القومي، كما أن الكتلة الوطنية كانت أيضاً ذات اتجاه علماني معلن، وإن كانت تميل أحياناً إلى استخدام الدين كوسيلة ضغط على السلطة الانتدابية[١٩١].

على صعيد تحديد أهداف العمل السياسي، كانت مسألة حدود المجتمع القومي المنشود المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتقسيمات الكيانية المختلفة التي حاول الانتداب الفرنسي في سورية، لاسيما في السنوات التسع الأولى للانتداب، حيث كان ثمة إصرار على أن المجتمع السياسي المنشود هو البلاد السورية المنفصلة عن السلطنة العثمانية، فكل الأحزاب التي وجدت في تلك الفترة كانت تدعو إلى ذلك وتؤمن به، وعلى هذا نص مشروع دستور ١٩٢٨ في مادته الثانية، وفي المفاوضات بين الكتلة الوطنية والمفوض السامي حول المواد المعترض عليها من الدستور قبلت الكتلة الوطنية في أوائل ١٩٢٩ تعديل نص المادة الثانية إلى " سورية وحدة سياسية لا تتجزأ وحقوق الاعتراض على التجزئة مضمونة" وكان القبول بهذا التعديل تنازلاً كبيراً من جانب الكتلة الوطنية في مسألة المجتمع السياسي المنشود على أنه سورية الكبرى، أو بلاد الشام. كان ثمة اختيار واضح ضد القطرية السورية الراهنة يصاحبه عدم اتساع الأفق للعمل نحو وحدة الوطن العربي بكامله.

وفي الثلاثينيات وبمواجهة الاتجاه العملي للكتلة الوطنية نحو الموافقة على المجتمع السياسي القطري الراهن، تطورت نظرتان معاديتان للقطرية المعتنقة باستحياء: النظرة القومية

---

[١٩٠] زودو، لوقا. **خفايا وملابسات المسالة الكردية**، بيروت، د.ن، ١٩٧٤ ، ص ٤٢.

[١٩١] جبور، جورج، الفكر السياسي المعاصر في سوريا، ط٢ المنارة ن بيروت، ١٩٩٣، ص ٥١

السورية منذ عام ١٩٣٢، والتي تنادي بوحدة سورية الكبرى،والنظرة القومية العربية التي طورتها عصبة العمل القومي ١٩٣٣ والتي تنادي بوحدة الوطن العربي الكبير[١٩٢]. لقد كانت وحدة الوطن العربي غامضة لا يعارضها أحد ، ولكن لا يثيرها بجدية أحد، لاسيما وأن عصبة العمل القومي أغلقت أبوابها في دمشق عام ١٩٣٩، بسبب إعدام عدد من قيادييها بتهمة التعامل مع الألمان عام ١٩٤٠[١٩٣]، ومن بقي منهم " ليسوا سوى تجار سياسة وأشباه أميين لا يحملون أية جديد للأفكار التي كانوا يتحدثون عنها، بل على العكس كان أكثرهم في سلوكه اليومي يسير ضد هذه الأفكار"[١٩٤].

إلى جانب ذلك كان يتردد تيار الوحدة الإسلامية سواء بزيه القديم أو بأزياء جديدة: مثل محمد كرد علي والأخوان المسلمون.

أثيرت على مستوى تحديد الأهداف مسألة الحرية والاستعمار، لاسيما وأن الوجود الفرنسي كان قابعاً في سوريا بشكل مباشر، وترافق في مقاومة الاستعمار معنيان لمفهوم الحرية أولهما حرية الأمة والثاني حرية الفرد، ولم يكن ثمة تمايز بين المفهومين ، إذ أن حرية الفرد تعني الانعتاق من الاستعمار، ولم يكن لدى الاستعمار الفرنسي وهو وليد الثورة الفرنسية أن يرفض علناً حرية الفرد.

وترافق الفكر السياسي القومي منذ منتصف العشرينات مع مسألة إزالة الظلم الاجتماعي، أو التخفيف منه، كهدف للعمل السياسي، في منتصف العشرينات تشكلت النقابات وبدأت كلمات الاشتراكية بالانتشار وأصبح على المصلحين الاجتماعيين أن يهتموا بمشاكل العامل والفلاح على نحو تبشيري، كما في مبادئ الإصلاح في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وهذا ما يفسر بداية ما سمي بالاشتراكية في أواخر الثلاثينات وبداية الأربعينيات مع حزب البعث العربي الاشتراكي[١٩٥].

كان تطور الفكر القومي العربي في لبنان انطلاقاً من الجمعية البيروتية عام ١٩١٣ التي رفعت لواء إصلاح السلطنة العثمانية بجعل اللغة العربية لغة رسمية ن ثم المناداة بالوحدة السورية مع انطون سعادة والتي أخذت بعداً شعبياً واسعاً مع ما سمي بمؤتمرات الساحل ١٩٣٦ التي رفضت سلخ لبنان عن سورية الأم ، ثم تطور مع حزب النجادة الذي تأسس في معرض الرد الطائفي السني في مواجهة الطوائف المسيحية وأحزابها، رافعاً شعار العرب للعرب، انطلاقاً من كون العرب أمة تامة ، والقومية العربية فوق كل عصبية، ولكن نظرة الحزب لم ترق إلى

---

[١٩٢] جبور، مرجع سابق، ص ٥٢

[١٩٣] محمد، نجاح، الحركة القومية العربية في سورية، ج١، دار البعث، ١٩٨٧، ص ٨٢

[١٩٤] الغانم، وهيب، البدايات في ذاكرة وهيب الغانم، في مجلة المناضل عدد ٩٠-، دمشق ١٩٧٦ ص ٤١

[١٩٥] جبور، مرجع سابق، ص ٥٢-٥٣

الوحدة الاندماجية العربية بل إلى نوع من الاتحاد الفدرالي، بحيث يحتفظ كل قطر باستقلاله السياسي[١٩٦].

وفي الأردن وجدت الأحزاب قبل نشوء الإمارة ن مثل حزب العربية الفتاة وحزب الاستقلال العربي، وحزب العهد السوري، والاتحاد السوري، وكان اهتمام هذه الأحزاب تحرير البلاد السورية وإعلانها دولة مستقلة، فكان الأردن ساحة لهذه الأحزاب أكثر من كونه هدفاً لها. وبعد قيام الإمارة كان لهذه الأحزاب نشاط من ضمن توجه الأمير عبدالله، وفي العام تأسس المؤتمر الوطني ١٩٢٨ ، الذي دعا إلى مواجهة النفوذ البريطاني، الأمر الذي دفع بالسلطات البريطانية إلى إقرار قوانين تحد من حريات الاجتماع، وتنفي المعارضين، وتفرض الإقامة الجبرية عليهم مما اثر على الحياة السياسية سلباً في السنوات العشر اللاحقة[١٩٧].

من الملفت حقاً وعي الشعب العربي الفلسطيني انتماءه إلى الأمة العربية، وهذا ما يتضح من خلال الأحزاب السياسية التي نشأت منذ العام ١٩٢٠ ولغاية ١٩٤٥، التي أظهرت في مبادئها وأهدافها عروبة فلسطين واستقلالها ومقاومة الحركة الصهيونية[١٩٨]، ولئن أعطت هذه الأحزاب الأولوية لمحاربة الحركة الصهيونية، فإنها بعد ثورة القسام عام ١٩٣٥ صححت المعادلة بحيث أعطيت الأولوية لمحاربة الانتداب الذي يحتضن الحركة الصهيونية .

ولكن على الرغم من إجماع الحركة القومية العربية على أهداف واحدة، فقد كان التنابذ والتصادم فيما بين أحزابها سيد الموقف، وهذه الحالة لم تكن غريبة عن بقية أقطار المشرق العربي، إذ أن عقلية إلغاء الآخر كانت سائدة، وكان من الصعب عليهم الاعتراف بالآخر، وهذا مما أضر بالغ الضرر بالعمل القومي[١٩٩].

٣- موجز تطور الحركة القومية بمختلف اتجاهاتها في العراق حتى عام ١٩٤٥.

تأسس أول حزب في العراق في أواخر شباط ١٩١٩ باسم جمعية حرس الاستقلال، وكان حزباً سرياً، يمثل مصالح البرجوازية الوطنية والإقطاعيين العراقيين ذوي الميول المناوئة للامبريالية، ومن أهدافه استقلال البلاد العراقية استقلالاً تاماً، واعتماد النظام الملكي في الأسرة الهاشمية وضم العراق إلى لواء الوحدة العربية. وقد تزعم هذا الحزب التاجر البغدادي جعفر أبو التمن، والعالم الديني محمد الصدر. كانت خلايا حرس الاستقلال تعمل في كثير من المدن العراقية الكبيرة في وسط البلاد. وكانت الجمعية تسعى إلى تحقيق الاستقلال للعراق[٢٠٠] ولهذا

---

[١٩٦] خوري، مرجع سابق، ص ٥٨١-٥٨٧

[١٩٧] شتي، **موسى، عمل جماعي، الأحزاب السياسية في العالم العربي** ، المركز اللبناني للدراسات، بيروت ، ٢٠٠٦ ص ٩٧-٩٩

[١٩٨] خوري، مرجع سابق، ص ٥٧٥- ٥٧٨.

[١٩٩] شوفاني، الياس، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي**، مؤسسة الدراسات الفلطينية، ١٩٩٨ ص ٤٥٤ و٤٥٩

[٢٠٠]مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية، ١٩١٧-١٩٧٠**، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٥، ص ٢٨٩-٢٩٠

قامت بدور مؤثر في ثورة العشرين. وفي العام ١٩١٩ أيضاً تأسس حزب جمعية العهد العراق بزعامة نوري السعيد وجعفر العسكري وجميل المدفعي وغيرهم، ولكنه على الرغم من دعوته إلى استقلال العراق من ضمن الوحدة العربية، فقد علق آماله على البريطانيين في محاولة لتأسيس دولة للإقطاعيين والكومبرادوريين تحت حماي بريطانيا[٢٠١].

من خلال مراجعة معظم أهداف الأحزاب العراقية يتضح، أن هم تحقيق الاستقلال الوطني والتخلص من الاستعمار البريطاني كان في أولوية الأهداف يتبعها المحافظة على وحدة العراق خوفاً من اقتطاع الموصل وضمه إلى تركيا. ولهذا كانت الأحزاب الوطنية العراقية هي الأكثر عدداً، فجمعية النهضة العراقية ١٩٢١ هدفت إلى توطيد دعائم الاستقلال العراقي وتحسين الصلات بين الأمة العراقية، وكذلك دعا حزب الأمة المؤسس عام ١٩٢٤ على تأييد الاستقلال التام للدولة العراقية، والاحتفاظ بالوحدة العراقية، ولم يشذ حزب الاستقلال الوطني عن هذه المطالب، باستثناء ما ذكره من تنشيط حركة الوحدة العربية، وعلى نفس المنوال ذهب حزب التقدم ١٩٢٥، الذي وضع هدف المحافظة على وحدة العراق وإدخاله إلى عصبة الأمم وعلى نفس المبادئ ذهب حزب الشعب ١٩٢٥ ، وصولاً إلى حزب الوحدة الوطنية المؤسس عام ١٩٣٣[٢٠٢].

كان منح العراق الاستقلال الشكلي عام ١٩٣٠ متزامناً مع الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩-١٩٣٣ التي أدت إلى هبوط أسعار منتوج التصدير العراقي الأساسي من التمر على النصف، وكذلك أسعار الحبوب والصوف والمنتجات الزراعية الأخرى، وبسبب الأزمة شهد العراق نزوحاً كبيراً من الأرياف إلى المدن.

أدى إزاحة بريطانيا المفاجئ ليدها عن السلطة، إلى تفجير التناقضات العشائرية والطبقية، فتناوب على السلطة خلال عامين ونصف ثماني وزارات[٢٠٣].

---

(٢٠١) مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية، ١٩١٧-١٩٧٠**، ص ٢٩٠

(٢٠٢) خوري ، مرجع سابق ص ٥٦٠-٥٦٦

(٢٠٣) مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية**، ص٢٠٠-٢٠١

الفصل الثاني:

اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام والعراق منذ تشكل جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ حتى قيام الوحدة السورية- المصرية عام ١٩٥٨: دراسة اقتصادية اجتماعية وسياسية أيديولوجية.

محتويات الفصل الثاني

الموضوع

أولاً: تطور الوضع الدولي والعربي والمحلي لبلاد الشام والعراق وتأثيره على الفكر القومي ١٩٤٥- ١٩٥٨.

١-الوضع الدولي والعربي وتأثيره على الفكر القومي ١٩٤٥-١٩٥٨.

٢-أوضاع بلاد الشام عموماً والقضية الفلسطينية خصوصاً وتأثيرها على الفكر القومي.١٩٤٥- ١٩٥٨.

٣-أوضاع العراق وتأثرها في الفكر القومي ١٩٤٥-١٩٥٨.

ثانياً: دراسة اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام ١٩٤٥- ١٩٥٨:

١-دراسة اتجاهات الفكر القومي في سورية ١٩٤٥-١٩٥٨.

أ-الاتجاه القومي العربي.

ب-الاتجاه القومي الإقليمي.

٢-دراسة اتجاهات الفكر القومي في لبنان ١٩٤٥-١٩٥٨.

أ-الاتجاه القومي العربي.

ب-الاتجاه القومي الإقليمي.

ج- الاتجاه القومي العنصري.

٣-دراسة اتجاهات الفكر القومي في فلسطين ١٩٤٥-١٩٥٨

أ-الاتجاه القومي العربي.

٤-دراسة اتجاهات الفكر القومي في الأردن ١٩٤٥-١٩٥٨.

أ-الاتجاه القومي العربي.

ب-الاتجاه القومي الإقليمي.

ثالثا: دراسة اتجاهات الفكر القومي في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨.

أ-الاتجاه القومي العربي.

ب-الاتجاه القومي الإقليمي.

ج- الاتجاه القومي العنصري.

أولاً:تطور الوضع الدولي والعربي والمحلي لبلاد الشام والعراق وتأثيره على الفكر القومي (١٩٤٥-١٩٥٨)

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن نتائج ذات سمات جديدة أثرت على مجرى الحياة الدولية، مثل استخدام الأسلحة المتطورة وظهور القوة النووية وما شابهها من أسلحة دمار شامل، بالإضافة إلى ما أصاب أوروبا واليابان ودولاً كثيرة في آسيا وأفريقيا من دمار، فضلاً عن ظهور القوتين العظميين، الولايات المتحدة الأميركية وحلفها الأطلسي عام ١٩٤٩ والاتحاد السوفياتي وحلف وارسو عام ١٩٥٥ [٢٠٤]. كما غيرت الحرب الخريطة السياسية للعالم بسقوط إمبراطوريات بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ولم يبق من أصل ثماني إمبراطوريات سوى الإمبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية تنتظران مصيرهما[٢٠٥]. وبرز النفوذ الأميركي ليحل محل النفوذ الأوروبي الغربي، والنفوذ السوفياتي الذي بُسط على ثلثي القارة الأوروبية، فكان الوحيد في العالم الذي يمكنه أن يقف في وجه القوة الأميركية وحلفائها التي عملت على استغلال الشعوب الضعيفة بشتى الوسائل والأساليب.

و كان ظهور حركات التحرر في مختلف أنحاء العالم المستضعف من أعظم نتائج الحرب العالمية الثانية، إذ لم تكد الحرب تنته حتى أخذت حركات التحرير تحقق أهدافها بالاستقلال، فاستطاعت أن تقلص رقعة الاستعمار من ٣٥٪ من مساحة العالم، إلى ٤ % ، فكان معدل سرعة المد التحريري يعادل عشرات أضعاف معدل الزحف الاستعماري[٢٠٦].

وعلى صعيد الوطن العربي، فقد أحدثت الحرب العالمية الثانية تغييرات جذرية، في كثير من مناطق، فقد حققت سورية استقلالها الكامل في ١٧ نيسان ١٩٤٦، بعد سلسلة من الثورات الشعبية امتدت طيلة فترة الانتداب الفرنسي عليها، فكانت أول دولة عربية تحصل على استقلالها الكامل، ففتحت أمام الشعوب المستعمَرة طريق النضال للحصول على الاستقلال، وكان لبنان القطر العربي الثاني في حصوله على الاستقلال في ٣١ كانون الأول من العام نفسه وتبعته الأقطار العربية الأخرى، فضلاً عن الحراك السياسي بين مختلف القوى الوطنية بهدف النهوض.

---

[٢٠٤] للمزيد من الاطلاع على قدرات القوتين الأعظمين، راجع. عبدالله، عبد الخالق. **العالم المعاصر والصراعات الدولية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩، ص ٥٤.

[٢٠٥] مراد، محمد عدنان. **بريطانيا والعرب**، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩، ص ٣٧٥.

[٢٠٦] حمدان، جمال. **إستراتيجية الاستعمار والتحرير**، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١٩.

١-الوضع الدولي والعربي وتأثيره على الفكر القومي (١٩٤٥- ١٩٥٨)

كانت الحرب الباردة بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي قد بدأت عام ١٩٤٧، بعد أن تبلغت الولايات المتحدة بتاريخ ٢١ شباط ١٩٤٧، بأن صيغة السلام البريطاني التي حافظت على مصالح العالم الغربي لسنوات طويلة قد أوشكت على الانتهاء وأن على الولايات المتحدة أن تتولى مسؤولية الدفاع عن العالم الحر من الشيوعية الدولية"[٢٠٧]، وفي ١٢ آذار أعلنت الولايات المتحدة سياسة أميركا الدولية بما عرف بمبدأ ترومان الذي تضمن تعهداً صريحاً والتزاماً واضحاً للتصدي للمد الشيوعي والنفوذ السوفيتي في أوروبا، وفي أي مكان آخر في العالم، باستخدام الوسائل جميعها، بما في ذلك الوسائل العسكرية كلها بما فيها الأسلحة النووية[٢٠٨].

كان لامتلاك الاتحاد السوفياتي القنبلة الذرية في كانون الأول ١٩٤٩ سبب في دفع الولايات المتحدة الأميركية لزيادة نشاطها في محاصرة الاتحاد السوفياتي بسلسلة من الأحلاف بما سمي سياسة الاحتواء[٢٠٩]، التي كانت قد باشرتها منذ العام ١٩٤٧ بمشروع مارشال بهدف إنعاش اقتصاد أوروبا، مما يؤدي إلى "احتواء الحركات الثورية التي تسعى لإقامة حكومات اشتراكية متعاطفة مع الاتحاد السوفياتي"[٢١٠].

وبتاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٥١ قدّم سفراء أربع دول، وهم: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وتركيا، إلى وزير الخارجية المصرية مقترحات بشأن الدفاع عن "منطقة الشرق الأوسط" [٢١١]، تتضمن انسحاب القوات البريطانية من قاعدة السويس لتحل محلها القوات المتحالفة[٢١٢].

وإزاء رفض مصر والدول العربية المقترحات الرباعية، أقدمت باكستان والسعودية والعراق على محاولات، لإحياء مشروع القيادة المتحالفة "للشرق الأوسط"، باسم جديد عنوانه "نظام لتبادل العلاقات بين الدول الإسلامية" وهذا ما أعلنه وزير الخارجية الباكستاني في ٢٧ شباط ١٩٥٢

---

[٢٠٧] هلال، علي الدين. **أمريكا والوحدة العربية ١٩٤٥-١٩٨٢**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٩، ص ١٠٣.

[٢٠٨] عبد الله، مرجع سابق، ص ٧٢.

[٢٠٩] هلال، مرجع سابق، ص ١٠٧.

[٢١٠] عبد الله، مرجع سابق ، ص ٧٣.

[٢١١] وضع التعبير بين مزدوجين يعبر عن تحفظ الباحث على التعبير.

[٢١٢] للمزيد من التفاصيل حول المقترحات، أنظر: البراوي، راشد. **مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥١، ص ٥٤-٥٦، ونص المذكرة الذي قدمت إلى البلدان العربية الأخرى وإسرائيل، ص ٥٨-٦١.

بقولـه: "لقد قابلـت فـي جميـع عواصـم الـدول الأربـع [أنقـرة، بيـروت، دمشـق، القـاهرة] رؤسـاء الحكومـات ووزراء الخارجيـة وكبـار الزعمـاء، ووجـدت أن وجهـات النظـر فيمـا يخـتص بمسـتقبل "الشرق الأوسط"، الذي تعتبر باكستان جزءاً منه سواء من الناحية الثقافية أو السياسية، متفقة في معظم النقاط الرئيسة... وأن أولئك الذين يعرفون سياسة باكستان والذين يتتبعون هذه السياسة منذ حصلت على الاستقلال يدركون أن وحدة العالم الإسلامي هي أحد الأركان الرئيسة التي تقوم عليها عقيدتنا السياسية"[٢١٣]. وتحدث عن تعزيز الروابط بين الشعوب الإسلامية عن طريق مشاريع مشتركة ومعاهدات سياسية قائلاً "إن مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط لا يمكن أن يكون كاملاً إلاّ إذا انضمت البلاد الواقعة شرق المنطقة بحيث يشمل باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا والدول العربية"[٢١٤].

وكان مقرراً إقامة مؤتمر لهذه الغاية، ولكن المؤتمر لم ينعقد بسبب انكشاف شعار الوحدة الإسلامية، على أنه وجه من وجوه النظام الدفاعي الذي طالبت فيه الدول الغربية[٢١٥].

تحركت الولايات المتحدة الأميركية في العالمين العربي والإسلامي ضمن إطار سياسي يمكن تحديده بخمسة أهداف هي:

- "حماية أمن "إسرائيل" والحفاظ على التوازن العسكري بينها وبين الأقطار العربية، ومفهوم التوازن هذا يعني الحفاظ على قدرة "إسرائيل" على إيقاع الهزيمة لأي طرف عربي يتكون من دولة أو أكثر.
- استمرار ضخ النفط العربي إلى الولايات المتحدة الأميركية والدول الحليفة لها في أوروبا الغربية واليابان بأسعار مناسبة لها.
- حماية الأنظمة المؤيدة للولايات المتحدة الأميركية، بتزويدها بالسلاح والتدريب دون أن يشكل ذلك إخلالاً في التوازن مع "إسرائيل".
- محاصرة الاتحاد السوفياتي واحتوائه[٢١٦].

يبدو واضحاً أن الولايات المتحدة الأميركية ستعطي الأولوية دائماً "لإسرائيل"، ولا أمل للعرب في التنافس مع "إسرائيل" لكسب ود الولايات المتحدة الأميركية، حيث "اللوبي" الصهيوني الضاغط انتخابياً وإعلامياً على أية سلطة سياسية، في الولايات المتحدة.

---

[٢١٣] البراوي، راشد. **من حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤، ص ٣٦.

[٢١٤] المرجع نفسه، ص ٣٧.

[٢١٥] البراوي، راشد. **الكتلة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٣٣.

[٢١٦] هلال، **أمريكا والوحدة العربية ١٩٤٥**– مرجع سابق، ص ١٠٥.

هنا برز السؤال لدى العرب بين الأهداف الأميركية لجهة التطابق والتناقض، وبالتحديد احتمال التناقض بينها في الممارسة، سواء في تأمين التفوق العسكري "لإسرائيل" على الدول العربية جميعها، أم حماية الأنظمة العربية الموالية للولايات المتحدة الأميركية عن طريق تزويدها بالسلاح، وهذا ما يبدو مناقضاً لمبدأ الدعم "لإسرائيل"، ومن جهة ثانية، الدعم الأميركي "لإسرائيل" قد يحسن صورة الاتحاد السوفياتي فتلجأ الدول العربية إلى تغيير سياستها وتنقلب على الولايات المتحدة وتفتح أبوابها أمام النفوذ السوفياتي[٢١٧].

والحقيقة أن السياسة الأميركية لم تكن متعارضة على الإطلاق، فهي لم تحدث مرة خللاً واحداً في المصالح "الإسرائيلية" لصالح العرب. ولم تدفع الاتحاد السوفياتي لإحداث مثل هذا الخلل، نتيجة صداقته مع بعض الدول العربية التي حالفته وأبرمت معه المعاهدات، وربما للاتحاد السوفياتي مبرراته، وهو من اعترف بشرعية قيام "إسرائيل"، أن لا يدعم العرب الذين رفعوا شعار إزالة دولة "إسرائيل"، ناهيك عن عدم وجود نظام شيوعي عربي يستحق كل الدعم المطلوب.

وإزاء فشل الوكيل الإسلامي في تحقيق المشروع الأميركي في المنطقة العربية قام وزير الخارجية الأميركية جون فوستر دالاس John Foster Dalas (1888- 1959) ، بزيارة استمرت من ١١ إلى ٢٤ أيار ١٩٥٣، شملت الرياض والقاهرة، وبغداد وبيروت ودمشق وعمان وتل أبيب، وعقد خلالها اجتماعاً لسفراء الولايات المتحدة في المنطقة، مما يشير إلى الاهتمام الأميركي المتزايد بشؤون المنطقة لمحاصرة الاتحاد السوفياتي ومحاربته الشيوعية[٢١٨].

في ١٧ أيار ١٩٥٣ أرسل دالاس برقية إلى الرئيس الأميركي دوايت ايزنهاور Dwight Eisenhower (١٩٥٣-١٩٦١) تضمنت تصوره لمسألة الدفاع عن منطقة "الشرق الأوسط" "إلى أنه لا يوجد في الوقت الراهن نظام فعال للدفاع عن المنطقة، وأن الموقف السياسي في البلدان العربية لا يسمح بانضمامها إلى مواثيق للدفاع المشترك مع الدول الغربية"، واعتبره يمثل فجوة خطيرة في "حزام الدفاع الشمالي" الذي يحيط بالاتحاد السوفياتي مباشرة، مشيراً إلى أن العراق هو أكثر البلدان العربية استعداداً للتعاون مع الغرب[٢١٩].

في تلك المرحلة أبرزت مصر هويتها العربية أمام العرب والعالم وكان ذلك في الذكرى السنوية الثانية لثورة يوليو ١٩٥٢ المصادف في ٢٣ تموز ١٩٥٤.

---

[٢١٧] هلال، مرجع سابق، ص ٥٧.

[٢١٨] المرجع السابق ، ص ١١٢.

[٢١٩] المرجع نفسه، ص ١١٦-١١٧.

جاءت خطوة مصر بقيادة جمال عبد الناصر، جريئة في تعريب السياسة الرسمية، والدعوة إلى التضامن العربي تحت لواء مصر مقترنة بسياسة عدم الانحياز إذ قال "لقد بدأت مصر مع العرب عهداً جديداً قوامه الأخوة الصادقة الصريحة، التي تواجه المشاكل وتفكر فيها وتعمل على حلها، إن هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة واحدة، يتعاون أبناؤها على الخير المشترك... إن الثورة تؤمن أيضاً بأن عبء الدفاع عن البلاد العربية يقع أول ما يقع على العرب وهم جديرون بالقيام به"[٢٢٠]. وفي هذا الموقف تفسير وتأكيد على رفض السياسة الأميركية في العالم الإسلامي عموماً، والأمة العربية خصوصاً.

تنفيذاً لتصورات وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية "دالاس" تم توقيع ميثاق الحلف بين العراق وتركيا في ٢٤ شباط ١٩٥٥ ثم انضمت إليه كل من بريطانيا في ٥ نيسان وباكستان في ٢٣ أيلول، وإيران في ٢٣ تشرين الأول[٢٢١]، ولم تنضم إليه الولايات المتحدة الأميركية، و ربما يكون السبب في ذلك، رغبة أميركا في عدم إغضاب اليهود الأميركيين و"إسرائيل" كون الحلف لا يسمح "لإسرائيل" بالانضمام إليه لأسباب انتخابية داخل الولايات المتحدة، وعدم إغضاب السعودية التي رفضت الانضمام إلى الحلف، لأسباب تتعلق بضخ النفط إلى أميركا.

إزاء رفض العرب الانضمام إلى حلف بغداد انتقلت سياسة الولايات المتحدة من الاحتواء إلى الحصار باتجاه الصدام، إذ بعد العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة في ٢٨ شباط ١٩٥٥ الذي وقع بعد توقيع حلف بغداد بأربعة أيام. طلبت مصر من الولايات المتحدة رداً حاسماً على طلبات مصر لشراء السلاح وكان الجواب بالرفض[٢٢٢]. ولما حصلت مصر على الأسلحة السوفياتية من تشيكوسلوفاكيا، بدأت الولايات المتحدة بمعاقبة مصر، حيث اتخذت قراراً بعدم بيع قطع الغيار للآلات الأميركية الموجودة في مصر، وأثارت أحاديث عن تجويع مصر لدفع المصريين للثورة ضد عبد الناصر، وكانت قمة العقاب في تصور وزير خارجية الولايات المتحدة دالاس عندما سحبت الولايات المتحدة مشاركتها في تمويل السد العالي[٢٢٣].

---

[٢٢٠] هيئة الإذاعة البريطانية، رقم ٤٨٦، ٢١ تموز ١٩٥٤ في: سيل، **الصراع على سورية** ، ص ٢٦١.

[٢٢١] *American Foreign Policy*, 1950-1955: Basic Documents, vol, 1, p.p.1257-1259

هلال. مرجع سابق، ص ١١٧.

[٢٢٢] المرجع السابق، ص ١٢٨-١٣٥.

[٢٢٣] Rubin, Barry. *The Arab States and the Palestine Conflict*, Syracuse, N.Y.:Syracuse.universitypress,1981,p.230

وبعد شهر واحد من إعلان مصر عن صفقة السلاح التشيكية، وقعت سورية ومصر بتاريخ ٢٠ تشرين أول ١٩٥٥ اتفاقية الدفاع العسكرية التي عبر عنها الرئيس عبد الناصر في حفل التصديق قائلاً "إن هذه الاتفاقية هي فاتحة مستقبل جديد، فالتاريخ يرينا أنه إذا ما اتحدت سورية ومصر فإنهما ستحميان العالم الشرقي من جميع الأخطار التي يمكن أن تهدده، وهذا هو ما حدث بالضبط أيام الصليبيين، فعندما تحالفت سورية مع مصر استطاعتا أن تقوما معاً بحماية العالم الإسلامي من الأخطار التي كان يخشاها، أما اليوم فستحمي سورية ومصر العالم العربي من الصهيونية[٢٢٤].

وفي العام نفسه قامت قوة "إسرائيلية" بتاريخ ١٢ كانون الأول ١٩٥٥ بغارة ليلية واسعة على المخافر السورية نتج عنها استشهاد واحد وأربعين عسكرياً سورياً وأسر ثمانية وعشرين، وكان هذا العدوان أضخم صدام على الحدود السورية بعد معركة المطلة عام ١٩٥٢، واستمرت "إسرائيل" في اعتداءاتها، فقد شرعت بتجفيف منطقة الحولة، ونشبت معارك عديدة في العام ١٩٥٧، وتمكنت "إسرائيل" من الاستيلاء على المنطقة[٢٢٥].

وبعد هذا ألا يصح أن يقال بأن السوريين والمصريين كان عليهما أن يتحدا وهما من دول الطوق؟ كيف لا! وهما يخشيان المشنقة "الإسرائيلية" فيما إذا كانا منقسمين[٢٢٦].

وإزاء محاصرة مصر لجهة حجب السلاح عنها، وعدم المشاركة الأميركية في تمويل بناء السد العالي، أقدم الرئيس جمال عبد الناصر على تأميم قناة السويس بتاريخ ٢٦ تموز ١٩٥٦، لتأمين ٣٥ مليون جنيه للخزينة المصرية وهي قيمة الأرباح التي كانت تجنيها الشركة من الأرباح الصافية من دخل القناة[٢٢٧].

استطاعت مصر أن تكسر احتكار السلاح، وتفكك الحصار المالي، وتابعت سياستها في دعم حركات التحرر العربية، لاسيما الثورة الجزائرية، التي تلقت الدعم السياسي والإعلامي والعسكري[٢٢٨]، دافعة بالغرب للانتقال إلى مرحلة الصدام مع العرب.

---

[٢٢٤] جريدة الأهرام –القاهرة، ٩ تشرين الثاني ١٩٥٥.

[٢٢٥] لورنس، مرجع سابق، ص ١٣٨.

[٢٢٦] Bertrand, Russell, *Power; a new social analysis*, London, George Allen and unwin, 1962, p. 18.

[٢٢٧] عطية، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

[٢٢٨] راجع: أحيرون، شارل روبير. **تاريخ الجزائر المعاصر**، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٦٣.

تمثل الصدام الغربي – العربي في العدوان الثلاثي الذي قامت به بريطانيا وفرنسا و"إسرائيل" على مصر بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٦[٢٢٩]، مع حركة انقلابية في سورية يقودها العراق[٢٣٠].

و بعد فشل الهجوم الثلاثي على مصر، وانكشاف المؤامرة العراقية، المخطط لها في بريطانيا ضد سورية، أطلق الرئيس الأميركي دوايت إيزنهاور مشروعه في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ القاضي بتفويض حق استخدام القوة المسلحة لمواجهة عدوان شيوعي محتمل في العالم الإسلامي ويتضمن المشروع: التعاون مع بلدان "الشرق الأوسط" ومساعدتها في برامج إقليمية للتعاون العسكري واستخدام القوات المسلحة الأميركية لتأمين وصيانة سلامة الأراضي والاستقلال السياسي لتلك البلدان التي تطلب هذا الدعم في مواجهة عدوان عسكري من البلدان الخاضعة للنفوذ الشيوعي، وتخويل الرئيس استخدام الأرصدة المتاحة في إطار قانون الأمن المتبادل لسنة ١٩٥٤ للأغراض الاقتصادية وللدفاع العسكري[٢٣١].

أما دور التيارات القومية في قيامها، فلا يمكن الحديث عن دور الأحزاب في مصر كون الأحزاب كانت منحلة منذ العام ١٩٥٣[٢٣٢].

أما في سورية فإن موقف حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان يمسك بجماهير الشعب من فلاحين وجنود وطلاب، وكان له في مجلس النواب ١٨ مقعداً بعد انتخابات طاحنة عام ١٩٥٤ بين حزب الشعب والحزب الوطني من جهة وحزب البعث والحزب الشيوعي من جهة ثانية، فكان أن اشترط حزب البعث على رئيس الوزراء صبري العسلي لاشتراكه في الوزارة المشكلة بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٥٦ تعهد رئيس الوزراء ببدء المحادثات الوحدوية مع مصر، وفي ٢٧ حزيران أعلن رئيس الوزراء عن رغبته في إجراء محادثات وحدوية مع مصر، وفي ٢٨ حزيران وقع ثلاثة آلاف طالب جامعي عريضة إلى مجلس النواب طالبوا بإقامة وحدة فورية مع مصر[٢٣٣].

وبعد توقف المحادثات بسبب العدوان الثلاثي، استؤنفت عام ١٩٥٧ بعد أن طوّر حزب البعث مشروعه الوحدوي متراجعاً عن المشروع الاتحادي الذي كان قد أعده صلاح البيطار، ووافق على الوحدة الاندماجية[٢٣٤].

---

[٢٢٩] للمزيد من التفاصيل راجع: لورنس، مرجع سابق، ص ١٦٤–١٦٧.

[٢٣٠] سبق ذكرها في الفصل الثاني.

[٢٣١] عطية، مرجع سابق، ص ١٦٦.

[٢٣٢] مرجع سابق، ص ٤٧٤.

[٢٣٣] عبد المولى، مرجع سابق، ص ١٧٦.

[٢٣٤] المرجع السابق، ص ١٧٥

٢- أوضاع بلاد الشام عموماً والقضية الفلسطينية خصوصاً وتأثيرها على الفكر القومي.

كان لتطور الأحداث في سورية وتوجهها الوطني المستقل، وكذلك نهوض الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل من سورية ولبنان أثره الكبير في أقطار بلاد الشام الأخرى مثل: الأردن والعراق، وفلسطين ناهيك عن الإمكانيات الكبيرة التي تملكه.

بلغ عدد السكان في الجمهورية العربية السورية بعد الجلاء الفرنسي عن أراضيها حوالي أربعة ملايين نسمة. وكان اقتصادها يقوم على الزراعة والتجارة والحرف والصناعة الناشئة والسياحة، ومداخيل أخرى محوّلة من المهاجرين.

شكل القطاع **الزراعي** في سوريا المورد الرئيسي للإنتاج السوري، إذ كان يبلغ قبل عام ١٩٥٨ أكثر من نصف الدخل القومي، وعدد المشتغلين فيه يقدر ما بين ٦٥ و ٧٥ في المائة من مجموع السكان العاملين[٢٣٥]. وكان القطاع الزراعي يقدم أسباب العيش لسبعين في المائة من السكان، ويؤمن القسم الأكبر من صادرات سوريا أي بنسبة ٧٥٪ بموجب استثمار ١١ % في المائة من الأراضي السورية التي تحتاج للري بمياه الأنهار والجداول والينابيع، التي تتوقف أهميتها على مصدرها الأساسي من الأمطار[٢٣٦].

وكانت الأراضي موزعة على الملاكين قبل عام ١٩٥٨ على النحو التالي: الملكيات الكبيرة (١٠٠ هكتار فأكثر) تمثل حوالي ٣٠في المائة، والمتوسطة (١٠-١٠٠ هكتار) تعادل ٣٧ في المائة، أما الملكيات التي لا تزيد مساحة الواحدة منها عن (١٠ هكتارات) فتعادل ١٤ في المائة[٢٣٧]

ويظهر هذا التوزيع، غلبة الملكيات الكبيرة، والخلل الكبير في القطاع الزراعي الذي أفسح المجال لحرمان المستأجر من ثمرة كده. ويدل على وجود طبقة عمالية واسعة مسحوقة من قبل طبقة ملاكين صغيرة. فيما السلطات السورية المتعاقبة كانت ساكتة على هذا الوضع لأنها كانت تمثل الطبقة البرجوازية بأغلبيتها، لذا يرى الباحث في قانون العمل الذي أصدره مجلس النواب السوري عام ١٩٤٦عدم وجود أية إشارة إلى العمال الزراعيين مع أنهم يمثلون الأكثرية الساحقة من هذه الفئة، وتتضح برجوازية السلطة، عندما قدّم بعض النواب التقدميين مشروع

---

[٢٣٥] عبد القادر، علي. **دراسة لظاهرة القومية في المجتمع العربي**، دار الاسفاري، القاهرة، ١٩٦٥، ص٧

[٢٣٦] السمان، أحمد. **اقتصاديات سوريا**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية،، القاهرة، ١٩٥٥،ص ٦.

[٢٣٧] الجمهورية العربية المتحدة. **بعض سماتها الاقتصادية**، من منشورات الاتحاد العام للغرف التجارية المصرية . البراوي، راشد. **اقتصاديات العالم العربي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦٤، ص.١١٨

قانون عام ١٩٥٧ بمنع الملاكين من طرد الفلاحين من بيوتهم، إذ صوت مع المشروع ٣٦ نائباً من أصل ١٤٤. واعتمد القانون لأن الأكثرية فضلت التغيب بدل التصويت ضد المشروع خوفاً من ردود فعل من قبل العمال الزراعيين[٢٣٨].

أمام هذا الواقع أصدرت دولة الوحدة قانون الإصلاح الزراعي في سورية رقم ١٣٤ تاريخ ٤ أيلول ١٩٥٨ بشأن العمل الزراعي في الإقليم الشمالي–سورية[٢٣٩]، الذي نصت مادته الأولى على أن الغاية منه استثمار أرض الوطن بصورة صالحة وإقامة علاقة اجتماعية عادلة بين المواطنين، وذلك بتنظيم العلاقات الزراعية بين أصحاب الأرض والمزارعين وعمال الزراعة لحمايتهم ورفع مستواهم مع أفراد عائلاتهم وممتلكاتهم[٢٤٠].

كان الإنتاج الصناعي السوري ينقسم إلى ثلاثة أنواع: صناعات نباتية، منها غذائية قابلة للتصنيع، وصناعة الغزل والنسيج، أما الصناعات المهمة فقد كانت عام ١٩٥٧ على الشكل التالي:

الطاقة الكهربائية التي تعطي ١٧٣ كيلووات ساعة، وصناعة حلج القطن، وصناعة الغزل والنسيج، وقدر عدد العاملين في صناعة الغزل والنسيج والصناعات المكملة بنحو ٣٠ ألف شخص. بالإضافة إلى ذلك وجد ٧ مصانع كبيرة لاستخراج زيت القطن، وثلاثة مصانع للتبغ بلغ إنتاجها ٢٩٤٧ طناً، ووجد مصنعان للإسمنت، بلغ إنتاجهما ٣٠٥ ألف طن. وبلغ إنتاج صناعة الجلود والأحذية ٣٠٥ مليون قدم من الجلود المدبوغة و٣٥٠٠ طن من النول. وبلغ إنتاج معامل الزجاج في العام ١٩٥٧، (٤٦٦٢) طناً من الألواح السادة والمحجر و ٣٠٥٠ طناً من الأواني والمنتجات الزجاجية الأخرى[٢٤١].

هذه الوقائع دليل على وجود طبقة عمالية مستغَلة، في ظل نظام الاقتصاد الحر، من قبل أصحاب المصانع والشركات، وكان لابد من رفع الحيف عن العمال.

---

[٢٣٨] سلامة، غسان. **المجتمع والدولة في المشرق العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨ ص١٨٦.

[٢٣٩] بيد أنه رغم تقدمية التوجه نحو الإصلاح الزراعي لعام ١٩٥٨، فقد كانت له سلبيات عديدة، لسوء التطبيق، تمثلت باستياء من الإقطاعيين الذين خسروا ملكيات لهم، ومن ثلثي الفلاحين الذين حرموا من حق التملك، الأمر الذي أدى إلى تقلص رقعة الأرض المروية، وتردت الزراعة كثيراً بسبب إهمال رقع شاسعة من الأرض، فضلاً عن موجة الجفاف التي رافقت الوضع الاقتصادي: مجموعة مؤلفين. **تاريخ الأقطار العربية المعاصر** ١٩١٧–١٩٧٠، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥ ص ١٢٢

[٢٤٠] البراوي. **اقتصاديات العالم العربي**، ص ١٢٠

[٢٤١] المرجع نفسه، ص ١٢٩

بقيام الجمهورية العربية المتحدة، تضررت مصالح البرجوازية والإقطاعية السورية. و تعزز ميزان المدفوعات السوري من خلال حركة الصادرات والواردات بين إقليمي الجمهورية.

وهذا يؤكد صحة موقف البرجوازية السورية التي رأت في الوحدة سوقاً مصرية أمام المنتجات السورية ولصالحها.

و شهدت سوريا في حقل **التجارة** ابتداءً من خمسينات القرن العشرين زيادة مطردة في حجم تجارتها الخارجية، تعود الزيادة المطردة في حجم الصادرات إلى التوسع في الزراعة وبخاصة القطن الذي أصبح يمثل المركز الأول بين الصادرات السورية، والمصدر الرئيسي المنظم للحصول على العملات الأجنبية، كونه يعتمد على الزراعة المروية، خلافاً للحبوب التي تعتمد على الأمطار.

ومن الملفت أن العجز التجاري كان مستمراً، بسبب ما تمثله الحبوب من نسبة كبيرة في الصادرات، وهي بدورها تعتمد على الأمطار وكميتها تتناسب مع الهطولات المطرية، ولذلك يبين الجدول ارتفاع العجز في عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٦ إلى ١٥٨ و ١٨٥ مليون ليرة، فيما هبط عام ١٩٥٧ إلى ٦٨ مليون ليرة وهو أدنى حد وصل إليه منذ عام ١٩٥١ [٢٤٢].

ومن الملاحظ أيضاً، أنه ابتداءً من العام ١٩٥٨ توالت المواسم الرديئة بسبب الجفاف، مما أدى إلى هبوط المحاصيل الشتوية، وارتفاع في عجز الميزان التجاري في السنوات: ١٩٥٨و ١٩٥٩ و١٩٦٠، وزادت الواردات بسبب استيراد المواد الغذائية، والأدوات الصناعية، وهنا تبدو أهمية الأحوال الطبيعية في التحكم في الميزان التجاري.

شهد التعليم في ظل أول نظام "وطني" في سورية تقدماً نسبياً، إذ فتحت المدارس الابتدائية والثانوية أبوابها أمام أبناء الطبقات المتوسطة والفقيرة في المدن والأرياف. فيما كانت الجامعة تشكل نوعاً من الترف الذي لا يقوى على دفع تكاليفه من كان منهم يطمح إلى متابعة دراساته العليا، لذلك كانت تتجه أنظار الطلاب من الطبقات المتوسطة إلى المدرسة الحربية، ومما سهل لهم الدخول إلى المدرسة الحربية ،عزوف أبناء "البرجوازية الكبيرة" وكبار ملاكي الأراضي عن مهنة السلاح. مما يشير إلى أنه منذ الاستقلال بدأ حدوث تحول اجتماعي جذري ضمن الجيش، وكان التزايد في هذا التحول يتبلور، تبعاً للتقلبات السياسية والعسكرية التي كانت تعصف بالبلاد، المترافق مع تطور الفكر القومي والاشتراكي التي كان يطلقها حزب البعث العربي والحزب الاشتراكي، مما أدى إلى التقارب بين الضباط المتخرجين حديثاً من المدرسة الحربية والحزبان. مما زاد من تعطش الضباط إلى الاضطلاع بدور سياسي[٢٤٣].

---

[٢٤٢] البراوي. **اقتصاديات العالم العربي**، ص١٣٨

[٢٤٣] دندشلي، مصطفى. **حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤١-١٩٦٣** ، ج١، د.ن، د.م، ١٩٧٩. ١٥٨

وفي لبنان الذي تبلغ مساحته حوالي ١٠٤٠٠ كلم٢، وكان عدد سكانه حوالي ١،٧٥٠،٠٠٠ نسمة، والطابع المميز له، ضيق المساحة الصالحة للزراعة، إذ تغلب المناطق الجبلية على نسبة كبيرة منه. قام الاقتصاد اللبناني بعد الاستقلال على هيمنة قطاع الخدمات، وقد تطورت هذه السيطرة بسرعة في الخمسينات والستينات، بحيث زادت حصة هذا القطاع من الناتج المحلي من ٦٢ إلى ٧٠ %. فكانت نسبة القوى العاملة في هذا القطاع عام ١٩٦٠، ٢٩٪ [٢٤٤]. وتجلت خطورة هذا الواقع الاقتصادي خاصة في الاعتماد على قطاع الخدمات لأنها تحول دون مراقبته والتحكم فيه من قبل السلطات المالية والاقتصادية الوطنية [٢٤٥]. وتولدت عن هذه الخاصية الخدماتية ظاهرة أخرى، هي فتح أبواب البلاد أمام السلع ورؤوس الأموال الأجنبية، وتدفق الخبرة على ضروب متعددة، من النشاط الاقتصادي مثل التجارة والصناعة المالية، ولعل ميدان المصارف مثال يوضح هذه الحقيقة، إذ في بيروت وحدها كان أكثر من ٥٠ مصرفاً غالبيتها أجنبية في جوهرها، أو وثيقة الارتباط بمصالح مالية أجنبية، ولم يكن للبنان بنك مركزي حتى عام ١٩٦٤[٢٤٦].

كان دور **الزراعة** في الاقتصاد اللبناني يشكل ٢٥ %عند الاستقلال وتضاءلت بالتالي نسبة العاملين بالزراعة إلى مجمل القوى العاملة من حوالي النصف في الخمسينات إلى ١٥ في المائة في العقدين التاليين[٢٤٧]، وهبطت المساحات المخصصة للقمح والحبوب، فيما ازدادت المساحات المخصصة للمنتجات القابلة للتصدير، لاسيما التفاح والحمضيات والبيض والشمندر السكري. وما يميز لبنان، هو استمرار الملكيات الزراعية الصغيرة. كما كان من قبل الاستقلال، حيث أن سكان الريف بقوا ملاكين للأراضي التي يعملون عليها بنسبة تتراوح بين ٧٥ و ٩٠ في المائة، حسب المناطق، على الرغم من نمو تيار "رأسمالي" في الزراعة، لاسيما في البقاع والجنوب، أسهم بتطوير الملكيات الواسعة نسبياً إلى تحويل المزارعين إلى أجراء[٢٤٨].

تشغل الصناعة المركز الثالث في الاقتصاد اللبناني، وتمثل حوالي ١٣ في المائة من الدخل القومي، وعملت الحكومة اللبنانية من أجل تنشيط هذا القطاع بتشريع صدر في شباط ١٩٥٤ يعفي الشركات التي أسست في السنوات الخمس التي تلت صدوره من أداء الضرائب بشروط حددها القانون، ولعبت رؤوس الأموال الأجنبية عام ١٩٥٩ دوراً كان من نتائجه

---

[٢٤٤] سلامة. مرجع سابق ، ص ٢٠٩ .

[٢٤٥] مجلة **الرائد العربي** آب ١٩٦٣ حديث مع محمد عطاالله عضو مجلس التصميم والإنماء في لبنان ص٩ .

[٢٤٦] البراوي، **اقتصاديات العالم العربي**، ص٨٦.

[٢٤٧] شهدت المدن نزوحاً واسعاً من البقاع والجنوب اللبناني إلى بيروت حيث تشكل حزام البؤس حول العاصمة بما يعرف اليوم بالضاحية الجنوبية، حيث ثقل المقاومة المسلحة المعاصرة.

[٢٤٨] سلامة. مرجع سابق، ص٢١١.

صناعات الألمنيوم والبلاستيك والدهانات والجلود الاصطناعية والعنبر والزجاج وتكرير الملح وأنشأ البنك الزراعي كخطوة في سبيل توفير بعض المال للمشروعات الصناعية[٢٤٩].

أملت نتائج الحرب العربية–"الإسرائيلية" عام ١٩٤٨ إلى اغتصاب فلسطين و إلحاق ما تبقى منها، الضفة الغربية بالأردن، وقطاع غزة بمصر، الأمر الذي أخرجه من موضوع الدراسة، ومما أوجب دراسة الأوضاع الاقتصادية لفلسطين والأردن معاً، أما الوضع السياسي لفلسطين سيدرس على حدة.

تبلغ مساحة الأردن حوالي ٩٧١٢٩ كلم^{٢}، منها أراضي الضفة الغربية البالغ مساحتها ٥٦٠٠ كيلو متر، وعدد سكانه، طبقاً لإحصاء ١٩٦١، حوالي ١.٧٥٠.٠٠٠ نسمة منهم ٥٥.٥٢٥ من البدو سكان الخيام.

كان الاقتصاد الأردني يعتمد بشكل عام على المساعدات المالية الخارجية، وظلت حتى بعد عام ١٩٦١ تربو على الموارد المحلية[٢٥٠].

وهذه الخاصية تجعل الوضع الاقتصادي تحت رحمة عوامل واعتبارات لا تستطيع الحكومات التحكم بها، باستثناء المزيد من التبعية السياسية للجهات المانحة.

على الرغم من الصعوبات التي تعاني منها **الزراعة** في الأردن، فقد ارتفع إنتاج القمح من ١٢٧ ألف طن (معدل الإنتاج للأعوام ١٩٤٨–١٩٥٢) إلى ٢٢٠ ألف طن في العام ١٩٥٧، ويعود سبب هذا التطور إلى التوسع في استعمال الآلات الزراعية الحديثة والتوسع في استغلال أراض جديدة، تقدر بحوالي ٧٠ ألف دونم، وإذ رغبت السلطة الأردنية في تشجيع القطاع الزراعي، أنشأت المصرف الزراعي، وبدأت بتنفيذ مشروع قناة الغور الشرقية عام ١٩٥٨ وتم إنجازه عام ١٩٦٤. ومشروع مياه الأزرق بالتعاون مع الأمم المتحدة.

أما **الصناعة**، فقد كانت ضعيفة إذ كان إسهامها لا يزيد عن ١٠ في المائة من الدخل القومي، ولا تستوعب سوى ٩ في المائة من القوة العاملة. ومعظم الصناعات الأردنية هي خفيفة، أما المتوسطة فهي صناعات الصابون والمعلبات والأحذية والأواني المنزلية وغيرها، فيما تنحصر الصناعات الثقيلة في الاسمنت والفوسفات والزيوت النباتية والكهرباء. ١٩٦١[٢٥١].

---

[٢٤٩] ارتفعت نسبة النمو من ١٠٪إلى ١٤ %، وكان مقدراً لها أن تصل إلى ٢٢ % عام ١٩٨٠ ، ولكن الحرب الأهلية قضت على هذه الآمال، إذ دمر حوالي ٢٥٠ مصنعاً في السنتين الأوليين من الحرب الأهلية ١٩٧٥–١٩٧٦. سلامة، المرجع السابق، ص ٢٠٩.

[٢٥٠] البراوي، **اقتصاديات العالم العربي**، ص ١٥٠.

[٢٥١] البراوي، **اقتصاديات العالم العربي** ، ص ١٥٩

وتشكل **التجارة** قطاعاً رئيسياً في الاقتصاد الأردني إذ بلغت نسبة الدخل التجاري إلى مجموع الدخل القومي ١٧.٥ % . ولكن قطاع التجارة يتميز بعجز كبير في الميزان التجاري، والعجز يزداد سنة بعد سنة، ففي عام ١٩٦١ كانت قيمة الصادرات ٤.٢٥١.٨٣٧ دينار والواردات ١.٩٠٩.٨١٤، وبذلك كان العجز التجاري ٣٧.٦ مليون دينار مقابل ٢٣ مليار دينار عام ١٩٥٦ ، فيما بلغت خلال الأشهر التسعة من عام ١٩٦٢ قيمة الصادرات ٣.٦٥٣.٦٠٠ دينار والواردات ٣٢.٣٩٩.٦٠٠ دينار مما يظهر عجزاً مقداره ٢٩ مليون دينار تقريباً [٢٥٢]. لا يوجد في الأردن ملكيات زراعية واسعة، لذا لم تتشكل أسر إقطاعية زراعية كما في مناطق أخرى في بلاد الشام، ولذلك لم يكن في الأردن مشكلة طبقية من هذا النوع، والتركيبة الاجتماعية الأكثر وضوحاً هي التركيبة العشائرية الموروثة عن حالة البداوة[٢٥٣]. والمشكلة الحقيقية في هذا المجال كانت في نسبة العاطلين عن العمل، وفق إحصاءات مجلس الإعمار الأردني على النحو التالي: نسبة العاطلين عن العمل من النازحين الفلسطينيين بلغت ٩٥٪، من أصل القوة العاملة وعددها ١٠٠.٠٠٠، ونسبة العاطلين عن العمل من الضفة الغربية بلغت ٦٠٪ من أصل القوة العاملة وعددها٨٠.٠٠٠، ونسبة العاطلين عن العمل من أهل الضفة الشرقية بلغت ٣٪ من أصل القوة العاملة و وعددها ١٨٠.٠٠٠[٢٥٤].

وبالرغم من الصعوبات الاقتصادية تقدم القطر الأردني، بعد الحرب العالمية الثانية، على الصعيد التعليمي أشواطاً مهمة، فقد بلغ عدد المدارس الحكومية ابتدائية وثانوية خمسمائة، والمدارس الخاصة حوالي أربعمائة مدرسة[٢٥٥]. وأنشئت الجامعة الأردنية في عمان، وابتدأ التدريس فيها في كلية الآداب عام ١٩٦٢ وكلية العلوم ١٩٦٥، وكذلك كلية التجارة في العام نفسه، وإن كانت الجامعة لا تلبي حاجة الشباب الأردني فإن عدداً كبيراً منهم كان يقصد الجامعات في البلاد العربية والبلاد الأوروبية والأميركية[٢٥٦].

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وما أحدثته من تغييرات، لاسميا تراجع النظام الاستعماري وصعود حركات التحرر الوطني، أصبحت سورية وشيكة الاستقلال السياسي برحيل المستعمر الفرنسي عن البلاد، ولكن رغم هذا فقد كانت جهود الفرنسيين منصبة للحفاظ على

---

[٢٥٢]المرجع نفسه، ص ١٦٣.

[٢٥٣] قدورة، **تاريخ العرب الحديث**، ص ١٥٦

[٢٥٤] البراوي. **اقتصاديات العالم العربي**، ص١٦٣

[٢٥٥] المرجع نفسه، ٤٨١.

[٢٥٦] قدورة. **تاريخ العرب الحديث**، ص ١٥٩.

امتيازاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية كلها في سوريا ولبنان، لذا لا بد من التأكيد مع الأمم المتحدة بضرورة إنهاء الانتداب وتحرير البلاد، وبرز التناقض على أشده بين المؤسسات الدستورية في سورية ولبنان. فيما كانت فلسطين تتعرض لمؤامرة دولية بهدف إقامة دولة صهيونية على أرضها.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وقامت الأمم المتحدة، كان الحكم الوطني قد قام باتصالات على المستويين العربي والدولي مما اضطر الفرنسيين إلى الانصياع لإرادة الشعب السوري والجلاء عن سورية في ١٧ نيسان ١٩٤٦.

وبعد جلاء الجيوش الفرنسية لم يعد من سلطة تمارس الحكم ماعدا السلطة الدستورية، التي كان عليها معالجة جميع الجوانب من اقتصادية وثقافية واجتماعية، فلم تتوافق الإنجازات مع الطموحات والآمال ولم تنجح السلطة في مواجهة الأزمات والقضايا التي واجهت القطر، سواء انعكاسات ما حصل في فلسطين عام ١٩٤٨ أو تفاقم بعض القضايا الداخلية المهمة.

وعلى الرغم من هذا العجز، أجريت الانتخابات عام ١٩٤٧، وكان الهدف الأساسي منها تهيئة الشروط اللازمة لتعديل الدستور بهدف التجديد للرئيس القوتلي، وقد جاءت نتائجها متوافقة مع رغبة السلطة، فأعيد انتخاب القوتلي، الذي تقرب من السعودية وناهض الهاشميين[٢٥٧].

ولكن استمرار العجز في مواجهة القضايا المهمة، واجهته اضطرابات داخلية تمثلت في مناهضة سلطة الإقطاع واستمرار تسلطه على الأرض والفلاح، وعلى التعديلات الدستورية المتلاحقة المتلائمة مع مصالح السلطة الذاتية، ناهيك عن الانتقادات الكثيرة حول الغش والخداع والتزوير في الانتخابات واستخدام أساليب الضغط والإرهاب ضد الخصوم السياسيين[٢٥٨].

وشهدت تلك الفترة زيادة في نسبة الضرائب على الشعب، وتفشّت السرقات والرشاوى بين الموظفين. كل هذه الأجواء أوجدت مناخاً عاماً لقبول أي حركة تغيير، الأمر الذي استغله الجيش فقام بانقلابه الأول في ١٩٤٩/٣/٣٠ بقيادة حسنى الزعيم[٢٥٩]، بدعم من الولايات المتحدة[٢٦٠]، فعطل الدستور وحل المجلس النيابي، وأجرى استفتاءً على تعديلات دستورية وعلى انتخابه رئيساً للجمهورية، ووقع اتفاقية الهدنة مع ""إسرائيل"" ٢٠ حزيران ١٩٤٩.

---

[٢٥٧] لورنس، هنري. **اللعبة الكبرى، الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية**، ترجمة: محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، ١٩٩٢، ص ٣٢.

[٢٥٨] المدني. مرجع سابق، ص ٥٧– ٥٨.

[٢٥٩] المدني. مرجع سابق، ، ص٦١ .

[٢٦٠] كوبلاند، مايلز. **لعبة الأمم**، تعريب مروان خير، انترناشينال سنتر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٣ .

وكان حسني الزعيم قد أرسل وفداً إلى العراق خلال شهر نيسان ١٩٤٩ يحمل اقتراحات [٢٦١] لعقد اتفاقية عسكرية بين سورية والعراق ولكنه سرعان ما انقلب على الهاشميين لإقامة علاقة وطيدة مع مصر والسعودية المناهضتين لمحور الأردن–العراق[٢٦٢]، المدعوم من الحكومة البريطانية.

ولكن محور عمان–بغداد، جابه الزعيم مدعوماً من بريطانيا بانقلاب قام به سامي الحناوي في ١٩٤٩/٨/١٤[٢٦٣]. وجرت انتخابات لجمعية تأسيسية في ١٩٤٩/١١/١٥ وكانت النتيجة لصالح التيار الهاشمي، ولكن سرعان ما كانت حركة عسكرية في الجيش تهدف إلى مواجهة الأطماع الهاشمية جعلت من أديب الشيشكلي الرجل القوي في الحكم[٢٦٤].

ساد هذه الفترة قضية شغلت الحكم جدياً، إذ كانت السلطة التشريعية تحبذ مشاريع الاتحاد مع الهاشميين، فيما كانت السلطة الفعلية ترفض ذلك وحصل تأميم لبعض الشركات ذات الرأسمال الأجنبي العامل في حقل المرافق العامة[٢٦٥].

وفي ٢٧ أيلول ١٩٥٠ انتخب مجلس النواب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية فيما بقى ناظم القدسي رئيساً للوزارة الذي اتسعت هوة الخلاف بينه وبين الشيشكلي، فقدم استقالته بتاريخ ٣ آذار ١٩٥١. وبقيت سورية بدون وزارة حتى ٤ نيسان ١٩٥١ عندما تولى خالد العظم تشكيلها وشهدت سورية اضطراباً سياسياً تمثل بتعدد الوزارات، حتى تمكن الشيشكلي من الاستيلاء على السلطة بانقلاب حدث بتاريخ ٢ كانون الأول ١٩٥١ استولى بموجبه على السلطة التنفيذية وتولى مهام رئاسة الدولة. وحل مجلس النواب ووضع دستوراً جديداً أسفر التصويت عليه بانتخاب الشيشكلي رئيساً للجمهورية.

تميز عهد أديب الشيشكلي بالدكتاتورية، وكبت الحريات الديمقراطية، وبكون عهده ذهبياً بالنسبة للبرجوازية الوطنية السورية المحافظة، وبإنشاء "حركة التحرير العربية" لتكون بديلاً عن الأحزاب.

---

[٢٦١] للاطلاع على نص المقترحات راجع: خوري، مرجع سابق، ص٢٥٥

[٢٦٢] جبور، جورج. **الفكر السياسي المعاصر في سورية**، دار المنارة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٥٨.

[٢٦٣] المرجع السابق، ص ٥٨. " يقول السمان، مطيع. في مذكراته **وطن وعسكر**، بيروت، دار بيسان، ١٩٩٥، ص ٣٢٤–٣٢٩: "إن إحدى أسباب الانقلاب على حسني الزعيم هو تسليمه أنطون سعادة للسلطات اللبنانية بدون ملف استرداد قانوني، الأمر الذي كان " مخالفاً للقانون وللأخلاق العربية ومنافياً لكل شهامة ووجدان وإنسانية".

[٢٦٤] جبور، المرجع نفسه، ص ٥٨.

[٢٦٥] جبور، مرجع سابق، ص ٥٩.

أما القوى السياسية التي عارضته فقد ألّفت جبهة شعبية معارضة قامت بتظاهرات وإضرابات طلابية وعمالية وفلاّحيه، مما دفع بالشيشكلي إلى اعتقال قادة حزب البعث ونفيهم إلى بيروت، فدعا حزب البعث القوى السياسية المعارضة إلى عقد ميثاق قومي لمقاطعة الحكم وإزالة الحكم العسكري، فتمخضت هذه المواجهة السياسية عن أسلوب عنفي تمثل بإلقاء المتفجرات وإعلان العصيان في جبل العرب وساد الاضطراب في معظم أنحاء القطر مما أوجد الظروف المناسبة لانقلاب عسكري رابع بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٥٤ بقيادة النقيب البعثي مصطفى حمدون من موقع حلب[٢٦٦].

غادر الشيشكلي سورية ولحق به رئيس الوزراء مأمون الكزبري، فأسندت رئاسة الجمهورية لهاشم الأتاسي وتشكلت حكومة برئاسة صبري العسلي.

لاقى تشكيل هذه الحكومة معارضة من حزب البعث العربي الاشتراكي بسبب هيمنة حزب الشعب على الوزارة، فتشكلت حكومة سعيد الغزي حيث جرت الانتخابات النيابية عام ١٩٥٤ فنال البعث ١٨ مقعداً وكتلة العظم ٣٨ مقعداً[٢٦٧].

وبتاريخ ٢٦ شباط ١٩٥٥ نقل سفير الولايات المتحدة الأميركية في دمشق إلى الحكومة السورية مذكرة أميركية رسمية يطلب فيها الانضمام إلى حلف بغداد، متضمنة رغبة أميركا في أن تقوم سورية، بالتعاون مع ""إسرائيل"" وحلف بغداد، بمواجهة التغلغل السوفييتي في المنطقة[٢٦٨].

ولكن رفض الحكومة السورية الطلب الأميركي وانضمامها إلى الموقف المصري والسعودي الداعي إلى إقامة منظمة دفاع مشترك، وضع سورية تحت ضغط جارتها تركيا التي حشدت جيوشها في ظل حملة إعلامية واسعة تهدد باجتياح سورية عسكرياً[٢٦٩].

مع انتهاء ولاية رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي عام١٩٥٥، حدد مجلس النواب موعداً لانتخاب رئيس جديد للجمهورية، فتنافس ثلاثة من السياسيين، شكري القوتلي، الذي جعل المطالبة بالإسراع في توقيع الاتفاق الثلاثي مع مصر والسعودية جزءاً من حملته الانتخابية، وخالد العظم الذي استند إلى أعضاء الحزب الوطني، ولطفي الحفار مرشح حزب الشعب مدعوماً

---

[٢٦٦] المدني. مرجع سابق، ص ٨٨-٨٩.

[٢٦٧] المرجع السابق نفسه، ص ٩٥

[٢٦٨] المرجع السابق ، ص ٩٩.

[٢٦٩] المرجع السابق، ص ٩٩.

من العراق، وقد فاز شكري القوتلي وتشكلت حكومة وطنية تضم معظم القوى السياسية في سورية برئاسة سعيد الغزي[٢٧٠].

أقدمت حكومة الغزي على توقيع معاهدة الدفاع السورية– المصرية، التي تم بموجبها إنشاء لجنة عليا و هيئة خاصة لشؤون الدفاع وقيادة مشتركة برئاسة اللواء عبد الحكيم عامر[٢٧١].

بيد أن العدوان الثلاثي على مصر (تشرين ١٩٥٦) اقتضى من البريطانيين أن يترافق ذلك بانقلاب في سورية[٢٧٢]، وهو أمر انكشف قبل العدوان بأسابيع قليلة ١٢ تشرين الأول، والمشتركون حسب قائمة الاتهام ضمت ٤٧ شخصاً بينهم نواب ووزراء وضباط في الجيش السوري، مما اضطر صبري العسلي، الذي تولى الوزارة في ١٠ حزيران ١٩٥٦، لتقديم استقالته ووزارته، ليعود إلى تشكيل وزارة جديدة شريطة استبعاد أعضاء حزب الشعب والحزب الوطني لتورطهما بالمؤامرة[٢٧٣]، وأضاف حزب البعث شرطاً آخر يقضي ببدء المحادثات الوحدوية مع مصر [٢٧٤]. وجاء هذا الشرط منسجماً مع توجهات المجلس النيابي الذي وجه برقية بتاريخ ٥/٧/ ١٩٥٦ إلى الرئيس جمال عبد الناصر لتحقيق اتحاد فدرالي بين سورية ومصر بعد أن درس قرار مجلس الوزراء الذي اتخذ قراراً بإجماع آرائه بتفويض لجنة وزارية لمباشرة المفاوضات مع مصر للتوصل إلى اتحاد فدرالي بين البلدين.

لقد أنهكت الانقلابات العسكرية تآلف ضباط الجيش السوري واستهلكت زعماءه، وبدا الخوف الذي أثارته الولايات المتحدة الأميركية من وقوع سورية في فلك الاتحاد السوفياتي مقبولاً، ترافق ذلك مع تضامن كبير أبداه الرئيس جمال عبد الناصر مع سورية قولاً وفعلاً وهو الذي أرسل قوات مصرية لتأخذ مواقعها في شمالي سورية، ناهيك أنه احتل موقع البطل العربي بعد العدوان الثلاثي١٩٥٦.

وفي **لبنان** عملت فرنسا على وضع الدستور اللبناني عام ١٩٢٦ على أساس طائفي، وسعت جاهدة طيلة فترة الاحتلال، كما من قبل وإلى ما بعد، لخلق البعد الطائفي بين أبناء البلد

---

[٢٧٠] المدني. مرجع سابق، ص ١٠١.

[٢٧١] المرجع السابق، ص ١٠٢

[٢٧٢] يقول د. عبد الله سعادة لباتريك سيل. في كتابه الصراع على سورية، أن المساندين لحركة الانقلاب في سورية من الدول الكبرى والبريطانيين، وقتوا الانقلاب في يوم محدد في نهاية تشرين الأول ١٩٥٦، ولكن غسان جديد رفض التوقيت باعتباره الرئيس العسكري وهو من يحدد اليوم الأكثر ملائمة لنشر قواته. سيل. **الصراع على سورية**، ص ٣٦٦.

[٢٧٣] المدني. مرجع سابق، ص ١٠٧.

[٢٧٤] المرجع السابق، ص١٠٣.

الواحد، وجعل الطائفية ستاراً لمجمل الأحداث التي عاشها لبنان، وبعد نضال طويل استمر ما يقارب ربع قرن تمكن لبنان من نيل استقلاله السياسي عام ١٩٤٣، بدعم بارز من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية لرئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح، ولكن الجيوش الفرنسية والبريطانية كانت لا تزال رابضة في لبنان، وإذ عززت فرنسا وجودها بمزيد من الجنود بهدف إرغام سورية ولبنان على عقد معاهدة تؤمن لفرنسا استمرار نفوذها في البلدين، وهذا ما دفع إلى مزيد من النضال اللبناني ضد الفرنسيين أدى بالنتيجة إلى رفع مسألة الانسحاب الفرنسي من لبنان إلى الأمم المتحدة التي أفضت إلى مفاوضات تم بموجبها الجلاء عن الأراضي اللبنانية بتاريخ ٣١ كانون أول ١٩٤٦.

إن الميثاق الوطني الذي ورد في خطابي رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح عام ١٩٤٣[٢٧٥] قضى بامتناع المسيحيين عن طلب الحماية الأجنبية مقابل امتناع المسلمين عن مطلب الوحدة مع سورية، مما ساعد على إيجاد صيغة للانسجام الداخلي ولو بصورة مؤقتة، ولكن هذا الانسجام أفسدته المتاجرة في النفوذ، وكثرة الفضائح التي انتشرت بعامل صلات القربى التي جمعت بين الرئيس بشارة الخوري وكبار رجال الأعمال الذين استفادوا من وجودهم مع السلطة[٢٧٦].

وكانت الفضيحة الكبرى، عملية التزوير التي جرت على نطاق واسع في انتخابات عام ١٩٤٧ التي ضمنت قيام مجلس نيابي جديد مؤيد للرئيس بشارة الخوري، وقد قام المجلس بتعديل الدستور، وأعيد انتخاب الرئيس مرة ثانية لمدة ست سنوات مما أثار ضده حلفاؤه من أعضاء الكتلة الدستورية وعلى رأسهم كميل شمعون[٢٧٧].

ومما أضر بشعبية بشارة الخوري ورياض الصلح وعهديهما، منع الحركات القومية وعلى رأسها الحزب السوري القومي الاجتماعي من تعبئة اللبنانيين ضد ما كان يجري في فلسطين[٢٧٨]، وإقدام حكومة رياض الصلح على تدبير فخ سياسي–أمني، بالتعاون مع حزب الكتائب اللبنانية، تم بموجبها القضاء على أنطون سعادة إعداماً[٢٧٩]، وعلى أعضاء حزبه بالسجن والملاحقة.

---

[٢٧٥] حول ظروف وضع الميثاق، راجع: شعيب. مرجع سابق، ص ٢٢٩–٢٣١.

[٢٧٦] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ١٧٦.

[٢٧٧] الصليبي، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

[٢٧٨] سعادة، انطون، **مختارات في المسألة الفلسطينية**، دار فكر، بيروت، ١٩٩١، ص ١٢٧–١٣١.

[٢٧٩] بطرس، أنطوان، **قصة محاكمة انطون سعادة وإعدامه**، د.ن، بيروت ٢٠٠٢، ص ٢١٩.

وكان أن اغتيل رياض الصلح عام ١٩٥١ في عمان، ثأراً لأنطون سعادة، فضعف بشارة الخوري، بفقدان حليفه السني[٢٨٠] في مواجهة تعاظم المعارضة التي ضمت أقطاباً عديدة بسبب مطالبة كمال جنبلاط للرئيس الخوري بوجوب فتح تحقيق في الثراء الفاحش الذي فاز به أنصاره وأعوانه، مما دفع الرئيس إلى الاستقالة وانتخاب أحد أقطاب المعارضة كميل شمعون[٢٨١].

تميزت هذه المرحلة من تاريخ لبنان بتغلغل القوى الإمبريالية سياسياً واقتصادياً وثقافياً، لاسيما في عهد الرئيس شمعون، ففي عام ١٩٥٤ نشرت الحكومة قانوناً بإعفاء الشركات اللبنانية والأجنبية الكبيرة من الضرائب لمدة ستة أعوام، ثم صدر قانون سرية عمليات الودائع المصرفية، فانفتح لبنان أمام الرأسمال الأجنبي إذ بلغ مجموع الودائع الأجنبية مليار ليرة لبنانية وفي ١٩٥٥ بلغت الرساميل الأميركية الخاصة الموظفة في لبنان ٤٥ مليون دولار أميركي، أي ضعفي الرساميل الموظفة في المؤسسات اللبنانية[٢٨٢].

وفيما كان نصيب فرنسا في تجارة لبنان الخارجية يتقلص باستمرار كانت بريطانيا تشغل المرتبة الأولى في تجارة لبنان الخارجية واحتلت الولايات المتحدة المرتبة الثانية، فكان في لبنان وكالات ٨٨ شركة أميركية، وأخذ العاملون في مشروع "النقطة الرابعة" [٢٨٣] يتدخلون في شؤون لبنان الداخلية، ويفرضون وصايتهم على النقابات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية، وفي عام ١٩٥٧ بلغت المساعدة المقدمة للبنان بموجب النقطة الرابعة ٣٥ مليون دولار، التي لم تنفق على إنماء الاقتصاد، بل أنفقت على بناء وتحسين المشروعات العسكرية–الإستراتيجية: المطارات، المرافئ والطرق وغيرها[٢٨٤].

وعندما تولى الرئيس فؤاد شهاب سدة الرئاسة عام ١٩٥٨، لم يستطع انجاز تغييرات جوهرية في البنية الاقتصادية–الاجتماعية في لبنان بسبب هيمنة الإقطاع من جهة والانفتاح على الغرب من جهة ثانية، ومع ذلك فقد اتخذت بعض الإجراءات في مصلحة الاقتصاد الوطني وبين ١٩٥٩–١٩٦٣ ازدادت المؤسسات الوطنية أكثر من ٧٠٠ مليون ليرة لبنانية وارتفع عدد العمال الصناعيين في هذه السنوات من ٣٨ ألفاً إلى ٦٠ ألفاً، وأنجز تركيز مصالح المياه والكهرباء بيد الدولة، وأنشئ المصرف المركزي الذي أخذ على عاتقه مهمة إصدار النقد بدلاً من

---

[٢٨٠] وفق الصيغة الطائفية الرسمية المعتمدة في لبنان والتي يعدها القوميون حرباً أهلية في صلب الدستور.

[٢٨١] قدورة، أديب، **حقائق ومواقف**، دار فكر، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣٣، والصليبي. مرجع سابق، ص ٢٤٢.

[٢٨٢] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ١٧٨.

[٢٨٣] النقطة الرابعة تعني البند الرابع من مشروع أميركي للتنمية في الدول الصديقة للولايات المتحدة الأميركية.

[٢٨٤] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ١٧٨.

بنك سورية ولبنان، وبدأ تطبيق الخطة الخمسية لبناء الطرق وتطوير شبكة الكهرباء ومجاري المياه في المناطق الريفية[٢٨٥].

وعلى الرغم من ازدياد عدد العاملين في الصناعة فقد بقي لبنان متخلفاً من الناحية الصناعية، فالمصدر الرئيس لدخله الوطني ٧٠٪ من الترانزيت والسمسرة والصيرفة والسياحة. ولذلك بقي الاقتصاد اللبناني في تبعية مباشرة حيال الرأسمال الأجنبي[٢٨٦]، ولم يجر تقدماً في صالح الطبقات الاجتماعية الفقيرة إلا في الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٣-١٩٦٦، بفعل ضغط الحركة العمالية، بحيث ارتفع الحد الأدنى من الأجور من (١٢٥ ليرة إلى ١٤٥ ليرة لبنانية) إلى جانب انجازات مطلبية أخرى.

ولكن هذه الإجراءات لم تؤدّ إلى تحسن جوهري في أوضاع العمال فقد بقي الرأسماليون والإقطاعيون يشكلون ٤٪ من مجموع السكان فيما كان ٥٠٪ من السكان يعيشون حالة العوز في وقت ازدادت فيه كلفة المعيشة ٦ أضعاف عما كانت عليه قبل رفع الحد الأدنى للأجور[٢٨٧].

تميز عهد الرئيس كميل شمعون، في المحافظة على الحريات الديمقراطية، فلم ينكل بأية جريدة أو القضاء على أي حزب، متجاهلاً المعارضة، ولعل هذا ما جلب رؤوس الأموال من الخارج[٢٨٨].

بيد أن الرئيس شمعون الذي أعطى المرأة حق الانتخاب وأجرى محاولات فاشلة لمواجهة الفساد، نظراً لعمق أزمة الفساد في الكيان اللبناني، حاول تحطيم خصومه السياسيين، وكان الخطأ الأساسي الذي ارتكبه في هذا المجال معارضة انتخاب البطريرك الماروني مار بولس بطرس المعوش الذي جاء خلفا" للبطريرك أنطون عريضة، فانضم إلى المعارضة وكان تأثير ذلك كبيراً في ظل نظام سياسي طائفي[٢٨٩].

بعد العدوان الثلاثي على مصر والمساندة العربية لها، خاصة سورية، في ظل نمو مطرد عند الشعب العربي في الدعوة إلى الوحدة العربية، حاول رئيس الحكومة عبد الله اليافي، ووزير الدولة صائب سلام، حث شمعون على قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا استنكاراً لاشتراكهما في العدوان على مصر. ولما رفض طلبهما قدما استقالتهما، فكلف سامي الصلح

---

[٢٨٥] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر** ، ص ١٩١.

[٢٨٦] المرجع نفسه، ص ١٩٠-١٩٢.

[٢٨٧] المرجع السابق، ص ١٩٣.

[٢٨٨] الصليبي، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

[٢٨٩] المرجع السابق، ص ٢٤٤.

بتشكيل الوزارة، التي تولى فيها شارل مالك حقيبة وزير الخارجية، مما كشف عن اتجاه الحكم في السياسة الخارجية[٢٩٠].

وفي العام ١٩٥٧ عندما أقرّ الكونغرس الأميركي مبدأ ايزنهاور الذي تتعهد بموجبه الولايات المتحدة الأميركية وضع قواتها بتصرف أية دولة تتعرض للاعتداء الشيوعي، مع تأكيد أميركا على استقلال وسلامة أراضي بلدان الشرق الأدني، قبلت الحكومة اللبنانية هذا المبدأ[٢٩١].

شكل قبول مبدأ أيزنهاور خرقاً للميثاق الوطني، لجهة طلب النجدة من الغرب، مما دفع المعارضة إلى تشكيل الجبهة الوطنية، وجرت الانتخابات صيف ١٩٥٧ ففاز مؤيدو الرئيس شمعون بأغلبية ساحقة، دفعت المعارضة إلى البدء بأعمال الشغب، من تفجيرات وغيرها فوراً[٢٩٢].

وعندما قامت الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨، تعاظمت المشاعر الوحدوية العربية عند الوطنيين، فقامت المظاهرات المؤيدة للوحدة. وفي ظل هذه الأجواء قتل الصحافي اللبناني المعارض نسيب المتني الأمر الذي أدى إلى انفجار حركة مسلحة مدعومة من الجمهورية العربية المتحدة[٢٩٣]. فكانت الأزمة تعبيراً عن رفض الشعب للسياسة الموالية للغرب وأميركا وإعلاناً صريحاً عن ضرورة الانضمام إلى وحدة مصر وسورية.

اعتبر الرئيس شمعون أنه باستطاعته أن يحافظ على حكمه بالدعم الأميركي، فطلب من الولايات المتحدة الأميركية المساعدة لاسيما وأن ثورة في العراق قد أطاحت بالنظام الملكي الموالي للغرب.

لبت الولايات المتحدة طلب الرئيس شمعون وأنزلت قواتها في بيروت بتاريخ ١٥ تموز ١٩٥٨، فلم يتمكن الجيش الأميركي من وضع حد للأزمة السياسية الداخلية، إلاّ من جهة التدخل المباشر من الجمهورية العربية المتحدة، فيما اشتدت مطالبة الجبهة الوطنية بعدم التجديد للرئيس شمعون[٢٩٤].

---

[٢٩٠] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر** ، ص ٢٤٦.

[٢٩١] لورنس. مرجع سابق، ١٩٩٢، ص ١٨٢.

[٢٩٢] الصليبي. مرجع سابق، ص ٢٤٧.

[٢٩٣] لورنس. مرجع سابق، ص ١٨٣.

[٢٩٤] الصليبي. مرجع سابق، ص ٢٤٩.

بعد نزول القوات الأميركية لحق بها إلى بيروت روبرت مورفي وكيل وزير الخارجية الأميركية موفداً من الرئيس الأميركي ايزنهاور لبذل الجهود من أجل إعادة السلام والهدوء إلى لبنان والحكم فيه ومساعدة الرئيس شمعون[٢٩٥].

وبعد اتصالات عديدة قام بها الموفد الأميركي مع الأطراف المتخاصمة، وافق الجميع على أن يكون اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش رئيساً جديداً للجمهورية فانتخبه مجلس النواب بتاريخ ٣١ تموز، ١٩٥٨ وتسلم الحكم بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٥٨ خلفاً للرئيس شمعون. وكلّف رشيد كرامي بتأليف حكومة، أظهر رئيسها عزمه على قطف ثمار الأزمة التي كان فيها قطباً رئيسياً، وصدف في اليوم التالي أن اختطف الصحافي الكتائبي فؤاد حداد، فدعا حزب الكتائب إلى ثورة مضادة فعادت الأمور إلى مكانها الأول.

من أجل التمكن من متابعة الحكم تشكلت حكومة كرامي من أربعة وزراء فقط شارك فيها بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، وريمون إده رئيس حزب الكتلة الوطنية، والحاج حسين العويني، وأطلقت هذه الحكومة شعار لا غالب ولا مغلوب[٢٩٦].

على الرغم من حركة الاحتجاج التي شهدها الأردن ضد بريطانيا وسياستها في المشرق العربي، فقد بقي الأردن الرسمي بقيادة الأمير عبد الله الذي أصبح ملكاً وفياً للإنكليز، وعلى الرغم من هذا الوفاء، فقد رفضت الولايات المتحدة الأميركية قبول الأردن في منظمة الأمم المتحدة، وجاراها في ذلك الاتحاد السوفياتي الذي لم يكن ليستاء من التضييق على حليف لبريطانيا[٢٩٧].

وفي ٢٢ آذار ١٩٤٦ أعلنت إمارة شرق الأردن استقلالها بموجب معاهدة مع بريطانيا أنهت حالة الانتداب ونال بموجبها الأمير عبد الله لقب الملك الجليل، ثم نقحت هذه المعاهدة في ١٥ آذار ١٩٤٨، التي أبقت الإجحاف بحق الأردن قائماً لجهة ما ورد فيها من بقاء قيادة الجيش الأردني بإمرة ضباط بريطانيين[٢٩٨].

---

[٢٩٥] Richard L.Miller, *Dag Hammarskjöld and evasive diplomacy* (New York, 1961), p.178.

[٢٩٦] الصليبي. مرجع سابق، ص ٢٥١.

[٢٩٧] لورنس. مرجع سابق، ص ٤٤.

[٢٩٨] كان جون باغوت غلوب (Glubb) الضابط البريطاني رئيس أركان الحرب في الجيش الأردني، وكان له دور كبير في الحرب العربية – "الإسرائيلية" الأولى وربما كان من أسباب هزيمة العرب.

وفي عام ١٩٤٩ انتشر استخدام تعبير (شرقي الأردن)، وأصبح استخدامه إجباراً في عام ١٩٥٠[٢٩٩].

وعندما أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ موضوع التقسيم، وهو المشروع الذي دعمته بريطانيا ورفضته الدول العربية، وافق الملك عبد الله عليه ضمناً[٣٠٠] وكان الأردن لم يُقبل بعد عضوا بالأمم المتحدة وبقي الأمر كذلك حتى عام ١٩٥٥[٣٠١].

ولذلك أجرى عبد الله محادثات عدة مع القادة الصهيونيين، وكان الاجتماع الأول مع غولدامائير في تشرين الثاني عام ١٩٤٧، والثاني في أول نيسان ١٩٤٨، وقد أظهر الملك تأييده للتقسيم وتمنى أن تكون هناك علاقات ودية بين العرب واليهود، ولكن دون الوصول إلى نتيجة[٣٠٢].

وعندما وقعت الحرب العربية– "الإسرائيلية" ١٩٤٨، أصر الملك عبد الله أن يكون هو القائد الأعلى للجيوش العربية، وحاز على موافقة الجامعة العربية.

وبعد وقوع الكارثة–النكبة ١٩٤٨، وتشرد أهالي فلسطين، عرضت الجامعة العربية مشروع حكومة عربية للمناطق الفلسطينية الأمر الذي رفضه الملك عبد الله وأيدته بريطانيا، وفي نيسان ١٩٥٠ دمج الملك عبد الله المناطق التي استولى عليها الجيش الأردني وضمّها إلى مملكته، وأصبحت المملكة مؤلفة من ضفتين، فاعترفت بريطانيا بالوضع الجديد.

أدت ذيول النكبة واندماج الفلسطينيين في المجتمع الأردني سواء باللاجئين القادمين من المناطق المحتلة، أو بالمضمومين من الضفة الغربية إلى تحول جديد في الواقع السياسي الرسمي والشعبي داخل الأردن، فقد بدأ الفلسطينيون يقومون بدور بارز في الحكومة، وتعاظمت المطالبة بتعديل الدستور الأردني باتجاه تقييد صلاحية الملك المتنامية، وارتفعت الأصوات المطالبة بطرد البريطانيين من البلاد وفي مقدمتهم غلوب باشا. فضلاً عن تسرب معلومات عن اتصالات بقادة العدو، وهو ما ثبت صحته، من ضمن هذه الأجواء أقدم شاب فلسطيني على اغتيال الملك عبد الله في صيف ١٩٥١ أثناء دخوله المسجد الأقصى في القدس لتأدية الصلاة[٣٠٣].

---

[٢٩٩] لورنس، مرجع سابق، ص ٤٤.

[٣٠٠] Hyden, Aqil Abidi, Hasan: *Jordon A Political Study , 1948-1957*, India, 1965, p. 25

[٣٠١] عطية الله. مرجع سابق، ص ٤١.

[٣٠٢] Hyder,Aqil: Abidi, Hasan*: Jordan A Political Study, 1948-1957*, India, 1965, p. 26- 38 / أيضا:لورنس. مرجع سابق، ص ٨٤.

[٣٠٣] موريس، جيمس. **الملوك الهاشميون**، المكتب العالمي للتأليف والترجمة، بيروت، د.ت. ص ١٦٦

بعد وفاة الملك عبد الله توج ولده الأول طلال ملكاً، ومنذ توليه مقاليد السلطة، عمل على إلغاء الأسباب التي أدت إلى استياء الشعب من سلطة والده وحاشيته. فقيد حرية الملك لصالح إطلاق حرية الشعب واعتباره مصدر السلطة والقوة. وجاءت التعديلات الدستورية لتحدث شبه انقلاب في النظم والتقاليد الأردنية، فقد تجلت رغبته في التعاون العربي في سبيل أهداف القومية العربية بالانضمام إلى ميثاق الأمن الجماعي العربي، إلى جانب اهتمامه بالمسألة الفلسطينية وحقوق اللاجئين، وهذا ما أقلق القوى الرجعية التي كانت لا تزال قوية، فضلاً عن الخشية البريطانية من سلوكه المعادي لها فأثارت الصحافة البريطانية حملة إعلامية تبحث مسألة ملك الأردن ووضعه النفسي–العقلي[٣٠٤]، فعقد مجلس الوزراء جلسة استثنائية في ١١ آب ١٩٥٢ تبعها قرار البرلمان الأردني بخلع طلال والمناداةً بابنه الحسين الذي لم يكن قد بلغ السن القانونية ملكاً، وتسلم السلطة الدستورية في ١٩٥٣/٥/٢[٣٠٥].

وألّف فوزي الملقي حكومة ضم إليها ممثلي المعارضة المعتدلة، فرفضت الحكومة استخدام القوانين التي تسمح باعتقال الأشخاص دون مبرر. ورفضت الدخول في الكتل الحزبية، ونادت بضرورة إعادة النظر في معاهدة المساعدة الأميركية، وتقربت من السوفيات عندما بعث البرلمان الأردني ببرقية أعرب فيها إلى المندوب السوفياتي في هيئة الأمم امتنانه للاتحاد السوفياتي على موقفه عند بحث مسألة العمليات العدوانية التي قامت بها "إسرائيل" ضد البلدان العربية[٣٠٦].

استقالت الحكومة وشكلت حكومة جديدة برئاسة توفيق أبو الهدى" بتاريخ ٢ أيار ١٩٥٤، فتشكلت جبهة وطنية كان برنامجها ينص على سحب القوات البريطانية واستقالة غلوب باشا، وفسخ المعاهدة مع الولايات المتحدة، وتخفيض الضرائب، وتشكل الحزب الوطني الاشتراكي برئاسة سليمان النابلسي[٣٠٧].

في هذا الجو أقدمت الحكومة على حل البرلمان وجرت الانتخابات في ١٦ تشرين ١٩٥٤، فواجهت الحكومة مظاهرات في معظم المناطق تندد بتصرفات الحكومة، ورغم ذلك نالت القوى التقدمية ربع المقاعد، وهذه النتيجة دفعت بالحكومة إلى المشاركة في مؤتمر باندونغ[٣٠٨]١٩٥٥ لدول عدم الانحياز.

---

(٣٠٤) ذكر د. علي محافظة من على مدرج قسم التاريخ-جامعة دمشق ٢٠١٠/٢/٨ بأن وضع الملك طلال النفسي لم يكن تهمة بل حقيقة مؤكدة من قبل لجنة طبية محايدة أكدت إصابته بمرض الفصام.

(٣٠٥) Hydr , Aqil : Abidi, Hasan: *Jordan*, p. 95

(٣٠٦) مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٢٥٩–٢٦٠.

(٣٠٧) المرجع نفسه، ص ٢٦٠–٢٦١.

(٣٠٨) مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ٢٦٠–٢٦١.

وبتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٥٥ تلقى الأردن، بواسطة تركيا، دعوة للانضمام إلى حلف بغداد، مترافقة مع عرض عراقي بمساعدة اقتصادية[٣٠٩]. ولما واجهت حكومة سعيد المفتى معارضة شعبية عارمة، قدمت استقالتها بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٥٥ بعد أن قدم أربعة وزراء استقالتهم. وتشكلت حكومة جديدة برئاسة هزّاع المجالي التي فشلت في قمع المظاهرات والمطالب الشعبية، وكانت منظمة "الضباط الأحرار" السرية قد بسطت نفوذها في "الفيلق العربي"، وبناء على طلب الضباط وبمساعدة الفئات الوطنية أقدم الملك حسين على إقالة غلوب باشا، في ٢ آذار ١٩٥٦ وإقصاء الضباط البريطانيين، وعين رئيس الضباط الأحرار على أبو نوار رئيساً لأركان الفيلق العربي وهذا ما أضعف القوى الرجعية في الأردن، توج ذلك بتشكيل حكومة جديدة بقيادة سليمان النابلسي، التي أعلنت عزمها على إلغاء المعاهدة الأردنية–البريطانية لعام ١٩٤٨ وتصفية القواعد البريطانية ومعارضة حلف بغداد، والاستغناء عن المعونات البريطانية وتوطيد العلاقة مع سورية ومصر وإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي، وبذلك أعلنت وقوفها مع مصر في مواجهة العدوان الثلاثي وقطعت علاقاتها مع فرنسا ومنعت الطائرات البريطانية من استخدام القواعد الأردنية، وسمحت بدخول وحدات من الجيوش العربية (السورية والعراقية والسعودية) إلى الأردن، وفي ١٣ آذار ١٩٥٧ ألغيت المعاهدة البريطانية–الأردنية، وشجبت "مبدأ ايزنهاور" بقوة وشدة[٣١٠].

كان موقف حكومة النابلسي مدعوماً من القوى القومية ومعبراً عن إرادتها في التماهي بالأحداث الجارية في الوطن العربي. و لذلك أقدمت القوى الرجعية على إحداث ما يشبه الانقلاب أدى إلى سقوط حكومة النابلسي وتأليف حكومة حسين الخالدي التي سرعان ما انكشفت اتجاهاتها اليمينية فاستقالت في ٢٤ نيسان ولم يمض على تأليفها ١٤ يوماً. وشكلت حكومة بقيادة إبراهيم هاشم.

دخل العرب الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء مرغمين بحكم وقوعهم تحت سلطة الانتداب البريطاني والفرنسي. وعلى هذه الأرضية، أمل عرب فلسطين بتنفيذ الحكومة البريطانية وعودها الواردة في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ بفعل الثورة الفلسطينية العارمة التي سبقته عام ١٩٣٦[٣١١]. في حين رأت الحركة الصهيونية بانتقال موازين الثقل إلى الولايات المتحدة

---

[٣٠٩] المرجع نفسه ، ٢٦٠–٢٦١.

[٣١٠] المرجع نفسه، ص ٢٦٨.

[٣١١] أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في بلاغ رسمي في ١٧ أيار/مايو ١٩٣٩ بمقدمة قالت فيها: "إن مصلحة السلام ورفاه جميع أهالي فلسطين تتطلب وضع تعريف صريح لخطة السياسية وأهدافها، وهي

الأميركية بحكم كونها القوة الامبريالية الأهم والأقدر على تبني الحركة الصهيونية وتنفيذ مشروعها في الوطن العربي، كما عملت على ربط مشروعها الاستيطاني خلال الحرب حين عقدت مؤتمر بلتيمور ١٩٤٢، وموقعها الدولي بعد انتهائها، وإستراتيجيتها في المنطقة العربية. ولذلك عمدت الولايات المتحدة خلال الحرب إلى تأسيس جيش صهيوني بالتعاون مع بريطانيا التي تولت تدريب وحدات من الهاغاناه وتسليحها للقيام بأعمال التخريب وراء الخطوط الألمانية أثناء تقدمها من شمال أفريقيا نحو الحدود المصرية في النصف الثاني من عام ١٩٤٢. وكانت الوكالة اليهودية قد وضعت جهاز استخباراتها في خدمة الجيش البريطاني وزودته ببعض مجموعات الاستطلاع أثناء الحملة على سورية ولبنان ضد القوات الفرنسية الموالية لحكومة فيشي، وشاركت عناصر صهيونية في إحباط ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، حيث قتل أحد قادتها من منظمة الأرغون (دافيد رزتيل) David Rztil على أرض مطار الحبانية العراقي[٣١٢].

إزاء الرغبة العارمة للشعب العربي آنذاك في نيل استقلاله وإلغاء الحدود المصطنعة التي مزقت الأمة العربية، ومواجهة الاحتضان البريطاني والأميركي للصهيونية العالمية ومشروعها الاستيطاني في فلسطين العربية، كان على بريطانيا تفريغ ذلك الهدف القومي من محتواه الحقيقي في وحدة العرب السياسية، فلجأت إلى طرح فكرة الجامعة العربية على مصر[٣١٣]. فتلقفتها الحكومة المصرية والعراقية حيث ما زالت السيطرة البريطانية قائمة في كلا البلدين، وأجرت مشاورات واتصالات انتهت إلى بروتوكول الإسكندرية ٧ تشرين أول ١٩٤٤ ثم وضع ميثاق الجامعة ١٢ آذار ١٩٤٥[٣١٤].

تصرح بعابرة لا إبهام فيها أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية لمخالفة ذلك التزاماتها نحو العرب، كما أنها لا توافق على أن مراسلات مكماهون–حسين توجب تحويل فلسطين إلى دولة عربية مستقلة. وعليه فهي ترغب في أن ترى قيام دولة فلسطين مستقلة يشترك في ممارسة الحكم فيها العرب واليهود" راجع: **فلسطين تاريخها وقضيتها**، ص ٨٠.

[٣١٢] شوفاني. مرجع سابق، ص ٤٩٢–٤٩٣.

[٣١٣] أنظر: الشيباني، أحمد. **القومية العربية في النظرية والتطبيق**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص ١١٩–١٢٠.

[٣١٤] يقول أحمد فارس في الصفحة ٢٥ من مقدمة كتاب جورج أنطونيوس، **يقظة العرب** "الحقيقة أن اتجاه الحركة القومية في مصر كان وبقي حتى عام ١٩٥٢ اتجاهاً مصرياً إسلامياً إلى حد بعيد... ولم تستقر= =الفكرة العربية في مصر وتستقل إلا منذ ١٩٥٦، عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر، مصر دولة عربية مستقلة والشعب المصري جزء من الأمة العربية".

ومن الملفت أن ميثاق الجامعة العربية قد عالج القضية الفلسطينية في ملحق خاص جاء فيه: "ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً إلى ظروف فلسطين الخاصة، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله" ويظهر في هذا الملحق مدى التهرب من الواقع الموجود في فلسطين، فلا ذكر للمشروع الصهيوني، بل استنابة عن الشعب الفلسطيني في اختيار ممثل له لدى الجامعة[٣١٥].

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تقدمت الحركة الصهيونية بطلب إصدار تصاريح لهجرة ١٠٠٠٠٠ يهودي إلى فلسطين، ترددت بريطانيا في الموافقة، على أمل كسب مواقع جديدة لها في الوطن العربي، لاسيما وأن البترول بدأ بالظهور في أماكن عديدة، ارتفعت وتيرة الضغط على بريطانيا من المنظمات الصهيونية ومن الولايات المتحدة نفسها، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى التخفي خلف الولايات المتحدة الأميركية في تلبية المطالب الصهيونية فتقدمت بريطانيا بطرح فكرة إنشاء لجنة انكلو–أميركية، تم الإعلان عنها في بيان قدمه وزير خارجية بريطانيا، في حكومة (كليمنت اتلي)، أمام مجلس العموم بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ التي جاء في توصياتها عام ١٩٤٦، السماح لـ١٠٠٠٠٠ يهودي بالهجرة إلى فلسطين، و أن لا تكون فلسطين دولة عربية أو يهودية[٣١٦].

خيبت توصيات اللجنة الإنكلو–أميركية آمال العرب، فانطلقت على أثرها موجة عارمة من المظاهرات والإضرابات والاحتجاجات، وطالبت الحكومات العربية بوجوب الاتجاه نحو الاتحاد السوفياتي بعد انكشاف "غدر البريطانيين والأميركيين على العرب"، كما طالبت بوجوب الاستعداد للمقاومة المسلحة الرسمية والشعبية.

وعقد الملوك والرؤساء العرب "مؤتمر الملوك والرؤساء العرب"في مدينة أنشاص المصرية، بتاريخ ٢٨–٢٩ أيار ١٩٤٦ فأجمع في مقرراته على أن فلسطين "قطر عربي، وهو القلب في المجموعة العربية، وأن الأخذ بتوصيات لجنة التحقيق الانكلو–أميركية تعده دول الجامعة عملاً عدائياً موجهاً ضدها" وقد أحالت إلى مجلس الجامعة تقرير الإجراءات في حال أخذت الولايات المتحدة وبريطانيا بتوصيات اللجنة الانكلو–أميركية حيث عقد جلسته في بلودان سورية ٨–١٢

---

[٣١٥] على الرغم من وضع قضية فلسطين على جدول أعمال الجامعة العربية باستمرار واتخاذ القرارات بشأنها، فقد عجزت الجامعة العربية عن تشكيل الأداة التنفيذية لقراراتها، وتركت الأمر للدول العربية التي كانت منشغلة دائماً بقضاياها الخاصة.

[٣١٦] راجع بهذا الخصوص: **الموسوعة الفلسطينية** "القسم الثاني، المجلد الثاني، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٩٠، ص ١٠٧١.

حزيران ١٩٤٦. وصدر عنه مقررات علنية وسرية كان أبرزها، حث "الشعوب العربية"(بدلاً من الشعب العربي) على التطوع لنصرة عرب فلسطين بجميع الوسائل[٣١٧].

استجابت بريطانيا لطلب الحكومات العربية للتفاوض من أجل حل مشكلة القضية الفلسطينية فعقد مؤتمر لندن ١٠ أيلول ١٩٤٦ ولكن العرب رفضوا المشروع البريطاني الجديد القاضي بتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية، وتقدموا بمشروع يقضي باستقلال فلسطين وهو ما لم توافق عليه بريطانيا، وعندما فشلت المفاوضات بعد الدورة الثانية من المؤتمر في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا عزمها على إحالة موضوع فلسطين إلى الأمم المتحدة.

وبتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٧ عرض مشروع تقسيم فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ جرى التصويت عليه فنال موافقة ٣٣ صوتاً ومعارضة ١٣ صوتا"، وامتناع عشرة أصوات فنجح القرار وأصبح قراراً دولياً[٣١٨]. في ظل معارضة الدول العربية كلها لقيام دولة يهودية في فلسطين، وأمام ضغط أميركي وأوروبي كبير على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

أعلنت بريطانيا قبولها قرار التقسيم، فيما رفضه العرب الذين قرروا تشكيل لجنة عسكرية للمساعدة في تهيئة وسائل للدفاع وتنظيم وتجنيد الفلسطينيين وتدريبهم. وكان الاتجاه يقضي بتحمل الفلسطينيين عبء المواجهة ولا مانع من الاستعانة بالمتطوعين العرب[٣١٩].

تنبه بن غوريون في العام ١٩٤٦ بأن فلسطين محاطة بدول عربية مجاورة وأن هذه الدول قد نالت استقلالها السياسي، وبأنها تستطيع أن تبني الجيوش وتصنع السلاح أو تشتريه فأعلن في ١٨ كانون الأول ١٩٤٦ أن الأمن المطلوب لا يتحقق إلا بدفع الخطر القادم من الدول العربية المجاورة وليس من الفلسطينيين، ولذلك أعد العدة اللازمة للمعركة القادمة. وقد أكدت اللجنة الانكلو–أميركية في تقريرها أن القوات الصهيونية بلغت في نيسان ١٩٤٦ حوالي ٦٨ ألف رجل مدعمة بالسلاح المناسب لمختلف القطعات العسكرية[٣٢٠].

أجمعت الأحزاب الصهيونية على إقامة الدولة اليهودية، ووحدت القرار المركزي الذي أصبح بيد بن غوريون، ووحدت الهدف، لجهة الخيار العسكري، ووحدت الأداة ووفرت مستلزماتها وتنظيمها وتخطيط عملها وبرمجته، وكان الوضع في الجانب العربي على العكس، إذ تبين عند

---

[٣١٧] راجع بخصوص المقررات: وزارة الدفاع الوطني اللبناني، مرجع سابق ، ص ٢٤٦–٢٤٧.

[٣١٨] من المفيد ذكر أسماء الدول التي عارضت مشروع التقسيم وهي: أفغانستان – كوبا – مصر – اليونان – الهند – إيران – العراق – لبنان – باكستان – المملكة العربية السعودية – سورية – تركيا واليمن.
Davis, John H. *the evasive peace*, New York, 1970, p. 38.

[٣١٩] شوفاني، مرجع سابق، ص ١٩.

[٣٢٠] شوفاني، مرجع سابق، ص ٥١١.

بدء العمليات العسكرية بعد قرار التقسيم، أن الإجراءات لم تكن منسجمة مع القرارات السياسية المعلنة، وكانت الخطوات العسكرية العملية مبعثرة، فالعرب كانوا هم الأكثرية العددية، وبالتالي هم الأكثر انتشاراً على الأرض، والأكثر ملاءمة لعزل التجمعات اليهودية، بيد أن الموقف كانت تنقصه وحدة الموقف والمركز والقرار، وبالتالي التنظيم والتخطيط والتنفيذ، ولهذا كان الفلسطينيون في موقف الدفاع والصهاينة في موقع الهجوم، ومع ذلك لم تحقق القوات الصهيونية إنجازات تذكر[٣٢١].

وعندما دخلت الجيوش العربية فلسطين بعد إعلان الدولة الصهيونية ١٥ أيار ١٩٤٨، كانت القيادة العربية مزدوجة، إذ بموازاة جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، شكلت اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية، جيش الإنقاذ.

أما حجم القوى العسكرية التي شاركت في حرب فلسطين، فكانت على الشكل التالي:

- ١٧٠٠٠ رجل، مجموع جيش الجهاد المقدس الفلسطيني، منهم ٥-٧ آلاف قوة ضاربة و ١٠٠٠٠ من المجاهدين في قراهم، ينقصهم العتاد والسلاح.
- ٣٨٣٠ مقاتلاً من متطوعين عرب وزعوا في ٨ أفواج[٣٢٢].باسم جيش الإنقاذ.
- ١٤٩٢٦ جندي من الجيوش العربية موزعة على الشكل التالي:

الجيش اللبناني ١٠٠٠ مقاتل بقيادة الزعيم فؤاد شهاب، والجيش السوري ١٨٧٦ مقاتلاً بقيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم. والجيش العراقي ٢٥٠٠ مقاتل بقيادة الزعيم محمد الزبيدي.والجيش الأردني ٤٥٥٠ مقاتلاً بقيادة الجنرال باغوت غلوب البريطاني.والجيش المصري ٥٠٠٠ مقاتل بقيادة اللواء أحمد على المعراوي . وقد تولى القيادة العامة للجيوش العربية الملك عبد الله تساعده هيئة أركان، كانت شكلية، فيما كان مستشاره الفعلي الجنرال البريطاني (جون باغوت غلوب). و قد عمل كل جيش بمفرده، وأشرفت عليه حكومته كما تولت تزويده بصورة منفردة[٣٢٣].

على الرغم من قلة عدد الجيوش العربية، وضعف تسليحها، ووجود قيادة غربية لها(غلوب باشا) فقد سجل المقاتلون العرب في الحرب العربية-الفلسطينية بطولات عظيمة، إلا أن هذه البطولات لم تنقذ فلسطين بسبب غياب التنسيق بين الجيوش العربية بحكم عدم التنسيق بين الحكام العرب، مما أتاح للجيش الصهيوني امتصاص الهجوم العربي الأول بعد الهدنة الأولى،

---

[٣٢١] المرجع السابق، ص ٥١٤-٥١٥.

[٣٢٢] Khalidi, Walid, *From Haven to Conquest*, Readings in Zionism and the Palestine. problem until 1948, see and printing, Washington, 1987, p. 866

[٣٢٣] شوفاني. مرجع سابق، ص ٥٢٦-٥٢٧.

ثم الانتقال، (بعد أن تهيأت "إسرائيل" تماماً)، إلى استفراد كل جيش عربي وحده ومنعه من التقدم باتجاه فلسطين.

لقد انتهت الحرب عام ١٩٤٨ إلى عقد هدنة عسكرية مع الجيوش العربية المشاركة على الجبهات السورية واللبنانية والمصرية والأردنية وقد اقتلع الشعب الفلسطيني من أرضه لينتقل للعيش في مخيمات البؤس والفقر وقد جمدت ""إسرائيل"" ودائعه ومجوهراته التي بلغت قيمتها ما بين ٣.٥-٦ ملايين جنيه استر ليني[٣٢٤].

أما وكالة غوث اللاجئين فقد عملت على خدمة المصالح " الإسرائيلية" أكثر مما خدمت مصالح اللاجئين، إذ جعلت مسألة دمج اللاجئين الفلسطينيين في البلاد المضيفة هدفها الرئيسي، وخصصت لهذه الغاية الجزء الأكبر من ميزانيتها ١٠٠ مليون دولار لمسألة الدمج في حين خصصت لأعمال الإغاثة العاجلة ١٨ مليون دولار فقط[٣٢٥].

لقد كان مخصص اللاجئ (المعوز) لا يتجاوز ١.٢ دولاراً في الشهر، وفي مراحل لاحقة ألغيت وجبة الغذاء للأطفال بحجة عدم التمويل الكافي، وبذلك كانت الوكالة تدفع باللاجئين تحت وطأة العوز، قبول أي مشروع يعرض عليهم، بما فيه التوطين، وهذا ما اعترضت عليه الجامعة العربية، مصرة على ضرورة إعادة اللاجئين إلى ديارهم[٣٢٦].

لم يكن ما جرى في فلسطين عام ١٩٤٨ حدثاً عادياً، فقد هجّر شعب بكامله من أرضه، ورمي في مخيمات البؤس الاقتصادي والاجتماعي وزرع المستوطنون اليهود الصهاينة المهاجرون من مختلف أصقاع العالم، وهذا قلّما حدث مثله في التاريخ، هكذا اعتداء.

وبنتيجة النكبة عام ١٩٤٨ شرد الشعب الفلسطيني على النحو التالي:

وفق ما ورد لدى الأنروا UNRWA أن ١.٣٤٥.٠٠٠ قد غادروا منازلهم وأصبحوا لاجئين استلمت منهم ٨٤٦.٠٠٠، وقد توزعوا على الشكل التالي: ٧٢٣٠٠٠ في الأردن و٣١٧٠٠٠ في قطاع غزّة و١٦١٠٠٠ في لبنان و١٤٤٠٠٠ في سورية. وتضيف أن ٧٠٪ جاؤوا من الريف، و٣٠٪ من المدن الفلسطينية، و٩٣٪ من النازحين هم من المسلمين و٧٪ من

---

[٣٢٤] دروزة، محمد عزة. **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، الجزء الثاني، دائرة الإعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية. د.ت. ص ٩٣.

[٣٢٥] العقاد، صلاح: قضية فلسطين: **المرحلة الحرجة (١٩٤٥-١٩٥٦)**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨، ص ١٦٢-١٦٣.

[٣٢٦] قاسمية، خيرية. **تطورات القضية الفلسطينية (١٩٤٥-١٩٥٦) على الصعيدين الفلسطيني والعربي، القضية الفلسطينية والصراع العربي-الصهيوني**، الجزء الثاني، القسم الأول، بحوث لباحثين مختصين، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، عمان، ١٩٨٩، ص ١٥٧.

المسيحيين[٣٢٧]، ولم يبق في الأرض الفلسطينية المحتلة إلا ١٧٠٠٠٠ نسمة، فيما ألحق قطاع غزة بمصر، والضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية.

إن النوعية الفريدة لهذا الحدث التاريخي، قد أرخى بثقله على الشعب العربي بعامة، وعلى دول المشرق بخاصة، بسبب مخاطر الخطط الصهيونية التوسعية، التي شكلت في السنوات اللاحقة، المحور الرئيس في مختلف التطورات السياسية والفكرية التي شهدها الوطن العربي وكان من نتائجها المباشرة نشؤ حركة القوميين العرب، فكانت القضية الفلسطينية القضية المركزية لمختلف الأحزاب والتيارات القومية.

٣- أوضاع العراق وتأثيرها في الفكر القومي ١٩٤٥-١٩٥٨

تبلغ مساحة القطر العراقي ٤٤٤,٤٤٢ كيلومتر مربع وعدد سكانه ٦،٤١٣،٦٥٨ نسمة طبقاً لتقدير عام ١٩٥٩ [٣٢٨] وتشكل المنطقة الصحراوية ٦٠ في المائة من مساحة القطر. وعلى الرغم من اتساع مساحة العراق بالنسبة لبقية أقطار المشرق العربي فقد عانت الزراعة مشكلات عديدة، أهمها الفيضانات التي يحدثها نهر دجلة، ونسبة الملوحة في أراضيه، فضلاً عن مشكلة الري، التي عملت الحكومة العراقية لحلها بإقامة السدود العديدة[٣٢٩].

فاق حجم الملكيات الإقطاعية في العراق حجم الملكيات في القطر السوري، إذ كان هناك مالكان أحدهما أمير ربيعة، والآخر موحان الخير الله، تجاوزت ملكية كل منهما المليون دونم، ووجد ستة ملاّك آخرون يملك الواحد منهم حوالي مليون دونم، فكان من يملك أكثر من ٢٠،٠٠٠ دونم (أي أكثر من ٥٠٠٠ هكتار) يبلغ عددهم ١٠٤ ملاكين. فيما كانت ملكية الدولة حتى عام ١٩٦١ تقدر بحوالي ٣،٥٤٠،٠٠٠ دونم[٣٣٠].

تعد **زراعة** القمح والشعير والأرز، والذرة الرفيعة، المنتجات الزراعية الرئيسة في مجال الحبوب، وكان الإنتاج الزراعي يتعرض لتقلبات واسعة بسبب عدم انتظام كميات المطر، مما يضطر العراق إلى استيراد حاجته من الخارج. وفيما كانت محاصيل القطن قليلة نسبياً لعدم توجيه العناية اللازمة لمكافحة الآفات التي تصيب المحصول، مثّل إنتاج العراق من التمر ما يشكل ٨٠ في المائة من التجارة العالمية، وعلى صعيد الثروة الحيوانية فقد تميز العراق بتربية

---

(٣٢٧) United Nations document, Tables 1 and 2, p.p. 59-60, in Davis, John H: Th evasivepeace,p.54

(٣٢٨) رفلة، فيليب. و مصطفى، أحمد سامي. **جغرافية الوطن العربي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٣٠

(٣٢٩) للمزيد من التفاصيل حول السدود في العراق. راجع: البراوي ، **اقتصاديات العالم العربي**، ص ٦٤-٦٥

(٣٣٠) البراوي ، **اقتصاديات العالم العربي**، ص٦٧.

الأغنام (٥،٥٩٨،٢٩٢ رأس)، يليها الماعز (١،٧٤٣،٣٠٠ رأس)، فالجاموس (٤٤،٣٩٢ رأس) وذلك بسبب انتشار الرعي في معظم سهول الرافدين وفي أرض الجزيرة[٣٣١].

كان العراق متخلفاً من الناحية **الصناعية**، إذ اقتصرت الصناعات على بعض السلع الاستهلاكية، كالاسمنت، والصابون، والزيوت النباتية، والأحذية، والمنسوجات، والبيرة. وكان الطابع الغالب هو المؤسسات الصغيرة(٢٢٤٦٠ مؤسسة) التي لا تختلف عن المحال الحرفية التقليدية التي تسير على أساليب بدائية. فيما كان عدد المؤسسات الصناعية والإنشائية المتوسطة والكبيرة (١٢٣٦ مؤسسة)عام ١٩٦٠، تستخدم ١٠٦٠٠٠ شخص فقط[٣٣٢].وفي مجال التجارة، لعبت تجارة الترانزيت أهمية كبيرة في الاقتصاد العراقي إذ بلغت قيمتها ٧،٩٤٧،٨٣٠ و ٨،٠٥٧،٣٣٧ دينار عراقي في عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨. أما في مجال الصادرات والواردات فقد بلغت صادرات العراق، بدون البترول، عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ ما قيمته ١١،٩٤٥،٠٠٠ و ٧،٩٦٥،٠٠٠ دينار عراقي، فيما بلغت الواردات ١٢٤،٩٤٥،٠٠٠ و ١٤٥،٦٧١ دينار، فتبين هذه الأرقام عجزاً كبيراً في الميزان التجاري، ولكن صادرات البترول التي بلغت في العامين المذكورين أعلاه، ٢٠١،٦٧٤،٠٠٠ و ٢٢٢، ٦٢٦ تكشف عن حقيقة بالغة الخطورة، إذ اعتمد العراق في رخاء شعبه وتقدمه على سلعة واحدة لا يملك السيطرة على أسواقها ولا أثمانها[٣٣٣].

وكانت ملكية الأراضي شديدة التمركز في أيدي أقلية صغيرة، إذ أربعة أخماس العائلات العراقية لم تكن تملك شيئاً منها. فيما كان أقل من واحد في المائة من الملاكين قد استولوا على ٥٥ في المائة من كامل الأراضي الزراعية التي يملكها أفراد [٣٣٤]. ولهذا حاولت الحكومة الملكية عام ١٩٥٤ توزيع الأراضي التي تملكها، البالغة مساحتها ٣،٥٤٠،٠٠٠ دونم، فوضعت قانون الدجيلة الجديدة، وكان القصد منه توزيع الأراضي على الفلاحين الصغار والمعدمين وتعمير المنطقة، ولكن الشيوخ استطاعوا، بحكم نفوذهم السياسي، أن يسجلوا ملكيتهم لحوالي نصف الأراضي المجاورة للقناة المقرر شقها في منطقة الدجيلة[٣٣٥].

إذن كان وضع الريف العراقي حتى عام ١٩٥٢ ضاغطاً لجهة انتشار حالات الظلم والتعدي من الملاكين، بينما كانت خدمات الدولة الصحية والتعليمية وغيرها لا تزال بالغة

---

[٣٣١] المرجع نفسه، ص ٦٩-٧٠ .

[٣٣٢] المرجع نفسه ، ص ٧٣-٧٤.

[٣٣٣] المرجع السابق نفسه، ص ٨١.

[334] Batatu, Hanna. *The old social and the revolution movement of Iraq*. A study of Iraq's old landed and commercial classes and of its communists. Ba'thists and free officers (prince-ton, n.J: Princeton university press, 1978) P.P. 56 and 62.

[٣٣٥] البراوي،**اقتصاديات العالم العربي** ، ص ٦٧

التخلف. وبالرغم من كل المناشدات لإصلاح الريف والحد من الهجرة إلى المدينة، كان رد فعل السلطات العراقية على لسان نوري السعيد بقوله: إن الملكيات الكبيرة لا بد أن تتفتت بعد موت الملاكين وتوزيع تركاتهم[٣٣٦]. وعلى الرغم من إسهامات الدولة العراقية في مجالات التمدين منذ العام ١٩٥٢ ولغاية ١٩٥٨، من توزيع أراضي وبناء مدن عملت على التمييز الطائفي والاضطهاد السياسي والاقتصادي من أجل إبعاد الشيعة عن مركز القرار، واستمر هذا التمييز في عهد عبد الكريم قاسم، إذ أنه بالرغم من تدخله الشخصي وتوجيهاته حول لا طائفية القبول في الجيش، بقيت أبواب الكلية العسكرية موصدة في وجه الشباب الشيعي[٣٣٧]. وبقي الإثراء السياسي للضباط من فئات الشعب العراقي الأخرى واضحاً[٣٣٨]. ومنذ عام ١٩٤٨ توثقت صلة العراق بالغرب سياسياً ونفطياً. وتعمقت الفوارق الطبقية واتسعت الطبقة الوسطى والعمالية بشكل ملحوظ، وبسبب التعليم والمدارس والكليات برز الطلبة المتعلمون كقوة متعطشة للتغيير والتحديث والمشاركة فيما يجري عربياً ودولياً[٣٣٩].

بيد أن ثورة تموز ١٩٥٨ تركت آثاراً سلبية على التعليم، إذ برغم توسع جامعة بغداد، تراجع أداؤها في مقابل تعاظم خضوعها للسلطة، وتقلصت البعثات إلى أوروبا بعد أن توجهت إلى الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية، فالجهد الأكاديمي بدأ يتردى بفعل التهديد والغوغائية التي سيطرت على الجامعة، ولم يعد المقياس نابعاً من الكفاءة العلمية للمدرس، بل درجة الولاء للحزب الشيوعي العراقي والرئيس عبد الكريم قاسم[٣٤٠].

بادرت ثورة تموز في العراق ١٩٥٨ إلى إعادة تنظيم بنية المجتمع، لاسيما وأن الأصول الطبقية لأعضاء قيادة الثورة كانت تتراوح بين الفئات الفقيرة والمتوسطة، ومطالبة العديد من الأحزاب الجديدة، من اشتراكية وشيوعية، بضرب الفئات الاقتصادية الاجتماعية التي قام عليها النظام السابق. ولذلك أعلن النظام الجديد في العراق بعد نجاح الثورة بعشرة أسابيع، بدء العمل بنظام جديد للإصلاح الزراعي تضمن حصر الملكية الفردية بما أقصاه ألف دونم يرويها المطر وألف دونم مروية اصطناعياً، طال هذا القانون ٢٨٠٣ من الملاكين الكبار لقاء تعويضات، وأدخلت سياسات اجتماعية لمصلحة الشرائح الفقيرة، فخفضت إيجارات الشقق

---

[٣٣٦] الفكيكي، هاني. **أوكار الهزيمة، تجربتي في حزب البعث العراقي**، رياض الريس للكتاب والنشر، لندن، قبرص، ١٩٦٣، ص ٥٦

[٣٣٧] الفكيكي، مرجع سابق، ص٢٤، و ١٠٦

[٣٣٨] Pool, David. From elite to class: *The transformation of Iraq Leadership.1920-1939* Intermation Journal of Middle East studies, vol. 12 1980, p.p. 331-350

[٣٣٩] الفكيكي. مرجع سابق، ص ٥١.

[٣٤٠] الفكيكي، مرجع سابق ، ص ١٢٥.

ظظظظظ

والمحلات التجارية، وأسعار الخبز، وخفضت ساعات العمل، وأرغمت المصانع الكبرى على بناء مساكن لعمالها، وأنشئ نظام حماية اجتماعية للمرض والبطالة، وارتفعت أجور العمال ٥٢ في المائة، في أقل من عام كما أُنشئت مدينة الثورة التي ضمت عشرة آلاف مسكن شعبي[٣٤١].

بيد أن الإصلاح الزراعي شابه أخطاء كثيرة. كقطع المياه عن الأراضي المزروعة التي شملها قرار الاستملاك، فهبط الإنتاج الزراعي، وزادت نسبة الملوحة في مئات الألوف من الدونمات، وانغمرت بالطمي جداول إروائية عديدة وتعاظم دور المرابين الممولين من أبناء المدن، الأمر الذي أرهق الفلاح، فترك الأرض مهاجراً إلى المدينة، فشكلت هجرة الفلاحين إلى المدينة مشكلة البطالة في المدن وكثرة المتسولين، وكان من نتائج الوضع الاقتصادي بعد ثورة ١٩٥٨ مغادرة الكثيرين إلى بريطانيا و الولايات المتحدة ولبنان ودول الخليج دون التفكير بالعودة إلى العراق، وخرجت من العراق رساميل ضخمة لم تطمئن لنظام الثورة[٣٤٢].

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ كان على عرش العراق الوصي عبد الإله، وكان العراق قد فقد دوره القيادي للقومية العربية منذ ١٩٤١ على أثر ثورة رشيد عالي الكيلاني، وهو مثقل بمقتضيات المعاهدة التي وقعها مع بريطانيا عام ١٩٣٠، والتي بموجبها ألغي الانتداب البريطاني على العراق رسمياً، ولكن الاستقلال بقي شكلياً، إذ أن المعاهدة تضمنت حق بريطانيا بالمشاورة بالسياسة الخارجية للعراق، وحقها في استخدام السكك الحديدية والمطارات والموانئ والأنهار، وحقها في الدفاع عن العراق، محتفظة بقواعد عسكرية مهمة في الحبّانية والشعبية، وحصر حق العراق باستدعاء المستشارين الأجانب والبعثات العسكرية من بريطانيا وحدها[٣٤٣].

في ٢٣ شباط ١٩٤٦ شكل توفيق السويدي أول وزارة بعد الحرب، فألغت حكومته الأحكام العرفية ورفعت الرقابة عن الصحف، وشكلت لجنة لإعادة النظر في معاهدة ١٩٣٠، وفي الأشهر التالية سمحت بالنشاط للأحزاب، وزادت عدد النواب من ١١٥ إلى ١٣٥ نائباً[٣٤٤].

تعاظم نشاط الشعب العراقي عبر أحزابه السياسية، وكان أبرزها "الحزب الوطني الديمقراطي" و"حزب الأحرار" و"حزب الاستقلال" و"حزب الشعب"، وحزب "الوحدة الوطنية" التي

---

[٣٤١] سلامة، مرجع سابق، ص ١٨٨

[٣٤٢] الفكيكي، مرجع سابق، ص ١٢٣ و ١٣١.

[٣٤٣] راجع نص المعاهدة البريطانية – العراقية، في : عطية الله، أحمد. **القاموس السياسي**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨. ص ٧٩٣.

[٣٤٤] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٣١١.

أجمعت على ضرورة إعادة النظر بمعاهدة ١٩٣٠ المفترض انتهاء مفعولها عام ١٩٥٥ وطالبت بجلاء القوات البريطانية عن أرض العراق.

وفي الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٨ وقعت معاهدة بريطانية–عراقية عرفت بمعاهدة "بورتسموت" تضمنت المزيد من تبعية العراق لبريطانيا، وما إن بلغ الشعب العراقي أخبارها الجائرة، حتى هب رافضاً المعاهدة مما أدى إلى اشتباك مع الشرطة والجيش في معظم مدن العراق واستمرت أشكال النضال إلى أن تخلت الحكومة العراقية عن المعاهدة الجديدة[٣٤٥].

و بعدما اتخذت الحكومة العراقية قرارها المشاركة بالحرب العربية– "الإسرائيلية" عام ١٩٤٨، أعلن رئيس الوزراء نوري السعيد الذي تسلم السلطة في ١٩٤٩/١/٦، عزم حكومته على "تطهير" العراق من الشيوعية، فقام بحملة واسعة ضد الشيوعيين، ونفذ حكم الإعدام بثلاثة من قادة الحزب الشيوعي[٣٤٦].

وفي مستهل الخمسينات اكتسبت الحركة الوطنية والقومية في العراق سمات نوعية جديدة، فقد تشكلت أحزاب وطنية وقومية جديدة أبرزها حزب البعث العربي الاشتراكي وحزب الجبهة الشعبية، واتحاد الشبيبة الديمقراطي، وفي المقابل برزت أحزاب جديدة تابعة للسلطة العراقية أبرزها حزب الاتحاد الدستوري، و حزب الأمة الاشتراكي[٣٤٧].

في النصف الأول من الخمسينات من القرن العشرين كانت الحكومات العراقية المتعاقبة تتبادل الأدوار. فإذا ما جاء رئيس الحكومة بإلغاء الأحكام العرفية تعقبه حكومة أخرى تلاحق القادة الوطنيين وتزجهم في السجون، فواحدة تشيع الديمقراطية لكشف الرموز الوطنية والقومية وأخرى تلاحق الوطنيين وتزجهم في السجون .

في ١٢ أيلول ١٩٥٤، جرت انتخابات نيابية جديدة، بإشراف حكومة نوري السعيد، فاز بالتزوير أكثر من ٩٠٪ من أعوان رئيس الحكومة الذي اتبعها بحملة واسعة من الإرهاب والتنكيل بالقوى الوطنية والقومية تمهيداً لدخول العراق في معاهدة التعاون التركية–العراقية ٢٤ شباط ١٩٥٥ التي جاءت أساساً لحلف بغداد[٣٤٨] الذي انضمت إليه بريطانيا فيما بعد.

---

[٣٤٥] قدورة، **تاريخ العرب الحديث**، ص ١٤٩.

[٣٤٦] اعدم شنقاً في ١٤ شباط ١٩٤٩ كل من فهد الشبيبي، وحسين الشبيبي، وزكي محمد بسيم.

[٣٤٧] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٣١٦.

[٣٤٨] قدورة. **تاريخ العرب الحديث**، ص ١٥١.

على أثر العدوان الثلاثي على مصر هب الشعب العراقي مطالباً الحكومة بالوقوف إلى جانب مصر، فاضطر نوري السعيد إلى الإعلان عن عزم حكومته على تقديم العون لمصر وقطع العلاقات مع فرنسا، وتجميد مساهمات العراق في مجلس حلف بغداد[٣٤٩].

وفي حقيقة الأمر أبقت الحكومة على علاقاتها السرية بالجبهة المعادية، وقاومت بشراسة المظاهرات الشعبية، التي استمرت لأسابيع، تمكنت السلطة بنتيجتها من قمع الانتفاضة الشعبية بقوة السلاح والإرهاب[٣٥٠].

على أثر قمع القوى الشعبية اقتنعت هذه القوى بضرورة توحيد جهودها في النضال ضد القوى الامبريالية وعملائها، فتشكلت جبهة الاتحاد الوطني ١٩٥٧ بعد مفاوضات جرت بين ممثلي حزب البعث العربي الاشتراكي، وجبهة الاتحاد الوطني وحزب الاستقلال وأذاعت ميثاقها بتاريخ ٩ آذار الذي أكد ضرورة إزاحة "الزمرة" الملكية الإقطاعية عن السلطة، وحل المجلس النيابي المزور، وخروج العراق من حلف بغداد، والتمسك بالحياد الإيجابي، وإشاعة الحرية والديمقراطية، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، وإعادة الحقوق المدنية[٣٥١].

ومن جانب آخر تشكلت منظمة "الضباط القوميين" في أيار ١٩٥٦ داخل صفوف الجيش العراقي.

ثانياً: دراسة اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام (١٩٤٥- ١٩٥٨)

من بين الاتجاهات القومية التي برزت قبل الحرب العالمية الأولى، كان الاتجاه الإقليمي هو الأبرز، ولكن بعد تشكيل الجامعة العربية تقدم التيار القومي العربي على جميع التيرات الأخرى.

١- دراسة اتجاهات الفكر القومي في سورية ١٩٤٥-١٩٥٨.

عرفت سورية الاتجاهات القومية بشقيها العربية والاقليمية، ولم يسجل في تاريخها الحديث وجود حركات عنصرية أثنية، بل شهدت وجود حركات شيوعية وأخرى دينية.ليست موضوع بحثنا.

أ- الاتجاه القومي العربي.

---

[٣٤٩] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٣٢٤.

[٣٥٠] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٣٢٤.

[٣٥١] لورنس. مرجع سابق، ص ١٨٦.

يعود إنشاء حركة البعث العربي إلى عام ١٩٣٩، مع أن استخدام تسمية "البعث العربي"، بدأ العمل بها في العام ١٩٤٣ [٣٥٢]. فيما يؤكد آخر بأن الحزب بدأ باسم حزب البعث العربي في شتاء ١٩٤٠ [٣٥٣]. ولعل هذا التباين يعود إلى أن حزب البعث العربي الذي يؤرخ تأسيسه في نيسان ١٩٤٧، تأسس بفعل نواتين سياسيتين هما مجموعة زكي الأرسوزي[٣٥٤] ومجموعة ميسشيل عفلق[٣٥٥] و صلاح الدين البيطار[٣٥٦] .

تألفت **مجموعة زكي الأرسوزي** من المثقفين في لواء الإسكندرون الذين نزحوا عن اللواء إثر تسليمها إلى تركيا من قبل السلطات الفرنسية عام ١٩٣٩، وجاء ذلك بعد انسحاب الأرسوزي من عصبة العمل القومي وعزمه على إنشاء حزب جديد، فعقد اجتماعات عديدة "انتهت كلها أخيراً إلى الفشل، أهمها اجتماع عقده الأساتذة: ميشيل قوزما، زكي الأرسوزي، مبشيل عفلق، صلاح الدين البيطار، شاكر العاص، أليس قندلفت... استقر الرأي فيه على إنشاء منظمة

---

[٣٥٢] العيسمي، شبلي. **حزب البعث العربي الاشتراكي، مرحلة الأربعينات التأسيسية،١٩٤٠-١٩٤٥**، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٧٥ ص ٨٦.

[٣٥٣] العيسى، سليمان. البدايات ، في: مجلة **المعرفة** ، دمشق، العدد ١١٣ تموز ١٩٧١ ص ٣١-٣٦ ، أيضاً الجندي، سامي. **البعث**، دار النهار، بيروت، ١٩٦٩ ، ص ٣٠

[٣٥٤] **زكي الأرسوزي**(١٩٠٠-١٩٦٨) ولد في اللاذقية ثم انتقلت عائلته إلى لواء الاسكندرون، تلقى علومه الابتدائية والثانوية في قونية ، التحق بجامعة السوربون حيث درس الفلسفة ، انتسب إلى عصبة العمل القومي ثم تركها لينادي بالانبعاث العربي، وقد عنى الأرسوزي بدراسة عدد من المفكرين الفرنسيين والألمان، مثل برغسون ونيتشه وديكارت وكانط، وبشكل خاص فكر فيخته الذي شدد على أهمية اللغة في الوحدة القومية. كرمته سورية وأقامت له تمثالاً في ساحة المدفع في حي أبو رمانة، ونشرت مطابع الادارة السياسية للجيش وقواته المسلحة الجيش مؤلفاته الكاملة في ستة مجلدات. (راجع: الخوند، مسعود. **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج١٠، مؤسسة هانياد، لات. بيروت، ص ٢١٢-٢١٣ .

[٣٥٥] **ميشيل عفلق**(١٩١٠-١٩٨٩) ولد في دمشق وتلقى علومه الابتدائية والثانوية فيها، حصل عام ١٩٢٨ على منحة للدراسة في السوربون حيث درس التاريخ ، بقي في فرنسا حتى عودته إلى دمشق عام ١٩٣٤ حيث مارس مهنة التعليم حتى استقالته منها عام ١٩٤٢، ليكرس حياته لتأسيس حزب البعث العربي، له مؤلفات عديدة، توفي في باريس ٢٤ حزيران ١٩٨٩، وقد تضمن نبأ وفاته نبأ اعتناقه الاسلام، ودفن في بغداد بحسب مراسم الدفن الإسلامية. (راجع: الخوند. المرجع نفسه .ص ٢٣٥ – ٢٣٨ .

[٣٥٦] **صلاح الدين البيطار** (١٩١٢—١٩٨٠) ولد في دمشق، تلقى علومه الابتدائية والثانوية في دمشق، وأكمل دراسته الجامعية في الفيزياء بجامعة السوربون في فرنسا، التقى ميشيل عفلق وعمل معه في تأسيس حزب البعث، تولى وزارة الخارجية عام ١٩٥٨، ثم رئاسة الوزارة بعد وصول حزب البعث إلى السلطة، حكم عليه بالإعدام بعد انقلاب اللجنة العسكرية عام ١٩٦٦، عفا عنه الرئيس حافظ الأسد وعاد إلى دمشق، ولكنه ما لبث أن غادرها إلى باريس ليعمل على معارضة حكم الرئيس الأسد من باريس حيث اغتيل فيها في ٢١ تموز ١٩٨٠ ودفن في بغداد. (الخوند، المرجع نفسه، ص٢٢٠)

سرعان ما انتهت بعد الاجتماع الأول"[٣٥٧]. وبعد ذلك سمع بقيام حزب جديد اسمه "الحزب القومي العربي " بزعامة زكي الأرسوزي[٣٥٨]. تناولت مبادئه الأفكار التالية:

١-العرب أمة واحدة. يقول الجندي" لم يقل أمة عربية واحدة، ذلك أنه عرقي يؤمن بالأصالة والنبل، ارستقراطي النزعة والفكر، العرب عنده قوم، النزعة فيهم إنسانية، أما الأمة فمزيج تضيع فيه ملامح الإنسان التي تسمو على قدر ما تصفو الأعراق" [٣٥٩].

٢- للعرب زعيم واحدٌ يتجلى في إمكانيات الأمة العربية يمثلها ويعبر عنها أصدق تعبير. ويعلق الجندي على هذا المبدأ بقوله: إن الأرسوزي يعطي الزعامة معنى صوفياً متأثراً بنشأته في منطقة لواء الاسكندرون[٣٦٠]. إذ يعرّف الأرسوزي الزعيم بأنه" ... من الجمهور كالأم من بنيها. فكما تسمع الأم وهي في أعماق نومها استغاثة فلذة كبدها بجوارحها، فكذلك الزعيم يتعاطف مع الجمهور فتستجيب نفسه لأماني أمته فيصبح للآخرين بشيراً وهداية[٣٦١]. يتجه الباحث إلى قراءة مفهوم الزعامة عند الأرسوزي على النحو الذي قدمه المفكرون العرب إبان الخلاف مع الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر الذين طالبوا بحصر الخلافة الإسلامية بالعرب، لولا قول الجندي " كنا عرقيين معجبين بالنازية، نقرأ كتبها ومنابع فكرها...وكنا أول من فكر بترجمة (كفاحي) ويبدو أن هذا الحزب لم يعش طويلاً ،إذ أنه في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٠ تأسس حزب من ستة أشخاص بزعامة الأرسوزي باسم حزب البعث العربي، وقد تبنى هذا الحزب المبادئ ذاتها وفي عام ١٩٤٤ ترك الأرسوزي العمل السياسي وانتهى حزبه. "[٣٦٢] بعد اندماج أتباعه عام ١٩٤٦ مع مجموعة عفلق والبيطار.[٣٦٣]

٣-العروبة وجداننا القومي، مصدر المقدسات، عنه تنبثق المثل العليا وبالنسبة إليه تقدر الأشياء.

---

[٣٥٧]() اعتبر فايز إسماعيل أن هذا الاجتماع كان لقاء مجاملة إذ أن عفلق كان" يتهيب الأرسوزي ويتحاشى اللقاء معه ويخشى لسانه، لأنه كان يسمع تعليقاته عليه، والأرسوزي... كثير الشك بالناس سريع الثورة عليهم بل سريع الاتهام بأقرب الناس إليه، وهذا سر انفراط عقده، وبعده عن الكثير من إخوانه." إسماعيل، فايز. **البدايات**، حزب البعث العربي الاشتراكي، القيادة القومية، مكتب الدعاية والنشر، دمشق، ١٩٨٠ ، ص ٢٦

[٣٥٨] الجندي، **البعث** ، مرجع سابق ص٢١ .

[٣٥٩] المرجع السابق، ص٢٢

[٣٦٠] المرجع نفسه، ص٢٣

[٣٦١] الأرسوزي، زكي. **صوت العروبة في لواء الإسكندرون**، في: المجلد الثالث من المؤلفات الكاملة، مطابع الإدارة السياسية للجيش، دمشق، ١٩٧٣ص ٢٦١

[٣٦٢] الجندي، مرجع سابق، ص٢٢-٢٤-٢٧-٣٥ كفاحي كتاب الفه هتلر.

[٣٦٣] المرجع السابق، ٢٢-٣٥

٤- العربي سيد القدر[٣٦٤].

وثمة رواية أخرى مفادها: أن الأرسوزي دعا أواخر عام ١٩٤٠ عدداً من رفاقه القدامى وتلامذته الجدد وأعلن تأسيس حزب باسم "حزب البعث"تضمن دستوره ما يلي:

١- العرب أمة واحدة.

٢- الوطن العربي وطن واحد.

٣- الديمقراطية هي النظام الأمثل.

٤- العروبة (وجداننا القومي) مصدر القيم والمؤسسات.

٥- الزعامة العربية زعامة واحدة(زعيم عربي واحد).

٦- العربي سيد القدر.

رمز الحزب نمر متوثب نحو الفجر، ويؤكد الغانم أن حزب الأرسوزي ظل مظهراً بارزاً من مظاهر الكفاح السياسي التقدمي في دمشق حتى أوائل ١٩٤٧[٣٦٥].

أما **مجموعة ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار** فقد تشكلت من المثقفين، لاسيما الطلاب الثانويين والجامعيين الذين التفوا حول الأستاذين التقدميين القادمين حديثاً من فرنسا، وعلى الرغم من إشارة الكاتب غوردن هـ. توري إلى عضوية ميشيل عفلق إلى الحزب الشيوعي السوري[٣٦٦]، فقد افتقرت إلى السند الصحيح والدليل الواضح، على الرغم من تأثره بأندريه جيد، وعمله مع الشيوعيين في تحرير مجلة "الطليعة" قبل الحرب العالمية الثانية[٣٦٧].

بيد أن جلال السيد يقول: "... كان بعض قادة الحزب شيوعيين، وكان انحياز روسيا إلى معسكر الحلفاء باعثاً في نفوس هؤلاء القادة نقداً وتذمراً وعزوفاً عن الشيوعية. فانحسروا وقصروا خطوطهم وضيقوا رقعتهم الأممية، والمرحلة التي تلي هذه الرقعة ليست الإقليم وإنما هي الأمة، لاسيما وأن الأمة من مخطوطات النازية ومعبودها، فقد كان للحركة النازية التي برزت قوتها وصلابتها أثّر في نفوس قادة البعث، و شجعتهم على المضي في اعتناق مبادئ البعث"[٣٦٨].

---

[٣٦٤] الجندي، مرجع سابق، ص ٢٢-٣٥.

[٣٦٥] الغانم، وهيب. **الجذور الواقعية والفكرية لمبادئ البعث العربي** ، دمشق- اللاذقية، ١٩٩٤، ص ٤١-٤٣.

[٣٦٦] توري، غوردن هـ. **السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥-١٩٥٨**، ترجمة محمود فلاحة ن دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٩ ص ١٢٨ حاشية.

[٣٦٧] الزغبي، محمد. موقف حزب البعث العربي الاشتراكي (القطر السوري) من مسألة الصراع الطبقي، دراسة غير منشورة ١٩٧٣ ، ص٧٦-٦٢. في : ياسين ، بوعلي. وآخرون، **الأحزاب والحركات القومية العربية**، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية ، د.ت.د.م، ص ٢١٥.

[٣٦٨] السيد، جلال . **حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزقها**، دار اليقظة العربية، ط٢ ،بيروت، ، ١٩٧٣، ص .٣٧٩

أصدرت مجموعة عفلق والبيطار، في بداية عام ١٩٤١، بياناً موقعاً باسم "الإحياء العربي" وفي نهاية العام تحركت باسم "الحزب العربي القومي" وشكلت في نفس العام بمناسبة ثورة رشيد عالي الكيلاني "حركة نصرة العراق"[٣٦٩].

إن التشابه بالمبادئ لدى كل من حركة البعث العربي(مجموعة الأرسوزي) وحركة الإحياء العربي(مجموعة عفلق والبيطار) دفعهما إلى محاولة فاشلة عام ١٩٤٢-١٩٤٣ لتوحيد حركتيهما. فقلب ميشيل عفلق اسم حركة الإحياء إلى حزب البعث في عام ١٩٤٣دون أن يغير في صفحات الإحياء شيئاً من ناحية المضمون، فأصبح بذلك حزبان قوميان باسم واحد، ولكن بدستورين تنظيميين مختلفين، وبقيادتين متناقضتين كلياً[٣٧٠]. وبعد أن ترك الأرسوزي العمل السياسي عام ١٩٤٤، التف تلامذته حول وهيب الغانم مع مجموعة عفلق.

بعد لقاءات تخللها مناقشات بين مجموعتي عفلق والأرسوزي، بدءاً من صيف ١٩٤٦، عقد في ٤ نيسان ١٩٤٧ المؤتمر التأسيسي لحزب البعث العربي، حيث وضع الدستور.

كانت أبرز النقاط التي دار النقاش طويلاً حولها في المؤتمر "الاشتراكية"، فتوصل المؤتمرون إلى ذكرها في المبادئ العامة للدستور دون المبادئ الأساسية، واسم الحزب. وجرى التركيز عليها في سياسة الحزب الاقتصادية " فجاءت السياسة الاقتصادية اشتراكية وسطية تجمع بين حق التملك والإرث للأفراد، وملكية وسائل الإنتاج الرئيسة، وتحديد الملكية الزراعية والصناعية، واشتراك العمال في إدارة المعامل وأرباحها، وإشراف الدولة على التجارة الداخلية و الخارجية[٣٧١].

واحتدم النقاش حول مفهوم القومية بين نظريتين، الأولى ترتكز على نظرة شوفينية، والثانية ترتكز على نظرة إنسانية، فأقرّ المؤتمر النظرية الثانية، ليأتي المفهوم أقل غلواً عن الفترة التي رافقت سنوات المخاض، تقول أدبيات حزب البعث "ولربما كان هناك غلو في النظرة القومية في الدستور، هذا مع العلم أن المؤتمر الأول قد عمل على تخفيف الكثير من الغلو القومي الذي رافق السنوات الأولى لنشأة الحزب، والذي لم يكن بعيداً كلياً عن التأثر بالجو الفكري والعاطفي الذي أثارته النازية في البلاد العربية، والذي اختلطت فيه النظرة القومية التقليدية القائمة عن الاعتداد بالماضي والأمجاد والنسب ... بنتف الأفكار الشائعة عن العنصرية والنظرة البيولوجية، كل هذا مضافاً إلى المطالب الوطنية الاستقلالية ضد الاستعمار الأجنبي" [٣٧٢].

---

[٣٦٩] العيسمي، مرجع سابق، ص ٩١

[٣٧٠] الغانم. مرجع سابق. ص ٥٣.

[٣٧١] **المناضل**، العدد السابع ، تموز ١٩٦٦، ص٣

[٣٧٢] **نضال البعث**، الجزء الأول، ١٩٤٣-١٩٤٩، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٦٩.

وتركز النقاش حول نظام الحكم، أهو ملكي أم جمهوري، فتوصل المؤتمرون إلى عدم ذكر شكل الحكم ملكياً أو جمهورياً واكتفي بما جاء في المادة الأولى التي نصت على أن "نظام الحكم في الدولة العربية هو نظام نيابي دستوري ، والسلطة التنفيذية مسؤولة أمام السلطة التشريعية، التي ينتخبها الشعب مباشرة، وقد رمى المؤتمر إلى عدم خلق عراقيل في وجه أي وحدة عربية بسب اختلاف أنظمة الحكم في الأقطار العربية[٣٧٣].

في المؤتمر التأسيسي حيث تبلورت عقيدة البعث العربي بالاشتراكي التي أخرجت الفكرة العربية من التجريد ووضعتها في إطارها الحي ولذلك كانت تسمية الحزب بالبعث العربي لا البعث القومي، وبذلك ضمنت للفكرة العربية إمكانية التطور والتجدد إلى ما لا نهاية، بحيث لا تكون مقراً لتباين النظريات، وتناقض الاتجاهات وكل ما هو مصطنع مستعار.

الشخصية العربية أساس البعث العربي، والإيمان برسالة العرب هو الدافع العميق لكل بعث. أما التعبير الاجتماعي لهذا الاتجاه يكمن في التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع، والاشتراكية العربية المستمدة من روح الأمة العربية وحاجاتها العميقة وأخلاقها الأصلية فهي التعبير الاقتصادي، أما التعبير السياسي، فقادة الشعب العربي هم الذين تتمثل فيهم عبقريته وفضائله، ويخرجون من صفوفه، إلاّ من الطبقة المستغِلة التي طغت عليها المصلحة الشخصية، والتعبير العلمي يتم بتحقيق انقلاب شامل للحياة العربية الحديثة في الروح والفكر والخلق والأوضاع الاجتماعية، مع التأكيد على تلازم الغاية والوسيلة[٣٧٤].

وقد وضعت المبادئ الأساسية لحزب البعث في دستوره ١٧ حزيران ١٩٤٧ على الشكل التالي:

<u>المبدأ الأول</u>: وحدة الأمة العربية وحريتها:

العرب أمة واحدة حقها الطبيعي أن تحيا في دولة واحدة وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها، ولهذا فإن حزب البعث العربي يعتبر:

-الوطن العربي وحدة سياسية لا تتجزأ ولا يمكن لأي قطر من الأقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلاً عن الآخر.

-الأمة العربية وحدة روحية ثقافية، وجميع الفوارق القائمة بين أبنائه عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي.

-الوطن العربي للعرب، ولهم وحدهم حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه قدراته.

---

[٣٧٣] الجندي، سامي. مرجع سابق، ص ٥٩

[٣٧٤] صدقني، جورج، **صفحات من تاريخ الحزب**، المناضل، العدد ٢٥٦، أيلول-تشرين الأول ١٩٩٢، ص ٢٠.

المبدأ الثاني: شخصية الأمة العربية:

الأمة العربية تختص بمزايا متجلية في نهضاتها المتعاقبة وتتسم بالحيوية والإبداع، وقابلية التجدد والانبعاث، ويتناسب انبعاثها دوماً مع نمو حرية الفرد، ومدى الانسجام بين تطوره وبين المصلحة القومية، ولهذا فإن حزب البعث العربي يعتبر:

– حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لأية سلطة أن تنتقصها.

– قيمة المواطنين تقدر –بعد منحهم فرصاً متكافئة– بحسب العمل الذي يقومون به في سبيل تقدم الأمة العربية وازدهارها، دون النظر إلى أي اعتبار آخر.

المبدأ الثالث: رسالة الأمة العربية:

الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر أشكالاً متجددة متكاملة في مراحل التاريخ، وترمي إلى تجديد القيم الإنسانية، وحفز التقدم البشري، وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم.

ولهذا فإن حزب البعث العربي يعتبر:

الاستعمار وكل ما يمت إليه عملاً إجرامياً، يكافحه العرب بجميع الوسائل الممكنة، وهم يسعون ضمن إمكانياتهم المادية والمعنوية إلى مساعدة جميع الشعوب المناضلة في سبيل حريتها.

الإنسانية مجموع متضامن في مصلحته، مشترك في قيمه وحضارته، فالعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها، ويمدون يد الإخاء إلى الأمم الأخرى، ويتعاونون معها على إيجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام والسمو في الخلق والروح"[٣٧٥].

خلال عام ١٩٥٢ اندمج حزبا البعث العربي الذي يمثله ميشيل عفلق، والعربي الاشتراكي الذي يمثله أكرم الحوراني في حزب واحد، بدافعين اثنين: أولهما، ضغط داخلي، إذ رأى بعض قادة حزب البعث أن بنية الحزب تعتمد على المثقفين والمفكرين، فيما بنية الحزب الاشتراكي مكونة من جماهير الفلاحين، وهذا ما يمكّن حزب البعث المثقف من تولي تنظيم هذه الجماهير، وقد قوي هذا الاتجاه بتأثير ظروف النضال الصعب ضد الشيشكلي ودكتاتوريته العسكرية التي قضت بتوحيد القوى الديمقراطية والتقدمية. والدافع الثاني، ضغط خارجي وعسكري إذ قرر العقيد الشيشكلي حكم سورية حكماً مطلقاً، والتقى عدداً من الضباط البعثيين والاشتراكيين...وراودتهم فكرة تحضير انقلاب عسكري مضاد. ولتحقيق هذا الغرض، وحتى يُدعم عملهم بتنظيم سياسي وشعبي، مارس هؤلاء الضباط ضغطاً قوياً جداً باتجاه دمج حزب البعث بالحزب العربي الاشتراكي[٣٧٦].

---

[٣٧٥] راجع: النص الكامل لدستور البعث، في: العيسمي، مرجع سابق، ص ١١٥–١٣٦.

[٣٧٦] دندشلي، مرجع سابق، ص ١٦٠.

باندماج الحزبين أصبح اسم الحزب الجديد "حزب البعث العربي الاشتراكي" وبقي دستور البعث هو المعتمد دون أي تعديل، وانضم الحوراني إلى القيادة العليا في الحزب، فيما كان على أعضاء الحزب العربي الاشتراكي أن يلتحقوا بطلبات إفرادية[٣٧٧]، وهذا ما تنطبق عليه عملية إلحاق حزب الاشتراكي العربي بحزب البعث ولا تنطبق على هذه العملية عبارة الدمج إلاّ باسم الحزب[٣٧٨].

يمكن القول أن دستور البعث الذي جاء متأثرا بفكر زكي الارسوزي وميشيل عفلق وتوجيه وهيب الغانم، إلى جانب كتابات ميشيل عفلق فيما بعد، تشكل المصدر الأساسي لفكر حزب البعث العربي الاشتراكي، وعندما نتكلم عن العفلقية، لا نقصد كتابات الشخص بالذات، بل كل الإنتاج الفكري الذي استمر منذ وضع الدستور عام ١٩٤٧ ولغاية المؤتمر السادس عام ١٩٦٣ عندما حل التقرير العقائدي المعنون "بعض المنطلقات النظرية" محل العفلقية دون أن يلغيه

يصف وهيب الغانم إنتاج ميشيل عفلق الفكري بالضبابية، فيقول "وعلى الرغم من أنني عدت إلى قراءة ما كتب وحتى إنتاجه الأدبي، فإن الغموض لم يتبدد" [٣٧٩] إذ ثمة أشياء من التناقض والتشويش الفكري، خاصة فيما يتعلق بالفكرة المحورية: القومية. فهو يتجنب تعريفها، لأنها فكرة. يقول عفلق لمن يطالبونه بالتعريف "الحب أولاً والتعريف يأتي بعده "الإيمان يجب أن يسبق كل معرفة ويهزأ بأي تعريف، بل إنه هو الذي يبعث على المعرفة ويضيء طريقها"[٣٨٠]. كان هذا في العام ١٩٤٠.

ويظهر الاضطراب مجدداً في فكر عفلق عندما يعتبر الأمة فكرة وليست واقعاً اجتماعياً ملموساً "الأمة ليست مجموعاً عددياً بل فكرة تتجسد في هذا المجموع كله أو بعضه، والأمم لا تنقرض بتناقص عدد أفرادها، بل بنقص الفكرة من بينهم. و ليس المجموع العددي مقدساً في حد ذاته باعتباره عدداً بل باعتباره مجسداً لفكرة الأمة أو قابلاً لأن يجسدها في المستقبل، لأن الفكرة موجودة في حالة البذور في كل فرد من أفراد الأمة" [٣٨١].. هذا الكلام يدل على اتجاه عاطفي

---

[٣٧٧] حمدان، حمدان. **أكرم الحوراني رجل التاريخ**، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٢٦

[٣٧٨] رأى المؤتمر القومي الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي نيسان ١٩٦٥ في عملية الدمج:" لقد تبين فيما بعد خطأ الدمج، إلاّ أن الحزب قد تورط في تلك العملية التي لم تؤد ، كما كان يعتقد البعض، إلى تقوية الحزب ، إلا من الناحية النظرية العددية، وإنما أدت إلى إضعاف الحزب حيث تسربت إليه العناصر الانتهازية والوصولية. (راجع القيادة القومية : **التقارير المقدمة إلى المؤتمر القومي الثامن** ، وثائق رقم ٣، دمشق آذار ١٩٦٧، والتقرير التنظيمي، ص ٢٥١-٢٥٢)

[٣٧٩] الغانم، وهيب. مرجع سابق، ص ٥٤٠.

[٣٨٠] عفلق، ميشيل. **في سبيل البعث**، دار الطليعة، ط٣، بيروت، ١٩٦٣، ص ٤١ . ٤٦

[٣٨١] المصدر نفسه، ص ٧٤

"رومانسي" بعيد كل البعد عن علم الاجتماع– السياسي. أما بحثه المجتمع الإنساني وتطوره من المجتمع البدائي حتى مرحلة الثقافة العمرانية التي طالما تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته، و قد جاراه فيها علماء الاجتماع.

فكرة القومية عند عفلق "بديهية خالدة وهي قدر محبب لأنها حب قبل كل شيء" [٣٨٢] وعندما يوضحها يقول: في حين "إن نظرية القومية العربية تحتاج إلى خلق وتكوين، لا تحتاج فكرتها إلاّ إلى البعث" [٣٨٣]. فالفكرة القومية عنده ليست نتاجاً لتطور المجتمع الإنساني، إنما تكون في حالة كمون لفترة زمنية طويلة، وهي تستفيق من سباتها العميق في حالات الضرورة.

والفكرة القومية عند عفلق تتجلى برسالة خالدة، ولكن هذه الرسالة ليست بمضمون واحد، إنما يختلف مضمونها من ظرف إلى آخر حسب ظروف الأمة، وبالنظرية القومية تتحقق الرسالة "أما النظرية القومية فهي التعبير المتطور عن هذه الفكرة الخالدة حسب الزمان والظروف، وإن هذه النظرية تتمثل اليوم –حسب اعتقادنا– في الحرية والاشتراكية والوحدة، وبهذا التفريق تتسع القومية العربية لكل هذا الواقع الغني الممتد عبر عصور التاريخ في جميع أقطارنا"[٣٨٤]. وقد تمثلت رسالة الأمة العربية الخالدة في الماضي بالإسلام الذي كان حركة عربية، وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها "إن العرب ينفردون دون سائر الأمم بهذه الخاصية: إن يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية"[٣٨٥] ولكن الدين الإسلامي كان رسالة إنسانية عامة، فيما الرسالة الجديدة المتمثلة بالوحدة والحرية والاشتراكية هي دعوة قومية صرف، هدفها قومي عربي بحت.

يريد عفلق أن يقول أنّ الإسلام هو تعبير عن القومية العربية في الماضي وقوته في الحاضر قد بعثت من جديد وظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية.

لهذا لا يخاف عفلق من اصطدام القومية بالدين [٣٨٦]، وربما لهذا السبب تبنى العلمانية عندما يقول: "والعرب اليوم لا يريدون أن تكون قوميتهم دينية، لأن الدين له محل آخر وليس هو الرابطة للأمة، بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد، وقد يورث.. نظرة متعصبة وغير واقعية" [٣٨٧]. يستند عفلق في تبنّيه العلمانية إلى التفريق بين الإسلام كتعبير عن يقظة الأمة في الماضي، والإسلام بصفته دين صرف. وهذا التفريق كما تفريقه بين الفكرة القومية والنظرية

---

[٣٨٢] المصدر نسه ، ص ١٠٢

[٣٨٣] عفلق، ميشيل. **القومية العربية ومواقفها من الشيوعية**، دمشق، ١٩٤٤ ص ١٦٣

[٣٨٤] عفلق، **في سبيل البعث**، ص ١٠٢ . ١٠٣

[٣٨٥] المصدر نفسه، ص ٤٦.

[٣٨٦] المصدر نفسه، ص ٤٦.

[٣٨٧] المصدر نفسه، ص ٤.

القومية "فالإسلام من حيث هو دين صرف مساو لغيره من الأديان في الدولة العربية التي تساوي بين جميع مواطنيها، وتحترم حرية عقيدتهم. والإسلام من حيث أنه حركة روحية امتزجت بتاريخ العرب واصطبغت بعبقريتهم وأتاحت ظهور نهضتهم الكبرى له مكانة خاصة في روح القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها" (٣٨٨).

ولكي تكون القومية العربية غير عدوانية، كانت أهمية ارتباطها بالإسلام، ارتباط الجسد بالروح "وما دام الارتباط وثيقاً "بين العروبة والإسلام، وما دمنا نرى في العروبة جسما روحه الإسلام، فلا مجال إذن للخوف من أن يشتط العرب في قوميتهم، إنها لن تبلغ عصبية البغي والاستعمار" (٣٨٩)

والقومية العربية لا تقوم على العنصرية وقد خبرها العرب كما العنصرية التركية . الطورانية في بدايات القرن العشرين، ولا العنصرية الصهيونية التي ما زال العرب يكتوون بنارها، ولهذا يهاجم عفلق العصبيات لدى الأقليات سواء أكانت أثنية أو طائفية، فيقول " وبنفس الوقت الذي يبثون الشعور بالأقلية عند البربر، يخلقون عند الأكثرية زعماء متعصبين يسلكون سلوكا يثير نقمة الأقليات. فالقومية المتعصبة هي أيضا من النتاج الاستعماري في بلادنا والدعوات الطائفية، كذلك لتغذية الاستعمار" (٣٩٠ وقف حزب
البعث، في البداية، من أقانيم شعاره "وحدة، حرية، اشتراكية" موقفاً متوازناً، فلم يقدم هدفاً على آخر، ولكنه وقف، في وقت لاحق، أمام شعار الوحدة موقفاً متميزاً، إذ يراها كل شيء من قضية الأمة العربية، وحيث يرى في الحرية والاشتراكية مضمون الوحدة(٣٩١).

وإذ يؤكد عفلق على تقديم هدف الوحدة عن بقية الأهداف مع أنه يقول عن ترابط هذه الأهداف ترابطاً وجوديا. "الوحدة هي شرط لازم للنضال الشعبي التحرري ضد الاستعمار وضد الاستغلال، وأنه بدون وحدة يبقى الاستعمار يتلاعب بمصيرنا ويغري قطرا باستغلال محن قطر آخر، وتبقى قضية الوحدة موضوع شك... وبالتالي لن ينجح لا النضال التحرري ولا الاشتراكي ما دام الشعب الواحد مجزءاً "(٣٩٢). ويرى عفلق أن فكرة الوحدة العربية هي الفكرة الانقلابية بالمعنى الصحيح "لا يدانيها في انقلابيتها التحرر من الاستعمار على ما فيه من جدية وقسوة،

---

(٣٨٨) المصدر نفسه، ص ٨٩ . ٩٠.

(٣٨٩) عفلق، **في سبيل البعث** ، ص ٥٥.

(٣٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٣٩١) راجع: إسماعيل، فايز: **من الحرية والاشتراكية والوحدة إلى الوحدة والحرية والاشتراكية**. المناضل، العدد ١٢٠ نيسان ١٩٧٩ ص ١٣٠ . ١٣٤

(٣٩٢) عفلق. **في سبيل البعث**، ص ١١٠ . ١١١

ولا التحرر الاجتماعي الاشتراكي الذي يصدم في المجتمع بأضخم المصالح وأقوى العادات والنظم "[٣٩٣]

.أعلن عفلق في حديث له عام ١٩٦٠ " لا وحدة مع الرجعية، ولا تقدمية مع التجزئة". وهذا يعبر عن إعادة ترتيب الأهداف، فأفرغ هدف الوحدة مكانه لهدف الحرية. وبقي هدف الاشتراكية مكانه. فيقول "إذا كنا في وقت مضى قد كفرنا بوحدة الرجعيين والاستعماريين، فلم يعد جائزاً بعد أن استرد الشعب قضيته.. أن نتخوف من الوحدة أن نظن بها الظنون، لأننا بمقدار ما نتفهمها ونقدم عليها لنتبناها ونجعل في سيرها نبعد عنها الاستغلال"[٣٩٤].

للحرية عند عفلق أكثر من المفهوم، فهي"... حرية في الخارج أمام الأجنبي المستعمر، والحرية في الداخل أمام الحكم الاستبدادي"[٣٩٥]. وللحرية في الداخل مفهومان "حرية الأمة بأسرها، وحرية الفرد داخل الأمة" فيقول: "نريد أن تكون أمتنا في مستقبل قريب أمة حية منسجمة حرة طليقة من كل الاعتبارات البالية، يحتل فيها المواطن المكانة التي تؤهله إليها كفاءته وخلقه وإخلاصه"[٣٩٦].

المسألة الأساسية بالنسبة لعفلق هي مسألة "بعث الروح القومية التي تراكمت عليها أثقال الأوضاع الفاسدة، ومنعتها من الانبثاق والإشعاع فهو لا ينطلق من حقوق فردية مهضومة ولا من فساد طبقة حاكمة، بل من حالة الأمة، فالأمة غايته لا الدولة [٣٩٧]. فيصفها بأنها "أمة عظيمة الماضي هزيلة الحاضر ومجزأة في داخلها تخضع لحكم الأجنبي في أكثر أقطارها". ولذلك كانت الحاجة إلى البعث، وهي عملية لا تتم إلاّ بالانقلاب "الذي يقلب حياة العرب من الذل إلى المجد ومن الانحطاط إلى الرقي "[٣٩٨].

أمّا الذي يقوم بهذا الانقلاب فهو جيل يتصف بممكنات تؤهله لقيادة الانقلاب فيه صفات الشباب، ومميزات الشباب هي وحدها المتلائمة مع أمتنا المتحفزة للبعث والنهوض، وإذا ما أضفنا إلى سني الشباب صفة الثقافة والوعي اهتدينا إلى الشرطين الأساسيين اللذين لا غنى عنهما لحركة الإنقاذ والإخلاص [٣٩٩]. فالصراع كما يبدو لعفلق هو صراع أجيال لا صراع طبقات، لأن الفساد يشمل الجميع. "فالواقع الفاسد... شيء معنوي يشترك فيه المجتمع بنسب

---

[٣٩٣] المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

[٣٩٤] عفلق، **في سبيل البعث** ، ص ١١٨.

[٣٩٥] المصدر، نفسه، ص ١١٠

[٣٩٦] المصدر نفسه، ص ١٥٦

[٣٩٧] المصدر السابق، ص ٧٦ . ٧٧

[٣٩٨]المصدر السابق ، ص ١٦٠

[٣٩٩] المصدر السابق، ص ٢٧

مختلفة، ويمكن القول إن كل فرد يحمل أثراً من آثار هذا الواقع [٤٠٠]. وفي الوقت نفسه، كل فرد في هذا المجتمع مؤهل لأن يكون من شباب الانقلاب"، لأن الفكرة موجودة في حالة البذور في كل فرد من أفراد الأمة"[٤٠١].

إذن، المسألة من وجهة نظر عفلق مسألة كفاح أفراد من الشباب المثقف الواعي، وليس تحركاً جماهيرياً، ضد الطبقات المسيطرة "الجيل الجديد هو وسيلة الانقلاب. ويعتمد هذا الجيل على الفرد، لأن الوعي والإيمان يفتش عنهما في الأفراد لا في المجتمع [٤٠٢].

من هؤلاء الشباب الواعي يتشكل الحزب المعني بإحداث الانقلاب "فالمستقبل الذي يمثله البعثي هو الصورة عن حياة أمتنا عندما يتحقق البعث، أي عندما يتحقق الانقلاب العربي، إنه صورة الأمة العربية في حياتها السليمة المقبلة، فعلى هذه الصورة أن تتحقق منذ الآن في البعث العربي حتى تنجح"[٤٠٣]. هكذا يمثل هذا المجموع الأمة دون تفويض، لأن أكثرية الشعب غير قادرة على السير في طريق النضال بصفوف منظمة، وقد أوضح جلال السيد هذا الرأي بقوله: "والجماهير ذات المصالح السريعة اليومية لا تفكر بعقولها ولا بمستقبل أوطانها، ولكنها تفكر ببطونها وفي الأحداث المستعجلة التي تجابهها"[٤٠٤]. ولأن وضع الجماهير على هذه الحالة تتقدم الأمة مجسّدة بالبعث "لتمثيل الشعب قبل أن يفوضها الشعب تفويضاً صريحاً بهذا التمثيل، وهي التي تبدأ بأن تتجه للشعب لتوقظه على واقعه ولتنظيم نضاله وتقوده في طريق الانقلاب"[٤٠٥].

أما دور القائد في عملية الانقلاب فيوضحه عفلق بقوله: "إن الشعب يؤمن بالأشخاص أولاً وبالفكرة التي يمثلونها ثانياً، فإذا عرف القادة كيف يفرضون على الشعب الهيبة والاحترام ، وكيف يوحون إليه بالثقة والإخلاص والحب قادوه إلى الإيمان بالفكرة والعمل بموجبها بسهولة... فإذا اجتمع عدد من الشباب المثقف النزيه النشيط واتحدوا اتحاداً متيناً وخضعوا لنظام شديد، وتسلسل في الدرجات كان ذلك كافياً ليضمن تأثيرهم على الشعب. وإن القدسية التي يخلعها هؤلاء على قائدهم، تكون في الواقع قدسية للفكرة التي يريدون نشرها ونصرها. وبقدر ما تكون

---

[٤٠٠] المصدر السابق، ص ١٧٤

[٤٠١] المصدر السابق، ص ٧٤

[٤٠٢]عفلق، في سبيل البعث، ، ص ١٤٦

[٤٠٣]المصدر نفسه، ص ٣٥ .

[٤٠٤] السيد، جلال. **حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزقها**، دار اليقظة العربية ط٢،بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٧٩

[٤٠٥] عفلق، **في سبيل البعث**، ص ١٨٧

شخصيات التابعين للقائد قوية وذات قيمة، يكون نجوع الفكرة أكثر ونصيبها من النجاح أكبر"[٤٠٦].

لا يستطيع المرء أن يفسر غياب الديمقراطية في فكر عفلق والأفكار العفلقية التي جارته حتى عام ١٩٦٣ سوى الانقلابية والثورية التي تفرض تقلص الديمقراطية لدرجة التلاشي. وهي العقلية هي التي ارتجلت الوحدة السورية مع مصر عام ١٩٥٨ التي لم يكتب لها النجاح.

والاشتراكية عند عفلق فرع من القومية ومتلازمة معها في آن. "الاشتراكية بالنسبة إلينا فرع ونتيجة لحالتنا القومية ولضرورات قوميتنا, فلا يمكن أن تكون الفلسفة الأولى النظرة الموجهة لكل الحياة, إنها فرع خاضع للأصل الذي هو الفكرة القومية [٤٠٧]. وهو في مكان آخر لا يجعلها فرعاً من القومية بل يذيبها فيها."إن هناك بين قوميتنا واشتراكيتنا ترادفاً وتمازجاً وتفاعلاً وانه ليس هناك قومية واشتراكية نجمع بينهما لنصل إلى صيغة جديدة للقومية, وإنما هناك قومية هي اشتراكية بمجرد وجودها، وأنها إذا لم تكن اشتراكية فإنها تفقد وجودها ذاته"[٤٠٨]. ولماذا يريد عفلق الاشتراكية ولا يريد سواها من النظم الاقتصادية؟

فلأنه يريد أن يحقق الهدف النهائي المتمثل بارتقاء الشعب العربي"...إننا نريد أن ترجع الحالة الطبيعية المشروعة، وأن ينال كل ذي حق حقه حسب جدارته وكفاءته، ويسمح للشعب بأن يظهر مواهبه منها، عندها يمكن أن يرتقي الشعب أي المجموع[٤٠٩].

ولكن الاشتراكية عند عفلق لا تقوم بتحقيقها طبقة "البروليتاريا" أو سواها من الطبقات الاجتماعية, إنما عن طريق الأفراد. أما إذا فهم من الرأسمالية ما يريد البعض أن يفهمه بأنها النقيض لنظام لا يعترف بحرية الأفراد المطلقة, فعندها يظهر في هذه النظرة شيء من الإيجابية, والواقع أن هذه ليست الرأسمالية بل الاشتراكية التي ننادي بها نحن[٤١٠]. ويدلل على أهمية الاشتراكية في النهوض القومي أن المجتمع العربي في وضع غير مقبول, ومطلوب منه الارتقاء إلى مصاف الأمم لما كانت الحاجة للاشتراكية. فالقومي العربي يدرك أن الاشتراكية هي أنجع وسيلة لنهوض قوميته وأمته لأنه يعلم بأن نضال العرب في الوقت الحاضر, لا يقوم إلاّ على مجموع العرب, ولا يمكنهم أن يشتركوا في هذا النضال إذا كانوا مستثمرين منقسمين سادةً وعبيداً,

---

[٤٠٦] عفلق. **في سبيل البعث**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٥٩ ص ٣٦ (استخدمت طبعة ١٩٥٩ لمرة واحدة)

[٤٠٧] عفلق. **في سبيل البعث**، ص ١٤٥

[٤٠٨] المصدر نفسه, ص ٣٤٦

[٤٠٩] المصدر السابق ، ص ٢١٦

[٤١٠] المصدرالسابق، ص ٢٥.

فضرورات النضال القومي توجب النظرة الاشتراكية, أي أن نؤمن بأن العرب لا يمكن أن ينهضوا إلاّ إذا شعروا وآمنوا بأنّ هذه القومية ستضمن العدالة والمساواة والعيش الكريم للجميع[٤١١].

يقدم عفلق مفهوماً مبسطاً للاشتراكية بهدف تركيز الاهتمام على الغاية السياسية المتمثلة بالأمة وليس بالأفراد فيقول:" والاشتراكية بصورة بسيطة –كما يفهم لفظها– هي أن يشترك جميع المواطنين في موارد بلادهم بقصد أن يحسّنوا حياتهم وبالتالي حياة أمتهم, لأنّ الإنسان الفرد لا يقبل أن يجعل نفسه غاية في الحياة[٤١٢].

يرفض عفلق حصر مفهوم الاشتراكية بقوالب جامدة ونظريات محددة فالاشتراكية العربية لها خصوصيتها المرنة وهي تتميز بصفتين.**أولاً:** "بأنها اشتراكية ملائمة لظروف وحاجات المجتمع العربي". **وثانيا:** "بأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقوميتنا العربية"[٤١٣]. فهو ضد تفلسف وتعقيد رسم خطوط المجتمع المقبل" [٤١٤]. لتأتي اشتراكية البعث"... مستقلة لا تتبع مذهباً معيناً ولا تكون أداةً للتعصب المذهبي والتنازع, وإنما تستفيد من جميع النظريات والتجارب التي تمر بها الشعوب" [٤١٥].

هنا يفسح عفلق المجال للاسترشاد بقوانين اقتصادية واجتماعية بدون اتباع مذاهب ونظريات اقتصادية وبدون تصور مسبق للمجتمع. ولكن ما يؤكد معارضته هو تعريفه للاشتراكية الأكثر أهمية، "أما الاشتراكية في البعث العربي يقتصر معناها, على التنظيم الاقتصادي الذي يهدف إلى إعادة النظر في توزيع الثروة في الوطن العربي ورفع أسس وقواعد للاقتصاد بما يضمن المساواة والعدالة الاقتصادية بين المواطنين. ويضمن تحقيق الانقلاب في الإنتاج ووسائله من جهة ثانية"[٤١٦]. ويستكمل الصورة العامة للاشتراكية بقوله: "إن الاشتراكية تعني دوماً تأمين المرافق العامة والصناعات الحيوية الكبرى كما تعني التوزيع العادل للأراضي وإشراف الدولة أو وضع يدها على التجارتين الخارجية والداخلية"[٤١٧].ويميز عفلق بين اشتراكية البعث والاشتراكية الشيوعية بنسف أهم مرتكزات الاشتراكية الماركسية المتعلقة بملكية وسائل الإنتاج.فيقول:

" أ– الاشتراكية الشيوعية ذهبت إلى حد بعيد من التجريد فقضت عل حق التملك, ولذلك قضت على الدوافع الذاتية الغريزية في الفرد , أما اشتراكية البعث فتعتبر أغزر قوة في الأمة تكمن في

---

[٤١١] المصدرالسابق، ص٢٠٤.

[٤١٢]عفلق، **في سبيل البعث** ، ص ٢١٤

[٤١٣] المصدر نفسه، ص ٣٤٥

[٤١٤] المصدر نفسه، ص٢٠٩

[٤١٥] المصدر نفسه ، ص١١٠.

[٤١٦] المصدر نفسه، ص ٢١٠

[٤١٧] عفلق، ميشيل : **البعث والاشتراكية،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٧

الدوافع الذاتية للأفراد, لذلك أبقت حق التملك لكنها حددته بقيود ثقيلة تزيل المحاذير التي تنشأ عنه.

ب . الشيوعية لا تعترف بحق الإرث, بينما اشتراكيتنا تعترف بذلك, لأن المواطن في الأمة المتماسكة لا يمكن أن يحرم من هذا الحق, ولكننا وضعنا له قيوداً تبقيه شبه نظري في بعض الحالات ومجرد حق معنوي لكي لا يسمح بإساءة استعمال الفرد لثروة الوطن أو استغلاله لجهود الآخرين"[٤١٨].

يرفض عفلق نظرية الشيوعية في الصراع الطبقي رفضاً كلياً "فنحن إذن لا نستطيع أن نقول بأننا قسمنا أمتنا إلى طبقات أو طبقتين على الشكل الماركسي"[٤١٩].

ولكن متى وكيف تتحقق الاشتراكية العربية؟ يجيب عفلق تحقيق الاشتراكية مشروط بتحقيق الوحدة العربية" وتحقيقها رهن باليوم الذي يسترد فيه الشعب العربي مقاليد أموره, و يسيطر على شؤونه,أي عندما يتحرر من الاستعمار الأجنبي والحكم الإقطاعي"[٤٢٠]. "ولهذا لا تتحقق اشتراكيتنا تحقيقاً تاماً إلاّ في الدولة العربية الواحدة, أي عندما يتحرر كل الشعب وتزول جميع الحدود التي تقف في وجهه, وهي الاستعمار الأجنبي والحكم الإقطاعي والتجزئة السياسية القائمة, ولكن هذا لا يمنع من أن تبدأ بعض الأقطار قبل البعض الآخر بتطبيق جزء من هذه الاشتراكية"[٤٢١].

حقق النضال الذي قام به حزب البعث العربي الاشتراكي في القضاء على حكم أديب الشيشكلي في ٢٥ شباط ١٩٥٤، نصراً كبيراً جعله إحدى القوى الرئيسة في الحياة السياسية السورية على المستويين الرسمي والشعبي، ولكنه كان يعاني من صعوبات داخلية مختلفة بلغت أحياناً درجة الخطورة[٤٢٢], مما دفع بالأمين العام ميشيل عفلق إلى دعوة قيادات الأقطار في العراق والأردن ولبنان إلى اجتماع طارئ في دمشق في حزيران ١٩٥٤.

ويحدد ناجي علوش أزمة الحزب يوم ذاك بثلاثة عناوين: **أولها**، عدم وجود نظرية للعمل. **وثانيها**, الخلاف بين أكرم الحوراني وميشيل عفلق. **وثالثها**، عدم تقيد كل من الزعيمين بالقرارات وعدم خضوعهما للنظام الحزبي في الاتصالات[٤٢٣]. فيما ينقل مصطفى دندشلي عن

---

[٤١٨] عفلق، **في سبيل البعث**، ص ٢١١

[٤١٩] المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

[٤٢٠] عفلق، **في سبيل البعث** ، ص ٢١٢

[٤٢١] المصدر نفسه، ص ٢١٢ . ٢١٣

[٤٢٢] دندشلي. مرجع سابق، ص ١٩٠

[٤٢٣] علوش، ناجي، **الثورة والجماهير، مراحل النضال العربي ١٩٤٨ . ١٩٦١ودور الحركة الثورية**، دار الطليعة، ط٢،بيروت، ١٩٦٣، ص ٥٠

عبد الله الريماوي ومجموعته (في بعث الأردن). إن أزمة الأردن الداخلية التي أدت إلى هذا الاجتماع (الذي أطلق عليه المؤتمر الثاني للبعث) تكمن في الأساس في نية ميشيل عفلق التخلص من أكرم الحوراني ومن أنصاره, وأن يلغي اندماج حزب البعث العربي مع الحزب العربي الاشتراكي[٤٢٤], ومن ناحية أخرى مسألة ابتعاد التنظيم عن القيادة في دمشق, نقرأ في نضال البعث" ولقد استمر الحزب يناضل بين ١٩٤٧ و١٩٥٤ عملياً كوحدة تنظيمية موحدة، ولم يكن في الحزب قيادة قومية, وإنما كانت قيادة الحزب في سورية هي القيادة للحزب كله, وكان مركز العمل في دمشق[٤٢٥].

"وأول خلاف ظهر حول هذا الموضوع كان بين اللجنة التنفيذية للبعث السوري والقيادة القطرية للحزب في الأردن. طرحت هذه المشكلة منذ عام ١٩٥٣, أي في الوقت الذي شعر فيه حزب البعث الأردني بعد اتساع نفوذه وتوسعه وبقوته الذاتية واستقلاليته, فاخذ يبتعد تدريجيا بالنسبة إلى القيادة المركزية في دمشق, حيث أنه ربما لم يحس, بصورة كافية بوجودها أو بسلطتها الفعليتين [٤٢٦]. فكان من نتيجة المناقشات في المؤتمر المقررات التالية:

. أولاً: انتخاب قيادة قومية لأول مرة في تاريخ الحزب.

. ثانياً : وضع نظام داخلي جديد للحزب.

. ثالثاً : عدم إعادة طبع الإنتاج الفكري والسياسي الصادر قبل عام ١٩٥٤ ونشره, إلاّ بعد إقراره من قبل هيئة حزبية مسؤولة.

. رابعاً : تألفت لجنة من عفلق والبيطار والحوراني والريماوي لمعالجة أزمة الحزب في سورية.

ب- الاتجاه القومي الاقليمي.

بعد انتقال مركز الحزب السوري القومي الاجتماعي من لبنان الى دمشق عام ١٩٤٩ تنامى مده الشعبي بسبب تعاطف الشعب معه بعد إعدام زعيمه، فوصل عدد من أعضائه إلى الجمعية التأسيسية في سورية، وكان عصب المعارضة التي أسقطت حكم بشارة الخوري في لبنان، ولكن الحزب لم يستفد من المد الشعبي ووصول أديب الشيشكلي إلى السلطة في سورية، إذ أن الشيشكلي مارس سلطة دكتاتورية، والحزب السوري القومي لم يؤيده ولم يعارضه، فشارك في الانتخابات النيابية لعام ١٩٥٤ في حين قاطعتها قوى المعارضة السورية، فكانت حصيلة موقفه فوز مرشح واحد للحزب بالتزكية، هو زكي نظام الدين في منطقة الجزيرة [٤٢٧].

---

[٤٢٤] دندشلي، مرجع سابق، ص ١٩٦ .

[٤٢٥] **نضال البعث**،ج٤ ، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٤، ص١١

[٤٢٦] دندشلي، مرجع سابق، ص ١٩٥

[٤٢٧] رعد، إنعام. **الكلمات الأخيرة مذكرات ووثائق**، مؤسسة إنعام رعد الفكرية، بيروت، ٢٠٠٢، ص٧٣

تجلت أزمة الحزب في رفض المعارضة السورية مشاركته في مؤتمر حمص الذي تم خلاله ترتيب التحالفات السياسية، مما أشعره بالعزلة، فحاول استلحاق نفسه في الصراع السياسي عام ١٩٥٥، فوضع بيانه السياسي بعنوان "الوضع السياسي – آذار ١٩٥٥ " الذي أخرجه عن أطروحاته التقليدية التي حكمت مواقفه من ١٩٤٩ لغاية شباط ١٩٥٥ .

في ذلك البيان، انتقد تفرد العراق في حلف بغداد، ولكنه لم يرفض المبدأ، رفض الشرق الشيوعي جملة وتفصيلاً، عقائدياً وسياسياً، رفض موقف الحياد الإيجابي وعدم الانحياز، أيد التحالف مع الغرب بشروط قومية[٤٢٨].

هذا البيان الذي أغلق كل الأبواب ما عدا باب التحالف مع الغرب، وضع الحزب في موقع القوى اليمينية المرفوضة شعبياً، ثم جاءت قضية اغتيال العقيد في الجيش العربي السوري عدنان المالكي(١٩١٨-١٩٥٥) عام ١٩٥٥ لتشكل ذريعة للسلطة السورية لمحاربة الحزب السوري القومي الاجتماعي وإلغائه من الحياة السياسية في سورية.

٢- دراسة اتجاهات الفكر القومي في لبنان (١٩٤٥- ١٩٥٨):

تعود جذور الفكر القومي العربي في لبنان إلى وجود جمعيات عربية مناهضة للأتراك العثمانيين، وكان أبرزها جمعية الفتاة العربية، والجمعية القحطانية، وجمعية العهد وغيرها. إلى أن برزت عصبة العمل القومي عام ١٩٣٣.

أ-اتجاهات الفكر القومي العربي.

تعد حركة القوميين العرب التنظيم الأقوى من بين الحركات القومية العربية حيث نشأت في البداية باسم "الشباب القومي العربي" عام ١٩٥١ في بيروت، ضمن أجواء سياسية محمومة إثر نكبة فلسطين، حيث تمثلت تلك الأجواء بالليبرالية، وبالشيوعية، وبالإخوان المسلمين[٤٢٩].

واستمد المؤسسون أفكارهم من مفكرين قوميين سابقين، رافعين شعارهم "وحدة، تحرر، ثأر" وتعامل المؤسسون مع مفهوم الوحدة تعاملاً مطلقاً، الأمر الذي فرض عليهم الاعتناء بالبناء التنظيمي دون البناء الفكري[٤٣٠].

ولم تكن هذه النشأة مقطوعة الجذور، بل تعود جذورها إلى أوائل الثلاثينات، ونشوء جمعية العروة الوثقى في المجالات الأدبية، التي تحولت إلى جمعية سياسية، مواكبةً المد السياسي

---

[٤٢٨] رعد. مرجع سابق، ص ٨٤-٨٥.

[٤٢٩] يذكر جورج حبش: أن تسمية الحركة لم تتخذ بقرار بل بشكل عفوي، وأنه بعد المؤتمر الأول عام ١٩٥٩ أثر التسمية الرسمية باسم "حركة القوميين العرب"، أنظر: مطر، فؤاد، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ط٤، منشورات هاي لاين، لندن، ١٩٤٨، ص ٤٣.

[٤٣٠] شلاش، سعد مهدي، **حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٦**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٩.

القومي الذي نشأ بعد ضياع فلسطين، وارتفاع حدة المطالبة العربية بالاستقلال والتحرر من الاستعمار، وكانت هذه الجمعية تعارض الاشتراكية، وتدعو إلى الوحدة العربية ومصالحة الغرب، وكان منظّرو الجمعية يعدون أميركا رائدة الديمقراطية في العالم[٤٣١].

وتعود جذورها إلى كتائب الفداء العربي التي ولدت بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، كمنظمة قتالية، التي جاء تأسيسها في اجتماع توحيدي في بيروت آذار ١٩٤٩ لثلاثة مجموعات قومية فدائية شابة هي: مجموعة بيروت التي قادها كل من هاني الهندي وجورج حبش، والمجموعة السورية التي كان على رأسها، طالب الحقوق في الجامعة السورية بدمشق، جهاد ضاحي، والمجموعة المصرية التي كان يقودها المحترفان حسين توفيق، وعبد القادر عامر[٤٣٢]، وكان مناخ الجامعة الأميركية الفكري والسياسي المعبأ ضد الشيوعية والمبشر بالنظريات القومية اليمينية والرأسمالية المنبع الذي نهل منه مؤسسو الحركة أفكارهم وصاغوا مفاهيمهم السياسية الأولى[٤٣٣].

انتشرت حركة القوميين العرب في لبنان، حيث كونت الفصل الثاني للدعوة القومية إلى جانب حزب البعث العربي الاشتراكي وتركز انتشارها بين صفوف طلاب الثانويات الذين شدتهم المظاهر شبه العسكرية، ولكنها لم تستطع الخروج من عزلتها والدخول في الحياة السياسية اللبنانية جزئياً إلاّ في عام ١٩٥٨ إذ أدت دوراً عسكرياً بقيادة الزعماء المسلمين الخاضعين لهيمنة الجمهورية العربية المتحدة[٤٣٤].

كما انتشرت الحركة في الأردن في بداية عام ١٩٥٣ وأدت دوراً بتأثير موقف الملك حسين المؤيد للسياسة الناصرية، وإبعاده غلوب باشا، وعندما أقال الملك حكومة النابلسي تحولت الحركة إلى العمل السري وانحسر عملها، فانتقل ثقل عملها إلى سورية ولبنان مع إعلان الوحدة بين مصر وسورية ١٩٥٨ وبذلك ربطت الحركة مصيرها بمصير دولة الوحدة[٤٣٥].

---

[٤٣١] جلول، فيصل: حركة القوميين العرب، قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ، في: **الفكر العربي**، السنة ٤، العدد ٢٨ (تموز–أيلول)، ص ١٨٠.

[٤٣٢] زيادة، معن. تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى، ورقة قدمت إلى **القومية العربية في الفكر والممارسة**، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٣٥–٣٣٦.

[٤٣٣] ابراهيم، محسن. **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين**، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية، "تحليل ونقد" دار الطليعة، بيروت، ص ١٦.

[٤٣٤] جلول. **حركة القوميين العرب، قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ**، الفكر العربي، مرجع سابق، ص ١٨٦.

[٤٣٥] جلول، مرجع سابق، ص ١٨٥.

وانتشرت الحركة في مصر بعد عام ١٩٥٦ على أثر وصول خمسة عشر طالباً قيادياً إلى القاهرة بعد طردهم من لبنان، حيث أحرزت في أقل من سنة قدراً كبيراً من السيطرة على عدد من الجمعيات والمنظمات الطلابية[٤٣٦].

أما في سورية فقد اكتسح حزب البعث العربي الاشتراكي، ساحة النضال واستقطب جماهير الشعب القومية، ولذلك تعذر على الحركة النمو والانتشار والدخول في الحياة السياسية السورية، وبقيت على هامش الأحداث طيلة فترة الخمسينات، على الرغم من نجاحها في إصدار مجلة "الرأي" الأسبوعية، التي دافعت عن فكرة اتحاد سورية مع بلدان عربية أخرى[٤٣٧].

ولكن بعد قيام الوحدة السورية–المصرية، وظهور حركة القومين العرب كقوة ناصرية، امتدت إلى جامعة دمشق، والمدارس الثانوية وبعض شرائح الحركة العمالية[٤٣٨].

كان انتشار حركة القوميين العرب اسمياً في أغلب الأقطار العربية حيث لم يحدث له صدى واسع أو تأثير ملموس في الساحات السياسية في تلك الأقطار، ولذلك أصدرت اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب في نيسان ١٩٦١ حول الساحة التي يمكن العمل فيها، فرأت التركيز على ساحتين:

الأولى: الجمهورية العربية المتحدة، كونها نواة الوحدة، وقلعة العرب التحررية.

الثانية: ساحة العراق، والسبب هو في انتكاسة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والخوف من إقامة الشيوعيين حكماً شيوعياً فيه[٤٣٩].

إنّ أسباب اتسام حركة القومين العرب بالانحسار وعدم انتشارها تنظيمياً في الوطن العربي طيلة فترة الخمسينات تكمن في إحدى الفرضيات التالية: إما لأنها انطلقت من أساس فكري خاطئ، أو لأنها لم تمتلك منطلقاً إيديولوجيا رصيناً، أو لأن نشوءها ارتبط بظروف مرحلة مؤقتة[٤٤٠].

---

[٤٣٦] قزيها، **وليد. التحول الثوري في العالم العربي**، حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية، ترجمة سليم بركات، الجامعة الأميركية، دائرة العلوم السياسية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٤٢–٤٣.

[٤٣٧] قزيها. مرجع سابق، ص ٤١.

[٤٣٨] نداف، عماد، **نايف حواتمه يتحدث**، دار المناهل، بيروت/ دار الكتاب، دمشق، د. ت، ص ٤٢.

[٤٣٩] للمزيد من التفاصيل أنظر: **القيادة القومية مدرسة الإعداد الحزبي**، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، تعميم للجهاز القيادي بعنوان: حول إستراتيجية الحركة أو مخططنا للمدى البعيد، ١٩٦٤، ٦–٧.

[٤٤٠] شلاش. مرجع سابق، ص ٦٣.

في مرحلة التأسيس الممتدة ما بين ١٩٥١-١٩٥٦، عانت حركة القوميين العرب من ثغرة فكرية كان لا بد من سدها، فكان كتاب مع القومية العربية للحكم دروزة وحامد الجبوري[٤٤١]، كمحاولة لإعطاء فكرة موجزة عن القومية وإجابة على السؤال من نحن[٤٤٢].

اعتبر المؤلفان القومية على أنها "الشخصية الجماعية لأية أمة" إذ "لكل قومية روابط خاصة وشخصية مميزة"[٤٤٣]. وينطوي هذا التعريف على أن القومية موجودة منذ القدم، ويقرر المؤلفان أسس القومية بالتفاعل بين "وحدة اللغة والتاريخ والثقافة والوطن والمصالح والعادات والتقاليد والأهداف"[٤٤٤].

شهدت فكرة حركة القوميين العرب في الفترة الزمنية ١٩٥٢-١٩٦٣ تطوراً من القومية المثالية، إلى القومية الاشتراكية على الشكل التالي:

تأثرت حركة القوميين العرب بثلاثة من أعلام الفكر القومي وهم: ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨) [٤٤٥]، والدكتور قسطنطين زريق (١٩٠٩-٢٠٠٠) [٤٤٦] وعلي ناصر الدين (١٨٨٨-١٩٧٤) [٤٤٧].

ارتكزت نظرية الحصري في القومية على عاملي اللغة والتاريخ، فاللغة عنده روح الأمة، أما التاريخ فهو شعور الأمة بذاتها، ومع تأكيده على عاملي اللغة والتاريخ يضيف الدين والاتصال الجغرافي، ولكنه ينتهي في مجال الدين إلى فصله عن السياسة[٤٤٨]، ولذلك يعرّف العربي، بأنه من يتكلم العربية، ويعرّف التاريخ العربي بأنه تاريخ انتشار اللغة العربية[٤٤٩].

---

[٤٤١] من مفكري حركة القوميين العرب ولهما مؤلفات عديدة.

[٤٤٢] دروزة الحكم، والجبوري حامد، **مع القومية العربية**، اتحاد بعثات الكويت، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٢-١٣.

[٤٤٣] المرجع نفسه، ص ٢٦.

[٤٤٤] دروزة و الجبوري، مرجع سابق، ص ٣١.

[٤٤٥] زيادة، مرجع سابق، ص ٣٢٨.

[٤٤٦] مطر. مرجع سابق، ص ٢٢.

[٤٤٧] الكبيسي، مرجع سابق، ص ٨١.

[٤٤٨] أنظر: ساطع الحصري، **الأعمال القومية لساطع الحصري**، سلسلة التراث القومي، ٣ أقسام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥، القسم ١، ص ٢١-٢٢.

[٤٤٩] التل، سهير سلطي، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٨.

أما قسطنطين زريق الذي أكد على أهمية معرفة ماضي الأمة وفهم العوامل التاريخية المؤثرة في تكوينها، شرطاً لانطلاقة الوعي القومي، فقد اعتبر عاملي اللغة والتاريخ والتقاليد والجهاد المشترك والمصالح الحاضرة والمستقبلية، عوامل لا بد منها[٤٥٠].

ويقوم مفهومه للحرية على أنها التي تحقق للمرء إمكانية الفكر والعمل وتحطيم أغلاله السياسية والاجتماعية، مضيفاً مفهومه للحرية الداخلية التي توحي للفرد بماهية فكره وعمله وتفكك قيوده العقلية والروحية[٤٥١].

وناقش زريق علاقة الدين بالقومية، فاعتبر الدين مثل القومية حركة روحية ترمي إلى بعث قوى الأمة الداخلية، والقومية لا تتناقض مع الدين، لكنه يؤكد الطابع العلماني للقومية، باستحالة تحققها إلا من خلال الدولة العلمانية[٤٥٢].

ويؤكد على تلازم القومية والتقدمية، فيعرف التقدمية باتخاذها مظهرين: زمني من خلال دعوتها إلى توجيه الفكر نحو المستقبل، وعملي من خلال دعمها إلى رفض الرجعية والاستغلال[٤٥٣].

ويوضح مفهومه للوحدة على أن الروابط القومية لا تكفي بحد ذاتها من دون ارتباطها بالتقدمية[٤٥٤]، معتبراً قضية فلسطين محور القضية العربية.

أما علي ناصر الدين الذي كتب مؤلفه الأبرز من بين مؤلفاته العديدة بعنوان "قضية العرب" يعرف الأمة بأنها "هي جماعة من الناس تتوفر لها وحدة اللغة والتاريخ والأدب والذكريات والتقاليد والمنافع والمطامح" و"ليست وحدة السلالة أو الأرض شرطاً لوجود الأمة"، "بل وحدة الأرض هي شرط وحدة الدولة"[٤٥٥].

ويعرف ناصر الدين القضية العربية بأنها "إنشاء دولة اتحادية كبرى يخضع لسلطانها، الممثل في مجلس اتحادي أعلى، العرب في مختلف أقطارهم، وبذلك يطرح الصيغة الفدرالية لدولة الوحدة وصيغة القيادة الجماعية، حيث لا ضرورة لتحطيم الرؤوس والعروش"[٤٥٦].

---

[٤٥٠] زريق، قسطنطين، **الوعي القومي: نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي**، ط٢، بيروت، دار المكشوف، ١٩٤٥، ص ٣٦-٣٩.

[٤٥١] المرجع نفسه، ص ٢٤٦.

[٤٥٢] زريق، قسطنطين، **نحن والتاريخ**: مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩، ص ٢٠٣.

[٤٥٣] زريق، قسطنطين، **معنى النكبة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٨، ص ٥٠-٥١ و١٢٠.

[٤٥٤] المرجع نفسه، ص ٢٨.

[٤٥٥] ناصر الدين، علي. **قضية العرب**، ط٣، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٢.

[٤٥٦] المصدر نفسه، ص ١٢٦.

ويعتبر ناصر الدين في تعداد رسائل اكتمال الوعي القومي، فيشير إلى طريقتين، التطور البطيء، والتطور السريع "الوثب الاضطراري" ويؤكد نحن إلى هذا أحوج. ويدعو إلى إعادة كتابة تاريخ الأمة "بطريقة علمية حديثة وقومية [٤٥٧].

أضافت حركة القوميين العرب في مرحلة ثانية إلى استلهاماتها من المفكرين الثلاثة استلهامها من الفكر الناصري المنشور في كتاب جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ بعنوان "فلسفةالثورة".

استمرت حركة القوميين العرب على متابعة أطروحاتها القديمة حول قضيتي الوحدة والقومية وأضافت مفاهيم جديدة مثل الحياد الإيجابي والاشتراكية والديمقراطية.

وقد برزت هذه المفاهيم المتأثرة بالفكر الناصري من خلال أدبياتها الصادرة في إطار المعارك السياسية العنيفة التي خاضتها ضد القوى المخالفة لها، وأبرزها الشيوعية المحلية، ومن موقع تحالفها المتين مع الحركة الناصرية، ومن أبرز أدبياتها في هذا السياق: أيها الشيوعيون، أين إيمانكم بالاتحاد الفدرالي، والشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، والعراق وأعداء الوحدة، ولنتحد جميعاً لتحطيم الخطر الشيوعي، والوحدة ثورة... ومسؤولية.

وكان أبرز ما أضافته إلى مقولاتها السابقة الدفاع عن الاشتراكية الديمقراطية بعد أن كانت الاشتراكية غير معتمدة كهدف من أهدافها، إذ يخلص حكم دروزة وحامد الجبوري في مؤلفهما إلى نتائج مهمة أبرزها:

إن القومية ليست بدعة أوجدها الاستعمار كما تقول بعض الحركات الدينية، لأن الاستعمار قد يوجد فكرة أو تياراً ولا يستطيع أن يوجد واقعاً تاريخياً واجتماعياً، لأن القومية ليست فكرة بل واقع اجتماع[٤٥٨].

وتأسيساً على ذلك ينتقل المؤلفان إلى التطبيق على الواقع العربي، فيحددان القومية العربية بأنها: "الشخصية الجماعية للأمة العربية وهي واقع حياة العرب التاريخي واللغوي والجغرافي والثقافي وكل ما يحتويه هذا الواقع من عادات وتقاليد ومصالح وأهداف واحدة"[٤٥٩].

ويمضيان في تحديد أسس القومية العربية فيشيران إلى: وحدة اللغة، وحدة التاريخ، وحدة العادات والتقاليد، وحدة المصالح، وحدة الإرادة[٤٦٠].

---

[٤٥٧] ناصر الدين، مرجع سابق، ص٩١-١٠٨.

[١] دروزة. والجبوري. مرجع سابق، ص ٣٧

[٤٥٩] المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

[٤٦٠] المرجع نفسه، ص ٤٢-٦٩.

أما موقفهما من القومية والدين، فقد أكدا أن الدين رسالة والقومية وجود، وأن الرسالة تصلح لأن تكون جانباً من هذا الوجود، وفي ذلك، لا يوجد تعارض، إنما يحصل التعارض عندما يتحول الدين إلى حركة سياسية تنفي الروابط القومية[٤٦١]، أي تنفي الواقع التاريخي.

وبذلك لم يقدم المؤلفان إسهاماً جديداً وتطوراً للمفاهيم التي قدمها ساطع الحصري، وقسطنطين زريق وعلي ناصر الدين، بل كتابتهما كانت عودة إلى استلهامات هؤلاء المفكرين السابقين لاسيما وأنّ الشعار بقي هو نفسه وحدة، تحرير، ثأر بسبب اعتقاد الحركة بمرحلية الأهداف[٤٦٢].

وبرز التلازم بين الأهداف من خلال طرحها لمفهوم التقدم والتقدمية بأنه "الالتزام باعتبار معركة العرب الراهنة هي تحرير المواطن وتوحيده وتحقيق الاشتراكية الديمقراطية ككل واحد لا يتجزأ"[٤٦٣].

وبفعل التأثر بالحركة الناصرية تم اعتماد مصطلح التحرير أو استرجاع فلسطين بدلاً من عبارة الثأر[٤٦٤].

أما مسألة الحياد الإيجابي فقد عرّفته بأنّه "مع الحرية وضد محاولات السيطرة القهرية من أي معسكر كان" والانحياز إنما يتم للحق والحرية والعدالة[٤٦٥].

وتأسيساً على الموقف السياسي تجاه الوحدة المصرية–السورية تحدثت حركة القوميين العرب عن "الوحدة النواة" التي ستمثل مرتكز الوحدة الكبرى، وبذلك نقضت موقفها الأول المؤيد لأي مشروع وحدوي عربي[٤٦٦].

ب– الاتجاه القومي الإقليمي.

بعد تراجع دعاة الفكرة السورية عنها منذ العام ١٩٣٧، بقي الحزب السوري القومي الاجتماعي هو الفريق الوحيد المتشبث بها، وهذا ما يفسر قول مؤسسه أنطون سعادة في خطابه أمام الحشود الشعبية التي جاءت لاستقباله بعد عودته من المغترب مخاطباً رجال حزبه "أنتم

---

[٤٦١] دروزة و الجبوري ،مرجع سابق، ص ١١٧.

[٤٦٢] مطر، مرجع سابق، ص ٤٥–٤٧.

[٤٦٣] دروزة، الحكم. **الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية**، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، ١٩٦٣ ص ٤٨١.

[٤٦٤] مطر، مرجع سابق، ص ٤٥–٤٧.

[٤٦٥] طارق الهاشمي، **الفكر القومي العربي لجمال عبد الناصر**، ورقة قدمت إلى تطور الفكر القومي العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، اتحاد المؤرخين العرب ومهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٠١–٣٢٢.

[٤٦٦] **الوحدة ثورة ومسؤولية**، منشورات حركة القوميين العرب، ١٩٥٩، ص ٤٢.

ناضلتم عن هذه الأمة وحيدين وأنقذتم شرف الأمة وحيدين " [٤٦٧] ولم يطرأ أيُّ تعديل يذكر على عقيدة الحزب ومبادئه باستثناء تعديل حدود "الأمة السورية" التي كانت تنتهي عند ضفاف نهر دجلة، فتوسعت إلى جبال البختياري شاملة كل العراق وعربستان والكويت[٤٦٨]. فيما بقي مفهومه الوحدوي يرتكز على تحقيق الوحدة بين الأقطار العربية المتجاورة جغرافياً، يعقبها قيام جبهة عربية تكون سداً منيعاً في وجه المطامع الصهيونية والاستعمارية.

وفيما رحب الحزب بقيام الجامعة العربية التي طالما نادى بها[٤٦٩] لم ير فيها البديل عن الجبهة العربية كون معظم الأنظمة العربية مرتبطة بعجلة القوى الاستعمارية الغربية، وهو لم ير في مشروع سورية الكبرى المقترح من الملك عبدالله عام ١٩٤٦، في بيان نشره الحزب بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٤٦، ما يتوافق مع المشروع الذي ينادي به، فشجبه ورفضه رفضاً باتاً، داعياً إلى استكمال تحرير شرق الأردن من كل قيد من القيود التي تجعل استقلاله شكلياً.[٤٧٠] وقد فند أسباب رفضه للمشروع بما ينطوي عليه من أخطار جمة لتهديده استقلال سورية ولبنان وإعادة ربطهما بمعاهدات تنتقص من استقلالهما، ولتضمينه إقراراً بإعطاء اليهود في فلسطين منطقة لهم يتمتعون فيها بالحكم الذاتي، ولأن المشروع جاء خالياً من ذكر كيليكيا والاسكندرون[٤٧١].

وفي العام ١٩٤٧ شارك الحزب في الانتخابات النيابية في لبنان ولم يحصل على أي مقعد، وهي الانتخابات التي أجمع اللبنانيون على وصفها بالمزورة[٤٧٢]. وفي نفس العام أكد رفضه مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين، وعندما اندلعت الحرب العربية – "الإسرائيلية" الأولى شارك الحزب في المعارك، لاسيما في مناطق حيفا وعكا وصفد، ولكن الفاعلية المتوخاة منه لم تكن بالمستوى المنتظر منه بسبب حجب السلاح والعتاد عن مجاهديه من قبل الجهات التي كانت تملكه[٤٧٣].

بعد وقوع كارثة فلسطين شن الحزب السوري القومي الاجتماعي حملة إعلامية واسعة، حمّل فيها مسؤولية الكارثة للحكومات العربية، مما أثار الخشية عند السلطات اللبنانية من تنامي الحزب وانتشاره، فأقدمت على حله وافتعلت حادثة أمنية لتبرير ملاحقة الحزب وتصفيته، وبعد أن اعتقلت عدداً من أعضاء قيادته، انتقل زعيم الحزب إلى دمشق حيث لاقى ترحيباً ودعماً من

---

[٤٦٧] سعادة، أنطون. **الآثار الكاملة** ، الجزء١٤، ص ٥٨

[٤٦٨] سعادة، أنطون. **المحاضرات العشر**، بيروت، ١٩٨٠ ،ص ٩٢.

[٤٦٩] سعادة. **الآثار الكاملة**، الجزء١٤، ص٥٩

[٤٧٠] خوري. مرجع سابق، ص١٣٠

[٤٧١] المرجع السابق، ص ١٢٣–١٣٠

[٤٧٢] سعادة، **الآثار الكاملة**، ج ١٤، ص ٩٥

[٤٧٣] سعادة، أنطون. الآثار الكاملة، ج ١٥، مؤسسة فكر للابحاث، بيروت ١٩٧٥–١٩٨٩ ص ١٨٦–١٨٩

قبل رئيس الجمهورية حسني الزعيم، فأعلن الثورة الشعبية بوجه الحكومة اللبنانية، التي سرعان ما استطاعت تطويق الثورة وإخمادها خلال أيام معدودات، فتضافرت جهود دولية وعربية وإقليمية أجبرت حسني الزعيم على تسليم أنطون سعادة للسلطة اللبنانية التي أجرت له محاكمة صورية، اعتبرت من أغرب المحاكمات عبر التاريخ، ونفذ فيه حكم الإعدام رمياً بالرصاص فجر ٨ تموز عام ١٩٤٩ [٤٧٤]. فأنتقل مركزه الى دمشق.

ج- الاتجاه القومي العنصري.

هو اتجاه نشأ بفعل عصبيات عرقية مناهضة للقومية عموماً وهي من موروثات الماضي، ولم يتمكن أصحابها الخروج من الدائرة العصبية الضيقة إلى دائرة الأمة الواسعة. فشكلت بوجودها تناقضاً في كثير من الأحيان مع مقاصد الأمة بأسرها.

عدّ بيار الجميل مؤسس حزب الكتائب اللبنانية، القومية اللبنانية مساوية للقومية العربية، انطلاقاً من إيمانه بأن العرق اللبناني موجود كغيره من الأعراق الموجودة في أوروبا "إننا مثل الإيطاليين والإنكليز، إن عرقنا يتمتع بالمميزات الأساسية، مما يجعله مساوياً للأعراق الأخرى".[٤٧٥] ومقومات القومية اللبنانية حسب مفهوم حزب الكتائب تندرج في: الأرض التي تؤهل لبنان لأن يكون صلة الوصل بين قارات العالم الثلاث، وليلعب الدور الوسيط في تبادل الأفكار المادية والروحانية بينها، وهو وسيط إيجابي لا يستلم ولا يسلّم إلا بعد أن يطبع الأفكار بطابع مميز[٤٧٦]. أما اللغة العربية التي يتكلمها الشعب اللبناني فهي وسيلة تقريب فعالة مع جيرانه من دون أن تفرض الوحدة بينهما[٤٧٧]. وعد الحزب التاريخ الذي يؤمن الصلة بين الماضي والحاضر يؤكد جهود هذا الشعب على الحفاظ على كيانه[٤٧٨].

وعلى الرغم من محاولة الكتائب اللبنانية الظهور بلبوس علماني بفتح باب الانتساب إلى صفوفها من غير الطائفة المارونية، بقيت بنيتها طائفية ولم يرق مفهومها إلى فكرة الوطن الجامع، ولم تخرج عن دائرة الطائفة المارونية.

يفسر حزب الكتائب موقفه المعارض لأية وحدة عربية انطلاقاً من تعدد اللهجات في الأقطار العربية، فتقول جريدة العمل الناطقة باسم الحزب " حدود كل لهجة هي ذاتها حدود كل

---

[٤٧٤] بطرس، مرجع سابق، ص ٩٧-١١٨.

[٤٧٥] حميد، راشد.**الكتائب اللبنانية، تاريخها، عقيدتها، تنظيمها،** شؤون فلسطينية، بيروت، العدد٤٦ حزيران ١٩٧٥ ، ص ٢٢٢.

[٤٧٦] صاغية، حازم. **حزب الكتائب اللبنانية،** جريدة السفير ١٩٧٥/٤/٢٧

[٤٧٧] عليوي، هادي حسن. **الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي١٩١٨-١٩٥٢**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٢٢.

[٤٧٨] صاغية. مرجع سابق ، جريدة السفير ١٩٧٥/٤/٢٧

دولة، اللهجة ليست حدثاً طارئاً عابراً، ولكنها الشاهد على ذهنية بل وعنصرية بيئة تاريخية وجغرافية، فلماذا تختلف اللغات (ولنسمها اللهجات بين دولة ودولة في البلاد العربية وفي "الشعب العربي"؟من جهتنا لم يتسن لنا برهان قاطع بعد انتهاء اتفاقية سايكس بيكو، التي قسمت اللهجات ووزعتها وباينت ما بينها"[٤٧٩].

هذا التفسير الضعيف يظهر الثقافة السطحية والمعرفة الضحلة، لأن في وطنه لبنان ذاته لهجات عديدة وهي متباينة بين منطقة وأخرى، بل بين أحياء المدينة الواحدة. أما قوله أن سايكس- بيكو قسمت البلاد العربية حسب اللهجات يكمن خلفه إخفاء الدافع الاستعماري الذي يهدف من التقسيم إلى تمكين السيطرة الاستعمارية على الشعب العربي لتسهيل قيام "إسرائيل" وبالتالي منع النهوض العربي العام.

وعلى هذا النحو الكتائبي كان حزب الكتلة الوطنية الذي أسسه إميل إده الذي يقول : أن "لا علاقة ولا صلة للبنان بالشرق، وأن جميع الموارنة في لبنان تفكيرهم ولغتهم غربيون" [٤٨٠] هذه العقيدة المناقضة للحقائق التاريخية والعلمية، القائمة على أساس العصبية الطائفية التي تعتمد مبدأ الكراهية، لا تخدم أتباعها بقدر ما تخدم أعداء العرب وأعداء لبنان.

٣-دراسة اتجاهات الفكر القومي في فلسطين ١٩٤٥-١٩٥٨:

في العقدين التاليين للحرب العالمية الأولى كان ثمة اتجاه قومي عربي واحد يدعو إلى منع الحركة الصهيونية من تحقيق مشروعها بإقامة دولة يهودية، وتحقيق استقلال فلسطين من الاستعمار البريطاني أما بعد قيام جامعة الدول العربية فقد بر اتجاه قومي عربي له اهتمامات في الحرية الاجتماعية مترافقة مع الدعوة إلى الحرية السياسية..

أ-الاتجاه القومي العربي.

تميز الاتجاه القومي العربي في فلسطين،خلال عقد الثلاثينات بالنضال ضد الامبريالية والصهيونية مجرداً **من** المطالب الاجتماعية -الاقتصادية، واقتصرت مطالب الحركة العمالية على زيادة الإنتاج الزراعي وشجب الاحتكار الأجنبي ورفضهم التمييز في الأجور، ولم تكن هذه المطالب مرتبطة بالنضال السياسي كجزء منه.

---

[٤٧٩] جريدة **العمل** ، نقلاً عن عليوي، مرجع سابق، ص ١٢٣.

[1] الخوري، بشارة. **حقائق لبنانية من ١٠آب سنة ١٨٩٠إلى ١٨ أيلول ١٩٥٢**، ج٣، منشورات أوراق لبنانية ،بيروت، ١٩٦١، ص ٨٤.

ولكن بعد التطور الاقتصادي في فلسطين ونشوء قوى جديدة، وما رافق ذلك من ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين من وعي لمصالحها، أدى إلى تغيير في بنية الحركة الوطنية العربية،، وإلى إعطائها بعض المميزات، فالتطور الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية،أدى إلى تطور القوى العاملة إلى ستين ألفا، مما دفع إلى تغيير خصائص نضال الحركة الوطنية من أجل التحرر، ولهذا لم يعد النضال من أجل الاستقلال هو ذلك النضال الوطني النظري من أجل السيادة الفعلية.

لقد أصبح النضال من أجل الديمقراطية، وتحقيق أوضاع اجتماعية أفضل، هو النضال ضد هيمنة الامبريالية وضد تغلغل العدوان الصهيوني، ولم يعد نضالاً رمزياً غير واضح المعالم من اجل ديمقراطية حقيقية في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي. إذ أن النضال الوطني لا يمكنه من تجاهل مطالب الشعب اليومية، وأهمها المدارس والمستشفيات والخدمات الاجتماعية. ولا تجاهل تحسين أوضاع الطبقة العاملة من عمال وفلاحين. ولهذه السباب نشأت "عصبة التحرر الوطني في المجتمع العربي"، التي عدت هدف حكم البريطانيين لفلسطين السيطرة على البترول العربي من خلال الدور الصهيوني في قلب العالم العربي، إذ ثمة تحالف بين بريطانيا الاستعمارية والحركة الصهيونية العالمية التي تضلل الجماهير اليهودية في العالم، للانضمام إلى الحركة الصهيونية الموجهة ضد الحركة التحررية العربية كلها. وانطلاقاً من هذه الرؤية وصلت العصبة إلى نتيجة مفادها: أن النضال الديمقراطي ضد الامبريالية في فلسطين هو من أجل التحرر، ولذلك تتقدم العصبة بالحل الديمقراطي الوحيد عندما تنادي بجلاء القوات الأجنبية وبإنشاء دولة فلسطينية، رافضة قيام دولة يهودية، على أرض فلسطين وكل الأسباب التي تدعو إلى ذلك من هجرة يهودية أو تقسيم فلسطين، وفي معارضتها للتقسيم تعترف العصبة بإمكانية التعاون بين العرب واليهود عندما تتحرر فلسطين وتصبح دولة ديمقراطية حرة مستقلة[٤٨١].

وتضمن البرنامج الاجتماعي الاقتصادي لعصبة التحرر الوطني تأييدها لنضال نقابات العمال العرب في نضالها للحصول على قوانين أفضل، من حيث معاش التقاعد والعجز والبطالة، كما أعلنت تأييدها للفلاحين، ضد الصهيونية الاستعمارية، وتؤيد النضال ضد صفقات بيع الأراضي، وتطالب بإصلاح زراعي، لحل مشكلة الجوع والإنتاج، كما تؤيد العصبة صغار التجار وتشجع نضال الصناعيين العرب ضد الاحتكارات والتغلغل الاقتصادي الأجنبي، سواء أكان أميركياً أم بريطانياً. ودعت إلى التحالف مع قوى التقدم العالمية التي تقف في وجه الامبريالية الأميركية، معتبرة النضال في فلسطين جزء من النضال العالمي ضد الهيمنة الأميركية[٤٨٢].

---

[٤٨١] خوري،يوسف، مرجع سابق، ص ٥٨٠

[٤٨٢] خوري، يوسف، مرجع سابق، ص ٥٨٠

ب- الاتجاه القومي الإقليمي.

خلال عقد الثلاثينات تأسست فروع للحزب السوري القومي الاجتماعي في فلسطين وكان لهذه الفروع نشاط يذكر في العام ١٩٤٨ ، حيث تشكلت قوة مقاتلة متطوعة من أعضائه للقتال بقيادة مصطفى سليمان في منطقة اللد والرملة في سبيل حرية فلسطين بيد أن "مكتب فلسطين الدائم" حجب السلاح والذخيرة عنهم أوقعت في صفوفهم عدد من الشهداء ولم يتمكنوا بسبب ما أصاب العرب من ازدواجية في القيادة والأهداف من القيام بما كانوا يناضلون في سبيله[٤٨٣].

٤-دراسة اتجاهات الفكر القومي في الأردن ١٩٤٥-١٩٥٨:

على الرغم وجود أقليات عرقية في الأردن كالشراكسة وغيرهم، لم يسجل وجود أحزاب عرقية في تاريخ الأردن المعاصر.

أ-الاتجاه القومي العربي.

بعد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ وقيام الدولة الأردنية على الضفتين الغربية والشرقية وحصول تغيير في التركيبة السكنية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبعد إدخال إصلاحات سياسية بوضع دستوري جديد بعام ١٩٥٨ شهدت الساحة الأردنية ولادة أحزاب عقائدية قومية امتدادا للأحزاب في أقطار الوطن العربي المجاورة فتأسس فرع لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ العام ١٩٥٢ وتقدم بترخيص من الحكومة ثلاث مرات ١٩٥٨ . ١٩٥٣ . ١٩٥٤ ثم حصل على الترخيص بقرار من المحكمة العلية أواخر العام ١٩٥٨ كما نشأ فرع بحركة القومية العرب ولكنه لم يحصل على ترخيص .

وفي العام ١٩٨٤ تأسس الحزب الوطني الاشتراكي بتوجهات قومية عربية، وحصل على ١٣ مقعدا في انتخابات ١٩٥٦ وألف رئيسه سليمان النابلسي حكومة ائتلافية ولكنها لم تستمر بسبب اصطدام برامجها مع توجهات الملك حسين في تلك الفترة ، وبعدها بفترة وجيزة حلت الحكومة جميع الأحزاب السياسية فدخل الأردن مرحلة من القمع السياسي غير المسبوق[٤٨٤].

كان طابع الأحزاب السياسية في الأردن، عشائريا، إضافة إلى المثقفين والمهنيين والأقليات الدينية والعرقية، ومع ذلك أُقرت قوانين تحد من حريات الاجتماع ونفي المعارضين وفرض الإقامة الجبرية عليهم الأمر الذي أثر سلبا في الحياة السياسية خلال عقد الخمسينات.

وعلى الرغم من وجود أحزاب سياسية قومية تأسست بدون ترخيص وتواجه بالقمع فإنّ هذه الأحزاب كانت تتمتع بامتداد جماهيري وتنظيمي كبير على الساحة السياسية، وكان لها تأثير مباشر وغير مباشر على السياسات العامة في البلاد[٤٨٥].

---

[٤٨٣] سعادة، **الآثار الكاملة**، ج١٥ ص ١٨٨

[٤٨٤] شتيوي، موسى، في مجموعة مؤلفين، عمل جماعي، الأحزاب السياسية في العالم العربي، ص ١٠١

[٤٨٥]شتيوي، في مجموعة مؤلفين، عمل جماعي، **الأحزاب السياسية في العالم العربي** ، مرجع سابق،ص ٩٩

ب-الاتجاه القومي الإقليمي.

منذ أقدم العصور التاريخية كانت بلاد الشام أو سورية الطبيعية وحدة كاملة ، وهذا ما أعلنه مجدداً المؤتمر السوري المنعقد في دمشق ٢ تموز ١٩١٩، إذ أكد رغبته باستقلال البلاد السورية، أما جلسة المؤتمر المنعقدة في دمشق بتاريخ ٨ آذار ١٩٢٠ فقد شكلت إعلاناً لاستقلال الأمة السورية بحدودها الطبيعية، وكان هذا الإعلان بمثابة الميثاق القومي للشعب السوري.

ومن خلال وضع الدستور عام ١٩٢٨ أكد السوريون "أن البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحدة سياسية لا تتجزأ، ولا عبرة بكل تجزئة طرأت عليها بعد الحرب العالمية الأولى" [٤٨٦].

ولمّا كان المؤتمر السوري قد توج فيصل ملكاً على سورية الطبيعية بإرادة ممثلي الشعب في المؤتمر السوري، وخسره بفعل الإرادة الأجنبية المتمثلة بفرنسا في العام نفسه، ولما كان الأمير عبد الله قد جاء من الحجاز إلى شرقي الأردن قاصداً سورية لاسترجاع العرش المسلوب، فإن هاجس الأمير عبد الله، بقي هو نفسه في استعادة سورية الطبيعية كلها.

و لذلك بعث في العام ١٩٣٦ بمذكرة إلى الحكومة البريطانية يطالب فيها بإقامة اتحاد بين شرقي الأردن وسورية تحت رئاسته كخطوة نحو تحقيق الاتحاد العربي[٤٨٧].

وفي العام ١٩٤١ طرح الأمير عبدالله فكرة وحدة الأقطار الشامية (سورية،فلسطين، وشرقي الأردن، ولبنان) في مشروع أطلق علية وحدة سورية الكبرى و قد لاقت الفكرة، يومها، رواجاً وتأييداً من قبل بعض الأحزاب والقوى السياسية في سورية وفلسطين وشرقي الأردن. [٤٨٨]

وبعد تصريح أنتوني أيدن في مجلس العموم البريطاني، في ٢٤ شباط ١٩٤٣، المؤيد لتحقيق آمال العرب في وحدتهم، و المتضمن نظر الحكومة البريطانية بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية، ولا يُخفى أن المبادرة لأي مشروع يجب أن تأتي من جانب العرب أنفسهم [٤٨٩] . دعا الأمير عبد الله إلى مؤتمر وطني عقد في عمان خلال يومي ٥-٦ آذار ١٩٤٣، أسفر عنه تبني مشروعين لوحدة سورية الكبرى، **أولهما** مركزي الإدارة، **وثانيهما** اتحادي كونفدرالي.

---

[٤٨٦] الأردن، **الكتاب الأردني الأبيض**، الوثائق القومية في الوحدة السورية الطبيعية، المطبعة الوطنية، عمان ١٩٤٧، ص ٨.

[٤٨٧] فرح، محمد. **الأمة العربية على الطريق إلى وحدة الهدف: تاريخ الأمة العربية منذ الاحتلال العثماني إلى مؤتمر القمة العربية، ١٥١٤-١٩٦٤**، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢٢٣.

[٤٨٨] محافظة. مرجع سابق، ص٤٤.

[٤٨٩] - Great Britain , Hansard, Parliamentary Debates, House of Commons, February 1943, co.1.139

تضمن المشروع الأول النقاط التالية:

١- تضم هذه الدولة الموحدة سورية وشرق الأردن وفلسطين ولبنان.

٢- تكون لكل من فلسطين، ولبنان القديم، إدارة خاصة بمقتضى الدستور، تلاحظ في الأولى حقوق الأقلية اليهودية، ومركز الأماكن المقدسة الخاصة بها، وفي الثانية أماني اللبنانيين الوطنية.

٣- يلغى وعد بلفور لعدم موافقة العرب عليه، وهم أصحاب البلاد الشرعيون.

٤- رئاسة الدولة السورية الموحدة يعهد بها إلى الملك عبد الله.

٥- حال إعلان الدولة السورية الموحدة، يصار إلى تأسيس اتحاد عربي تعاهدي مع سوريا والعراق (الهلال الخصيب) وليس ما يمنع انضمام الدول العربية الأخرى إليه[٤٩٠].

أما المشروع الثاني الداعي إلى تأسيس دولة اتحادية وقيام اتحاد عربي تعاهدي، فقد تضمن النقاط البارزة التالية:

١- قيام دولة اتحادية مركزية، تشمل حكومات الدول الأربع (سورية، لبنان، شرقي الأردن، وفلسطين) و عاصمتها دمشق.

٢- يعهد إلى الاتحاد بشؤون الدفاع والمواصلات والاقتصاد الوطني والسياسة الخارجية والثقافة العامة، والقضاء، مع إلغاء الاستقلال الذاتي لكل حكومة من الحكومات الإقليمية الأربع.

٣- يكون للاتحاد مجلس تشريعي منتخب، ممثل للأقاليم المتحدة، ومنه ينتخب رئيس وزراء الاتحاد، ويختار أعضاء السلطة التنفيذية والاتحادية.

٤- يتحقق الاتحاد عن طريق المفاوضات واتفاق الحكومات الأربع.

٥- يسمى (الملك عبد الله) رئيساً لدولة سورية الاتحادية.

٦- في حالة رفض حكومة لبنان الانضمام لدولة الاتحاد، تعاد الأراضي السورية التي ألحقت به من دون استفتاء شعبي.

٧- عند انضمام فلسطين، لا بد من قيام حكومة وطنية دستورية، تطبيقاً لسياسة الكتاب الأبيض البريطاني لسنة ١٩٣٩، ويعطى اليهود في مناطقهم إدارة لامركزية لحفظ حقوقهم، على أن تعلن الوكالة اليهودية موافقتها على هذا الحل.

---

(٤٩٠) **الكتاب الأردني الأبيض, مرجع سابق**، ص ٦٤-٦٧.

٨- تمنح بريطانيا تفسيراً رسمياً لوعد بلفور، و يشترط فيه إزالة مخاوف العالمين العربي والإسلامي، كما تؤيّد فيه حقوق عرب فلسطين القومية والسياسية في وطنهم الخاص الموروث عن الآباء والأجداد، مع وقف الهجرة اليهودية منذ الآن.

٩- في حال عدم موافقة الجانب البريطاني على هذا الحل، تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد، ويظل العرب أمة ذات ميثاق قومي، ذات حقوق وطنية مشروعة، غير معترفين بمشروعية الوضع الراهن في فلسطين، و هم مثابرون على المطالبة بإلغاء وعد بلفور.

١٠- حال قيام الدولة السورية الموحدة، يصار إلى تأسيس الاتحاد العربي على نحو ما وضعناه في المشروع الأول[٤٩١].

أثير مشروع سورية الكبرى في المؤتمر التحضيري العربي الأول في الإسكندرية (تشرين الأول ١٩٤٤)، حيث أكد المندوب الأردني، أهمية الموضوع، ورغبة سكان الأقطار السورية الأربعة في الحكم الملكي الدستوري ، فيما رفض المندوب السوري، المشروع الأردني، وأصر على تمسك شعب سورية بالنظام الجمهوري[٤٩٢].

وفي العام ١٩٤٦ وبعد الاتفاق، بين فرنسا من جهة ولبنان وسورية من جهة أخرى، على جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيهما، جدد الملك عبد الله دعوته لإقامة وحدة سورية الطبيعية، الأمر الذي أثار ردود فعل رافضة عديدة ولاسيما أن الجامعة العربية كانت قد أُنشئت قبل عام واحد ١٩٤٥[٤٩٣]. فاتجهت أنظاره نحو العراق وقدم مشروعاً، أثناء زيارته لبغداد أيلول ١٩٤٦، يقوم على اتحاد فيدرالي بين البلدين، لم يلق المشروع قبولاً عند الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق، والحكومة العراقية، وقد أثار المشروع مقاومة أحزاب المعارضة العراقية، إذ أعلن المؤتمر العام لحزب الاتحاد الوطني (٢٧/ آذار/١٩٤٧) رفضه للمشروع، وحذت حذوه أحزاب أخرى أمثال: حزب الشعب، وحزب الاستقلال الذي حذر من المخاطر الاستعمارية لهذا الاتحاد، لاسيما وأنه يجري على يد ساسة عرفوا بممالأتهم للسياسة الأجنبية[٤٩٤].

---

[٤٩١] **الكتاب الأردني الأبيض**، مرجع سابق، ص ٦٧-٧٠.

[٤٩٢] محافظة. مرجع سابق ، ص٤٦

[٤٩٣] المرجع السابق، ص ٢٣٨-٢٤٦.

[٤٩٤] العجلوني، محمد سيف الدين، **معركة الحرية في شرقي الأردن وأقوال رجال السياسة في سورية الكبرى**، مطبعة جودة بابيل، دمشق ١٩٤٧ ، ص٢٢٢-٢٢٦

جدد الملك عبد الله عام ١٩٥٠ طرح مشروعه للاتحاد بين العراق والأردن[٤٩٥]، ثم اشتدت الدعوة بعد اغتياله في ٢٠ تموز ١٩٥١، لضم الأردن إلى العراق، فناشدت القوى السياسية الجهات العراقية المعنية بالأمر ضرورة العمل على توحيد القطرين قبل فوات الأوان، لكن العراق لم يتخذ أيّ إجراء لتلبية هذه الدعوة[٤٩٦].

تباينت مواقف التيارات القومية من مشروع سورية الكبرى، وتراوحت بين التأييد والرفض، وكان أبرز المؤيدين حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أعلن تأييده من الناحية المبدئية، فهو مع قيام وحدات عربية في وادي النيل، وفي الخليج، وهو أيضاً مع مشروع سورية الكبرى. إذ يحافظ على عروبة فلسطين، و على النظام الجمهوري. إذا تم ذلك برضا الشعب وحقق المصلحة العربية العليا، لكن الخطوة الجدية الحاسمة، برأيه، في طريق هذه الوحدة هي توحيد سورية والعراق، ولكنه عاد فعارضه بعد عامين لأن الأردن لم يحقق استقلاله التام، وبسبب الحرص على النظام الجمهوري[٤٩٧]. وحجة البعث هنا ضده وليست لصالحه، إذ أن الوحدة تسرع في تحقيق استقلال الأردن. والنظام، في إطار الوحدة، يصبح تغييره أكثر سهولة.

وتباينت المواقف لدى التيارات القومية في العراق بين مؤيد ومعارض، ففي حين أيد حزب الاستقلال مشروع سورية الكبرى لأنه نواة لمشروع الوحدة الكبرى، ويتفق وجسامة الأخطار المحدقة بالأمة العربية وتطلعاتها بين الأمم[٤٩٨]، جاراه حزب الأحرار[٤٩٩] في التأييد معتبراً المشروع ركيزة أساسية لأي مشروع وحدوي، لأنها تمثل وحدة طبيعية وتحقيقها يخدم البلدين، وهي بداية لاتحاد الدول العربية[٥٠٠]، وعلى الموقف ذاته كان البعث العربي، الذي أعلن تأييده لجميع المشاريع الوحدوية المطروحة على الساحة آنذاك، مؤكداً العمل المستمر لتحقيق الاتحاد

---

[٤٩٥] للمزيد من التفاصيل، أنظر، محي الدين، جهاد مجيد. **العراق والسياسة العربية، ١٩٤١-١٩٥٨**، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، بغداد ١٩٨٠، ص ٣٢١-٣٢٤.

[٤٩٦] غلمن، ولدمار. **عراق نوري السعيد، انطباعاتي عن نوري السعيد بين سنة ١٩٥٤-١٩٥٨**، ترجمة خيري حماد، مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت ١٩٦٥، ص ١٣٦.

[٤٩٧] أنظر بيان لحزب البعث العربي الاشتراكي في ١٩٤٥/١٢/١٤ وبيان لمجلس الحزب المنعقد في ١٩ و١٩٤٧/٩/٢٠ في: **نضال البعث** ج١، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٣-١٩٧٤، ص ٨٥ وص ٢٠٦.

[٤٩٨] **جريدة لواء الاستقلال** ١٩٤٨/١٢/٦.

[٤٩٩] حزب الأحرار –العراق هو تجمع يميني ، تزعمه سعد صالح، أصدر جريدة ناطقة باسمه هي "صوت الأحرار" سحب ترخيصه عام ١٩٤٧، وأغلقت جريدته في العام التالي. راجع : الخوند، الجز ١٢، مرجع سابق، ص ١٤٣

[٥٠٠] جريدة **صوت الأحرار**، العراق ١٩٤٦/١١/٢٩.

العراقي–السوري، وتأييد الاتحاد بين الأردن والعراق، وتأييد اتحاد وادي النيل، واستقلاله وتحرره من الاستعمار، والتأكيد على تحقيق الوحدة بين العراق والكويت[٥٠١].

وفيما أيدت هذه الأحزاب المشروع، فقد عارضته بقية الأحزاب العراقية وعلى رأسها حزب الشعب الذي أظهر معارضة شديدة، معتبراً المشروع مشروعاً استعمارياً يقصد منه تشتيت جهود العرب، وليس جمعهم، وأن جذوره بريطانية فرنسية، و قد وجد في ظل الصراع بين الدولتين عام ١٩٤١[٥٠٢].

كما تصدت الكتلة الوطنية في سورية وعصبة العمل القومي للمشروعين من الزاوية القومية، فأعلنت ترحيبها بالوحدة العربية الشاملة على أن تكون وحدة الأحرار مع الأحرار، واتهمت كل من الأردن والعراق بأنهما لا يزالان تحت النفوذ البريطاني ولم يبلغا مرحلة السيادة الكاملة، وإن أي اتحاد مع سورية يدخلها تحت النفوذ البريطاني[٥٠٣] كما ناصبت مصر والسعودية العداء للمشروع[٥٠٤]

ثالثاً: دراسة اتجاهات الفكر القومي في العراق (١٩٤٥–١٩٥٨).

تميز العراق بنمو الفكر القومي العربي بعد قيام جامعة الدول العربية المصادف انتهاء الحرب العالمية الثانية حاملاً الهم العربي من أقطار لا تزال تحت الاحتلال الاستعماري، إلى خطورة ما يحاك لفلسطين.

١– الاتجاه القومي العربي:

نشأت أحزاب عديدة في العراق بعد قيام الجامعة العربية طرحت في أولوياتها القضية العربية بمختلف مسائلها، بدءا من انجاز الاستقلال الكامل للعراق بجلاء الجيوش البريطانية، وصولاً ومساعدة الأقطار العربية التي لا تزال تحت الاحتلال الاستعماري لبلوغ استقلالها، ومقارعة الصهيونية في فلسطين التي لا تهدد فلسطين وحسب، بل المصير العربي العام عن طريق مناوئة الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكل الوسائل، ومواجهة التفرقة سواء أكانت مادية– طبقية، أو روحية– مذهبية أو طائفية نظراً لدورها في تأخير الانتماء الوطني والقومي، ودعم جامعة الدول العربية في سبيل تسهيل إقامة اتحاد عربي شامل، وتعزيز الديمقراطية سبيلاً

---

[٥٠١] جريدة **البعث العربي**، دمشق، العدد ٣، ١٩٥٢/١/٥.

[٥٠٢] جريدة **الوطن** (العراق) ١٩٤٧/٤/٢٥.

[٥٠٣] الشقيري، أحمد. **الجامعة العربية كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية**، دار بو سلامة، ١٩٧٩، تونس ١٩٧٩، ص ٣٩–٤٠.

[٥٠٤] محافظة. مرجع سابق، ص٤٩

لتطوير البلاد العربية، ومعارضة مشروع سورية الكبرى، وتطوير الصناعة العراقية للإسهام في الاقتصاد الوطني، وانتهاج سياسة حيادية بين القوتين العظميين، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ومركزه دمشق، الوحيد الذي رفع لواء الوحدة العربية بشكل صريح وواضح.

ونظراً لكون قانون الجمعيات العراقي يلزم الأحزاب بالقطرية، حاول حزب الاستقلال المؤسس عام ١٩٤٦ تشكيل جامعة عربية شعبية، ولكن المشروع أحبط من قبل العراق والسعودية، خوفاً على جامعة الدول العربية التي لا تستطيع، بسبب ميثاقها من تقديم أية خطوة توحيدية.

والجدير بالذكر أن حزب البعث العربي الاشتراكي قد رحب بالخطوة مشترطاً، أن يسبق المؤتمر الشعبي، المنوي عقده لهذه الغاية، مؤتمر تمهيدي تحضره قيادات لها صفة الشعبية الصادقة[٥٠٥].

كان للأحزاب القومية العربية في العراق دور نضالي بارز في مواجهة حلف بغداد ١٩٥٥، وفي انتفاضة ٢٤ شباط ١٩٥٦، حيث اجتاحت العراق موجة عارمة من التظاهرات ضد العدوان الاستعماري على مصر، وتشكلت عام ١٩٥٧ جبهة الاتحاد الوطني من حزب البعث العربي الاشتراكي، وحزب الاستقلال، وحزب الحزب الوطني الديمقراطي، والحزب الشيوعي، من أهدافها: إزاحة الزمرة الملكية الإقطاعية عن السلطة، وحل المجلس النيابي الرجعي، وخروج العراق من حلف بغداد والتمسك بسياسة الحياد الايجابي، وإلغاء القوانين العرفية كلها، ومنح الشعب العراقي الديمقراطية الدستورية، والإفراج عن المعتقلين السياسيين.

ب–الاتجاه القومي الإقليمي.

واجهت بريطانيا وفرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية أزمات سياسية وعسكرية واقتصادية صعبة، تمثلت باحتلال ألمانيا لفرنسا ١٩٤٠، ومعركة طويلة بين ألمانيا وبريطانيا ١٩٤١، ونتيجة لذلك تزايد النفوذ الألماني–الإيطالي في المنطقة العربية، مما أفسح المجال لاتساع التيار القومي العربي لتحقيق الطموحات العربية، لاسيما وقد حصلت انتفاضة رشيد عالي الكيلاني في العراق، وبعد القضاء على تلك الانتفاضة عام ١٩٤١ من قبل بريطانيا، ظهرت السياسة البريطانية الجديدة تجاه العرب متمثلة بتصريح وزير خارجيتها أنتوني أيدن، (Anthony Eden) الذي جاء فيه:

".. إن حكومة جلالته تعطف كثيراً على أماني سورية في الاستقلال، وأود أن أكرر ذلك الآن... فأقول: إن العالم العربي قد خطا خطوات عظيمة منذ التسوية التي تمت عقب الحرب

---

[٥٠٥] خوري ، مرجع سابق، ص ٥٧٤

العالمية الأولى، وأرجو كثيراً من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر مما تتمتع به الآن، وإن العرب يتطلعون لنيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا الهدف، ولا ينبغي أن نتجاوز الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا... ويبدو من الطبيعي، ومن الحق وجوب تعزيز الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية، و كذلك السياسية أيضاً... وحكومة جلالته سوف تبذل تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة عامة" (٥٠٦).

لاقى هذا التصريح أصداء متباينة في الوطن العربي بشكل عام تراوح بين التأييد والنظر بحذر وشك(٥٠٧) كونه صدر في اليوم التالي للقضاء على حكومة الكيلاني كأحد العوامل لامتصاص النقمة الشعبية، وتفريغ الفكرة القومية من محتواها الحقيقي، ومن أجل استعادة هيبة الهاشميين لدى الوطنيين العرب.

وفي بريطانيا، دعي في ٦ كانون الأول ١٩٤١ ممثلون عن وزارات الخارجية والمستعمرات واللجنة الرسمية "للشرق الأوسط" لبحث مختلف الصيغ بشأن الاتحاد العربي المزمع إقامته، وبيان فوائده ومضاره وإمكانات تطبيقه، على أن يتضمن حلاً للقضية الفلسطينية(٥٠٨) متحداً أو اتحادياً يجب أن يقره أهالي هذه الدول أنفسهم. أفضى إلى التوصية بأن الوقت لم يحن بعد لصياغة مشروع اتحاد سياسي عربي، وعليه يتوجب على بريطانيا التحرك في اتجاهين:

الأول: يقوم على الاقتناع بأن رغبة العرب في إقامة صلات أوثق بينهم لا بد من أن تنمو و تشتد.

وثانيهما: تشجيع المزيد من الإجراءات الرامية إلى التعاون العربي في ميدان الاقتصاد والمعرفة(٥٠٩). وهذا التفاف بريطاني على التصريح الأول وإجهاض له.

تأسيساً، على الموقف البريطاني، وبعد انتصارها في معركة العلمين تشرين الثاني ١٩٤٢ قدم رئيس وزراء العراق نوري السعيد مذكرة إلى وزير الدولة البريطاني(٥١٠) في كانون الأول ١٩٤٢ يتضمن مشروعاً بالنقاط الثمان التالية:

---

(٥٠٦) - Eden, antony: *Freedom and order: selected speeches,1939-1*946(London Faber and Faber , 1947.pp 104-105

(٥٠٧) -Gomaa, Ahmed M.*: The Foundation of the league of Arab states: wartime Diplomacy and inter-Arab politics, 1941 to 1945* (London, New York, Longman) 1977, p. 167

(٥٠٨) سيتون، وليمز. **بريطانيا والدول العربية: عرض للعلاقات الإنجليزية العربية**، ١٩٢٠-١٩٤٨، ترجمة وتعليق أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، مكتبة ألا نجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢٢٧.

(٥٠٩) Gommaa, Ibid.p.p. 111-113

١- إعادة توحيد سورية ولبنان وشرق الأردن من جديد في دولة واحدة.
٢- نظام الحكم في هذه الدولة، سواء ملكياً كان أم جمهورياً، فإن حكومة جلالته سوف تبذل تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة عامة[٥١١].
٣- تنشأ جامعة عربية ينضم إليها العراق وسورية مباشرة، ويجوز أن تنضم إليها الدول العربية الأخرى متى شاءت.
٤- يعين أعضاء مجلس الجامعة من الدول الأعضاء، ويرأسه شخص يتم اختياره بطريقة تتفق عليها الدول ذات الشأن.
٥- يتولى مجلس الجامعة الدائم شؤون الدفاع والخارجية والعملة والمواصلات والجمارك، وحماية حقوق الأقليات.
٦- حق اليهود في فلسطين بإدارة أقاليمهم في المدن والأرياف بما في ذلك المدارس والمؤسسات الصحية والبوليس، مع الخضوع لإشراف الدولة.
٧- تكون القدس مفتوحة لمعتنقي الأديان الثلاثة لضمان مثل هذا الأمر.
٨- يمنح الموارنة في لبنان، إذا رغبوا، الامتيازات نفسها التي كانوا يتمتعون بها في أواخر العهد العثماني[٥١٢].

لاقى مشروع الهلال الخصيب تأييداً من حزب الاستقلال العربي- فلسطين[٥١٣] وأصدقائه[٥١٤]، حيث أرسلوا موافقتهم، بعد دراسة المشروع برسالة بعثوا بها إلى نوري السعيد، مطالبين بإجراء تعديلات عليه في موضعين، الأول: إغفال قضية الهجرة اليهودية، على الرغم من إشارة المشروع إلى ضرورة تمسك بريطانيا بالكتاب الأبيض، الذي يقول بوقف نهائي للهجرة اليهودية، فإن ذلك لا يكفي، إذ يتوجب أن يتضمن المشروع إشارة مباشرة إلى مسألة الهجرة.

---

[٥١٠] كان وزير الخارجية في بريطانيا، يومذاك، "ريتشارد كيسي" Richard Kici

[٥١١] -Eden, ,Ibid, p.p. 104-105

[٥١٢] نص المذكرة في: السعيد، نوري. **استقلال العرب ووحدتهم**، مذكرة في القضية العربية مع إشارة خاصة إلى فلسطين ومقترحات رامية إلى حل نهائي مربوط بها نصوص جميع الوثائق المتعلقة بالقضية، د ن، بغداد، ١٩٤٧، ص ١-٢٢.

[٥١٣] تأسس حزب الاستقلال العربي في فلسطين بتاريخ ١٩٣٢/٨/٢، على يد مجموعة من الفلسطينيين العرب أبرزهم: عوني عبد الهادي ، عزة دروزة، أكرم زعيتر، ومن مبادئه : استقلال العرب استقلالاً تاماً، البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة، وفلسطين بلاد عربية وهي جزء من طبيعي من سورية. راجع: خوري، مرجع سابق، ص ٥٧٧ .

[٥١٤] قاسميه، خيرية. **عوني عبد الهادي: أوراق خاصة**، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٧٤، ص ١٢٩-١٣٠.

والثانية، حول إعطاء اليهود شبه استقلال إداري، فقد اعترض الفلسطينيون على هذه الصيغة، معلّلين اعتراضهم بـ "الكتاب الأبيض" الذي صدر عن الحكومة البريطانية بتاريخ ١٧ أيار ١٩٣٩ تحت ضغط الثورة الفلسطينية ١٩٣٦- ١٩٣٩ ، الذي لم يمنح اليهود أي نوع من الاستقلال[٥١٥]. إذ تضمن: " إن مصلحة السلام ورفاه جميع أهالي فلسطين تتطلب وضع تعريف صريح للخطة السياسية وأهدافها، وهي تصرح (أي الحكومة البريطانية) بعبارة لا إبهام فيها، أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية لمخالفة ذلك لالتزاماتها نحو العرب، كما أنها لا توافق على أن توجب مراسلات حسين- مكماهون تحويل فلسطين إلى دولة عربية مستقلة، وعليه فهي ترغب في أن ترى قيام دولة فلسطين مستقلة يشترك في ممارسة الحكم فيها العرب واليهود"[٥١٦]

وكان لثورة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ في العراق، صداها الايجابي في قلوب الوطنيين السوريين، إذ قد يكون ما حصل في العراق مقدمة لتحرير سورية من الفرنسيين، وفلسطين من البريطانيين، فعبر السوريون عن تأييدهم للكيلاني بالمال والرجال، وهذا ما شكل فرصة لحزب البعث العربي الناشئ ليظهر ولاءه المطلق لوحدة العرب من خلال تشكيله اللجان الطلابية لتأييد الثورة العراقية، لتبدأ حركة نصرة العراق، ولكن عودة الوصي الى بغداد بحماية الحراب البريطانية، بعد فراره منها، مما أفقد الهاشميين ثقة الرأي العام القومي. فيقول ميشيل عفلق، لباتريك سيل" إن هؤلاء الرجال الذين قدر لهم أن يتسلموا السلطة في سورية في الفترة التي تلت الحرب، لم يكن ليتوقع منهم قط أن يتوصلوا يوماً إلى اتفاق مع الوصي ونوري السعيد، وأصدقائهما الانجليز، وستظل مواقفهم الجذرية المعادية للانكليز ثابتة، وحتى القوميون العراقيون أنفسهم الذين حلموا في حماسة بالغة ، بوحدة الهلال الخصيب .. أصبحوا يفضلون استقلال سورية على ربطها بعراق يحكمه نوري السعيد، ويرتبط بمعاهدة مع بريطانيا"[٥١٧].

ج-الاتجاه القومي العنصري.

ترأس الحزب الملاّ مصطفى البارازاني الذي حظي بالاستفادة من قانون العفو العام الصادر في آذار عن السلطة العراقية ١٩٤٥ بعد الأحداث العسكرية في شمال العراق قبل شباط ١٩٤٤ وكان قد لجأ إلى المناطق الكردية في إيران حيث تمكن الأكراد من السيطرة عليها.[٥١٨]

---

[٥١٥] المرجع نفسه، ص ١٣٠.

[٥١٦] راجع النص الكامل للكتاب الأبيض في : **فلسطين تاريخها وقضيتها**، مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

[٥١٧] سيل، **الصراع على سورية**، ص ٢٦-٢٧.

[٥١٨] زودو، مرجع سابق، ص ٥٩-٦٠

ولم يغير سير العمليات الحربية إلاّ تدخل سلاح الجو البريطاني فاضطر الأكراد إلى وقف العمليات القتالية المنظمة، وفر البرزاني مع ألفين من رجاله إلى مدينة مه آباد[٥١٩].

وفي العام ١٩٤٦ بدأ الحزب الديمقراطي الكردستاني نشاطه سراً. وكان يدافع بصورة رئيسة عن مصالح البرجوازية الوطنية الكردية، ولكنه كان يضم أيضاً العمال والمثقفين وحتى الإقطاعيين[٥٢٠].

وعندما استطاعت القوات الإيرانية إخضاع المناطق الكردية، حيث أعلنت الجمهورية الكردية "المهابادية" عام ١٩٤٧، قام العراق بحملة عسكرية ضد الحزب الديمقراطي الكردي ، ترافقت ببيان صادر عن الحكومة العراقية جاء فيه: "نظراً لإصرار الملا مصطفى البارازاني وأتباعه على عدم التسليم، فإن الحكومة لم تر بداً من اتخاذ الإجراءات اللازمة بحقهم". قرر على أثرها الملا مصطفى على مغادرة العراق إلى الإتحاد السوفياتي في حزيران عام ١٩٤٧.[٥٢١]

---

[٥١٩] مجموعة مؤلفين، **تاريخ القطار العربية المعاصر**، ص ٣١١

[٥٢٠] المرجع نفسه، ص٣١٢

[٥٢١] زودو، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٨

الفصل الثالث:

اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام والعراق منذ قيام الوحدة السورية- المصرية عام ١٩٥٨ وصولاً إلى وصولاً إلى حكم حزب البعث في العراق وسوريا عام ١٩٦٣. دراسة اقتصادية -اجتماعية وسياسية- أيديولوجية.

محتويات الفصل الثالث

الموضوع

أولاً: مستجدات الوضع الدولي والعربي والمحلي لبلاد الشام والعراق وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

١- مستجدات الوضع الدولي والعربي وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

٢- مستجدات أوضاع بلاد الشام عموماً والقضية الفلسطينية خصوصا وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

٣- مستجدات أوضاع العراق وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

ثانيا: دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام ١٩٥٨-١٩٦٣.

١- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في سوريا ١٩٥٨-١٩٦٣.

٢- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في لبنان ١٩٥٨-١٩٦٣.

٣- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في فلسطين ١٩٥٨- ١٩٦٣.

٤- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في الأردن ١٩٥٨-١٩٦٣.

ثالثاً: دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣.
رابعاً: دراسة الاتجاهات القومية اقتصادياً – اجتماعياً وسياسياً-فكرياً.
٢- دراسة الاتجاه القومي العربي:
أ-الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية.
ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية.
٢- دراسة الاتجاه القومي الإقليمي:
أ-الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية.
ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية.
٣- دراسة الاتجاه القومي العنصري:
ا-الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية.
ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية.

أولاً: مستجدات الوضع الدولي والعربي والمحلي لبلاد الشام والعراق وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

كان الظرف التاريخي في هذه المرحلة، ظرفاً مناسباً لتنامي الفكر القومي العربي التحرري، من ضمن مرحلة دولية شهد فيها العالم تهاوي النظام الاستعماري العالمي، لاسيما بعد موقف الاتحاد السوفيتي الداعم لحركات التحرر في العالم.

١- مستجدات الوضع الدولي والعربي وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

تعاظمت الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي، والغربية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، وبلغت أشدها بعد تحرير فيتنام من الاستعمار الفرنسي عام ١٩٥٤ وتقسيمها إلى جمهوريتين، شمالية شيوعية بقيادة هوشي منه مدعومة من الاتحاد السوفيتي، وجنوبية مدعومة من الولايات المتحدة الأميركية، حيث دارت حرب طاحنة بين القوات الأميركية ومقاتلي جبهة التحرير الفيتنامية الفييت كونغ، التي كانت ترى بدحر الأميركيين من قيتنام تخليص كل جنوب شرق آسيا من الهيمنة الأميركية، وبعد تصاعد دور المقاومة الفيتنامية التي

تسببت بقتل ما يزيد عن ٥٠٠٠٠ جندي أميركي حققت استقلالها خلال عقد السبعينيات من القرن الماضي[٥٢٢].

وكان قيام حكم يساري اشتراكي في كوبا أمراً مقلقاً للولايات المتحدة التي حاولت إسقاط كاسترو بالضغط والتهديد، نشأت أزمة الصواريخ الشهيرة بين الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، انتهت إلى اتفاق بين الطرفين، يقضي بسحب الصواريخ السوفيتية، مقابل تعهد الولايات المتحدة في عهد الرئيس كندي بعدم المس بالنظام الكوبي.

وإزاء فشل الغرب في جر سوريا ومصر إلى سياسة الأحلاف، وفشل العدوان الثلاثي الذي قامت به كل من بريطانية وفرنسا وإسرائيل، على مصر عام ١٩٥٦، وفي غمرة نضال الشعب الجزائري حربه التحررية الاستقلالية من الاحتلال الفرنسي، ونضال الشعب العربي في اليمن الشمالية، وعمان وقطر والبحرين والكويت. برزت الزعامة الناصرية، على المستويين المصري والعرب نظراً لدعمه المقاومة الفلسطينية المنطلقة من غزة، وتعريب مصر، وتصديه للعدوان الثلاثي وانتصاره السياسي، وكان لهذا الفعل تأثيره على الشعب العربي بعامة والشعب السوري بخاصة، بسبب ارتفاع النبرة القومية التحررية في القطريين المصري والسوري، فبدا طريق الوحدة يومها بين مصر وسوريا، وهو الهدف الذي القرب على أن تنضم للوحدة القطار العربية الأخرى إلى الوحدة، إذ أن بدون انضمام الأقطار العربية إلى الوحدة، لا يمكن للوحدة أن تترسخ وتبقى[٥٢٣].

٢- مستجدات أوضاع بلاد الشام عموماً والقضية الفلسطينية خصوصا وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

تأثر ضباط الجيش العربي السوري بالتيار المناوئ للسياسة العراقية، وباتوا من أشد المقاومين للرجعية والإمبريالية معلنين حماسهم الثوري لمصر وقائدها جمال عبد الناصر، وإيمانهم بالوحدة ومستقبلها[٥٢٤] التي تستطيع أن تضع حداً للاعتداءات الصهيونية المتمادية في قطاع غزة، والجولان السوري، فضلاً عن تنماي المطالبة العربية بالحقوق الفلسطينية المشروعة، مما دفع مجموعة منهم تمثل مختلف الفئات مؤلفة من ١٤ ضابطاً[٥٢٥]، على

---

[٥٢٢] عطية الله، أحمد. القاموس السياسي، ص ٢٧٦

[٥٢٣] البيطار، صلاح. السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق، دار الطليعة، بيروت، ص ٤٨

[٥٢٤] سيل، **الصراع على سورية**، ص ٤١٦.

[٥٢٥] يعتقد أن الضباط الذي ذهبوا إلى القاهرة ١٤ ضابطاً هم: عفيف البزري (رئيس الأركان)، مصطفى حمدون(رئيس الشعبة الأولى)، أحمد عبد الكريم (رئيس شعبة العمليات)، وجمال الصوفي(قائد البحرية)، وأكرم الديري(قائد الجبهة الفلسطينية)، وأحمد الحنيدي، وطعمه العوض الله، وحسن حدة، وعبد الغني قنوت، ومحمد

رأسهم عفيف البزري رئيس الأركان العامة، للذهاب إلى مصر بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٥٨ دون علم الحكومة[٥٢٦]، وقدمت مذكرة إلى الرئيس عبد الناصر تؤكد أهمية الوحدة بين مصر وسورية في الماضي والحاضر والمستقبل، وعرضت وجهة نظرها لشكل الوحدة في الدستور الواحد، والرئيس الواحد والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية الواحدة، والعلم الواحد والقوانين المنظمة لحقوق المواطنين الواحدة، ومجلس دفاع أعلى وقيادة عامة للقوات المسلحة، وتوزيع القوات المسلحة: البرية، البحرية والجوية، المجهزة والمدربة حسب متطلبات الدفاع والخطط الدفاعية المقررة إلى مسارح العمليات في أرض الدولة الاتحادية، وحذرت المذكرة من مغبة عدم قيام الوحدة على هذه الأسس، لأنها بغير ذلك لا تكون وحدة[٥٢٧].

وفي اليوم التالي لسفر الضباط إلى مصر، لحق بهم وزير الخارجية السوري صلاح البيطار، بدون أي تفويض من حكومته، فكان على مقربة من الضباط، وعاد إلى سورية حاملاً محضر اتفاق بينه وبين عبد الناصر تضمن النقاط التالية:

١- "يكون نظام الحكم في الدولة العربية جمهورياً رئاسياً، ويتولى السلطة التنفيذية فيها رئيس دولة يعاونه وزراء معينيون من قبله.
٢- يعقد اجتماع بين الرئيسين القوتلي وعبد الناصر وممثلين عن الحكومتين لإعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة.
٣- يجتمع المجلسان النيابيان في وقت واحد في القاهرة ودمشق لإصدار القرارات التالية:
   أ- قيام الدولة العربية المتحدة.
   ب- ترشيح رئيس الدولة.
   ج- تفويض رئيس الدولة بإصدار دستور مؤقت لممارسة سلطاته لحين صدور دستور اتحادي دائم.
٤- استفتاء الشعب في مصر وسورية على القرارات التي يصدرها المجلسان التشريعيان.
٥- إثر ظهور نتيجة الاستفتاء يعلن الرئيس الدستور المؤقت ويباشر سلطاته فوراً[٥٢٨].

وبتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٥٨ عرض الرئيس جمال عبد الناصر الدستور المؤقت للدولة المتحدة على الرئيس السوري شكري القوتلي والوزراء السوريين والمصريين المجتمعين[٥٢٩].

النسر، وياسين فرجاني، وعبد الله جسومة، وجادوعز الدين، ومصطفى رام حمداني، وهم قادة الوحدات المدرعة.(سيل، **الصراع على سورية**، مرجع سابق، ص٤١٧.)

[٥٢٦] هيكل، محمد حسنين. **ما الذي جرى في سورية**، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣٢.

[٥٢٧] السمان، **وطن وعسكر**. ص ٨٩-٩٠.

[٥٢٨] مذكرات خالد العظم، ج٣، ص ١٢٧-١٢٨، خوري. مرجع سابق ، ص ٣٥١-٣٥٢.

[٥٢٩] المرجع نفسه، ص ٣٥٢.

وبتاريخ ٥ شباط ١٩٥٨ أبرم كل من مجلس النواب السوري، ومجلس الأمة المصري قراراً بتأييد الوحدة بين سورية ومصر، وترشيح الرئيس جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة[٥٣٠].

وتمت الدعوة من قبل المجلسين التشريعيين السوري والمصري إلى الاستفتاء على قيام الدولة وأسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية، وجرى الاستفتاء بتاريخ ٢١ شباط ١٩٥٨، وجاءت النتيجة في مصر لتؤكد موافقة ٩٩.٩٩ بالمائة من الناخبين على الوحدة والرئاسة، وفي سورية بلغت النسبة ٩٩.٩٨ بالمائة للوحدة والرئاسة[٥٣١].

وبذلك تكون الجمهورية العربية المتحدة قد قامت وسقط دستور عام ١٩٥٠ السوري، كما سقط دستور ١٩٥٦ المصري[٥٣٢].

وقد جاء في البيان التاريخي عن إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة في أول شباط ١٩٥٨، الذي حضره رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي ورئيس جمهورية مصر جمال عبد الناصر، "إعلان الاتفاق ألإجماعي على أن يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطياً رئاسياً، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة، ويعاونه وزراء يعينهم، ويكونون مسؤولين أمامه، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد، يكون لهذه الجمهورية علم واحد يظلل شعباً واحداً، وجيشاً واحداً، وفي وحدة يتساوى فيها أبناؤها في الحقوق والواجبات"[٥٣٣].

وأعلن كل من الرئيسين في ٥ شباط ١٩٥٨ المبادئ التي تم الاتفاق عليها والتي يمكن اعتبارها بمثابة روح الدستور الجديد ويمكن توزيعها وفق تصنيف تضمن: أن الدولة الجديدة، جمهورية رئاسية، لما يتمتع به رئيس الجمهورية من صلاحيات في تعيين الوزراء بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذي في كل إقليم، ولدور الشعب في انتخاب الرئيس مباشرة بالاستفتاء.

وهي دولة ديمقراطية تنبثق سلطاتها بالانتخاب العام، الذي هو حق المواطنين على النحو الذي يبينه القانون، وهي دولة متحدة، لانضمام دولتين في دولة واحدة، وهي مستقلة ذات سيادة

---

[٥٣٠] (الجريدة الرسمية للجمهورية العربية المتحدة، العدد الأول تاريخ ١٩٥٨/٣/١٣، ص ١٣) خوري، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

[٥٣١] عبد المولى، مرجع سابق، ص ١٩٧.

[٥٣٢] المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

[٥٣٣] الجريدة الرسمية للجمهورية العربية المتحدة، العدد الأول، تاريخ ١٩٥٨/٣/١٣، ص ١ . خوري، مرجع سابق، ص ٣٥٤.

وشعبها هو جزء من الأمة العربية[٥٣٤]، وهي بذلك مؤهلة لقبول أي قطر عربي آخر يريد الانضمام إليها.

والسلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة، يحدد أعضاؤه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية، ويشترط أن يكون نصف الأعضاء على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الأمة المصري[٥٣٥].

إن مجلس الأمة، والحالة هذه، لا تنطبق عليه صفة السلطة التشريعية لأنه مجلس معين وليس منتخباً، وليست له أية صفة ديمقراطية. إذ كان من الأفضل، لقيام سلطة تشريعية ديمقراطية صحيحة، انضمام المجلسين في مجلس واحد.

وفي مجال الحريات العامة التي أعلن عنها بأنها مكفولة بحدود القانون، فإن القوانين اللاحقة الصادرة بتاريخ ١٢ آذار ١٩٥٨، أي في الأيام الأولى من قيام الوحدة، قد حلّت الأحزاب السياسية في الإقليم السوري وحظرت تشكيل أحزاب أو هيئات سياسية جديدة، وكان الرئيس عبد الناصر قد أعلن حل الأحزاب السياسية في مصر بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٨[٥٣٦]. أما الانتخاب العام فهو حق للمواطنين، وإسهامهم في الحياة العامة واجب وطني، والملكية الخاصة مصونة ولا تنزع إلا للمنفعة العامة، كما وأن وضع الضرائب لا يكون إلا بقانون[٥٣٧].

أمّا في مجال الأحكام العامة، فقد أكد الاتفاق على استقلال القضاة، إذ لا سلطان عليهم لغير القانون، وإبقاء التشريعات المعمول بها في كل من القطرين ساري المفعول في كل إقليم، وإبقاء المعاهدات والاتفاقات الدولية المبرمة بين كل من مصر وسورية وبين الدول الأخرى سارية المفعول، وإعادة تنظيم المصالح العامة والنظم الإدارية وتوحيدها بقرار من رئيس الجمهورية، واتخاذ الإجراءات على وضع دستور دائم للجمهورية العربية المتحدة، دون تحديد فترة زمنية، ولذلك استمر الدستور المؤقت طيلة فترة الوحدة.

وحدد البيان موعد الاستفتاء على الوحدة ورئاسة الجمهورية في ٢١ شباط ١٩٥٨م[٥٣٨].

و في المجال السياسي نص الاتفاق على تكوين اتحاد قومي للعمل، بدلاً من الأحزاب السياسية، لتحقيق الأهداف القومية بقرار من رئيس الجمهورية، لحث الجهود لبناء الأمة بناء

---

[٥٣٤] مجموعة القوانين والأنظمة، ج١٠ (١٩٥٨) ص ٤٧١-٤٧٢، في المرجع السابق ، ص ٣٦٤.

[٥٣٥] خوري، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

[٥٣٦] ابراهيم، سعد الدين، وآخرون. **مصر والعروبة وثورة يوليو**، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٢٦-٣٢٧.

[٥٣٧] خوري، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

[٥٣٨] خوري، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

سليماً من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية[٥٣٩]. وهنا يبدو واضحاً، أن المبادئ الواردة في البيان، أعطت رئيس الجمهورية صلاحيات واسعة وفوق العادة.

ولعل السبب في قبول العسكريين السوريين، بالتنازل عن كل شيء، لصالح الرئيس جمال عبد الناصر، الذي كان يصر على إقامة الوحدة بشكل تدرجي لوضع أسس حقيقية للوحدة، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، هو رغبتهم في قيام وحدة فورية، للتخلص من الحمل السياسي الثقيل، وإلقائه على أكتاف الرئيس "البطل".

ومن جهة ثانية، قد يكون قبول الرئيس عبد الناصر بهذه الصلاحيات شبه المطلقة، انسجامها مع عقليته العسكرية، التي تفهم السلطة أمراً وطاعةً وقليلاً ما تقبل المشاركة.

ارتكزت مبادئ الوحدة على شخصية عبد الناصر، التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون كل أسس الوحدة وكل مضمونها، لأن الأحداث الكبرى تصنعها الشعوب لا القادة ولا الملوك، وهذا لا يلغي حقيقة دور القادة في صنع الشعوب للأحداث العظام

بموجب الاستفتاء على الوحدة، وعلى شخص رئيس الجمهورية الذي جرى في يوم واحد في الإقليمين، أصبح جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة، وبالتالي، السلطة الشرعية الوحيدة في دولة الوحدة، الذي بدوره يفوض صلاحياته إلى مختلف السلطات الدستورية.

وبناء على المبادئ العامة المعلنة في المجلسين التشريعيين لكل من مصر وسورية بتاريخ ٥ شباط ١٩٥٨ التي خولت رئيس الجمهورية حق وضع الدستور المؤقت الجديد، أصدر عبد الناصر بتاريخ ٥ آذار ١٩٥٨م الدستور المؤقت لتنظيم الحكم في المرحلة الانتقالية، أي لحين وضع الدستور الدائم وإعلان موافقة الشعب عليه[٥٤٠].

وكان لا بد من تسمية الدستور بالمؤقت، نظراً لقيام الدولة الجديدة الموحدة اندماجياً وبشكل مباشر وسريع دون مقدمات توحيدية، ولحاجتها إلى إطار مؤقت يتم بموجبه تجاوز الاختلاف الذي كان قائماً لجهة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلاقات الخارجية، لاسيما وأن الاختلاف كان بسبب اختلاف القوانين والتشريعات السائدة بين الدولتين قبل قيام الوحدة بنسبة اختلاف ظروف تطور كل منهما عبر سنوات طويلة.

---

[٥٣٩] المرجع السابق، ص ٣٦٤.

[٥٤٠] عبد المولى، مرجع سابق، ص ١٨٧.

وإذ تستلزم الوحدة الاندماجية، توحيداً للنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي فضلاً عن القوانين والتشريعات، الأمر الذي يستحيل تحقيقه دفعة واحدة، كان الدستور المؤقت بمثابة الفترة الانتقالية[٥٤١].

وجاء الدستور المؤقت متطابقاً، إلى حد كبير، مع المبادئ العامة المعلنة في ٥ شباط ١٩٥٨ ويمكن توزيع خصائص هذا الدستور بما يلي:

أولاً: الدولة العربية المتحدة، جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، وشعبها جزء من الأمة العربية (مادة أولى).

فجمهوريتها، وعروبتها، وعروبة شعبها، تستند إلى الدستور المصري الصادر في العام ١٩٥٦، وإلى الدستور السوري الصادر في العام ١٩٥٠، وهي متحدة تأكيداً لانضمام دولتين في دولة واحدة، وحدد شعبها بالذي يتمتع بالجنسيتين السورية والمصرية، او من يستحقها بموجب القانون[٥٤٢].

ثانياً: اعتبر الدستور أن المقدمات الأساسية للمجتمع، تقوم بالتضامن الاجتماعي بدلاً من الصراع الطبقي والتناحر الفئوي، وبتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج ورفع مستوى المعيشة، وبتأمين العدالة في التوزيع، وبصيانة الملكية الخاصة وعدم نزعها إلا للمنفعة العامة مقابل تعويض عادل، وتحديد الضرائب والتكاليف العامة على قواعد تأمين العدالة الاجتماعية ومصلحة الدولة[٥٤٣].

ثالثاً: حدد الحقوق والواجبات العامة بالمساواة بين المواطنين، وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس، أو الأصل، أو اللغة، أو الدين، أو العقيدة[٥٤٤]. علماً أن الحكومة لم تحترم هذه المادة في التطبيق، إذ تعرض أصحاب العقائد السياسية والاجتماعية للملاحقة والسجن والتنكيل، وحصل التمييز بسبب الجنس، عندما أجبر الذكور على المشاركة في انتخابات "الاتحاد القومي" في حين كان ذلك اختيارياً بالنسبة للإناث[٥٤٥].

---

[٥٤١] خليل، محسن. **النظام الدستوري في مصر والجمهورية العربية المتحدة، نشأة المعارف**، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ص ٤٥٠.

[٥٤٢] الجريدة الرسمية للجمهورية العربية المتحدة، العدد الأول، تاريخ ١٩٥٨/٣/١٣، ص ١٦-١٨، خوري، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

[٥٤٣] المرجع السابق نفسه .

[٥٤٤] خوري، مرجع سابق، ص ٣٦٤ .

[٥٤٥] فوشيه، جورج. **عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء**، ترجمة نجدة هاجر و سعيد الغز، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٠ بيروت، ص ٣٣٥.

وعلى الرغم من تحديد الدستور، العقوبة بناء على القانون، فإن ذلك لم يمنع وزير الداخلية في الإقليم الشمالي عبد الحميد السرّاج (سورية) من القيام بالاعتقالات التعسفية متجاهلاً سلطة القضاء تجاهلاً كلياً[٥٤٦]. وأكد الدستور على الحريات العامة في حدود القانون، الذي كان ضيقاً إلى أقصى الحدود، إذ بموجبه كان قرار حل الأحزاب في سورية وفي مصر. وبموجبه أيضاً حصلت تدابير ضد الصحافة السورية بإيقاف صدور جريدة المنار الناطقة باسم الأخوان المسلمين بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٥٨ بسبب مقال، ادعى صاحبه، إن الأخوان المسلمين هم قادة الثورة العراقية، كما أعرب كاتبه عن رأيه، في أن وحدة سورية مع العراق أكثرطبيعية من وحدتها مع مصر[٥٤٧].

وفي العام نفسه أعلن نائب رئيس الجمهورية عبد اللطيف البغدادي، عن برنامج لإصلاح الصحف السورية عن طريق دمجها، بحيث لا يصدر أكثر من ثلاث أو أربع صحف في كل إقليم، بشرط أن لا تقل صفحات الأعداد اليومية عن ست، وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٨ صدر القرار الجمهوري رقم ١٩٥٨/١٩٥ الذي يتناول التنظيم الجديد للصحافة في الإقليم السوري، والذي يتضمن تقليص عدد الصحف، عن طريق تنازل أصحاب الامتياز إلى مديرية الدعاية والأنباء، في مقابل تعويض تقدره لجنة بدائية[٥٤٨].

ونص الدستور على منع تسليم اللاجئين السياسيين إلى الدول الأجنبية، واعتبر الدفاع عن الوطن واجباً مقدساً، وأداء الخدمة العسكرية والتجنيد الإجباري شرفاً للمواطنين.

حدد نظام الحكم، على أن رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية، وهذا يعني أن المجالس التنفيذية، ليست إلا هيئات استشارية وتحضيرية[٥٤٩] "تختص بدراسة الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للإقليم"[٥٥٠].

أما فيما يتعلق بتحديد صلاحيات باقي السلطات، فقد جاءت على الشكل التالي:

---

[٥٤٦] المالكي، رياض. **ذكريات على درب الكفاح والهزيمة**، مطبعة الثبات، دمشق، ١٩٧٢، ص ٢٧٦.

[٥٤٧] عصاصة، سامي، **أسرار الانفصال**، دار الشعب، القاهرة ١٩٨٩، ص ١٤٩.

[٥٤٨] عصاصة، مرجع سابق، ص ١٤٩.

[٥٤٩] بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٦٢، أي بعد الانفصال، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر، في حديثه إلى الأمة، انتهاء فترة الانتقال، وبدء مرحلة البناء الوطني، وتقرر إعطاء سلطة رئيس الجمهورية إلى مجلس الرئاسة لعملهم في المجلس ولا يتولون سلطة تنفيذية في الوزارات، كما أصبحت المسؤولية في المجلس التنفيذي، مسؤولية جماعية، (حشاد، عدلي. وعبد الجواد، عطية. **سقوط الانفصال**، الدار القومية، القاهرة، د.ت. ص ٢٣٤.)

[٥٥٠] راجع الفصل الأول من هذا البحث.

يتولى السلطة التشريعية مجلس يدعى مجلس الأمة، يحدد عدد أعضائه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية على أن يكون، نصفهم على الأقل، من بين أعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الأمة المصري، وهذا يعني إعطاء رئيس الجمهورية صلاحية يستطيع بموجبها إقصاء المعارضة البرلمانية كلياً. هذا، فضلاً عن الخطأ الفادح في إعطاء هذه المؤسسة المعيّنة صفة السلطة التشريعية، وهي سلطة غير منتخبة، خلافاً للقواعد الديمقراطية، وهذا المجلس المعين من صلاحياته مراقبة السلطة التنفيذية التي عينته! وإقرار القوانين قبل صدورها، وإعطاء كل عضو من مجلس الأمة حق استجواب الوزراء، وتقديم اقتراحات إلى الحكومة، والتصديق على الميزانية العامة للدولة، وإقالة عضوية أحد أعضائه بأغلبية ثلثي أعضائه، وحجب الثقة عن الوزراء، وفي حال غياب المجلس، لرئيس الجمهورية الحق بإصدار أي تشريع أو قرار، وعرضه على المجلس فور انعقاده[٥٥١].

ولمّا لم يعين رئيس الجمهورية أعضاء المجلس التشريعي إلا بعد عامين ونيف من عمر دولة الوحدة، كان رئيس الجمهورية طيلة تلك الفترة هو السلطة التشريعية بكاملها والسلطة التنفيذية بمجملها، بمعنى آخر، دكتاتورية بإرادة شعبية.

وعندما صدر القرار الجمهوري بتاريخ ١٨ تموز ١٩٦٠ القاضي بتعيين أعضاء مجلس الأمة الستمائة بنسبة ٤٠٠ من الإقليم المصري و٢٠٠ من الإقليم السوري، وانتخاب أنور السادات بتاريخ ٢١ تموز رئيساً له بأكثرية ٥٦٨ صوتاً، تأكدت هيمنة مصر واستئثارها على مراكز القرار السياسي في دولة الوحدة[٥٥٢].

حدد الفصل الثالث من الدستور المؤقت، صلاحيات رئيس الجمهورية، بتولي السلطة التنفيذية، وتعيين نواب رئيس الجمهورية وإعفائهم، وتعيين الوزراء، الذين يتولون تنفيذ السياسة العامة التي يضعها رئيس الجمهورية وإعفائهم، وإحالة الوزراء إلى المحاكمة عما يقع منهم من جرائم، واقتراح القوانين والاعتراض عليها وإصدارها، وإن رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، الذي يبرم المعاهدات، ويعلن حالة الطوارئ، كما نص الدستور على تكوين الجمهورية من إقليمين لكل منهما مجلس تنفيذي[٥٥٣].

---

[٥٥١] خوري. مرجع سابق، ص ٣٦٥-٣٦٦.

[٥٥٢] فوشيه. مرجع سابق، ص ٣٣٥.

[٥٥٣] خوري. مرجع سابق ، ص ٣٦٦.

إن الصلاحيات المعطاة لرئيس الجمهورية تؤكد على النظام الرئاسي الذي كان معمولاً به في مصر قبل الوحدة، وليس النظام البرلماني الذي كان سائداً في سورية[٥٥٤]. وإن لم يأت ذكر ذلك في الدستور المؤقت بشكل محدد.

وفي التطبيق، صدر في ٦ آذار ١٩٥٨ قراراً من رئيس الجمهورية بتعيين نواب لرئيس الجمهورية ووزراء تنفيذيين للإقليمين المصري والسوري، وبمقتضى هذا القرار، أصبح للجمهورية العربية المتحدة نوعان من الوزارات: وزارات موحدة: يشمل اختصاصها إقليمي الجمهورية، مثل وزارات الحربية، والصناعة، والخارجية، والأوقاف، والإرشاد القومي، والتربية والتعليم، ووزارات مزدوجة: وهي التي تختص بإقليم واحد فقط، ولكل مصلحة وزارتان متماثلتان، و في كل إقليم من إقليمي الجمهورية واحدة منها، واستتبع ذلك وجود وزيرين لكل من الوزارات التالية: الداخلية، والشؤون الاجتماعية، والعمل، والصحة، والعدل، والأشغال، والاقتصاد والتجارة، والخزانة، والشؤون البلدية القروية، والمواصلات والزراعة[٥٥٥].

وصدر بتاريخ ٣١ آذار ١٩٥٨ قراراً من رئيس الجمهورية بتشكيل مجلس تنفيذي في كل إقليم من الجمهورية، يتكون كل منهما من نواب رئيس الجمهورية والوزراء في كل إقليم.

ثم عدلت التشكيلة الوزارية بتاريخ ٧ تشرين أول ١٩٥٨ بعد استقالة نائب رئيس الجمهورية صبري العسلي، فحل محله (المصري) عبد اللطيف البغدادي، وعدلت التشكيلة للمرة الثانية بتاريخ ٢٠ أيلول ١٩٦٠، بعد استقالة الوزراء البعثيين، أكرم الحوراني، وصلاح البيطار، وأمين النفوري، وأحمد عبد الكريم، وبشير العظمة.

وبتاريخ ١٨ آذار ١٩٦١، وعلى أثر استقالة الوزراء السوريين، خليل كلاس، وعبد الغني قنوت، ورياض المالكي، عدلت الوزارة بتعيين ٧ وزراء للإقليم السوري، وإحداث وزارتين جديدتين في سورية، الأوقاف، والتموين[٥٥٦].

هنا ثمة سؤال يطرح نفسه، ماذا يعني وجود وزارات موحدة وأخرى مزدوجة، أليس ذلك إمكانية لحصول تباينات وتناقضات في سياسة الوزراء في الوزارات المزدوجة؟ ويأتي الجواب مؤكداً أهمية السؤال، إذ على الرغم من أن الوزير هو مساعد لرئيس الجمهورية حسب الدستور ويفترض أن لا يحصل تناقضات بين الوزراء، فإن الواقع قد أكد حصول هذا التباين كما في وزارتي الداخلية. حيث أضفى وزير الداخلية السوري عبد الحميد السراج حالة من الإرهاب؛ ما لم يحصل مثلها في الإقليم المصري.

---

[٥٥٤] عبد المولى، مرجع سابق ، ص ١٩٢.

[٥٥٥] السمان، **وطن وعسكر**، ص ٤٠٨.

[٥٥٦] السمان، **وطن وعسكر** ، ص ٤١٠-٤١١.

أكد الفصل الرابع من الدستور المؤقت في المادة ٥٩ على استقلال القضاء، وعدم جواز تدخل أية سلطة في القضايا أو في شؤون العدالة، كما اعتبر أن القضاة غير قابلين للعزل، وجلسات المحاكم علنية، إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية، وصدور الأحكام وتنفيذها، يكون باسم الأمة. وفي التطبيق كان القضاء مهمشاً في الإقليم السوري[٥٥٧].

أبقى الدستور على كل ما قررته التشريعات المعمول بها في كل من إقليمي مصر وسورية سارية المفعول، في النطاق الإقليمي المقرر لها عند إصدارها، وعدم الإخلال بأحكام المعاهدات والاتفاقات الدولية المبرمة بين كل من سورية ومصر، وبين الدول الأجنبية وفقاً لقواعد القانون الدولي.

وبشكل استثنائي، يتم وضع ميزانية الدولة في كل من النطاق الإقليمي لكل من سورية ومصر، إلى أن يتم تنفيذ الخطوات النهائية لوضع ميزانية واحدة. وعين الدستور مدينة القاهرة عاصمة للجمهورية العربية المتحدة[٥٥٨].

ولم يحدد الدستور مدةً لانتهاء العمل به، ولم يعين موعداً لوضع الدستور النهائي، بل ربط ذلك بموافقة الشعب على الدستور النهائي للجمهورية العربية المتحدة[٥٥٩].

إن التأييد الشعبي الواسع، الذي عبّر عن نفسه بنتيجة الاستفتاء، لا يعني أن البرجوازية التجارية في سورية دخلت الوحدة برضى كامل، بل كان دخولها يشوبه شيء من القلق أيضاً، فهي قبلت بالوحدة دفعاً لخطر شيوعي محتمل بعد توقيع الاتفاقية الاقتصادية بين سورية والاتحاد السوفياتي في ظل تنامي الحزب الشيوعي السوري، وأملاً في توسيع نطاق أعمالها وتثبيت أقدامها في السوق المصرية الكبرى، ولكنها، في الوقت نفسه، كانت قلقة من سياسة عبد الناصر الاقتصادية التي لم تكن واضحة لديها.

أمّا كبار الملاكين السوريين، فلم يرحبوا بالوحدة، بسبب الإصلاح الزراعي الذي طبق في مصر منذ العام ١٩٥٢، وهذا ما يتعارض مع مصالحهم، ومعظم هؤلاء الملاّكين كانوا يشكلون جناحاً قوياً في حزب الشعب، الذي كان يفضل الوحدة مع العراق، مع أن نواب الحزب في

---

[٥٥٧] ورد في النشرة الصادرة عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي تاريخ آذار ١٩٦٠ إشارة واضحة إلى تخطي شرعة حقوق الإنسان من قبل الحكم القائم في الإقليم الشمالي سورية، الملحق رقم.(٩)

[٥٥٨] خوري. مرجع سابق ، ص ٣٦٦.

[٥٥٩] المرجع السابق، ص ٣٦٦-٣٦٧.

المجلس النيابي، وكان عددهم يزيد عن عشرين نائباً، وقفوا إلى جانب الإجماع النيابي الذي طالب الحكومة بتحقيق الوحدة[٥٦٠].

وفيما احتفلت الفئات الشعبية الواسعة بالوحدة باعتبارها خطوة سيتبعها خطوات تؤدي إلى الوحدة العربية الكاملة الشاملة، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي يعد أن الوحدة نصر يخصه بالدرجة الأولى، وقد حل نفسه في سبيلها ومن أجلها، وبذلك ازدادت شعبيته لفترة قصيرة في سورية وأقطار عربية أخرى، ما عدا مصر التي بقيت ممنوعة ومغلقة في وجهه، قبل وأثناء الوحدة[٥٦١].

وقف الحزب الشيوعي السوري، موقفاً معارضاً للوحدة، معتبراً إياها مؤامرة أوحت بها واشنطن لضرب القوى اليسارية المتعاطفة مع سورية، مركزاً على تشويه سمعة الجمهورية العربية المتحدة في الدول الاشتراكية وفي العالم، معتمداً على قضية اعتقال أمين عام الحزب الشيوعي اللبناني فرج الله الحلو و اغتياله[٥٦٢].

أما الحزب الشيوعي المصري، فلم يكن له موقف موحد، بل تباينت مواقفه بين فريق مؤيد وآخر معارض، ففي حين اعتبر القسم الأكبر من الشيوعيين المصريين الوحدة "عنصر حماية لمصر وسورية من الاستعمار وأحلافه العدوانية وضد "إسرائيل" و"مشروع ايزنهاور"، وهي طريق لتحقيق المزيد من الانتصارات والمكاسب[٥٦٣].

عدّ بعض آخر، أن قيام الجمهورية العربية المتحدة لن يسمح بتجميد اليسار فحسب، بل سيكون حركة استثمار وفق أسواق جديدة لتصريف المنتوجات المصرية وتوظيف حملة الشهادات الجامعية، أي باختصار جعل سورية إقليماً مصرياً"[٥٦٤].

أما تنظيم الإخوان المسلمين في سورية، الذي شهد تراجعاً ملموساً بعد الانتخابات التي جرت لشغل المقاعد الشاغرة في العام ١٩٥٧، بين مرشحه الشيخ مصطفى السباعي، المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين، ومرشح حزب البعث العربي الاشتراكي رياض المالكي، إذ انتهى الأمر بسقوط الشيخ السباعي بحصوله على ٤٧٪ من أصوات الناخبين، مما حرّم قيادتهم من القدرة على التكيف مع التطورات السياسية المتسارعة، واتخاذ المواقف في اللحظات المناسبة والحاسمة، ومع ذلك فهم إذا كانوا لا يميلون إلى الرئيس جمال عبد الناصر بسبب إعدامه عدداً

---

[٥٦٠] عصاصة. مرجع سابق ، ص ١٠٠.

[٥٦١] البيطار، صلاح،الاجتماع الثاني، **في: محاضر محادثات الوحدة ج ١**، دار المسيرة ، بيروت، ص ٢٦٣.

[٥٦٢] مرقص،الياس. **تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٠٩.

[٥٦٣] عبد المولى، محمد. مرجع سابق ، ص ٢٢٢.

[٥٦٤] عبد الملك، أنور. **مصر مجتمع يبنيه العسكريون** (ترجمة دار الطليعة)، بيروت، ١٩٦١، ص ١٣٤.

من جماعتهم في مصر، فإنهم لم يرفضوا قيام الوحدة، لأن الوحدة العربية بالنسبة إليهم هي خطوة في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية[٥٦٥].

ولكن الظروف[٥٦٦] التي رافقت الوحدة أدت إلى فشلها بانقلاب قامت به قوى عسكرية يمينية في سورية مدعمة بتأييد من أوساط سياسية واسعة في سورية بما فيها الأوساط اليسارية[٥٦٧]. وتألفت حكومة برئاسة مأمون الكزبري عام١٩٦١ ضمت كبار الصناعيين والإقطاعيين ورجال المال. وجرت الانتخابات التي أفصحت عن نيل الإقطاعيين والبرجوازية السورية ثلثي مقاعد الجمعية التأسيسية من النواب لاسيما في مدينتي حمص وحماه[٥٦٨].

إن مجمل الأوضاع الاقتصادية– الاجتماعية والسياسية بلورت الفكر القومي العربي وعززت مضامينه التحررية سواء على صعيد استكمال التحرير السياسي الوطني الذي بدأ مع رحيل آخر جندي فرنسي عن سوريا عام ١٩٤٦، أو على صعيد التحرير الاجتماعي بالفكر الاشتراكي، وإدراك الأحداث التي جرت على مدى الوطن العربي، ما عزز الفكر القومي العربي، ممثلاً بحزب البعث العربي الاشتراكي، الذي بدأ بالتكون قبل الاستقلال، ليكتمل تكوينه بعد الاستقلال، فضلاً عن نشوء حركة القوميين العرب في مطلع الخمسينيات التي لم تكن في مستوى وعيها وإدراكها مختلفة عن حزب البعث.

فيما ابتهج اللبنانيون بخبر الاستعداد لإعلان الوحدة، معبرين عن ذلك بمعالم الزينة في بعض أحياء بيروت وصيدا، ورفع الإعلام السورية والمصرية[٥٦٩]. كما رحب محمد مهدي كبة زعيم حزب الاستقلال العراقي المنحل قائلاً "أنه لأول مرة في تاريخ العرب الحديث تتحقق أمنية من أجلِ وأعذب أمانيهم القومية" وفي الوقت نفسه بعث نقيب المحامين العراقي ببرقيات تأييد باسم محامي العراق إلى كل من الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي ورئيس مجلس الأمة المصرية[٥٧٠].

---

[٥٦٥] عصاصة، مرجع سابق ص ١٠٣.

[٥٦٦] ستعالج الظروف التي أدت إلى قيام الوحدة و سقوطها في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

[٥٦٧] أصدر ١٨ من القادة البارزين في سورية بمن فيهم خالد العظم، وصبري العسلي وأكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار تأييدهم للانقلاب.

[٥٦٨] مجموعة مؤلفين. **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ١٢٨

[٥٦٩] جريدة **النهار**، بيروت ، العدد ٦٧٩٧ في ٢ شباط ١٩٥٨ ص ٧.

[٥٧٠] المرجع نفسه، العدد ٦٧٩٨ تاريخ ٤ شباط ١٩٥٨، ص ٧.

و في الكويت، تحولت العاصمة إلى مدينة للأفراح بمناسبة إعلان الوحدة، وأقيم احتفال جماهيري حاشد في المدينة الجامعية، ألقيت خلاله الخطب المطالبة بالانضمام إلى دولة الوحدة[٥٧١].

وكان لقيام الجمهورية العربية المتحدة صدى كبير في اليمن، إذ أبرق الإمام أحمد حميد الدين عاهل اليمن إلى الرئيس جمال عبد الناصر بطلب الانضمام إلى الوحدة قائلاً " لقد استخرت النجوم وبعد الحساب الطويل، تبين لنا أن نجمكم يكسف نجم الآخرين ويغطي عليه، ولهذا نريد أن ننضم إليكم.[٥٧٢] فكان لليمن ما أراد إذ تم توقيع اتحاد الدول العربية المتحدة، بين الجمهورية العربية المتحدة، وبين المملكة المتوكلية اليمنية في ٨ آذار ١٩٥٨ الذي نص في مادته الأولى على قبول الدول العربية التي ترغب في الانضمام إلى الاتحاد[٥٧٣].

كان رد الفعل الرسمي في العراق والأردن سريعاً، إذ تم إعلان قيام الاتحاد العربي في ١٤ شباط ١٩٥٨، أي بعد ثلاثة عشر يوماً من إعلان١٩٥٨ قيام الجمهورية العربية المتحدة، ثم جرت محاولة لضم الكويت للاتحاد العربي، ولم تعارض أميركا، وأيدتها السعودية، لكن الفكرة لم تتحقق بسبب معارضة بريطانيا وشيوخ الكويت لها[٥٧٤].

أما الموقف السعودي فقد أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب له في دمشق بتاريخ ٥ آذار ١٩٥٨، عندما كشف النقاب عن تفاصيل مؤامرة سعودية تستهدف حياة الرئيس جمال عبد الناصر، عن طريق إسقاط طائرته في الجو بواسطة أحد ضباط الطيران مقابل نصف مليون جنيه إسترليني[٥٧٥].

انعقد في حمص/ سورية في أيار ١٩٦٢ المؤتمر القومي الخامس لحزب البعث العربي الاشتراكي، وقد شارك فيه ٤٠ مندوباً يمثلون كلاً من الأقطار:الأردن، والعراق ولبنان، واليمن والتنظيمات الطلابية العربية، آنذاك في سورية، ودولاً أوروبية عدة، ولم يحضر أي ممثل عن القطر السوري لعدم وجود تنظيم حزبي معترف به قومياً، فالتنظيم الذي كان قائماً رفضه عفلق وعدّه للقطريين[٥٧٦].

برزت خلال انعقاد المؤتمر تيارات كانت قد تشكلت خلال فترة حل الحزب أثناء الوحدة وخلا ل الانفصال. كان أبرزها:

---

[٥٧١] المرجع نفسه، ص ٧.

[٥٧٢] هيكل، محمد حسنين. "بصراحة" في: **الأهرام**، العدد ٢٧٤١١، تاريخ ١٩٦١/١٢/٢٩.

[٥٧٣] جريدة الحياة، بيروت، العدد ٣٦٤٢، تاريخ ١٩٥٨/٣/٩، ص١.

[٥٧٤] عصاصة، سامي. **أسرار الانفصال**، دار الشعب، القاهرة ص ٦٣-٦٤.

[٥٧٥] ابراهيم، سعد الدين. وآخرون، مرجع سابق، ص٣٢٦

[٥٧٦] الفكيكي. مرجع سابق، ص١٩٣.

ططططط

تيار الوحدويين الاشتراكيين الذي مثله عدد من الأعضاء الأردنيين، وهو اتجاه يرفض الانفصال ويدعو إلى العودة الفورية للوحدة مع مصر [٥٧٧] . وقد وصف مصدر حزبي هذا الاتجاه بأنه"تيار من البعثيين القدامى، اعتبروا أن المرحلة تتطلب النضال لإعادة الوحدة الفورية، كما كانت، ولم يعودوا متحمسين لاستمرارية الحزب، بعد توقيع بعض من قادتهم السابقين وثيقة الانفصال، وأسسوا حركة الوحدويين الاشتراكيين، التي استقطبت جماهير ناصرية وحدوية في تلك المرحلة [٥٧٨].

تيار العسكريين وقد عرّف بهم كتاب نضال البعث "أما رفاقنا العسكريون، من سرّح منهم من الجيش بعد وقوع الانفصال أو من بقي، فقد ظلوا محافظين على تنظيمهم بمعزل عن كل التيارات الأخرى لتكوين جبهة عسكرية مقاومة للانفصال، وبقوا على اتصال وحوار مع كل التيارات قبل ثورة آذار ١٩٦٣ [٥٧٩].

أما منيف الرزاز فقد كتب في هذا الاتجاه قائلاً: ".... قبل أن يعاد تكوين أي نواة للمدنيين الحزبيين في سوريا، تكونت في مصر بين الضباط البعثيين المبعدين إليها في مهمات للتدريب أو التحصيل، نواة تنظيم وتكونت لها قيادة...أنهم بعد أن قام الانفصال، ليسوا مع الانفصال، ولكنهم ليسوا مع الوحدة مع عبد الناصر...وظلوا على تمسكهم (بالبعث) ونظموا أنفسهم... كان لبعضهم صلات شخصية مع بعض الحزبيين الثائرين على قادة الحزب. ولكنهم بثورتهم ضد عبد الناصر، وبثورتهم ضد قادة الحزب، كانوا أقرب إلى اللقاء مع جناح (القطريين) الذين اتجهوا في أواخر الوحدة إلى تنظيم أنفسهم، ولكن رغم هذا التقارب في النظرة، فقد بقي التنظيم العسكري تنظيماً مستقلاً عن كل أجنحة الحزب وعن قيادته القومية[٥٨٠].

وبرز اتجاه قطري مثله معظم اللبنانيين المشاركين في المؤتمر القومي الخامس وهو"يدافع عن خط سياسي متطرف في وجه النظام الناصري ويرفض أي (حوار) أو (تعاون) مع الرئيس عبد الناصر، من أجل تحقيق أية وحدة معه وبأي شكل من الأشكال" [٥٨١]. كما ورد في النشرة الحزبية عن أعمال المؤتمر:"لقد رأى قسم من المؤتمرين عدم طرح شعار الوحدة بين سوريا ومصر، في الوقت الحاضر، حتى لو أدى هذا الموقف إلى عزل الحزب عن الجماهير حالياً، والاكتفاء بشعار الوحدة الشاملة فقط. والسبب الذي يكمن وراء هذا الموقف هو الخوف من تسلط

---

[٥٧٧] دندشلى. مرجع سابق، ص ٣٠٩

[٥٧٨] **نضال حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٣-١٩٧٥ دراسة تاريخية تحليلية موجزة**، القيادة القومية، دمشق،١٩٧٨، ص ٧٨

[٥٧٩] المرجع نفسه، ص ٧.

[٥٨٠] الرزاز. مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨.

[٥٨١] **نضال البعث**، الجزء السادس، مرجع سابق، ص ٨٤

عبد الناصر مجدداً على إقليمي الجمهورية والعودة إلى "الدوامة" السابقة التي عاشتها سورية منذ عام ١٩٥٨ حتى ٢٨ أيلول ١٩٦١. لكن أكثرية المؤتمر عارضت هذا الموقف السلبي موضحة نقاط الضعف فيه [٥٨٢]، وجاراهم في هذا الموقف عدد من البعثيين في سورية الذين رفضوا حل الحزب، وجمعوا أنفسهم في تنظيم قطري مستقل عن القيادة القومية وقد تزعم هذا الاتجاه رياض المالكي، وكان هدف هذا التيار"بناء نظام اشتراكي في كل بلد عربي كل على حدة. وبتعبير آخر، إن كل وحدة لا يمكن أن تتحقق بين بلدين عربيين إلا إذا سار كل منهما بحزم وتصميم في الطريق الاشتراكي وفي إقامة حكم ديمقراطي تقدمي و شعبي. وعندئذ فقط يمكن للوحدة بين هذين البلدين أن تصبح قابلة للتحقيق، ونستطيع بالتالي أن نتجنب المزالق والأخطار، والوقوع في شباك الوحدة السورية–المصرية لعام ١٩٥٨ لجهة شكلها ومضمونها [٥٨٣] .

لم يُدعَ أكرم الحوراني لحضور المؤتمر لأسباب عرضها "يسار عسكري"[٥٨٤] وهو من تلامذة عفلق بالقول "في الحقيقة تم توجيه الطعنة من الخلف، ففيما كان الرجل (الحوراني) منصرفاً إلى معركة قاسية ومزدوجة: رجعية الانفصال السياسي، وفردية التجربة الناصرية... كان رفاقنا داخل الحزب يسعون إلى أفضل السبل للتخلص منه.... مروراً بالأساتذة الثلاثة دون تمييز.. أما التاريخ فشاهد على أن عفلق والبيطار و آخرين من قادة الحزب يومها كانوا أشد اندفاعاً من الحوراني في رفض التجربة الناصرية جملة وتفصيلاً، خاصةً بعد خطاب عبد الناصر العنيف الموجه ضد البعث في اللاذقية [٥٨٥].

كان تيار الحوراني مصمماً على إعادة الحياة البرلمانية الليبرالية من خلال الانفصال الذي أصبح واقعاً، وكان الحوراني متعصباً ضد عودة الوحدة بزعامة عبد الناصر.

ولهذا شكّل كتلة نيابية سمّاها الكتلة الاشتراكية العربية ضمت ١٧ نائباً يمثلون الفسيفساء السورية الاجتماعية والمذهبية [٥٨٦] ودعم حكم الانفصال، ولم يلغ فكرة الوحدة العربية، فقد عدَّ فكرة بناء دولة عربية موحدة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي موقفاً نظرياً (غيبياً ميتافيزيقياً) وينتهي إلى الاعتقاد بعدم تكوين دولة موحدة بين بلدين عربيين ليس بينهما حدود مشتركة، وتماثل في مستوى المعيشة والتطور السياسي، والتقارب في الأمزجة والطباع، وفي النهاية يرى الحوراني "تشكيل أربعة كيانات متميزة ومستقلة في الابتداء الواحدة عن الآخرين:

---

[٥٨٢] **نضال البعث**، الجزء السادس، مرجع سابق ، ص ٨٣.

[٥٨٣] دندشلي. مرجع سابق، ص ٣١٦–٣١٧

[٥٨٤] عضو قيادة قطرية في سورية، ومن بعد عضو قيادة قومية.

[٥٨٥] حمدان. مرجع سابق، ص٣٧٧–٣٧٨

[٥٨٦] المرجع السابق، ص ٣٧٠

وحدة سوريا الطبيعية، ووحدة الجزيرة العربية، ووحدة وادي النيل، ووحدة المغرب العربي، وفي الوقت الذي تتكون فيه هذه الكيانات ويطبق فيها أنظمة سياسية ديمقراطية وتقدمية، يصبح عندئذ من الممكن إقامة تعاون وثيق في مختلف الميادين، أو حتى اتحاد فدرالي"[٥٨٧].

هاجم المؤتمر القومي الخامس هذا التيار، فنعته بأنه "اتجاه انفصالي منحرف لا يجرؤ على كشف هويته، فيختفي وراء أسباب مشروعة ظاهرياً ويتسلح بها، لا يطالب بتصحيح الأخطاء والانحرافات بل ليشكك بالوحدة ذاتها، وبذلك يفصل عملياً، النضال بين الأهداف من أجل الحرية عن النضال من أجل الوحدة، وهذا الفصل بين أهداف متداخلة عضوياً، جعل المتمسكين بهذا الاتجاه يفتشون عن دعائم فكرية وعقائدية لموقفهم، ليجدوا (التبريرات الموضوعية) التي تحول دون الوحدة بين مصر وسورية، فوقعوا في تخبطات لا أول لها ولا آخر"[٥٨٨].

وتمثل اتجاه القيادة القومية في المؤتمر بميشيل عفلق وأعضاء القيادة القومية، ومن غالبية المؤتمرين وبخاصة العراقيين منهم، وهو اتجاه انتقد الهيكلية السياسية للوحدة السابقة، ورفض الحكم الفردي الذي طبق في سوريا في ظل نظام الجمهورية العربية المتحدة، إلا أنه يدعو في نفس الوقت إلى تجديد الوحدة الاتحادية بدلاً من الاندماجية بين سوريا ومصر، على أن تكون مبنية هذه المرة على أسس صحيحة [٥٨٩].

وصدر عن المؤتمر ما يحدد مفهوم الحزب، على ضوء تجربة الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨، لاستعادة الوحدة بعد كارثة الانفصال على النحو التالي:

١- الوحدة أساس عقائدي من أسس وجوده لا يمكن للحزب أن يتخلى عنه.

٢- على ضوء الواقع العربي الحالي، فالوحدة المطروحة للبحث والنضال هي وحدة مصر وسورية. وهذا لا يمنع أن تغيير الواقع العربي في أي قطر، قد يطرح إمكانيات جديدة للوحدة ليست مطروحة في الوقت الحاضر.

٣- إن الانفصال الذي تم في ٢٨ أيلول ١٩٦١، كان مؤامرة رجعية إقليمية مدعومة من قبل الاستعمار استغلت الانحرافات والأخطاء التي رافقت نظام الحكم لتنقلب لا على هذه الانحرافات، ولكن على الوحدة نفسها...

٤- إن الحزب أول من لمس هذه الانحرافات التي شوهت وجه الوحدة وأول من وقف منها موقف المعارض والناقد منذ ظهورها حتى الانفصال، وأول من أدرك هذه الانحرافات وعمقها وناضل من أجل الحيلولة دون تكرارها.

---

[٥٨٧] **نضال البعث**، الجزء السادس، مرجع سابق، ص ١١-١٤

[٥٨٨] المرجع السابق، ص٨٤

[٥٨٩] دندشلي، مرجع سابق، ص ٣١٠

٥- يرى الحزب أن السبيل الأقوم والأجدى لمحاربة هذه الانحرافات هو في الدعوة إلى الوحدة بين سوريا ومصر في مفهومها.. القائم على أن الوحدة هي وحدة قوى شعبية ووحدة نضال شعبي تقوم على أكتاف الشعب وتستند إليه وتستمد منه في مؤسسات ديمقراطية شعبية بعيدة عن أي تسلط فردي، بعيدة عن أي تسلط بوليسي، بعيدة عن أي تسلط إقليمي.

٦- إن الحزب إذ يتبنى قضية الوحدة بين مصر وسوريا لا يكتفي بالنظر إلى الواقع الحالي وإنما يمد يده إلى الأجيال القادمة وإلى المصير العربي، وهو من أجل ذلك يرى أن طرح شعار الوحدة بمفهومها الأصلي غير المشوه يجب أن يستهدف مبدئياً تكتل الجماهير الشعبية على هذا المفهوم في جبهة شعبية تضم مختلف القوى التقدمية، سواء في المشرق العربي أو في مغربه" [٥٩٠].

وتشكلت القيادة القومية خلال المؤتمر من: ميشيل عفلق أميناً عاماً للحزب عن إقليم سوريا، منيف الرزاز وجمال الشاعر من إقليم الأردن، جبران مجدلاني وعلي جابر من إقليم لبنان، خالد يشرطي من إقليم فلسطين، علي صالح السعدي وحمدي عبد المجيد وطالب شبيب من إقليم العراق [٥٩١]. وتظهر الأسماء بوضوح استبعاد الحوراني والبيطار، ربما لأنهما وقّعا على وثيقة الانفصال.

كما تشكلت لجنة ثلاثية لإعادة بناء الحزب في سورية، مؤلفة من القادة العراقيين الثلاثة:علي صالح السعدي وحمدي عبد المجيد وهاني الفكيكي، الذين اتصلوا بمختلف الكتل البعثية، وواجهت أينما ذهبت واقعاً حزبياً ساخطاً على القيادة القومية، وقد لخّص منيف الرزاز ثاني أمين عام للحزب واقع الحزب بأنه "أجنحة وأجنحة" نشأت فيه عشرات الكتل الصغيرة، وتبعثر الحزب وتفتت وإن ادعى كل تكتل وكل جناح بأنه هو الحزب"[٥٩٢].

تابعت "اللجنة العسكرية" موقفها الرافض للانفصال والرافض للوحدة مع عبد الناصر، مستقلة عن أجنحة الحزب، ومن هذا الموقع شارك ضباط بعثيون وناصريون بالقيام بانقلاب في ٢٨ آذار ١٩٦٢ ضد حكم الانفصال، ومعهم بعض الضباط من الذين قاموا بالانفصال، ولذلك تم ترقيم البلاغات العسكرية ابتداءً من الرقم ٢٧، وهو الرقم الذي يلي الرقم ٢٦ الذي حمله آخر بلاغ يوم الانفصال[٥٩٣]. ولكن المحاولة فشلت لعدم تنظيمها وما تخللها من تصرفات طائشة من قبل الضباط الناصريين"[٥٩٤] أوضح مصطفى طلاس[٥٩٥] التصرف الطائش بقوله: "أطلق

---

[٥٩٠] **نضال البعث**، الجزء السادس، مرجع سابق، ص٨٥-٨٦

[٥٩١] حمدان، مرجع سابق، ص ٣٧٩

[٥٩٢] الرزاز. مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧

[٥٩٣] راجع:السمان، **وطن وعسكر**، ص ١٢١-١٣٣. أيضاً: حمدان، مرجع سابق، ص ٣٧٠-٣٧١

[٥٩٤] المدني. مرجع سابق، ص ١٦٢

الضباط الناصريون نداءات، يطالبون فيها مصر بإعادة الوحدة، وكانوا يطالبون بإرسال قوات طيران ومغاوير لمساعدتهم في السيطرة على الوضع، فيما كان الشعب غير راضٍ عن تجربة وحدوية جديدة ربما حملت نفس الأخطاء السابقة، لذلك رفض البعثيون مساعدة هذه النداءات"[٥٩٦]. ويقول مطيع السمان[٥٩٧] بأن "القاهرة كانت متفقة... مع عبد الكريم النحلاوي على هذه الحركة. ومع جاسم علوان، الذي ضرب ضربته أيضاً دون علم أحدهما بالآخر الذي سبب فشلهما"[٥٩٨]. وتمت معالجة ذيول هذه المحاولة بانعقاد مؤتمر عسكري في حمص بتاريخ ١٩٦٢/٤/١ حضره عدد من الضباط الذين شاركوا في حركتي ٢٨ أيلول ١٩٦١ و٢٨ آذار ١٩٦٢ [٥٩٩]. أدى إلى إعادة تشكيل قيادة الجيش، وتشكيل حكومة جديدة، والنظر بوضع الضباط الذين أحالهم النحلاوي على التقاعد أو من طردهم من الجيش، وإصدار عفو عن الذين اشتركوا في الحوادث حتى ١٩٦٢/٣/٣١ والتعويض عن الضحايا والجرحى [٦٠٠].

على الرغم من إخفاق حركة ٢٨ آذار ١٩٦١، فقد أثمرت تشكيل حكومة ائتلافية برئاسة بشير العظمة، تبنت خطاباً معتدلاً وايجابياً تجاه الجمهورية العربية المتحدة، شارك فيها حزب البعث بوزيرين[٦٠١].

---

[٥٩٥] مصطفى عبد الكريم طلاس: ولد في الرستن قرب حمص عام ١٩٣٢، انتسب الى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٠، التحق بالكلية العسكرية في حمص عام ١٩٥٠ حيث تعرف على الرئيس حافظ الأسد عام ١٩٥١، ونشأت بينهما صداقة مستمرة، انضم إلى اللجنة العسكرية، التي نشأت في القاهرة إبان الوحدة، بعد ثورة البعث عام ١٩٦٣، تولى منصب نائب وزير الدفاع عام ١٩٦٦، ثم وزيراً للدفاع عام ١٩٧٢، اهتمامات مصطفى طلاس الكتابية والثقافية واسعة ومرموقة، وهو يشرف اليوم على دار للنشر يعد من أكثر دور النشر نشاطاً وانتاجاً، خاصة في الحقلين الأدبي والسياسي، وضع طلاس سلسلة من الكتب العسكرية والتاريخية، أبرزها "إستراتيجية العدو الصهيوني" و"الثورة العربية الكبرى" و"مرآة حياتي" وسواها. الخوند، مرجع سابق، ص ٣٣٢-٣٣٤.

[٥٩٦] المدني،مرجع سابق، ص ١٦٢-١٦٣

[٥٩٧] مطيع السمان: ولد في حي ساروجة بدمشق عام ١٩٢٦ ، التحق بالكلية الحربية في حمص عام ١٩٤٥، تولى، في فترة الانفصال، مسؤولية رئيس الديوان في وزارة الدفاع، ثم قائداً عاماً لقوى الأمن الداخلي في سورية، فأميناً عاماً لشؤون الشرطة والأمن في وزارة الداخلية، وأحيل إلى التقاعد بعد ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣. السمان ، **وطن وعسكر**، ص ١٥-٢٠ .

[٥٩٨] السمان، المرجع نفسه، ص ١٦٢.

[٥٩٩] الضباط الذين أبعدوا هم:عبد الكريم النحلاوي، عبد الغني دهمان، مهيب الهندي، هشام عبد ربه، بسام العسلي، عادل حج علي، وممدوح حناوي. السمان، **وطن وعسكر**، ص١٢٩

[٦٠٠] المرجع السابق، ص ١٢٩

[٦٠١] ياسين. مرجع سابق، ص ٣٧٠.

أدى وصول البعث في العراق إلى السلطة، عودة العراق إلى المسار العروبي، كما أدت الأحداث إلى تغيير ايجابي في حزب البعث نفسه، فبعد أن كان مقطع الأوصال، بدا قوة قومية ثورية رئيسية تضاهي عبد الناصر، فكان هذا الحدث بالنسبة للبعثيين السوريين، لاسيما العسكريين منهم، مصدر تشجيع معنوي كبير وحزبهم لم يفقد قاعدته الشعبية بالرغم مما شاب التنظيم الحزبي من الضعف بسبب التلكؤ بإعادة تنظيمه بعد الانفصال.

وعلى الرغم من تحذير عفلق للضباط السوريين من مغبة عمل متسرع، إلا أن "اللجنة العسكرية" تجاهلته وكانت على أهبة الاستعداد لتحذو حذو العراق [٦٠٢].

في ليل ٧–٨ آذار ١٩٦٣ تحرك ستة [٦٠٣] من ضباط البعث ونفذوا ثورة ناجحة دون قتال أو إراقة دماء. وبعد استيلائهم على السلطة قاموا بتشكيل مجلس وطني لقيادة الثورة برئاسة لؤي الأتاسي مؤلف من ٢٠ عضواً، من بينهم اثنا عشر بعثياً وثمانية من الناصريين وهذا التشكيل يعكس الفئات التي عملت معاً لإسقاط الرئيس ناظم القدسي ممثل نظام الانفصال[٦٠٤].

وفي صبيحة الثورة كلف صلاح البيطار من قبل المجلس الوطني لقيادة الثورة بتشكيل حكومة جديدة.

في غضون أسبوع واحد من وصول البعث إلى السلطة في سوريا، وتلبية للضغط الشعبي العام، بدأت "محادثات للوحدة" بين سوريا و العراق ومصر. استغرقت حوالي الشهر من الزمن من ١٤ آذار و١٧ نيسان١٩٦٣. انتهت إلى إعلان اتفاقية ١٧ نيسان التي تتضمن الخطوط العامة لدستور ينص على جمهورية عربية متحدة جديدة ثلاثية، تولد بعد سنتين أي في أيار ١٩٦٥، دون أي تأمين من المفاوضين لمستقبل لهذه الخطة [٦٠٥].

بعيد المحادثات أطلق عبد الناصر حملة دعائية ضد البعثيين السوريين، وهدد بسحب الناصريين من الحكومة، داعياً أنصاره في سوريا إلى التظاهر، وكان في سلوكه يعتمد على عشرات من الضباط الناصريين في الجيش، وعلى حركة القوميين العرب التي ازدادت نشاطاتها بعد الانفصال وأصبحت المنافس الرئيسي للبعث، وقد تمكنت من جلب أعداد كبيرة إلى الشوارع [٦٠٦].

---

[٦٠٢] الرزاز. مرجع سابق، ص ٩٠

[٦٠٣] الضباط الستة هم: حافظ الأسد، محمد عمران، صلاح جديد، زياد الحريري، راشد قطيني، محمد الصوفي..

[٦٠٤] سيل. **الأسد**، ص١٣٢

[٦٠٥] المرجع السابق، ص ١٣٧

[٦٠٦] سيل، **الأسد**، ص ١٣٨

رأى البعثيون في تحرك الناصريين ما ينذر بخطر أكيد، فقاموا في الفترة ما بين نيسان وأيار ١٩٦٣ بتسريح أكثر من ٢٠ ضابطاً موالياً لعبد الناصر، فاستقال وزير الدفاع محمد الصوفي ونائب رئيس الأركان راشد القطيني من منصبيهما احتجاجاً، ثم نظم الناصريون إضرابات واسعة النطاق في دمشق وحلب يومي ٨ و٩ أيار، فطلبت "اللجنة العسكرية" من وزير الداخلية قمع الإضرابات، فقتل خمسون شخصاً، وأغلقت مكاتب حركة القوميين العرب، وأُغلقت جريدتهم وهرب بعضهم وألقي القبض على آخرين وحكموا بالسجن لمدة طويلة [٦٠٧].

كان رد الناصريين على هذه الإجراءات القيام بحركة انقلابية، بتاريخ ١٨ تموز ١٩٦٣، على البعث بقيادة جاسم علوان وبدعم من حركة القوميين العرب والمخابرات المصرية، انتهت بسيطرة البعثيين على الموقف، فهاجم عبد الناصر البعثيين السوريين وأعلن رسمياً انسحابه من اتفاقية ١٧ نيسان التوحيدية، ليشكل هذا الموقف الافتراق النهائي بين البعث وعبد الناصر [٦٠٨].

لايمكن الفصل بين المحاولة الناصرية الفاشلة في سوريا لإقصاء حزب البعث عن المشاركة في السلطة، عن عملية الإقصاء التي قام بها عبد السلام عارف في العراق من النجاح في إقصاء البعث عن السلطة، وهذا يدل على نهج إقصائي في الفكر القومي العربي لا يؤمن بالمشاركة السياسية، لأنه لا يؤمن بالديمقراطية السياسية أصلاً.

٣- مستجدات أوضاع العراق وتأثيرها على الفكر القومي ١٩٥٨-١٩٦٣.

كانت نتائج التطورات الوحدوية بين مصر وسورية التي جرت أحداثها في الفترة الواقعة ما بين ٥ تموز ١٩٥٦ تاريخ توجيه برقية مجلس النواب السوري إلى الرئيس جمال عبد الناصر يعلمه فيها قرار المجلس بإقامة اتحاد فيدرالي بين القطرين [٦٠٩]، و٥ شباط ١٩٥٨ الذي تم فيه الاتفاق على الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة بإقليميها المصري والسوري [٦١٠]. أقول، كانت مفاجئة للهاشميين في النظامين الملكيين في القطرين العراقي والأردني، ما أوجب دعوة ولي عهد العراق عبد الإله إلى اجتماع عاجل في قصر "الزهور" لرجالات العهد الملكي كي يبحثوا التطورات على الحدود الغربية للعراق، حيث تم التداول السريع مع السفيرين البريطاني والأميركي. ووضعت الخطط لفصم عرى دولة الجمهورية العربية المتحدة، وإقامة وحدة هاشمية تضم العراق والأردن، وتحسين العلاقة مع المملكة العربية السعودية [٦١١].

---

[٦٠٧] المرجع السابق، ص ١٣٨-١٣٩

[٦٠٨] سيل، **الأسد**، ، ص ١٣٩

[٦٠٩] **مذكرات مجلس النواب السوري** ، الدور الإشتراعي السادس، الدورة الاستثنائية الرابعة الجلسة التاسعة، تاريخ ١٩٥٦/٧/٥ ص ١٥٢-١٧٠

[٦١٠] **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية المتحدة**. العدد الأول. تاريخ١٩٥٨/٣/١٣

[٦١١] الفكيكي. مرجع سابق، ص ٥٧

بعد درس أمر الاتحاد بين العراق والأردن أعطيت المبادرة للحسين ملك الأردن في دعوة فيصل ملك العراق لتحقيق ما توصل إليه اجتماع "قصر الزهور" وعقدت اجتماعات عديدة في الفترة الواقعة مابين ١١-١٣ شباط ١٩٥٨ صدر بنتيجتها بلاغ مشترك أردني- عراقي، أذيع بتاريخ ١٤ شباط ١٩٥٨ يعلن توصل المباحثات بين القطرين العراقي والأردني إلى عقد اتفاق "الاتحاد العربي" بين الدولتين[٦١٢].

وقد فسر الملك الأردني حسين، الهدف من قيام الاتحاد العربي لجهة معارضته قيام الجمهورية العربية المتحدة بقوله: "... أدرك عبد الناصر فوراً التوازن المثالي للطريقة التي انتهجناها، هذا التوازن الذي كان لديه ما يكفي من الفطنة والدراية لكي يفهم أنه إذا ما أجريت مقارنة تجربتنا، فإن التجربة التي تخصنا ستكون أشد فعالية وأكثر واقعية بمراحل، فللعراق بثرواته النفطية على شواطئ الخليج التي كان عبد الناصر يطمع فيها، يعتبر أحد أقوى الدول في العالم العربي، فاتحاده مع الأردن من شأنه أن يضع حداً للحلم الذي طالما داعب خيال عبد الناصر، وهو: أن يجعل من الجمهورية العربية المتحدة وحدة جغرافية. ذلك لأن حدود الاتحاد العربي الجديد الذي يرتبط بميثاق للدفاع المشترك، تمتد من سيناء، إلى الكويت. ولما كان عبد الناصر يعلل نفسه بالأمل في أن يبتلع الأردن يوماً لكي يجعل منه جسراً بين سورية ومصر، فقد جاء اتحادنا يعرقل طموحاته ويشكل سداً طبيعياً في مواجهة تصاعد الشيوعية في العالم العربي"[٦١٣]

و بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٨ نشرت الصحف العربية نص اتفاق دولة الاتحاد، الذي تضمن مقدمة و١٢ بنداً، إذ ورد في المقدمة ما يفسر الدوافع لإقامة الاتحاد بالقول:" لما كانت الثورة العربية الكبرى، التي قادها جلالة المنقذ الأعظم الحسين بن علي ، إيذاناً ببزوغ فجر جديد للأمة العربية تمثلت بالتضحية والفداء في سبيل تحرير الوطن العربي الكبير وتوحيد شعوبه"[٦١٤].

أما أبرز المواد فقد حددت مستوى الوحدة ونوعها بأنها اتحاد عربي بين المملكة العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية، بحيث تحتفظ كل دولة من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة على أراضيها وبنظام الحكم فيها. و تبقى المعاهدات والمواثيق، والاتفاقيات الدولية، التي سبق أن ارتبطت بها كل من الدولتين قبل قيام الاتحاد بينهما. وتوحيد السياسة الخارجية والتمثيل السياسي، وتوحيد الجيشين العراقي والأردني، وتوحيد مناهج التعليم على أن عملية التوحيد مفتوحة أمام الأمور التي تقتضيها الضرورة ومصلحة الاتحاد. وحدد الاتفاق بأن يكون ملك

---

[٦١٢] جريدة **الحياة**- بيروت، ١٩٥٨/٢/١٥ ص١

[٦١٣] فريدون. **الحسين**، ترجمة غازي غزيل، الدار العربية للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٨٧، ص ١٣٣-١٣٤

[٦١٤] جريدة **الحياة**-بيروت،١٩٥٨/٢/١٨، ص ١-٣

العراق رئيساً للاتحاد وأن مسألة وضع دستور الاتحاد تناط بحكومة الاتحاد خلال مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر[٦١٥].

لم يكن للشعب العربي في الأردن والعراق أيُّ دور في إقامة هذا الاتحاد، ولذلك كان الموقف الشعبي فاتراً "برغم الشكل "الكاريكاتوري" الذي ارتداه الاتحاد الهاشمي وقناعة الناس كلهم بأنه عمل مصطنع بلا مستقبل، بدأت تظهر في صحف السلطة وأوساطها تعابير تنم عن متاعب "الاتحاد العتيد"، فهو بحسب اتفاقه، يقضي بأن يتحمل العراق ٨٠ في المائة من مصاريف مؤسسات الدولة الجديدة وجيشها، إلا أن الأردن، الذي كان آنذاك يتلقى مساعدات غربية لبناء قواته المسلحة، اعتذر عن دفع العشرين بالمائة، طالباً أن يتحمل العراق المصاريف كلها. ولئن لم تترك الوحدة الهاشمية وقعاً حسناً على العراقيين، فإن ارتباطات البلدين مثلت بدورها عقدة أخرى، فالعراق على عكس الأردن، لم يكن مرتبطاً باتفاق الهدنة مع إسرائيل، بينما كان عضواً في حلف بغداد الذي امتنع الأردن عن الانضمام إليه"[٦١٦].

بيد أن هذا الاتحاد المصطنع الذي صمد حوالي خمسة أشهر، تهاوى أمام إرادة الجيش العراقي بفعل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي كان فيها للقوى القومية دور أساسي في قيامها، إذ أصدر رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم انسحاب الجمهورية العراقية من دولة الاتحاد العربي اعتباراً من ١٥ تموز ١٩٥٨ حيث جاء فيه " إن الاتحاد بين العراق والأردن، على الصورة التي تم بها في العهد السابق ، لم يكن اتحاداً حقيقياً يستهدف مصلحة الشعب في القطرين، وإنما كان لتدعيم النظام الملكي الفاسد، ولتمزيق وحدة الصف العربي المتحرر، ولتحقيق مصالح زمرة من الحاكمين الذين لم يأتوا الحكم عن طريق الشعب، ولم يعملوا على تحقيق أمانيه"[٦١٧].

لقد أريد للإتحاد العربي أن يوقف الاندفاع الكبير الذي سارت عليه الوحدة السورية–المصرية، فإذ بالاندفاع يطيح بالاتحاد، ولكن المفارقة الكبرى أن العراق الثورة هو من أوقف الاندفاع الوحدوي العربي في فترة حكم عبد الكريم قاسم!

أصبح الانقسام العربي في المشرق العربي واضح المعالم كلياً، وفي حمأة الصراع بين القوى الوطنية من جهة والقوى الموالية للغرب ومشاريعه من جهة أخرى، اندلعت أحداثاً شعبية مسلّحة في لبنان لمواجهة السلطة اللبنانية، وقد لاقت تأييداً من الجمهورية العربية المتحدة، الأمر

---

[٦١٥] جريدة **الحياة**– بيروت، ١٩٥٨/٢/١٥ ص١

[٦١٦] الفكيكي، مرجع سابق، ص ٥٧

[٦١٧] تاريخ الوزارات العراقية، نقلاً عن، جريدة الزمان، العدد ٦٢٩ تاريخ ١٩٥٨/٧/١٦، خوري ، مرجع سابق، ص٣٨٩.

الذي أقلق حكومة الاتحاد العربي من انتقال لهيب الثورة اللبنانية إلى القطر الأردني، فأصدرت قيادة الجيش العراقي بتاريخ ١٣ تموز ١٩٥٨ الأمر إلى لواءين من الفرقة الثالثة بالتحرك إلى الأردن للمشاركة في عملية كان قد أعدها الأميركيون في لبنان ضد الثورة[٦١٨].

ولكن قائدي هذين اللواءين العقيد عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف العضوين في منظمة "الضباط الأحرار" وصلا إلى بغداد واستوليا على المراكز الإستراتيجية في العاصمة فقتل الملك فيصل الثاني والأمير عبدالاله ونوري السعيد، وقامت الجمهورية العراقية التي حظيت بالاعتراف الدولي[٦١٩]. و أُشيعت الديمقراطية، ومارست الأحزاب نشاطها العلني وأطلق سراح المعتقلين السياسيين، وانسحب العراق رسمياً من حلف بغداد في ٤ نيسان ١٩٥٥. وفي العام ١٩٥٩ غادرت الأراضي العراقية آخر فرقة من الجنود والضباط البريطانيين وانسحب العراق من دولة الاتحاد العربي، وألغيت الاتفاقيات التي كانت بين العراق والولايات المتحدة تطبيقاً لمبدأ ايزنهاور واستؤنفت العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي[٦٢٠].

ولكن عبد الكريم قاسم الذي آثر الانفراد بالحكم، استبعد عبد السلام عارف بتعيينه سفيراً في ألمانيا الغربية، ثم أُعيد بعد شهر ليواجه تهمة اشتراكه في مؤامرة لاغتيال قاسم فأودع السجن لمدة ست سنوات[٦٢١]، وقد تميزت فترة حكم عبد الكريم قاسم بدكتاتورية متشددة، تمثلت بعدائه للجمهورية العربية المتحدة، وأسلوبه الدموي في مواجهة أي تحرك كما حدث في الموصل من حركة تمرد عسكري بقيادة عبد الوهاب الشواف، حيث استخدم الطائرات في عملية الرد على التحرك العسكري[٦٢٢]. ولكن هذا الانحراف عن أهداف الثورة أدى إلى تنامي الفكر القومي العربي في أوساط الشعب العراقي مما أتاح للقوى الشعبية ممثلة بعبد السلام عارف وحزب البعث العربي الاشتراكي القيام بانقلاب عسكري ناجح في شباط ١٩٦٣ تمكنت فيما بعد من محاكمة عبد الكريم قاسم محاكمة سريعة والحكم عليه بالإعدام وتنفيذ الحكم[٦٢٣].

ما حصل في العراق لم يكن بمنأى عن التأثر بالأحداث التي جرت في الوطن العربي، لاسيما الإصلاحات الاجتماعية التي أحدثتها الثورة المصرية في مصر، وتصديها للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، ثم التأثر بالاندفاع الوحدوي العربي الجارف الذي رافق الوحدة السورية–

---

[٦١٨] لورنس، مرجع سابق، ص ١٨٦.

[٦١٩] مجموعة مؤلفين. **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٣٢٦.

[٦٢٠] مجموعة مؤلفين. **تاريخ الأقطار العربية المعاصر** ، ص ٣٣٠.

[٦٢١] عطية الله، مرجع سابق، ص ٧٧٨–٧٧٩.

[٦٢٢] هيكل محمد حسنين، **شرارة في الموصل**، الأهرام، تاريخ ١٩٥٩/٣/١٤.

[٦٢٣] عطية الله. مرجع سابق، ص ٧٨١.

المصرية في الأشهر الأولى من قيامها، وكذلك انتشار حزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب في العراق

ثانيا: دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في بلاد الشام ١٩٥٨-١٩٦٣.

كان على الفكر القومي العربي في سوريا لاسيما حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد أنجز ثورته في الثامن من آذار ١٩٦٣، أن يضطلع بقيادة القطر السوري ورسم الاتجاهات السياسية على أساس عقائدي متين. كما كانت الحركة القومية العربية في لبنان الممثلة بحركة القوميين العرب، التي أصيبت بالذهول من هول نكسة الوحدة الانفصال من إعادة النظر بمختلف مفاهيمها القومية.

١- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في سوريا ١٩٥٨-١٩٦٣.

ولما كان حزب البعث العربي الاشتراكي قد أسهم بفعالية في قيام الوحدة السورية-المصرية عام ١٩٥٨, وقد حلت الأحزاب نفسها باستثناء الحزب الشيوعي السوري, حل حزب البعث نفسه بأمر من قيادته في سورية فقط, وقد برر الأمين العام قرار الحل بأنه لا قيمة لوجود أحزاب أمام الوحدة, "ما دامت الوحدة هي في حد ذاتها الضمانة الكبرى وليس لوجود الحرية السياسية فحسب, بل لأنها ستنقل العرب إلى مستوى جديد أرفع من كل ما عرفوه حتى الآن"[٦٢٤].

وبعد مرور حوالي سنة على قيام الوحدة, وجد الحزب وقد حل التنظيم الأم في سورية أنّه في مواجهة أمور مهمة خارج الجمهورية العربية المتحدة, فقد تعرض الحزب لضربة عنيفة في الأردن من قبل حكومة إبراهيم هاشم وقد لعب عبد الله الريماوي وفريقه دوراً انتهازياً, وكانت ثورة تموز في العراق قد أغرقت على يد عبد الكريم قاسم في الانحراف عن أهدافها القومية التحررية, هذا فضلاً عن عدم وجود قيادة قومية لأنها أصبحت بحكم المحلولة بموجب حل الحزب في سورية, كل هذه الأسباب أدت إلى انعقاد **المؤتمر القومي الثالث** في ٢٧ آب و أول أيلول ١٩٥٩ في بيروت حضره ممثلون من الأقطار العربية التي للحزب فروع فيها[٦٢٥].

---

[٦٢٤] **نضال البعث**،ج٤ ، مرجع سابق ص ٩٠ . ٩١

[٦٢٥] تكون المؤتمر من ممثلين عن منظمات الحزب في العراق ولبنان والاردن والجزيرة العربية والخليج والجنوب العربي والمغرب العربي ومنظمة أبناء فلسطين ومنظمات الطلبة الحزبيين في الجامعات العربية والجامعات

كانت أبرز مقررات هذا المؤتمر, تدعيم وحدة الحزب القومية, لاسيما بعد موافقته على قرار القيادة القومية السابقة بحل الحزب في الجمهورية العربية المتحدة, تمتين وتوسيع تعاون الحزب مع قيادة الجمهورية العربية المتحدة, ومع قيادة الثورة الجزائرية والحركات الشعبية الأخرى في الوطن العربي, وانتخب المؤتمر قيادة قومية جديدة[٦٢٦]، وعندما تراكمت الأخطاء المهددة لاستمرار الوحدة الممثلة في انتعاش أعداء الوحدة المتضررين من قيامها والمستفيدين من الحملة القمعية الواسعة التي تعرض لها الحزب الشيوعي السوري بسبب رفض حل نفسه وما رافق ذلك من سيطرة عقلية الأجهزة على تزييف الانتخابات في تنظيم "الاتحاد القومي" وتأخر السير في إحداث التحولات الاشتراكية في الإقليم الشمالي(سورية) وسوء استعمال السلطة من قبل قيادات رغبت في بناء أمجاد شخصية على حساب المصالح الحقيقية لجماهير الشعب, أمثال عبد الحميد السراج وجماعته [٦٢٧]. كل هذه العوامل دفعت قيادة الحزب للدعوة إلى انعقاد **المؤتمر الرابع** خلال شهر تشرين الأول ١٩٦٠ الذي أوصى بالتركيز على مفهوم الديمقراطية, والعمل الشعبي ومتطلباتهما من حريات عامة وحرية صحافة, وتوضيح فردية النظام العام في الجمهورية العربية المتحدة وأخطار هذه الفردية, ونقد الصفة اللاديمقراطية "للاتحاد القومي"ومجلس الأمة, والتنظيم النقابي, وإدانة مواقف القيادات الحزبية التي انحرفت إلى أساليب الانقلابات العسكرية والاغتيالات السياسية, كما في العراق وإدانة المؤتمر قرار حل الحزب واعتبره خطأً فادحاً[٦٢٨].

هل كان قرار حل الحزب خطأً؟ وهو الأمر الذي لو لم يحصل لما قامت الوحدة, لاسيما وأن حزب البعث يبرر سبب موافقته على الحل بالقول: "وافقت(قيادة الحزب) على حل تنظيم الحزب في سورية كي لا تضع أي عائق في سبيل تحقيق الوحدة"[٦٢٩]، ولهذا كان على المؤتمر إدانة من جعل حل الأحزاب في سورية جميعها شرطاً لقيام الوحدة, لولا ما جاء في المؤتمر الرابع من تقويم تمثل بالانزلاق العاطفي نحو الوحدة بعيداً عن مقوماتها العلمية والتقدمية[٦٣٠].

٢- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في لبنان ١٩٥٨-١٩٦٣.

الأخرى خارج الوطن. راجع: **نضال حزب العبث العربي الاشتراكي ١٩٤٣ . ١٩٨٠**، القيادة القومية ١٩٨١ ص ٦٠ . ٦١.

[٦٢٦] **نضال حزب العبث العربي الاشتراكي ١٩٤٣ . ١٩٨٠**، ص ٦١.

[٦٢٧] المرجع نفسه، ص ٧١ . ٧٣.

[٦٢٨] **نضال البعث**، الجزء الرابع، ص ١٨٩ . ١٩٢ . ٢٠٣.

[٦٢٩] **نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٣ . ١٩٨٠**، ص ٧٠.

[٦٣٠] **نضال البعث** الجزء الرابع، ص ٢٠٣.

كان محسن إبراهيم وهو أحد أبرز منظري حركة القوميين العرب[٦٣١] متحفظاً على القرارات الاشتراكية التي أعلنها عبد الناصر في ظل غياب الحزب الاشتراكي، وفي ظل تبني نظرية التحول السلمي إلى الاشتراكية [٦٣٢]. وفي تلك المرحلة، كتب سلسلة من المقالات في مجلة "الحرية" جمعت فيما بعد في كتاب حمل عنوان: "الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي"، قدم من خلاله مجموعة من الآراء المتوافقة مع عبد الناصر في الميثاق والمختلفة معه في بعضها، وبذلك قدم خطوة على طريق التطور الفكري لحركة القوميين العرب.

دعا محسن إبراهيم إلى إدراك حقائق لا غنى عنها في عملية الثورة العربية، لخصها في "أن التنظيمات الشعبية العقائدية هي الكفيلة بدفع النضال العربي نحو مزيد من المكاسب وبحماية هذه المكاسب من الأخطار المحدقة بها"[٦٣٣] . وان على العقلية العربية الثورية أن تؤكد نفسها نهائياً كعقلية شعبية، تعتبر الشعب أداة النهضة كما هو هدفها[٦٣٤]، وان الثورة الاشتراكية"لا بد أن تصطدم بتكتل طبقي رجعي لن يلقي السلاح بسهولة، ولن يتلكأ في خوض معركة الدفاع عن امتيازاته حتى النفس الأخير"[٦٣٥]. ولذلك لا يجوز إطلاقاً مهادنة الرجعية العربية[٦٣٦]. إذ أن العلاقة المبنية على التفاعل والتعاون في الكفاح المشترك بين أطراف المعسكر التقدمي العربي ضرورة لا يستغنى عنها، وهذا ما يوجب إلغاء الخلافات بين هذه الأطراف لصالح التناقض الأساسي مع الاستعمار والرجعية والصهيونية[٦٣٧].

أراد من خلال تثبيت هذه الحقائق في إشارة منه إلى تحميل مسؤولية الانفصال للقوى التقدمية بسبب خلافاتها حول تحليل المعركة العربية وإستراتيجيتها[٦٣٨]

وفي معرض إجابته على سؤال لماذا تعثرت الثورة العربية؟ يجيب: إن افتقادنا للتنظيم الشعبي العقائدي القادر على وضع الانجازات في سياق النهضة الشعبية العربية الصحيحة

---

[٦٣١] لم نعثر على آراء أو مواقف لغير محسن إبراهيم من منظري حركة القوميين العرب في تلك الفترة.

[٦٣٢] الكبيسي، باسل. **حركة القوميين العرب**، ط٣، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٥، ص١٠٧

[٦٣٣] إبراهيم، محسن. **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي**، دار الفجر الجديد للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٢، ص ١٧.

[٦٣٤] المصدر نفسه، ص ١٧.

[٦٣٥] المصدر نفسه، ص ١٨.

[٦٣٦] المصدر نفسه، ص ١٩

[٦٣٧] المصدر نفسه، ص ٢١-٢٢

[٦٣٨] المصدر نفسه، ص٢٤

والقادرة على تثبيتها وصيانتها[٦٣٩] هو وراء التعثر. وهو بذلك يشير إلى خطأ حل الأحزاب في سورية إبان الوحدة، وفشل "الاتحاد الاشتراكي".

إذ أن المفهوم الذي أرسى العقلية المؤمنة بأن، القطاع العسكري يعد الجهة الوحيدة القادرة على تحقيق الأهداف، كان مفهوماً مغلوطاً أدخل إلى ذهنية الجماهير العربية مما جعلها تتوهم أن دورها في المعركة هو سلبي فقط. ويعزي سبب هذا الاعتقاد الوهمي بسبب فراغ الساحة النضالية الذي لم تملأه الحركات الشعبية العقائدية[٦٤٠].

أما عن تعثر الثورة العربية التلقائية، التي فجرتها القوى الشعبية بعوامل عاطفية وجدانية والتي لم تحظ بقيادة فكرية ناضجة لمواكبتها ودفعها صعداً، فيحدد محسن إبراهيم الواقع منذ البداية المتعثرة بمثاليتها المترجرجة التي لم تكن قادرة على تسيير الثورة العربية العربية، بالحاجة إلى فكر عقائدي يأتي ليترجم القيم والغايات والمثل، برسم صورة المؤسسات المطلوبة في المجتمع المنشود [٦٤١].

وعلى الرغم من تطور قد حصل على صعيد فكرة القومية العربية بنزع ما لحق بها من شوائب التعصب والانغلاق والتأثر بمدارس قومية أوروبية متطرفة، وعلى الرغم من توضيح أبعادها الايجابية كفكرة قومية إنسانية، وبلوغه فكرة الاشتراكية الديمقراطية، لم يستطع الفكر الاشتراكي الديمقراطي العربي تحويل نفسه كلياً إلى فكر علمي يحدد ايجابياً كل ما يريد وسبل الوصول إليه [٦٤٢].

ولأن الفكر الاشتراكي الديمقراطي كان قاصراً، فما هي طبيعة الفكر الذي رافق الوحدة؟

يقول محسن إبراهيم: إن ".. وقائع المجتمع العربي وأحواله كانت غائبة تقريباً عن معظم ما كتب وقيل في الاشتراكية الديمقراطية العربية، والأرقام العربية لم تستطع أن تجد طريقها إلى البحث الاشتراكي العربي لتغنيه وتجعله قادراً على استيعاب المعطيات العربية والفعل فيها بالتالي... ونتيجة افتقاد محاولات التحليل الاشتراكي الديمقراطي في الوطن العربي... نشأ نوعان من الفكر الاشتراكي الديمقراطي قاصران عن قيادة التغيير العربي الثوري".

---

[٦٣٩] () المصدر نفسه، ص ٣٠.

[٦٤٠] () إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** ، ص ٣١.

[٦٤١] المصدر نفسه، ص ٤٤.

[٦٤٢] المصدر نفسه، ص٥٠-٥٣ .

النوع الأول: "فكر لم يستطع أن يتوغل في ميدان البحث والتحليل العلمي لأنه لا يمتلك أسلحة البحث والتحليل كونه لا يمتلك النهج الفكري الواضح أولاً، ولا يمتلك المعرفة العلمية بالواقع العربي ثانياً. " وهذا ما أطلق عليه تسمية:الأدب الاشتراكي" [٦٤٣].

وأما النوع الثاني، فهو فكر اشتراكي ديمقراطي مستعار يفتقد صفة الانتماء إلى القرن العشرين، وصفة الانتماء إلى البيئة العربية. وهذا ما أطلق عليه تسمية "الفكر المستعار"، لأنه يستعير المناهج العامة والوقائع الاجتماعية التي هي وقائع المجتمعات الرأسمالية الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر [٦٤٤].

أما الفكر الذي يمثل الفكر الاشتراكي الديمقراطي العربي فقد كان يتلمس طريقة بصعوبة وبطء شديدين، وفي هذا الوضع الفكري المترجرج كانت الثورة العربية المعاصرة تتقدم وتسير [٦٤٥].

لقد استطاع الفكر الاشتراكي الديمقراطي العربي أن يحقق نجاحات تستحق الدرس في القطر العربي السوري، إذ أحدث توازناً واضحاً بين القطاع الخاص والقطاع العام، فلم يواجه بالأزمات التي واجهت الاشتراكية العلمية الماركسية في عقر دارها، حيث قوض النظام الاشتراكي هناك برمته.

ولذلك، عندما قامت الجمهورية العربية المتحدة" دخلت الثورة العربية مرحلة البناء الاشتراكي الديمقراطي، وأصبح عليها أن تتصدى لعملية التغيير الثوري الكبير في المجتمع ولم يكن الفكر العربي الثوري كله في وضع يمكنه من قيادة هذه العملية ورسم الطريق أمامها"[٦٤٦]

هنا تكمن المشكلة التي ظهرت بوضوح عندما ارتطمت مشكلة الفكر بأزمة التنظيم، إذ واجهت تجربة الجمهورية العربية المتحدة ثلاث قضايا هي: قضية تطبيق الوحدة، وقضية البناء الاشتراكي، وقضية الصيغة الديمقراطية، وعلى الرغم من محاولة الفكر القومي العربي لإعطاء أجوبة لتلك القضايا الثلاث فقد كان عاجزاً. إذ " لم يقدم مساهمة ايجابية جدية في ميدان البحث عن أفضل الأشكال الوحدوية التطبيقية، ولم يستطع أن يتخطى نطاق الوحدة كعملية تطبيق وكمؤسسات ينبغي أن توجد.

---

[٦٤٣] المصدر نفسه ، ص ٦١.

[٦٤٤] تحول محسن إبراهيم إلى الماركسية–اللينينية في أواخر الستينات وأوائل السبعينات وأسس منظمة العمل الشيوعي في لبنان.

[٦٤٥] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي**، ص ٦٣.

[٦٤٦] المصدر نفسه، ص٧١.

وكذلك، حيال التجربة الاشتراكية التطبيقية التي كانت قد بدأت في الجمهورية العربية المتحدة. لم يطرح الفكر العربي الثوري برامج اشتراكية محددة ومناهج واضحة تتناول عملية التطبيق الاشتراكي لترسي قواعدها وتبلور مسيرتها.

ولم يكن موقف الفكر العربي الثوري أفضل حالاً من موقفة من القضيتين السابقتين حيال مشكلة الديمقراطية، التي طبقتها القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة، ولم تكن في مستوى توفير المبادرة الحرة الواعية المستقلة للجماهير كي تمارس حقوقها وواجباتها ضمن إطار الاتجاه التقدمي. "ولم يكن ذلك يؤدي إلى تضييق القاعدة الديمقراطية فقط بل أنه بعدم إتاحة الفرصة الكافية للمبادرة الشعبية، كان يعرّض التجربة لأخطار الردة التي قد تأتي من جانب أعدائها. [٦٤٧]

وهكذا جاءت النكسة بالانفصال التي أصيب بها النضال الشعبي العربي نتيجة تخلف الفكر العربي عن مسيرة الثورة وعدم تمكن الحركات العقائدية من الارتقاء إلى مستوى القيادة الفكرية للثورة العربية بما يعينها على وعورة الطريق ويجنبها التعثر وضياع المكاسب.[٦٤٨]

أبدى محسن إبراهيم رغبة في تقييم المناقشات التي أجرتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية في الجمهورية العربية المتحدة، لكي لا يبقى الفكر العربي التقدمي بعيداً عن مواجهة القضايا المطروحة في مصر.

يقول: "قضية البناء الاشتراكي هي قضية إرساء القواعد الصحيحة للمجتمع والتي تضمن له مستقبلاً اشتراكياً وسيراً دائماً في طريق تكامل التطبيق الاشتراكي"وهذه ضمانة دائمة لسير المجتمع في طريق الاشتراكية، وهي لم تكن متوفرة في الجمهورية العربية المتحدة ولذلك كان البناء الاشتراكي يفتقد إلى القواعد الطبيعية التي يجب أن يرتكز إليها [٦٤٩].

يجب أن تكون التجربة في الجمهورية العربية المتحدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحركة القومية العربية وبالنضال القومي العربي، لا أن تتحول إلى مجرد تجربة تقدمية قطرية لا علاقة لها بما هو خارجها، كونها دولة تلتزم فكرة الوحدة وتسعى لبناء نفسها في نطاق العمل لإقامة مجتمع عربي موحد تأخذ فكرة الاشتراكية مداها الطبيعي المتكامل. [٦٥٠]

وقد حدد القضايا الرئيسة الجديرة بالبحث بثلاث:

---

[٦٤٧] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** ، ص٧٩.

[٦٤٨] المصدر نفسه، ص٨٢.

[٦٤٩] المصدر نفسه، ص٩٤.

[٦٥٠] المصدر نفسه، ص ٩٦.

الأولى: تحديد القوى الشعبية التي تقع على عاتقها مهمة بناء المجتمع الاشتراكي، وتحديد الطريق الذي يجب أن تسلكه هذه القوى لتحقيق البناء الاشتراكي. وهذا ما يقتضي تحويل الشعب إلى قوة اشتراكية ثورية، لأن "الشعب لا يتحول إلى قوة في مستوى مهمة البناء الاشتراكي، بمجرد كونه صاحب مصلحة في الاشتراكية، أو بمجرد كون الاشتراكية تطرح نفسها كفكرة تستهدف تأمين حقوق الشعب وإقامة حقوق الشعب وإقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة"[٦٥١]. لأن الشعب إذا ما خيمت على ذهنيته طريقة رجعية في التفكير والتصرف بسبب خضوعه فترة زمنية طويلة لنظام الاستغلال، الذي يعمل على تحريف الشرائع السماوية واستغلال الدين لخدمة مصالحه، أو باجتذاب الجماهير بطرح شعارات ومبادئ مزيفة تتحدث عن الحرية والتمثيل الشعبي، أو بإقامته مؤسسات فارغة يعطيها اسم الديمقراطية بهدف تثبيت نظام الاستغلال[٦٥٢].

ولكي تضطلع القوى الشعبية بمهمتها التاريخية ببناء الاشتراكية لابد من توفر الوعي القادر على تحويل الجماهير إلى ثورة اشتراكية الوعي الذي يقترن بالعمل الثوري، فيحول الجماهير إلى قوى ناشطة تأخذ على عاتقها مهمة تقويض مفاهيم ومؤسسات نظام الاستغلال، ثم مهمة بناء المجتمع الاشتراكي الجديد [٦٥٣]. وهنا لابد من تنظيم شعبي تتوفر فيه أربعة شروط:

– الوضوح العقائدي المفترض أن ينمو ويتأكد من خلال وحدة فكرية عميقة، حول العقيدة والأهداف والبرامج ونظرية العمل الثوري والإستراتيجية والتكتيك.

– صفة الالتزام العقائدي الصافي والعميق للأهداف والمبادئ. وهذا ما يفترض عملية بناء أخلاقي ينغرس من خلالها في نفس كل فرد حس الرسالة والالتزام العقائدي الصافي الذي لا تشوبه شوائب الانتهازية أو استهداف المنافع الشخصية والمكاسب الخاصة.

– روحية العمل الثوري وأساليبه، ووحدة صفوف التنظيم حول قيادة منبثقة عنه.

– صفة الانبثاق من صفوف جماهير الشعب، أي من صميم القاعدة الشعبية، فالتنظيمات الشعبية الثورية الناجحة توجد من خلال المبادرة الذاتية الخلاقة الواعية لجماهير الشعب. ولا تصنع من أعلى، ولا تخلق بقرارات رسمية[٦٥٤].

وفي معرض السؤال عما إذا كانت الحزبية العقائدية تتجسد في المجتمع السائر نحو الاشتراكية بحزب اشتراكي واحد أم بمجموعة أحزاب وحركات اشتراكية، يجيب الكاتب: "ليس من الضروري أن يتمثل الاتجاه الاشتراكي في حزب واحد أو تنظيم واحد، بل هو يتجسد في عدد من

---

[٦٥١] المصدر نفسه ، ص١٠٣.

[٦٥٢] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** ، ص١٠٥

[٦٥٣] () المصدر نفسه، ص.١٠٩

[٦٥٤] المصدر نفسه، ص١١١–١١٢.

التنظيمات الحزبية والشعبية، ويكون تعدد التنظيمات هنا نتيجة للاجتهادات المتباينة في فهم الاشتراكية نظرية وتطبيقاً ونتيجة للاختلاف في أشكال التنظيم وأساليب العمل"[٦٥٥]. ولابد أن يضطلع الحزب الأقوى بعملية البناء الاشتراكي وتمارس بقية التنظيمات دور المعارضة، وإما أن تلتف كل التنظيمات حول برنامج مشترك تسعى لتحقيقه بالتعاون فيما بينها. [٦٥٦]

وعن تقويمه للتجربة الحزبية في مصر قبل الثورة والحزب البديل المتمثل بالاتحاد الاشتراكي، يؤكد موقف المصريين من الأحزاب المصرية قبل عام ١٩٥٢ بأنها لم تمثل المصالح والأهداف الشعبية الحقيقية بل مصالح الطبقات البرجوازية [٦٥٧]. ولذلك كان منعها من العمل مصيباً، أما التنظيم الشعبي البديل، وإن ضم ممثلين عن القوى الشعبية صاحبة المصلحة في الاشتراكية لا يكفي وحده، إذا لم تقترن المصلحة بالوعي العقائدي الثوري الذي يستطيع أن يوجه الشعب ويجمع كل طاقاته في معركة بناء الاشتراكية [٦٥٨].

ولكن هذا التنظيم الحزبي العقائدي لا يصنع بقرارات رسمية ويُخلق من أعلى، بل ينبثق عن المبادرة الذاتية الخلاقة الواعية لجماهير الشعب [٦٥٩]. وهذا الكلام يأتي بمثابة النقد لتجربة الاتحاد الاشتراكي الذي صنع من أعلى وخلق بقرار رسمي، فلم يكن أداة ثورية في بناء الاشتراكية.

الثانية: يحدد أعداء الاشتراكية بأولئك" الذين يقفون على رأس الهرم في المجتمع الطبقي ويحتكرون ملكية وسائل الإنتاج فيه، وبالإقطاعيين والرأسماليين مالكي الأرض والصناعة والمال، ومعهم "الحلفاء" الذين ليسوا في واقع ملكيتهم إقطاعيين ولا رأسماليين، ولكنهم يتطلعون إلى الطبقة المالكة ويعملون للانتماء إلى عالمها، وبفعل تطلعهم يصبحون إقطاعيين ورأسماليين تفكراً وموقفاً. وينضم إلى هؤلاء أولئك الذين يلتزمون مواقف فكرية رجعية أو محافظة بوعي أو دون وعي منهم لحقيقة المصالح الاقتصادية التي تحذفها المواقف الرجعية والمحافظة[٦٦٠].

يلفت الكاتب إلى أن مغادرة بعض الأفراد لطبقاتهم المستغلة المعادية للاشتراكية لا يؤثر على وجود هذه الطبقات كحقيقة موضوعية قائمة وعلى استمرارها في موقف عدائي من حصن للاشتراكية [٦٦١]. هنا يطرح سؤالاً جوهرياً، هل يمكن أصلاً أن يخطو النظام الاشتراكي في

---

[٦٥٥] المصدر نفسه، ص ١١٤.

[٦٥٦] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** ، ص ١١٤.

[٦٥٧] المصدر نفسه، ص ١١٩.

[٦٥٨] المصدر نفسه، ص ١٢٥.

[٦٥٩] المصدر نفسه، ص ١٣١.

[٦٦٠] المصدر نفسه، ص ١٣٩.

[٦٦١] المصدر نفسه، ص ١٤١.

الوطن العربي خطوته الأولى من خلال نظام سياسي ديمقراطي يمنح الحرية للقوى الرجعية المعادية للخط الاشتراكي من الأساس؟ ويجيب على سؤاله:"إن إعطاء الحرية للقوى الرجعية في ظل نظام سياسي ديمقراطي تقليدي معناه فسح المجال واسعاً أمامها كي تنشط وتشكل أحزاباً وتصطنع واجهات شعبية وتصدر صحفاً وتمارس فعالياتها السياسية كما تريد. وتحت تصرّف هذه القوى الرجعية سوف تكون هناك إمكانيات هائلة لا نستطيع أن نزعم توفرها لدى أية جهة شعبية[٦٦٢]. والحل يكون برأيه منع الرجعية من ممارسة حريتها وعدم معاونتها لكي لا يعرّض النظام الاشتراكي كله للخطر[٦٦٣].

الثالثة: يحذر من عملية حجب الحرية عن أعداء الاشتراكية الذهاب إلى موقف لا ديمقراطي في المجتمع بالمطلق[٦٦٤]، ويحدد مفهومه للحرية على قاعدة تصحيح المؤسسة الديمقراطية ومنع تزييف قضية الحرية بتركيزها على قاعدة المساواة الاقتصادية، إذ أن الباعث الحقيقي للفكرة الاشتراكية. "حرية ومساواة اقتصادية، وإلا لا تعود هناك حرية حقيقية"[٦٦٥].

ويحذر أيضاً من الوقوع في فخ البيروقراطية التي تحرف النظام الاشتراكي إلى نظام رأسمالية الدولة فيقول: "إذا انتقلت الملكية من الرأسمالي إلى الدولة فإن هذا وحده لا يكفي لتحرير العامل من التحكم والطغيان، ذلك أنه إذا كانت هذه الدولة تعيش في ظل نظام (توتاليتاري)[*]، فإن التحكم والطغيان لن يزول، وبدلاً من أن يمارسه الرأسمالي الفرد فإن الحكومة سوف تحل هنا مكان الرأسمالي وهكذا نصبح إزاء نظام تصح تسميته "برأسمالية الدولة" أكثر مما يصح اعتباره نظاماً اشتراكياً [٦٦٦].

ولذلك إذا لم ترتبط الديمقراطية السياسية بديمقراطية اقتصادية حقيقية، فإن الديمقراطية السياسية سوف تصبح، حتى في ظل النظام الاشتراكي، شكلاً فارغاً بلا محتوى[٦٦٧]. ويصل إلى خلاصة هي: "أن الفكرة الاشتراكية تواجه في هذا العصر مشكلة ضخمة هي مشكلة الإطار الديمقراطي الكفيل بإبقاء النظام الاشتراكي ضمن بواعثه الأصلية، وبتركيز المساواة الاقتصادية

---

[٦٦٢] المصدر نفسه، ص ١٤٢

[٦٦٣] المصدر نفسه، ص ١٤٧

[٦٦٤] المصدر نفسه، ص ١٥١

[٦٦٥] المصدر نفسه، ص ١٥٢

[*] شمولي دكتاتوري فردي

[٦٦٦] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي**، ص ١٥٤

[٦٦٧] المصدر نفسه، ص ١٥٥.

خخخخخخ

على قواعد من الديمقراطية ثم بجعل المساواة الاقتصادية وسيلة لممارسة المزيد من الحرية الحقيقية"[٦٦٨].

ينبه محسن إبراهيم إلى الخلط بين النموذج الاشتراكي الذي تطرحه القيادة الحاكمة وتطبقه، وبين الاتجاه القومي الاشتراكي المتعدد النماذج التطبيقية، إذ بذلك يتجنب النظام الاشتراكي الانزلاق من عملية حماية الثورة الاشتراكية من أعدائها الحقيقيين، إلى عملية حماية لوجهة نظر القيادة الحاكمة ورأيها واجتهادها[٦٦٩].

لقد طبقت سورية نموذجها الاشتراكي، بعد ثورة آذار وحتى تاريخه على قاعدة احترام وجهات نظر الجبهة الوطنية للاشتراكية العربية، فكان لسورية نموذجها الاشتراكي الخاص. الذي أعفى القيادة الممثلة بحزب البعث العربي الاشتراكي من مهمة الدفاع عن وجهة نظره، ليهتم بحماية الثورة الاشتراكية التي تحرر الإنسان من الغبن الاجتماعي وتقيم العدل والمساواة والحرية.

من هنا ينطلق إلى الدفاع عن الحرية الفكرية المؤسسة على منطلقات تقدمية إذ من حق التقدميين أن تكون لهم حرية النقد والمعارضة على صعيد السياسة القومية والخارجية، والسياسة الديمقراطية للدولة [٦٧٠].

تتركز وجهة نظر حركة القوميين العرب إزاء مسألة الثورة والتنظيم الشعبي، متخذة من تجربة الوحدة المصرية–السورية عام ١٩٥٨ نموذجاً، وعلى رأي محسن إبراهيم في تحليله للوضع السياسي في مصر قبل الثورة يصف "الحلقة المفرغة" التي كان يدور فيها الشعب المصري على النحو التالي: "حكم سياسي يشكل واجهة لنظام الاستغلال، ويعمل على تثبيت الجماهير في حالة من العبودية، وجماهير شعبية لا تجد في المؤسسة "الديمقراطية"الوسيلة المجدية لفرض مطامحها المشروعة على الحكم، لأنها لم تتحرر مادياً ولا تستطيع أن تمارس التحرر السياسي بالتالي. والتحرر المادي لا يمكن أن يتحقق في ظل حكم سياسي هو مجرد لوحة حرفية لمصالح الطبقات المستغلة"[٦٧١].

هذه"الحلقة المفرغة"التي كانت تعيشها الأوضاع في مصر دفعت بمجموعة "الضباط الأحرار"لكسرها منطلقين من خنادقهم العسكرية إلى مسرح العمل السياسي الثوري[٦٧٢]. لأن

---

[٦٦٨] المصدر نفسه، ص ١٥٨.

[٦٦٩] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** ، ص ١٦٧.

[٦٧٠] المصدر نفسه، ص١٦٩–١٧١.

[٦٧١] المصدر نفسه، ص١٨٥–١٨٦

[٦٧٢] المصدر نفسه، ص ١٨٤

الجماهير المصرية لم تكن واعية ومنظمة ومعبأة في حركة شعبية تاريخية تستطيع تحمل مسؤولية العمل الثوري[٦٧٣].

ولذلك كان لابد من توفير القاعدة الشعبية المفروض توفر عناصر عدة فيها، أولها: توفر نسبة عالية من الوعي لقضية الثورة الاشتراكية، وثانيها: الالتزام العقائدي الصادق والمخلص والصافي لقضية الثورة ومبادئها وأهدافها، وثالثها: توفير حرية المبادرة في إفساح المجال لفكرة التنظيم الشعبي العقائدي كي تأخذ مجراها ضمن الخط الاشتراكي، وقد قرر حرصه على حماية الثورة من نشاط القوى الرجعية وتكتلاتها ومصالحها[٦٧٤].

وكان من الطبيعي أن تتحول مجموعة الضباط الأحرار إلى الحكم، وبذلك فقدت قدرتها على البناء اليومي النامي لتنظيم شعبي يستوعب الطليعة الواعية والملتزمة عقائدياً والتي تتوفر لديها النسبة الأعلى من الإحساس بالمسؤولية ومن التصميم الثوري.

فجاء التنظيم الشعبي في مصر وفي القطر السوري أثناء الوحدة وبعد حل الأحزاب كلها على النحو التالي:

أولاً: الاتحاد القومي لم يكن يضم داخل صفوفه طليعة شعبية واعية لقضية الثورة ولأهدافها ومبادئها، بحيث يتوفر لها الوضوح الفكري والثوري المطلوب لما يجب أن تناضل من أجله، بقدر ما كان الاتحاد القومي يضم داخل صفوفه ممثلين عن الشعب بصرف النظر عن مقدار وعيهم وإيمانهم بقضية الثورة واستعدادهم للتصرف حسب مقتضيات السلوك الثوري الاشتراكي.

ثانياً: والاتحاد القومي كان معرضاً لأخطار الانتهازية والفردية واستهداف المنفعة والغرض الشخصي والرغبة في البروز أو السلطة.

ثالثاً: لم يكن الاتحاد القومي مؤسسة ثورية، فعمله كان بعيداً عن الأسلوب الثوري الذي لابد من توفره في أي تنظيم شعبي قادر على حمل رسالة في مستوى ضخامة رسالة العمل الاشتراكي، ولذلك كان واقع الاتحاد القومي في سورية صورة عن الإدارة الحكومية بكل ما تحويه من نقاط ضعف.

خامساً: لم يكن يصدر عن الاتحاد القومي مبادرات ذاتية داعية خلاقة، بل كان أداة في يد الحكم [٦٧٥].

---

[٦٧٣] إبراهيم، **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** ، ١٨٧.

[٦٧٤] المصدر نفسه، ص ١٩٩-٢٠٤.

[٦٧٥] المصدر نفسه، ص ٢١٥-٢١٧.

لم يكن الاتحاد القومي تنظيماً شعبياً بمستوى عقائدي ثوري مطلوب، فكان واقعه تمثيلاً شعبياً وصورة مصغرة للوضع الشعبي العام بكل ما فيه من نقص في الوعي ومن فردية وبعد عن التحسس بالمسؤولية الجماعية وبالدور التاريخي.

٣- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في فلسطين ١٩٥٨- ١٩٦٣.

كان قطاع غزة تابعاً للإدارة المصرية وكانت الأحزاب منحلة باستثناء تنظيم السلطة " الاتحاد القومي"، وكانت الضفة الغربية تابعة للأردن، ومواطنوها منخرطين في الأحزاب القومية العاملة في الأردن، وكان القسم الأكبر من فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني وقد تعرض معظم سكانه إلى التهجير، ومن بقي من العرب الفلسطينيين الذين فرضت عليهم الجنسية الصهيونية كانوا غير قادرين على العمل السياسي القومي العربي، فيما كان الفلسطينيون في أماكن لجوئهم في أقطار المشرق العربي، جزءاً من الحركة القومية العربية لاسيما في حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي.

٤- دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في الأردن ١٩٥٨-١٩٦٣.

قامت الحكومة بأعمال تعسفية ضد الحركة الوطنية الأردنية في ظل دعم من الدول الإمبريالية، سياسياً ومالياً، وبدأت العلاقات مع العراق تشتد على حساب الابتعاد عن سورية ومصر إلى أن نشأ الاتحاد "الأردني-العراقي" رداًَ على قيام الجمهورية العربية المتحدة الذي سقط في ١٤ تموز ١٩٥٨ على أثر سقوط النظام الملكي في العراق[٦٧٦].

وبعد اغتيال هزاع المجالي تولى رئاسة الحكومة بهجت التلهوني، ثم تولى رئاسة الحكومة في ٢٨ كانون الثاني وصفي التل، الذي أذاع برنامج حكومته، بما سماه "الكتاب الأبيض، في السياسة الخارجية، الامتناع عن الاشتراك في الأحلاف ومساندة حركة التحرر الجزائرية، وإقامة علاقات مع الإتحاد السوفياتي، ونفذت الحكومة وعودها[٦٧٧]

ثالثاً: دراسة مستجدات اتجاهات الفكر القومي في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣.

بعد انحراف ثورة ١٤ تموز في العراق عن أهدافها القومية والوطنية، والمظالم السياسية التي ارتكبها النظام وحلفاؤه من الشيوعيين بحق القوميين العرب عموماً لاسيما بعد حركة عبد الوهاب الشواف في الموصل آذار ١٩٥٩، إذ تراوح عدد الضحايا بين ٣٠٠٠و٥٠٠٠ شخص، ناهيك عن الذين نفذ بهم أحكام الإعدام من الضباط القوميين العراقيين الصادرة عن محكمة المهداوي الشهيرة[٦٧٨]. وبعد أن أضاع عبد الكريم قاسم حكمه وبريقه كقائد مخلص، وقد استنفدت الثورة

---

[٦٧٦] مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر**، ص ٢٦٦-٢٧٢.

[٦٧٧] المرجع نفسه، ٢٧٥-٢٧٦.

[٦٧٨] حمدان . مرجع سابق، ص٣٧٩

كل إنجازاتها، وتحول أجهزة السلطة والحزب الشيوعي عن النظام، ولم يعد للسلطة من شعارات تضلل فيها الناس، وبعد أن تم الخروج من حلف بغداد وكتلة الإسترليني، وشرّع القانون رقم ٨٠ لعام ١٩٦١ الذي استعاد العراق بموجبه جميع الأراضي غير المستثمرة نفطياً، وقانون الإصلاح الزراعي، وإبرام اتفاقية التعاون مع السوفيات، والانجازات النقابية والمهنية فضلاً عن قانون الأحوال الشخصية، كل ذلك لم يمنع التدهور الاقتصادي واتساع البطالة، ولا الحرب مع الأكراد، الأمر الذي وضع العراق في عزلة عربية وقد ناصب النظام العداء للجمهورية العربية المتحدة[٦٧٩].

إزاء هذه الظروف بدأ البعثيون في العراق العمل على إسقاط النظام بشتى الوسائل فخططوا لاغتيال عبد الكريم قاسم، إلا أن المؤتمر القطري الثالث آب ١٩٦٠ شجب الاغتيال السياسي، معتبراً محاولة القيادة السابقة لاغتيال قاسم هي خرق لعقيدة الحزب، مؤكداً اعتماده النضال الشعبي السياسي طريقاً للعمل.

دعت القيادة القومية في أواخر أيار ١٩٦٢ المنظمة العراقية إلى القيام بثورة تقتلع نظام عبد الكريم قاسم[٦٨٠]، بقدر ما وافقت على قيام "اللجنة العسكرية" في سورية بثورة ضد الانفصال[٦٨١]، ولكن قيادة البعث، في العراق، حاولت بالتنسيق مع المكتب العسكري التابع لها، التخطيط مجدداً لاغتيال قاسم في احتفالات ١٤ تموز ١٩٦٢، ولكن الحزب ألغى المحاولة. [٦٨٢]

تعاظم اتساع الحزب في العراق، بفعل نهج السلطة التي أصبحت معزولة جماهيرياً، فقام حزب البعث والقوميون العرب في ٨ شباط ١٩٦٣ بثورة ناجحة ضد الحكم الذي حال دون انضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة. فتولى عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية وأحمد حسن البكر رئاسة الحكومة[٦٨٣].

ولكن بعدما وصل البعث إلى السلطة في العراق برزت الحاجة إلى امتلاك نظرية تضع الحزب على يسار عبد الناصر والحزب الشيوعي، وعلى الرغم من تبني عفلق بعض الأفكار في الديمقراطية والتوجهات في التحويل الاشتراكي وبعض المفاهيم عن دولة الوحدة، فإنه تنكر لذلك بعد وصول الحزب إلى السلطة في العراق وسوريا، رافضاً ما سمّاه النظريات الوافدة

---

[٦٧٩] الفكيكي. مرجع سابق ص ٢١٣-٢١٤.

[٦٨٠] بطاطو،حنا. **الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث الفرنسية ط١ بيروت ١٩٩٢ ص ٢٨٢

[٦٨١] سيل. **الأسد**، الصراع على الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ١٢٨.

[٦٨٢] الفكيكي. مرجع سابق، ص ٢١٦

[٦٨٣] قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص١٥١- ١٥٢. أيضاً: الفكيكي، مرجع سابق ص ٢٣٥-٢٣٨

والإيديولوجيات المستوردة والأفكار الغريبة عن أصالة الأمة العربية، باعتبارها بفعل الأصالة التي تمتلكها وتراثها العظيم قادرة على صنع إجاباتها الخاصة عن تساؤلات الحياة والمجتمع[٦٨٤].

وكان أن تنامى في حزب البعث تياران أحدهما يساري والآخر يميني، وكان مرد ذلك إلى مطالب التيار اليساري بتأميم الصناعات الكبيرة و المؤسسات المالية، الأجنبية والوطنية، والتطبيق الجذري للإصلاح الزراعي والقضاء على نفوذ شركات النفط الاحتكارية، فضلاً عن مطلب إنجاز الوحدة الثنائية بين سورية والعراق[٦٨٥]، وهذا لا يكفي لتكوين موقف يساري يسمح بمهاجمة الخصم داخل الحزب ووصمه بالرجعية.

كان اليسار يعبر عن نوايا يسارية وأحلام ثورية، ولم يكن قادراً بسبب غموض فكر الحزب آنذاك، وقوة حلفائه العسكريين من الحرس القومي، والحرب مع الشيوعيين والأكراد، والصراع مع عبد الناصر، أن يفعل شيئاً سوى اللجوء إلى العنف والإرهاب الفكري والتشهير[٦٨٦]. وكان استقواء اليسار بالحرس القومي الذي أساء، دون مبرر مقبول، إلى العلاقة مع أوساط شعبية وعسكرية واسعة، من خلال ممارسة العنف والأعمال العدوانية، بمؤازرة من القواعد الحزبية، من استيلاء على ممتلكات العديد من الناس، الأمر الذي عزز عزلة اليسار عن الشعب وأضعفه كثيراً، بسبب عدم قدرة الناس التمييز بين موقف الحزب وجناحه اليساري من جهة، وسلوك الحرس القومي من جهة ثانية[٦٨٧].

أما اليمين المتمثل بالجيش وقياداته العليا ، فقد كان محاطاً بتأييد واسع من الأوساط المحافظة والبرجوازية، فكان أن أُبعد الحزب عن السلطة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، بعملية عسكرية قام بها الجيش العراقي مدعوماً من الرئيس عبد السلام عارف.

وقد عزت أدبيات حزب البعث العربي الاشتراكي الرسمية، الأسباب التي أدت إلى الصراع المستفحل بين تيار "اليمين واليسار الطفولي" الذي بدأ قبل استلام السلطة واستمر بعدها.

وكان من نتائج هذه الانتكاسة انتقال الصراع إلى داخل الحزب في سوريا حيث عانى الحزب يومها، فترة غير قصيرة من دوامة تلك الصراعات التي مثل فيها اليمين دور المتآمر والمرتد على إرادة الحزب[٦٨٨].

---

[٦٨٤] الفكيكي. مرجع سابق، ص٣١٩

[٦٨٥] المرجع السابق، ص ٣٢٥

[٦٨٦] المرجع نفسه. ص ٣٢٥.

[٦٨٧] الفكيكي. مرجع سابق، ص ٣٢٦.

[٦٨٨] **نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٣-١٩٨٠**، مرجع سابق، ص٩٨

ولا يمكن تفسير هذا الصراع بغير الغموض الذي كان يكتنف فكر الحزب، وغياب الديمقراطية في فكره العقائدي وسلوكه السياسي.

رابعاً: دراسة الاتجاهات القومية اقتصادياً اجتماعياً وسياسياً إيديولوجيا.

منذ الأربعينيات من القرن العشرين بدأ الفكر القومي بمختلف اتجاهاته، يظهر اهتماماً ملحوظاً في الشأن الاجتماعي، نتيجة متغيرات في البنية الاجتماعية، نتيجة لوجود المصانع الصغيرة، وبروز طبقة العمال، إضافة الى وجود طبقة عمالية كانت من مخلفات نظام الاقطاع الزراعي.

٣- دراسة الاتجاه القومي العربي:

لم يقتصر مفهومالفكر القومي العربي على الحرية بمفهومها السياسي وحسب، بل تعداها إلى الحرية الاجتماعية التي تهدف الى تحرير العمال والفلاحيين من الاستغلال الطبقي.

أ- الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية.

منذ الأربعينات أخذ الفكر القومي العربي يظهر بمضمون اشتراكي بهدف تحرير الإنسان العربي من الاستغلال ودفعه إلى الأمام لبلوغ التقدم والرفاهية. ولكن مفاهيم الفكر القومي للحرية الاجتماعية التي أطلق عليها اسم "الاشتراكية العربية" لم تكن واضحة، وعلى الرغم من ذلك لم ينزلق إلى اشتراكية إصلاحية تجعله يندمج مع الأطر البرجوازية العربية، ومع تطور الفكر القومي العربي استطاع أن يتخطى المفاهيم الخيالية والبرجوازية الصغيرة للاشتراكية.

بإطلاق تسمية "الاشتراكية العربية"، وعلى الرغم من عدم وضوح مفهومها وعدم بلوغها مضمون علمي، فقد كان لها إيجابية تذكر في وجه الحركة الشيوعية في الأقطار العربية.

ولكن كان لاعتراف مفكري الحركة القومية العربية بالملكية كحق طبيعي آثاره على تركيب أحزابها طبقياً، إذ أن البرجوازية الصغيرة بحكم طابعها الفردي تفسر الاشتراكية بما يخدم مصالحها لا مصالح الطبقة الواسعة التي تضم قطاعات العمال والفلاحين، فاحتلت القوى البرجوازية الصغيرة في الأحزاب القومية العربية المواقع القيادية خلال فترات غير قصيرة[٦٨٩].

بعد ثورة ٨ آذار ١٩٦٣ في سورية، وانعقاد المؤتمر القومي السادس في العام نفسه، حسمت الحركة القومية العربية خيارها الاشتراكي، وقررت الأخذ بالاشتراكية العلمية، التي لا تقر مبدأ الملكية الفردية لوسائل الإنتاج، نهجاً لها، بعد أن بلغت فكرة الاشتراكية انتشاراً واسعاً في صفوف العمال والفلاحين.

---

[٦٨٩] مختارات من منهاج التثقيف الحزبي، حزب البعث العربي الاشتراكي، دمشق ٢٠٠١، ص ٣١٧-٣٢٠

بعد الثورة حددت الحركة القومية العربية أهداف الاشتراكية، بخلق ظروف موضوعية، اقتصادية اجتماعية وفكرية سياسية جديدة تعتق الإنسان العرب من جميع أنواع الاستغلال والتسلط والجمود وتتيح له الفرص لكي يصير إنساناً حراً كلياً.

وقد حددت الظروف المطلوب توافرها في النظام الجديد التي تهيئ: إلغاء ظروف الاستغلال المادية، التي تسلب المواطن جوهره الإنساني، وتعميق المضمون الديمقراطي للاشتراكية، وتربية المواطن تربية اشتراكية وعلمية، تعتقه من الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة، أما التحويل الاشتراكي للمجتمع فيعني تحويل ملكية وسائل الإنتاج الخاصة إلى ملكية عامة للشعب بأسره، ويلغي الحاجة إلى الوسيط الرأسمالي بصورة نهائية، ويجعل دخل الفرد يرتبط مباشرة بعمله وكفاءته ويصهر سائر الطبقات في بوتقة واحدة ، وهو أخيراً، يلغي اقتصاد الربح ويخلق اقتصاداً يرتكز على الحاجات[٦٩٠].

ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية.

بعد تولى حزب البعث السلطة في سوريا كانت تنقص قيادته الوضوح النظري للحكم، ولم يكن باستطاعة العسكريين التوجه إلى عفلق والبيطار طلباً للإرشاد، لأنهم كانوا يحتقرون رؤيتهما الإصلاحية البرجوازية. وقد ظهر هذا الموقف في المؤتمر القطري الأول بعد الثورة بتاريخ أيلول ١٩٦٣ فالضباط لا يرغبون بقيادة عفلق ولا بأفكاره، وكانوا مصممين على إنقاذ الحزب من منظرين عاجزين، وكان عفلق يعي التهديد الذي يتعرض له[٦٩١].

ما حصل في المؤتمر القطري من تراجع لعفلق والبيطار، كان مقدمة لما سيحصل في المؤتمر القومي السادس المنعقد في تشرين الأول ١٩٦٣. فقد أسفر عن احتفاظ عفلق بمنصبه كأمين عام للحزب ولكنه فقد قاعدته اليمينية، وسقط البيطار، فيما صعد إلى القيادة للمرة الأولى بعثيون عسكريون من سوريا أمثال: صلاح جديد و أمين حافظ، ومن العراق أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش[٦٩٢].

في المؤتمر القومي السادس استطاع يسار البعث عبر تحالفه مع الوسط بقيادة "اللجنة العسكرية" أن يتغلب على الجناح العفلقي [٦٩٣]، وقد تولى ياسين الحافظ عملية التنظير للجناح اليساري في الحزب، وكتب "التقرير العقائدي" الذي أقرّه المؤتمر بعد تعديل صياغاته تحت اسم

---

(٦٩٠) **مختارات منهاج التثقيف الحزبي**، ص ٣٢١

(٦٩١) المرجع **نفسه**، ص ١٤٦-١٤٨

٦٩٢() المرجع نفسه، ص ١٤٨

٦٩٣() انشق يساريو البعث عن حزب اليمين وعقدوا مؤتمراً خاصاً في آب ١٩٦٤ قرروا فيه أن يعملوا تحت اسم "حزب البعث العربي الاشتراكي اليساري"ثم تغير اسم الحزب إلى "حزب العمال الثوري"عام ١٩٦٥، وكان أبرز مؤسسيه: ياسين الحافظ، وحمدي عبدالمجيد، راجع:(الفكيكي، مرجع سابق، ص ٣٨٥)

"بعض المنطلقات النظرية"الذي أحدث تحولاً "راديكالياً" في فكر الحزب [٦٩٤]. مما دفع عفلق للقول"إن هذا الحزب لم يعد حزبي" [٦٩٥]، وهو الذي غادر قاعة الاجتماع في الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر السادس عندما قرر المؤتمرون "إعادة النظر في التراث الفكري والسياسي للحزب وتنقيته وإعادة صياغته بما يتناسب والعصر" [٦٩٦]، وتدليلاً على رفضه مقررات المؤتمر يقول هاني الفكيكي[٦٩٧]: "عندما أعاد عفلق طبع قرارات المؤتمر القومي السادس بعد سقوط حكم الحزب في العراق، أهمل التقرير العقائدي والقرارات الخاصة به، وأثبت موضوعة الحزب الواحد القادر، وغالى في تزوير القرارات وتحريفها لكي يحصر السلطة العليا لذلك الحزب بالقيادة القومية"[٦٩٨].

فيما يلي توضيح للمفهوم القومي واتجاهاته وفقاً لنظرية حزب البعث القومية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣ ثم تطبيقه واقعياً كتجربة للسلطة في سورية والعراق، يمكن النظر إليها عربياً.

أقرّ المؤتمر السادس المنعقد في دمشق ٥-٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ بأن الوحدة لها أولويتها في النضال القومي العربي ولكن بشرط تطبيقها.

وعلى الرغم من أن وحدة النضال تصفّي الشعور بالعزلة والتجزئة إلا أنها ليست الأداة الموضوعية لإقامة الوحدة ولا الوسيلة الكافية لضمان سلامتها واستمرارها، لاسيما وأن الحزب "لم يتصد لصياغة دليل نظري يستشرف الطريق إلى الوحدة، ويرسم أسلوب تحقيقها وضمانات حمايتها وتطورها". ويؤكد التقرير العقائدي، أن غياب الأسس النظرية والعملية لوحدة عام ١٩٥٨

---

[٦٩٤] **البيان السياسي للمؤتمر القومي السابع**، حزب البعث العربي الاشتراكي اليساري، د. م، د. ن، د. ت، ص٩١.

[٦٩٥] راجع:**أزمة حزب البعث العربي الاشتراكي من خلال تجربته في العراق**، دراسة تحليلية نظرية أعدتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي السابع، دار الشعب، د.ت، ص ١٣٢.

[٦٩٦] الفكيكي، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

[٦٩٧] هاني الفكيكي: ولد في بغداد عام ١٩٣٦، وانتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٤، تولى مسؤوليات عدة في الحزب أبرزها: عضو في قيادة القطر العراقي ومجلس قيادة الثورة عام ١٩٦٣، و عضو في قيادة قطر سوريا بعد مؤتمر الحزب عام ١٩٦٣، وفصل من البعث عام ١٩٦٤، أسس مع ياسين الحافظ وحمدي عبد المجيد وآخرين حزب البعث اليساري، ومن ثم حزب العمال الثوري عام ١٩٦٥، اعتقل عشرات المرات منذ عاد البعث في العراق إلى الحكم في تموز ١٩٦٨ وحتى مغادرته العراق إلى لندن في تموز ١٩٧٩. الفكيكي، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

[٦٩٨] الفكيكي، مرجع سابق، ص٣٣٢.

أدت إلى الانهيار والسقوط، الذي لم ينل من الوحدة بحد ذاتها بقدر ما نال من تشكيك بمبدأ الوحدة نفسه"[٦٩٩].

وحذر التقرير من التمادي في التركيز على مطلب الوحدة الذي سيتحول إلى انحراف وخطر على قضية الوحدة ذاتها إذا ما أعطي طابعاً مطلقاً، لأن الاستمرار بالمواقف الانفعالية لفترة زمنية طويلة تجعل المواقف المرحلية الظرفية جزءاً من التراث الحزبي وتحول الانفعالات إلى منطلقات[٧٠٠].

وانتقد التقرير الاستمرار في الاعتماد على التجربة كحقل لتكامل نظرة الحزب وتعميقها، على الرغم من إنقاذ الحزب من الجمود العقائدي والتحجر الفكري، لأن ترك الحزب مفتوحاً على الانفعال الذي لا تحدد مداه ولا تضبطه نظرية، لا تؤمن الفائدة المرجوة عندما تتحول المعركة من معركة مجابهة أعداء القضية القومية والاشتراكية، إلى ترجمة المنطلقات إلى واقع مرحلة البناء. [٧٠١]

وهذا ما يفسر ما جاء في الفقرة التالية من أن فترة العداء بين البعث والشيوعية العربية حول الوحدة أدت ببعض الكتابات إلى جعل القضية الاشتراكية فرعاً من القضية القومية، مما طمس في أذهان بعض الحزبيين حقيقة الصراع الطبقي كمحتوى حقيقي، ومنطلق أساسي نضالي للقومية العربية[٧٠٢]. لأنه قد تكون ظروف المرحلة التي طغى فيها الفكر الاشتراكي، دفع الحزب لاستخدام هذا المصطلح ليعبر عن رأيه في الصراع الطبقي، رغم واقعه كحزب برجوازية صغيرة فقد اعتمد في نضاله على الفلاحين والعمال وصغار الكسبة.

لما كان محتماً اصطدام النضال القومي العربي بالاستعمار الذي خلق التجزئة في الوطن العربي، وبالإقطاع الذي شكل طبقة سياسية عميلة للاستعمار، وبالبرجوازية الوطنية التي خلقت التناقضات الإقليمية بين الأقطار العربية، وجد النضال القومي العربي نفسه مجبراً على إزالة العراقيل البرجوازية، لتخطي الحدود الإقليمية لكي يتمكن من صنع وحدته القومية[٧٠٣].وهذا ما يدفع الحركة القومية إلى تلبية حاجة الجماهير إلى التحرر داخلياً وخارجياً.

وهذا ما يوجب اعتماد عوامل موضوعية لبناء أسس الوحدة بعيداً عن العوامل العاطفية التي لم تعد قادرة على بناء وحدة تجابه الأعداء الخارجيين والداخليين. وهنا تبرز الحاجة إلى التزام

---

[٦٩٩] **بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣**، حزب البعث العربي الاشتراكي، ط ٨، ص ٢٦-٢٧.

[٧٠٠] المصدر نفسه، ص ٢٧.

[٧٠١] المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨.

[٧٠٢] المصدر نفسه، ص ٢٨- ٢٩ .

[٧٠٣] المصدر نفسه، ص ٣٠.

إيديولوجي على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، وهذه الإيديولوجية لا بد أن تكون معبرة عن مصالح الجماهير من جهة، ومعتمدة عليها كتنظيم من جهة أخرى.

ولضمان الشروط الموضوعية لانطلاقة قومية صحيحة باتجاه الوحدة، لا بد من انبثاقها عن الجماهير الواعية المكونة تكويناً سياسياً، ولأن روح الديمقراطية هي الإيمان بالجماهير. لذا فإن الكفاح الوجودي هو كفاح ديمقراطي اشتراكي بالضرورة [٧٠٤]، ذلك "أن الوحدة العربية الشاملة هدف جماهيري ثوري، يجب تحقيقه تحقيقاً واعياً سليماً. ولا بد من أن تتجسد الوحدة بصورة ديمقراطية، واتجاه اشتراكي علمي، ومشاركة إيجابية فعّالة من الجماهير المنظمة" [٧٠٥].

فالوحدة يجب أن تكون محركاً للنضال، بموجبها يستعيد الوطن العربي الأجزاء السلبية، وتدمير الاحتكارات الاستعمارية، وهي قادرة على إقامة اقتصاد عربي له أبعاد كبيرة، تتمثل في إنشاء صناعات متطورة وضخمة، واستثمار فعلي للثروات الطبيعية المتوفرة في الوطن العربي، ما يؤمن الإفلات من التبعية للدول الاستعمارية [٧٠٦].

والوحدة العربية تستطيع إحداث التوازن المطلوب مع التكتلات السياسية والاقتصادية الكبرى، كالوحدة الأوروبية، والسوق الأوروبية المشتركة، والمعسكر الاشتراكي، وكتلة الدول الإفريقية، وفي ذلك تكون"الوحدة العربية سلاحاً للدفاع عن مصالح الشعب العربي" [٧٠٧].

يحذر التقرير من اعتماد صيغة الاتحاد الفيدرالي إذا ما اعتمدت على أساس أنها خاتمة للتطور الوحدوي، ولكنه أكد على اللامركزية في الشؤون القطرية كضرورة ديمقراطية كون"المضمون الشعبي للوحدة يوجب تطبيق اللامركزية"[٧٠٨].

ودعا التقرير إلى توحيد المنطلقات النظرية التي ستبنى عليها الوحدة، وبوحدة الأسلوب النضالي المؤدي إلى تحقيقها، محذراً من فرض إطار مسبق يصدر عن قطر ما، لأن ذلك الفرض ينسف كل إمكانية صهر جدية للقوى الثورية. منتهياً إلى أن الوحدة العربية ستتم على مراحل، وليس في هذه المرحلية من خطورة على الوحدة الشاملة، طالما أنها ناجمة عن الظروف الموضوعية للنضال العربي [٧٠٩].

---

[٧٠٤] **بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣**، ص ٣١-٣٢.

[٧٠٥] المصدر نفسه، ص٣٢

[٧٠٦] المصدر نفسه، ص ٣٤

[٧٠٧] المصدر نفسه، ص٣٥.

[٧٠٨] المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٦

[٧٠٩]() المصدر نفسه، ص٣٨

ظظظظظظظظ

ويأتي هدف الحرية متلازماً مع الهدف القومي الوحدوي، وهذا ما أكده التقرير ذاته باعتماد حزب البعث ضرورة تلازم الحرية والعدل الاجتماعي "لأن مثل هذا التلازم هو وحده الذي يعمق المعنى الإنساني للاشتراكية ويجعلها القاعدة المادية المتينة لنمو حرية الإنسان" [٧١٠].

على الرغم من موقف الحزب الرافض لشتى أنواع التشويه والقهر التي لحقت بحرية الإنسان العربي بوجه خاص والإنسان بشكل عام، وإذ أدان الحزب ديكتاتورية الفرد كما ديكتاتورية البيروقراطية، إلا أنه لم يحدد نظرته المبدئية إلى الديمقراطية البرلمانية البورجوازية، ولم يضع الإطار النظري لقضية الحرية في واقعها الملموس، ولذلك فهو لم يستشرف صيغة نموذجية لأساس حكم ثوري وجذري وديمقراطي شعبي في آن واحد.

ولذلك وقع الحزب في بعض الغموض في نضاله اليومي أحياناً "لأنه لم يعط حكماً محدوداً حول مفاهيم الليبرالية للحرية السياسية" [٧١١]. ولأن التجربة إبان الوحدة أثبتت عجز المفهوم الديمقراطي الذي يقتصر على الجانب الاجتماعي دون السياسي، في ترك الانجازات دون قوى شعبية تحافظ عليها.

أدان التقرير النظام البرلماني كونه يمثل الطريقة البرجوازية الغربية في الحكم، وتطبيقه في بعض الأقطار العربية كان مجرد نقل لواجهة غربية مقطوعة عن جذورها السياسية والاقتصادية، ولهذا كانت الانقلابات العسكرية التي تعاقبت مع الديمقراطية البرلمانية، كل واحدة منها تحمل بذور الأخرى لتجهضها[٧١٢].

وأدان المؤتمر الحكم الفردي، الذي جاء متأثراً بتجربة الأحزاب الثورية في الدول الاشتراكية، اعتقاداً منها بعدم قدرة الشعب على اختيار الحاكم بالشكل الصحيح، ومهما دافع المدافعون عن الحكم الفردي فإنه لا يصلح قاعدة للحكم، لأن الفردية بطبيعتها تنتهي الى الدكتاتورية وترفض المشاركة، لاسيما في تعبئة طاقات الجماهير، تعبئة ثورية كاملة. داعياً إلى تخطي البرلمانية باعتبارها أحد أشكال سيطرة الطبقات البرجوازية على الجماهير الشعبية داعياً للانتقال إلى الديمقراطية الشعبية التي تكفل لجم الرجعية من جهة، وتؤمن تعبئة طاقات الجماهير وإمكانياتها في عملية البناء الاشتراكي الثوري للمجتمع العربي من جهة أخرى. لأن الديمقراطية الشعبية، حسب التقرير، هي التي تطور السلطة، وتجدد اندفاعات الثورة وتعزز مكاسب الجماهير وتوسعها وتصونها.[٧١٣]()

---

[٧١٠] **بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣**، ص٤١

[٧١١] المصدر نفسه، ص ٤٣.

[٧١٢] المصدر نفسه، ص٥٠.

[٧١٣] **المصدر نفسه**، ص ٥٠.

وإذ أدان الحكم الفردي، فقد أقرّ مبدأ جماعية القيادة لأنها لا تميّع المسؤولية، ولا تعرقل المبادرات اليومية للسلطة الثورية في جو من مرونة الحركة المطلقة لها، وأكد المركزية في التنظيم السياسي للسلطة التي تتأمن عن طريق خضوع الأقلية للأكثرية خضوعاً طوعياً مخلصاً، وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات العليا، وخضوع الهيئات والمنظمات، لقرارات القيادة المركزية وتوجيهها[٧١٤].

كما أقرّ تعدد الأحزاب في ظل مبدأ "الحزب القائد"، وهذا، وفق رأي المؤتمر السادس، لا يتناقض مع الديمقراطية مشترطاً على الحزب القائد شرطين: الأول، هو قدرة الحزب على قيادة الأغلبية الساحقة من الجماهير الشعبية الملتفة حوله التفافاً واعياً. والشرط الثاني: هو ممارسة الديمقراطية الداخلية في الحزب القائد [٧١٥].

ولكي تحقق الديمقراطية أبعادها ينبغي الوضوح في سياسة الحزب لأن في الوضوح إمكانية للقواعد الحزبية في المناقشة، مناقشة واعية مسؤولة تمكّن من تصحيح هذه السياسة أو تعديلها إذا اقتضى الأمر، وبذلك تعزز الثقافة السياسة التي تحول دون نشوء التكتلات داخل الحزب[٧١٦].

وحذر التقرير من مغبة الوقوع في فخ البيروقراطية الجامحة التي استفحل أمرها في عدد من البلدان الاشتراكية، وأصبحت عقبة في تطوير الديمقراطية وشوهت التطور الطبيعي للعلاقات الاشتراكية في المجتمع[٧١٧]، وهذا ما يفرض تعميم الديمقراطية لتبلغ الإدارة الديمقراطية لوسائل الإنتاج عن طريق اضطلاع المجالس العمالية بدور أساسي في إدارة المشروعات الإنتاجية الصناعية. [٧١٨]

كما يفرض تعميم الديمقراطية انخراط الجيش في العملية السياسية ليشكل قوة أساسية من ضرورات البناء الاشتراكي. ويجب تثقيفه بمقدار تدريبه العسكري لخلق علاقات رفاقية بين عناصره يحركها الإيمان بقضية الجماهير الشعبية[٧١٩].

ولكن الأمية تشكل عائقاً كبيراً في تحقيق العملية الديمقراطية، ولذلك تكون الحاجة ملحة للقضاء على الأمية لدى الجماهير، حتى يتمكنوا من الانخراط في العملية السياسية والاشتراكية.

---

[٧١٤] **بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣**، ص ٥٢.

[٧١٥] المصدر نفسه، ص٥٧-٥٨.

[٧١٦] المصدر نفسه، ص ٥٨.

[٧١٧] المصدر نفسه ، ص ٦٠.

[٧١٨] المصدر نفسه، ص ٦٠.

[٧١٩] المصدر نفسه ، ص ٦٢-٦٣.

ولا تكتمل الديمقراطية بدون تحرير المرأة العربية من كل مخلفات الماضي التي وضعتها على هامش الحياة السياسية، فحرية المرأة الحقيقية لا يمكن أن تتوفر إلا بالنضال على جبهتين: النضال ضد الأطر والتقاليد والعادات المتخلفة، والنضال ضد المفهوم البرجوازي الشكلي للحرية، وربط هذا المفهوم الجديد لحرية المرأة بقضية البناء الاشتراكي للمجتمع العربي[٧٢٠].

كما انتقد التقرير العقائدي للمؤتمر السادس شعار "الاشتراكية العربية" لأنه أقحم بدون توضيح الأسس النظرية لهذه الاشتراكية، فبقي "مجرد كلمة خالية من مضمون علمي، ففصل الاشتراكية في مرحلة من مراحل نضال الحزب عن لحمته الاجتماعية والطبقية[٧٢١]، مؤكداً الاتجاه الاشتراكي العلمي[٧٢٢]. وهذا معناه تبني النظرية الاشتراكية الماركسية.

وأدان التقرير الاعتراف بالملكية الفردية بشكلها المطلق، إذ أن هذا الاعتراف هو مفهوم برجوازي صغير يتناقض مع المفهوم الاشتراكي العلمي الذي يعتبر العمل الإنساني المصدر الوحيد للقيمة.

توصل التقرير(من المنظار الخاص بالحزب) إلى وضع الحل الجذري لمشكلة الإنسان العربي في النظام الجديد المفروض إقامته على الشكل التالي:

– "إلغاء ظروف الاستغلال المادية، التي تسلب المواطن جوهره الإنساني.

– تعميق المضمون الديمقراطي للاشتراكية، لأن الحرية هي الأساس الراسخ الذي تبنى الاشتراكية عليه.

– تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من...الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة، لكي يمكن خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي منفتح، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم اجتماعية.

– التحويل الاشتراكي للمجتمع يعني – من حيث المبدأ – تحويل ملكية وسائل الإنتاج الخاصة إلى ملكية عامة للشعب بأسره، ويلغي الحاجة للوسيط الرأسمالي بصورة نهائية ويجعل دخل الفرد يرتبط مباشرة بعمله وكفاءته، ويصهر سائر الطبقات في بوتقة واحدة، وهو أخيراً يلغي اقتصاد الربح ويخلق اقتصاداً يرتكز على الحاجات[٧٢٣].

وقد حدد التقرير الحدود الأولية لعمليات التحويل الاشتراكي، بنقل ملكية جميع قطاعات الإنتاج المهمة، ووسائل التمويل والمرافق العامة، ووسائل النقل الأساسية والثروات العقارية

---

[٧٢٠] **بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣**، ص ٦٦.

[٧٢١] المصدرنفسه، ص ٦٩.

[٧٢٢] المصدر نفسه، ص ٣٢ .

[٧٢٣] **المصدر نفسه**، ص ٧٠.

الكبيرة والتجارة الخارجية والفروع الأساسية من التجارة الداخلية إلى ملكية الشعب، وإدخال عناصر البرجوازية الصغيرة في القطاع الاشتراكي، ضمن برامج علمية وفقاً لظروف كل قطر وتعميم التأميم للقطاعات المهمة للاقتصاد الوطني، ولم يخف التقرير ما ينشأ عن هذه العملية من رأسمالية الدولة التي لها إيجابيات ولكن لها سلبيات تتطلب الانتباه لمعالجتها. لاسيما إضعاف الديمقراطية الاشتراكية وبروز مخاطر البيروقراطية، والمعالجة تتم بإفساح المجال أمام الجماهير العمالية والفلاحية بالمشاركة في الاقتصاد الوطني[٧٢٤]، وأكد التقرير شعار"الأرض لمن يحرثها" داعياً إلى إطلاق ثورة زراعية لا إصلاح زراعي، كون الثورة هي التي تفتح الطريق أمام انطلاق اقتصادي سريع في قطاعات الإنتاج كلها[٧٢٥].

ولكن الثورة الزراعية لا يمكن تحقيقها بغير التخطيط الاشتراكي الذي يتيح استخدام جميع الموارد الوطنية المادية، والطبيعية والبشرية بطريقة علمية وعملية[٧٢٦] .

وأنهى التقرير كلامه في الاشتراكية عن كيفية البناء الاشتراكي ودور الطليعة، المدعمة بالوعي العقائدي والمعرفة الدقيقة لقوانين تحويل المجتمعات، وقواعد سير التاريخ، هي التي تستطيع تقليل احتمالات الخطأ، وتوجيه النضال والتجارب الحية في طريق التغيير الثوري[٧٢٧].

من جهتها حددت حركة الوحدويين الاشتراكيين مفاهيمها في ما عرف بالميثاق على النحو التالي:

قامت التظاهرات الشعبية غير المنظمة لمواجهة الانفصال، وكانت الطليعة الوحدوية الاشتراكية، المنفصلة عن البعث في حلب أساساً،دور هام، إذ تنادت الجماعات والنخب البعثية والناصرية إلى الاجتماع في أول خميس يلي خميس الانفصال وقررت مقاومة الانفصال واستعادة الوحدة[٧٢٨]. ورفعت شعار الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة[٧٢٩]. وشكلت بما عُرف بالوحدويين الاشتراكيين[٧٣٠]، وقد تألف المؤسسون من عشرة قياديين من حزب البعث

---

[٧٢٤] **بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣**، ص ٧٦.

٧٢٥ () المصدر نفسه، ص ٧٧.

[٧٢٦] المصدر نفسه، ص ٧٨.

[٧٢٧] المصدر نفسه، ص ٨٠.

[٧٢٨] سامي الجندي ، البعث، ص ٨٨

[٧٢٩] –دندشلي، حزب البعث، ص ٣١٥

[٧٣٠] –تطور اسم الوحدويين الاشتراكيين من: الطليعة الوحدوية الاشتراكية إلى حركة الوحدويين الاشتراكيين، = فتنظيم الوحدويين الاشتراكيين، فحزب الوحدويين الاشتراكيين.

العربي الاشتراكي[٧٣١]، ممن اختلفوا مع حزب البعث العربي الاشتراكي في الموقف من الوحدة، والجماهير الناصرية، ومن عبد الناصر وفي الممارسات الداخلية، واختلفوا مع القوى الناصرية على ضرورة إعطاء الفكر الوحدوي أولوية، وعلى ضرورة ربط الاشتراكية بالوحدة، واختلفوا معها في أسلوب النضال وفي مستوى المناضلين[٧٣٢].

حددت حركة الوحدويين الاشتراكيين في ميثاقها، مفهومها للوطن العربي، والقومية العربية، والحرية والثورة العربية والوحدة العربية والاشتراكية العربية بما يلي:

الوطن العربي هو البقعة الممتدة بين الخليج العربي وجبال زغروس وطوروس والبحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، والصحراء الكبرى وجبال الحبشة والبحر العربي.

وكون الوطن العربي هو مهد الحضارات الكبرى في التاريخ، فالنضال في سبيل وحدة هذا الوطن في دولة عربية واحدة، إنما هي عودة الأمة والوطن إلى مكانهما الطبيعي ، تحقيقاً للإرادة العربية في وحدة الكيان العربي، ليستطيع هذا الكيان أن يسهم في بناء الإنسانية بناءً حضارياً خلاّقاً.

أما العرب فهم جميع الأقوام التي نزحت من الجزيرة العربية أو عاشت في الوطن العربي، وتفاعلت مع أبنائه، فتشابهت في نمط الحياة، والتفكير والمشاعر، ورهنت صلتها بالقوم لترتبط بالأمة.

والانتساب إلى الأمة العربية موقف طبيعي تحتمه الأصالة، وقناعة بمقدرتها على الخلق والإبداع، بيد انه لا يجوز مطلقاً يهوي بالعرب هذا الانتساب، وهذه القناعة إلى درك التعصب سواء أكان عنصرياً أم عرقياً، أم قبلياً أم طائفياً أم دينياً، أم إقليميا[٧٣٣].

يعرّف ميثاق الوحدويين الاشتراكيين القومية العربية بأنها، وعي الأمة العربية لذاتها، وعياً فاعلاً يتجلى في حياة مؤثرة مبدعة، تبدو في مواقف نضالية وحضارية على المستوى القومي والإنساني.

أما الأسس التي تقوم عليها القومية العربية، فهي العقل الذي يدعمه العلم والمنطق، وعلى المشاعر التي تدعمها العاطفة والوجدان، وعلى المصلحة سواء أكانت اقتصادية مادية أم مصيرية حياتية. وعلى إرادة الأمة العربية في التحرر والحرية لتحقيق الوحدة والاشتراكية والسيادة الكاملة في إطار الدولة العربية الواحدة للإسهام في إغناء الإنسانية برافد حضاري جديد.

---

[٧٣١] من أبرز الوجوه التي أسست حركة الوحدويين الاشتراكيين: فائز إسماعيل، أدهم مصطفى ن سامي صوفان ن سامي الجندي ، أديب النحوي

[٧٣٢] تاريخ الحزب ، ص ١-٢ www. alwahdawi. Org.sy

[٧٣٣] الميثاق، ص١-٢ www. alwahdawi. Org.sy

وما يميز القومية العربية، وفق ما جاء في الميثاق، بأنها أصيلة، وإيجابية ومبدعة ومتميزة، وإنسانية، لا تؤمن بالعنصرية والتفوق إيماناً منها بتساوي الأمم في قوميتها الإنسانية وحقها في الحرية والتقدم والإسهام في الحضارة الإنسانية[٧٣٤].

تعني الحرية، بالنسبة للوحدويين الاشتراكيين، التحرر من مخلفات الواقع الفاسد بكل ما فيه من إقطاعية، ورأسمالية، واحتكار، واستغلال، وتخلف، وحكم بعيد عن الشعب. والتحرر من النفوذ الأجنبي بجميع أشكاله السياسية والاقتصادية والثقافية، وهذا ما يحتّم مكافحة قوى الاستعمار في كل مكان، سواء على الأرض العربية أو خارجها، لأن الاستعمار يسيء إلى الإنسانية، ويعرقل تقدمها ويهدد مستقبلها.

أما بالنسبة على حرية المواطن العربي، فتعني حقه في ممارسة حرية المعتقد والرأي والعمل دون حدود أو قيود، عن طريق الكلام والنشر والفن والاجتماع والتظاهر، على أن لا تتعارض مع حرية الآخرين، ولا تهدد سلامة الوطن. وهذا لا يعني أن لأعداء الشعب من غير المؤمنين بالوحدة والاشتراكية حق بالحرية، وتقتضي الحرية الاعتراف بالمساواة بين جميع المواطنين في قيمهم الإنسانية، دون تمييز في الجنس أو الدين أو العرق. إذ لا تقدم للوطن بدون الحرية، والنقد الايجابي الذي يعتبر ابرز عوامل بناء الوطن[٧٣٥]

إن أهداف العرب في الوحدة الاشتراكية والحرية والثورة، تقوم على التغيير الجذري للمجتمع العربي، الذي يشمل التاريخ والمعتقدات والأخلاق، والفكر والروح.

الثورة عند الوحدويين الاشتراكيين ليست وسيلة إلى الهدف، بل هي الهدف إلى بحد ذاته، كونها عملية انتقال من مجتمع التخلف والاستغلال على مجتمع الاشتراكية والتقدم، ومن التجزئة والتفسخ على الوحدة والقوة. ومن التبعية والضعف إلى الحرية والسيادة، وللثورة وسيلتها العلمية الثورية التي تقوم على سبر إمكانيات الشعب وتفجيرها. وعلى اختصار الزمن وحرق المراحل، وتطوير النصر، وتحدي هذا الواقع المفروض، ولذلك يناضل الوحدويون الاشتراكيون في سبيل تحقيق الثورة في ذاتهم ليتجددوا شعوراً وفكراً وروحاً ويصبحوا مؤهلين للدعوة الثورية ولكي يتجدد المجتمع العربي جذرياً ويصبح تقدمياً مبدعاً يستطيع أن يواكب تقدم العصر، لذلك يرفضون الإصلاح حين يكون بديلاً عن الثورة أو إيقافاً لمدها. ويدعمون الثورة في كل مكان من العالم، لأن العالم وحدة متضامنة متكاملة، والتفاوت الكبير بين أجزائه عامل قلق واضطراب، ولا تقوم حضارة العالم الكبرى غلا في ظل الرخاء والأمن[٧٣٦].

---

[٧٣٤] المرجع نفسه ص ٢-٣ .

[٧٣٥] الميثاق ص ٣ www. alwahdawi. Org.sy

[٧٣٦] الميثاق ص٣ www. alwahdawi. Org.sy

ينطلق الوحدويون الاشتراكيون من اعتبارهم بلاد العرب وطن للعرب، ومجال نضالهم وفاعليتهم، وإبداعهم، فهم يعدون حزبهم قومياً يشمل الوطن العربي بكامله، ويتكاملوا مع المنظمات الثورية فيه، كما يعتبرون وحدة النضال العربي جماهيريا تجسيداً للوحدة المناضلة. ويعالجون مشاكل الأقطار العربية، وأساليب النضال فيها وفق القضية القومية ممثلة بمصلحة الأمة العربية والوطن العربي، ويرمي نضالهم الوحدوي إلى إقامة دولة عربية واحدة للعرب تمتد من المحيط إلى الخليج تزيل عار التجزئة والتخلف وتحقق لهم السيادة على أرضهم.

الوحدة العربية، وفق الوحدويين الاشتراكيين، ثورة كبرى في حياة العرب. لأنها ثورة سياسية تقوم على التحام الأجزاء العربية وصهرها، ولذلك، فهم يرفضون الوحدة في ظل الحكم الأجنبي أو تأثيره، وفي ظل الكيانات المصطنعة، ولأنها ثورة اجتماعية تقوم على تغيير البنية العربية الراهنة بإقامة المجتمع العربي المتحرر الموحد الاشتراكي المتطور، فهم يرفضون الوحدة في ظل الإقطاع والرأسمالية والشعوبية. وهي ثورة ديمقراطية تعتبر ارتفاع مستوى الشعب العربي سياسياً واجتماعياً، واقتصادياً، في الأقطار العربية سبيلاً للوحدة، ودعماً لها، ولذلك فهم يناضلون في سبيل إرساء دعائم الشعب.

أما موقفهم من الجامعة العربية فهي، من وجهة نظرهم، أداة لترسيخ التجزئة ، لأنها تقوم على مبدأ الاعتراف بالدول، فيما يعتبرون أن الجامعة الحقيقية للشعب العربي تكون بمنظماته السياسية وتنظيماته النقابية، فوحدة النضال، بين أبناء الشعب العربي، هي السبيل إلى إقامة وحدة حقيقية. ولذلك فهم يرون أن المجال المهيأ لهذه الخطوة يومها، هو بين القاهرة ودمشق نظراً لوجود اختمار شعبي في القطرين، وإمكانات متماثلة بينهما في المنهج الاشتراكي وفي التعبئة القومية[٧٣٧].

تقوم الاشتراكية العربية وفق نظرية الوحدويين الاشتراكيين بمسح كامل لطاقات الوطن العربيٍ، وحصر لقواه البشرية والمادية، وإعادة النظر في القوانين ومناهج التعليم، والنظم المالية والاقتصادية لتنسجم كلها مع الاتجاه الوحدوي الاشتراكي.

أما الأهداف التي ترمي إليها الاشتراكية العربية فتكمن في:

- تحرير الوطن من مستغليه والمتآمرين على ثرواته وحرياته، وتقدمه، وتسليمه إلى أبنائه الكادحين المخلصين لتستغل كامل ثرواته استغلالاً كاملاً.

- تحرير المواطن فكرياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وتفتيح مواهبه في بناء وطنه، وغرس الأخلاق الاشتراكية فيه ليرفض الأنانية والتسلط والعدوان.

---

[٧٣٧] الميثاق ص ٣-٤ www. alwahdawi. Org.sy

- خلق المجتمع العربي، اللاطبقي، المتقدم القابل للإبداع والعطاء للأمة العربية والإنسانية جمعاء.
- الثروات العربية ملك عام للشعب العربي.
- لا اشتراكية عربية في ظل التجزئة القومية، فوحدة الوطن العربي هي السبيل الوحيد للتنمية والكفاية.
- وحيث أن سمات الاشتراكية العربية تقوم على كفاية في الإنتاج، وعدل في التوزيع وتطوير مستمر للوطن والمواطن، ينبغي أن تقوم ثورة زراعية تستند إلى دراسة علمية لمشكلة الأرض من حيث الملكية والاستثمار وقابليتها . ووضع خطط للتنمية الزراعية من قبل الدولة ، وانتزاع الأرض ممن لا يستثمرونها بأنفسهم كاملاً. واعتماد المزارع الجماعية النموذجية في الريف، وإقامة الجمعيات التعاونية، والنقابات الزراعية، ومن أجل إزالة الفوارق بين الريف والمدينة، ينبغي إنارة الريف، وتأمين المياه، وإقامة شبكات الطرق.

أما الثورة الصناعية فقيامها منوط بمبادئ لا غنى عنها، هي: لا ملكية لغير المواطنين العرب، فالعربي وحده هو مالك وسائل الإنتاج ، ولا بطالة في صفوف العمال، ويكون الأجر وفق الجهد المبذول، على ألا يقل الأجر عما يحقق مستوى الحياة الحرة الكريمة، ولا يرتفع على مستوى خلق التفاوت الطبقي.

ترى حركة الوحدويين الاشتراكيين أن العدل يتحقق في إتاحة الفرص لجميع المواطنين، وفي المعاملة الحسنة، وفي التوزيع العادل، الذي يتم بالكشف المبكر عن إمكانيات المواطنين وتنميتها، وفي المساواة في القيمة الإنسانية. فالإنسان هو أثمن رأسمال في المجتمع لأنه كائن مبدع، لا يقارن بالمادة، كونه يملك الفكر والعاطفة والإرادة، ويسهم في تطوير نفسه ومجتمعه.

ولذلك لا بد من إقامة المدارس الابتدائية، والثانوية، والفنية، والنقابية، والنضالية، والجامعية، وفق حاجة الوطن، لخلق جيل الوحدة والاشتراكية، وفرض إلزامية التعليم حتى الثانوية والاختيارية في المراحل الجامعية، على أن يكون التعليم مجانياً في جميع مراحله.

أما في مجال الملكية لوسائل الإنتاج، فلا مانع من وجهة نظر الوحدويين الاشتراكيين، من وجود ملكيات خاصة ضمن توجيه الدولة ومراقبتها، وإبقاء حق الإرث للإبقاء على الحوافز الفردية ولتنمية الروابط العائلية[٧٣٨]

---

[٧٣٨] الميثاق ص ٤-٥ www. alwahdawi. Org.sy

٢- دراسة الاتجاه القومي الإقليمي:

أ- الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية.

رأى الحزب السوري القومي الاجتماعي أنه بعامل التطور الاجتماعي على أساس الحرية الفردية، نظام الرأسماليين ومزاولي المهن الحرة والعمال، أو نظام الطبقات الرأسمالي الذي حل محل النظام الإقطاعي الذي يقسم المجتمع إلى طبقة نبلاء وطبقة أحرار وطبقة عبيد.

هذا النظام الجديد الذي صنف المجتمع إلى طبقة عليا هي الرأسمالية، وطبقة وسطى هي المهنة الحرة، وطبقة سفلى هي العاملة، لم يكن نظاماً صالحاً للبقاء، لأن المشاكل الاقتصادية- الاجتماعية التي نتجت عنه، أحدثت ولا تزال تُحدث حيثما بقي هذا النظام فاعلاً، تشنجات واضطرابات شديدة تحفز العقول إلى ابتغاء نظام جديد، للمجتمع الإنساني، يزيل تلك التشنجات وتلك الاضطرابات، ويفسح المجال لتفاعل ينمي الحياة ويقويها ويجعلها صالحة للإنسان ومصالحه النفسية المادية[٧٣٩].

فنظام الطبقات الرأسمالي، لم يكن له نتيجة اجتماعية غير الحفز على حرب الطبقات، إذ كون الرأسمال الفردي الحر طبقة رأسمالية مرهقة، ساحقة، وطبقتين مضغوطتين، مسحوقتين، طبقة مسحوقة نفسياً هي الطبقة الوسطى، وطبقة مسحوقة مادياً هي الطبقة السفلى، والحرب بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة، ليست حلاً لمشكلة الاجتماع الإنساني الاقتصادية ولا تحقيقاً لمصالحه النفسية واتجاهاته الروحية، ومقاصده المثلية، وكما تكونت ضمن المجتمع الواحد الطبقات والنظام الطبقي بعامل الثورة الصناعية، كذلك تكونت بذاك العامل عينه، الطبقات الأممية والنظام الطبقي الانترنسيوني، الذي يضع طبقة من الأمم الاستعمارية ذات الإمبراطوريات والمناطق الواسعة، وطبقة من الأمم المتوسطة، وطبقة من الأمم المنحطة أو المضغوطة، المحرومة[٧٤٠].

سعادة، الذي اقرّ بحقيقة وجود نظام رأسمالي يؤدي إلى صراع طبقي في المجتمع، ومع إقراره بأن النظريات الاجتماعية الاقتصادية من كارل ماركس وانغلز إلى الاجتماعيين الاقتصاديين الآخرين، قد ألقت نوراً قوياً على مشاكل المجتمع الإنساني الاقتصادية[٧٤١]. لم يقر النظرية الماركسية في الاشتراكية المسماة الاشتراكية العلمية، ولم يتبن نظرية دكتاتورية البروليتاريا والصراع الطبقي كمنهج للصراع.

---

[٧٣٩] سعادة، **شروح في العقيدة**، د.ن، بيروت ١٩٥٨، ص ١٥٨

[٧٤٠] المرجع نفسه، ص ١٥٨

[٧٤١] المرجع السابق نفسه، ص ١٨

نظر سعادة إلى مستقبل الأمة وما يجب أن تصل إليه من الارتقاء والبحبوحة والعدل الاجتماعي–الاقتصادي فوضع لهذه الغاية المبدأ الإصلاحي الرابع من مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي، الذي يتضمن العقيدة القومية الاجتماعية للسوريين القوميين الاجتماعيين وهو" إلغاء الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج وإنصاف العمل وصيانة مصلحة الأمة والدولة"[٧٤٢]. وفي شرحه لهذا المبدأ يقول:" أما تنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج فهو الطريقة الوحيدة لإيجاد التوازن الصحي بين توزيع العمل وتوزيع الثروة، إذ أن كل عضو في الدولة يجب أن يكون منتجاً بطريقة من الطرق، وفي حالة من هذا النوع يتوجب تصنيف الإنتاج والمنتجين بحيث يمكن ضبط التعاون والاشتراك في العمل على أوسع قياس ممكن وضبط نوال النصيب العادل من الإنتاج، وتأمين الحق في العمل والحق في نصيبه[٧٤٣].

يستنتج من هذا الكلام أن سعادة لم يأخذ بالتجربة الاشتراكية الشيوعية التي جعلت ملكية جميع وسائل الإنتاج للدولة، وألغت الملكية الفردية بشكل شبه كامل، ومع رفضه للتجربة الرأسمالية القائمة على مبدأ الملكية الفردية. فتحدث عن الإنتاج المشترك الذي هو حق عام لا حق خاص، وعن الرأسمال الذي هو ضمان استمرار الإنتاج وزيادته، هو بالتالي، وبما أنه حاصل الإنتاج، فهو ملك قومي مبدئياً، وأن كل الأفراد الذين يقومون على تصريف شؤونه إنما بصفة مؤتمنين عليه وعلى تسخيره للإنتاج، وهذا لا يعني إلغاء الملكية الشخصية كملكية عملية ولا إلى اخذ الرأسمال من أيدي الأفراد رأساً ونزع حق التصرف من أيديهم، ولكن يعني أن الأفراد الذين يتصرفون بالرأسمال تصرفاً فردياً يتصرفون به تحت إشراف الدولة، لضبطه وتوفيقه لأنهم مبدئياً مؤتمنون عليه من قبل المجتمع[٧٤٤]. ولذلك يتوجب على الدولة سن القوانين إلى أقصى حد ينمي حيوية الشعب ويعطي الخير العام.

ب– الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية.

جاءت طبيعة مضمون الفكر القومي الإقليمي قومية اجتماعية، أصيلة وحديثة، تحررية ثورية، تطورية علمانية علمية، فاعلة غير منفعلة مؤثرة في خلق فعل الإرادة لدى الإنسان السوري.

اتجه الفكر القومي الإقليمي بعد الحرب العالمية الثانية إلى فهم الفعالية النضالية التي تتعامل مع واقع شامل ومركب، وتهدف إلى تطويره باتجاه الأمة السورية.

---

[٧٤٢] المرجع السابق، ص ١٧

[٧٤٣] سعادة ، **المحاضرات العشر**، منشورات عمدة الثقافة، ١٩٨٠، ص١٣٤

[٧٤٤] المرجع نفسه، ص ١٤٤

لم يفصل بين الفكر والنفس، إذ أن عمل الإحساس والفكر هو كل نفسي لا يمكن أن يزال العقل منه، والنفسية السورية قد برهنت على أنها عظيمة المقدرة، مستكملة شروط الوعي الصحيح والإدراك الصحيح، وإن لها مقدرة على إدراك واستيعاب كل ما يمكن النفس أن تستوعبه وتدركه في هذا الوجود[٧٤٥] قديماً وحديثاً.

وعلى الرغم من أهمية الاستقلال الفكري والشعور النفسي، فهذا لا يعني مطلقاً الانعزال عن التفاعل مع العالم بشرط أن يكون لشعبنا الحق في رؤية ذلك الحق، وذلك الخير، وذلك الجمال، الذي يكون لدى غيرنا[٧٤٦]

أرسى الفكر القومي الاجتماعي مفهوم التقدمية، الذي يرتكز على التقدم كسمة عامة للحركة والتغيير.

والتقدمية لها مضمونان متلازمان، التقدم نحو الأمام، وهذا ما ينفي أي حركة غير هادفة. ومضمون الإرادة الإنسانية الخلاقة والحرة والمنظمة التي تحدد أهداف التقدم وتلغي التلقائية الجبرية.

ذلك أنّ "الفعل الإنساني المنظم" الناتج عن "الإرادة الإنسانية الواعية، هو المحرك الأساسي للتاريخ، لكن ذلك الفعل، وهذه الإرادة، ليست شيئاً فوق التاريخ وإنما هما جزء منه يخضع لمنطق القوانين العامة ذاتها ومن أهمها قانون التطور.

فالحركات السياسية التي لم ترتكز على بنية فكرية وتنظيمية قائمة على مفهوم التطورية، وجدت نفسها عاجزة عن الفعل الإنساني الخلاق والهادف وتلاشت وانحلت

ولذلك فإن الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تأسس عام ١٩٣٢ ولا يزال في ساح النضال القومي، فلأن تأسيسه كان حدثاً تاريخياً مؤثراً في حياة الأمة السورية، وهو يعمل من أجل تطور أمته نحو التحرر والوحدة وتأمين سبل الرفاه الاقتصادي والاجتماعي.

الفكر القومي الاجتماعي الذي رفض مقولة الصراع الطبقي كمنهج للصراع، وجد أن بعض الفئات الاجتماعية المؤلفة من حزبيات دينية، وإقطاع متحكم بالفلاحين، ورأسمالية فردية طاغية، وعقليات متحجرة، هي في موقع المعارض لكل نهضة شعبية، ولذلك دعا سعادة إلى مهاجمتها بالفكر والروح، وبالأفعال والأعمال أيضاً، كونها تمنع الأمة من النمو ومن استعادة حيويتها ونشاطها وقوتها[٧٤٧].

قلما تكررت عبارة العلمانية في أدبيات الفكر القومي العربي ، وقد يكون السبب في ذلك وجود تنظيمات دينية واجهت بشراسة الفكر القومي الجديد، ومنعاً للتصادم غير المجدي، تعاطى

---

[٧٤٥] المرجع نفسه ، ص ١٠٣

[٧٤٦] المرجع السابق نفسه، ص ١٠٤

[٧٤٧] سعادة، **المحاضرات العشر**، ص ١٦١

الفكر القومي العربي مع الحالة الدينية بمرونة ملفتة، فقطع الطريق أمام الطائفيين لإثارة النعرات الدينية والتعارض مع الفكرة القومية.

أما الحزب السوري القومي الاجتماعي فقد كان في مجال العلمانية واضحاً وصريحاً منذ البداية، إذ اعتمد بصلابة لا تساهل فيها، عبارات الفصل والإزالة والمنع، فهو يقول بفصل الدين عن الدولة، دون فصل الدين عن المجتمع، وبمنع المؤسسات الدينية من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين، وإزالة جميع الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب، حيث أن بناء الدولة الديمقراطية التي يطمح لقيامها، لا تقوم فيها الديمقراطية إلا على أساس متين من العلمانية. فلا ديمقراطية حقيقية وصحيحة في ظل النازعات الطائفية والمذهبية[٧٤٨].

كون عملية التطور الاجتماعي شاملة لجميع نواحي الحياة وإن التطور الإنساني لا يتم إلا بفعل إرادة إنسانية، ارتكز الفكر القومي منهجياً على ثلاثة مرتكزات أساسية: القومية– الاجتماعية، العملية، والواقعية الثورية.

استخدم الحزب السوري القومي الاجتماعي عبارة الاجتماعية بدلا من الاشتراكية، كون عبارة الاشتراكية دعوة لإقامة العدل الاقتصادي وإزالة الغبن الطبقي، أما القومية الاجتماعية، فبالإضافة إلى مضمون الاشتراكية تدعو إلى إقامة العدل الحقوقي، وبذلك تدعو إلى تحرير المجتمع اقتصادياً وسياسياً من الداخل، إذ أن الانجازات الاشتراكية مهما كانت عظيمة، فإنها بدون حريات سياسة تحميها تتعرض للسقوط والعودة إلى الغبن الاجتماعي بشكل أشد قسوة ولؤما ولنا في التجارب العربية والعالمية أكبر دليل[٧٤٩].

والقومية الاجتماعية كعقيدة فكرية لا يمكن تعميقها وتطويرها إلاّ بمنهج علمي يُعنى باكتشاف الروابط الأساسية بين الظواهر والعلاقات واستنباط قوانين التطور التي تؤمن ثبات العقيدة واستمراريتها.

ولذلك فالمنهج لا يستبق نشوء العقيدة وإنما يُعايشها ويتماشى مع تطور الحقائق التي غالباً ما تقوم خارج إدراك الجماعة البشرية.

وهذا يعني، نفي الحقائق المطلقة الجاهزة، وتأكيد التطور التفاعلي والحركية المتغيرة، إذ عندما تتخلى العقيدة عن المنهج العلمي تتحول فوراً إلى مقولة جامدة غير قابلة للنقد والتطور.

يقول سعادة:"لم يوجد العقل الإنساني عبثاً،لم يوجد ليتقيد وينشل، بل وجد ليعرف، ليدرك، ليتبصر،ليميز، ليعين الأهداف ويفعل في الوجود، في نظرتنا، أنه لا شيء مطلقا يمكن أن

---

(٧٤٨) سعادة، **المحاضرات العشر**، ص١١٣-١٢٩

(٧٤٩) راجع: سعادة، **المحاضرات العشر**، ص ١٣٤-١٤٨

يعطل، هذه القوة الأساسية وهذه الموهبة الأساسية للإنسان، العقل في الإنسان هو الشرع الأعلى والشرع الأساسي في الإنسان[٧٥٠].

والثورة في المفهوم القومي الاجتماعي لا تقتصر على الثورة بمضمونها العنفي، فقد تكون الثورة صناعية، أو ثقافية أو علمية، وهنا تكتسب الثورة مفهوماً انقلابياً ضد الأوضاع الفاسدة لإحلال الأوضاع الصحيحة محلها.

ويبدو المنهج الثوري عند أنطون سعادة بمفهوميه العنفي والسلمي واضحاً لا لبس فيه، فالثورة ضد الاحتلال الخارجي تكون عنفية والثورة في الداخل تقدم السلمية على العنفية، إلا إذا سدت القوى الداخلية الطريق السلمي الديمقراطي عن طريق التزوير مثلاً، ساعتئذ يتقدم المفهوم العنفي كما حصل بإعلان الثورة القومية الاجتماعية الأولى ٤ تموز ١٩٤٩، التي جاءت بعد التزوير الفاضح للانتخابات في لبنان علم ١٩٤٧، ومهاجمة الحزب بمؤامرة دنيئة في محاولة من السلطة لتطويع الحزب أو إلغائه[٧٥١].

ثمة ارتباط وثيق بين البنية التنظيمية والفكر، ولذلك يقتضي التطبيق بينهما امتداد التنظيم على مدى الساحة التي يشملها الفكر.

وتأسيساً على هذا المفهوم، ثبت الحزب السوري القومي الاجتماع نمطه التنظيمي في دستوره الموضوع عام ١٩٣٤ " نظام الحزب السوري القومي الاجتماعي مركزي تسلسلي.

فالحزب السوري القومي الاجتماعي الذي نشأ إبان الاحتلال الغربي للمشرق العربي كله، أسس فروعاً عديدة في مختلف كيانات الأمة السورية، وعلى الرغم من دعوة سعادة إلى عقد مؤتمرات[*] كيانية عام ١٩٣٦ لأركان الحزب، الهدف منها تأمين سلامة الحركة القومي الاجتماعية، وتأمين مطالب العمل السياسي بعد أن أصبحت التجزئة واقعاً[٧٥٢]، إلاّ أنه لم يعقد أي مؤتمر لإنتاج مشروعه النضالي بسبب الظروف التي عاشها الحزب.

وإذ جعل الحزب السوري القومي الاجتماعي نظامه مركزياً تسلسلياً، حسب الرتب والوظائف ، ومنح الأعضاء حرية إبداء الرأي في الاجتماعات، والاتصال بأعلى مرجع حزبي عند الحاجة، ولكن دستور الحزب لم يأتي على ذكر عبارة الديمقراطية، بسبب بنيته العسكرية التي نشأت منذ فترة الاحتلال الأجنبي[٧٥٣].

---

(٧٥٠) المرجع نفسه، ص ١٢١

(٧٥١) سعادة، أنطون. الانعزالية أفلست، ١٩٤٧- ١٩٤٩ منشورات عمدة الثقافة، بيروت، ١٩٧٦ ص٢٠٢-٢٠٧.

(*) عقد الحزب السوري القومي الاجتماعي أول مؤتمر عام سنة ١٩٦٩، وأول مؤتمر عام بمجب الدستور ١٩٨٤.

(٧٥٢) سعادة، الآثار الكاملة ج٢، ص ٢٣٤

(٧٥٣) راجع: دستور الحزب في: سعادة، الآثار الكاملة، ج٢، المادة الخامسة، ص ١٥٧

ثمة سؤال يطرح: لماذا تعرضت الأحزاب القومية في مراحل عديدة للانشقاقات. وهذا ما تعرض له حزب البعث العربي الاشتراكي نفسه، ونشأ صراع داخلي، ولماذا لم تتمكن المركزية من المحافظة على وحدة التنظيم في كل المراحل؟

مما لا ريب فيه أن الفكر القومي هو فكر جديد، وللفكر القومي مفاهيم ولهذا الفكر بنى تنظيمه لتجسيده على أرض الواقع، والفكر والنظام له قيمه الجديدة التي تتلاءم معه وهي بالضرورة ليست مطابقة للقيم الاجتماعية القديمة.

الالتزام بالفكر ومقتضيات النظام باعتبارهما حق يولد الإرادة عند الفرد والجماعة للنضال من أجله. والإرادة تشترط تولد قناعة عند المناضلين الحقيقيين بالاستعداد الدائم لدفع ثمن تحقيق الإرادة مهما بلغت الأثمان.

هذه العملية هي الأخلاق القومية..

يقول سعادة:" كل خطة سياسية وكل خطة حربية، مهما كانت بديعة ومهما كانت كاملة لا يمكن تحقيقها إل بأخلاق قادرة على حمل تلك الخطة، بأخلاق متينة، فيها صلابة العزيمة وشدة الإيمان وقوة الإرادة، واعتبار المبادئ أهم من الحياة نفسها.

كل نظام يحتاج إلى الأخلاق، بل أن ألخلاق هي في صميم كل نظام يمكن أن يكتب له أن يبقى "[٧٥٤].

فعندما يوضع المناضلون في التجربة النضالية ويظهر بعضهم وقد وهن إيمانهم بالحق، أو وهنت إرادتهم في المطالبة بما هو حق، وتراجعوا عن الاستعداد في التضحية، يتبين أن مثل هؤلاء ينقصهم الكثير من الأخلاق.

وفيما يتعلق بموقف الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي سبق وطرد من سورية فقد أصدر بياناً في ٢٠ شباط ١٩٥٨، عدّ فيه أن الوحدة المصرية–السورية "هي دولة اصطناعية لا تتمتع بأسباب البقاء والنمو والازدهار، وهي لذلك تقدم من المشاكل ما قد يفيد الشيوعية ويفسح أمامها المجال الواسع"[٧٥٥]، وخلص البيان بالتوجه إلى "الحكومة المصرية طالباً تركيز اهتمامها على تحقيق وحدة وادي النيل الضرورية لحياة مصر، والرجوع عن مغامرة الاتحاد المصري–الشامي وترك الشام (سورية) لتتحد مع واقعها الطبيعي"[٧٥٦]. وفي هذا الموقف عجز في رؤية مستقبل الصراع العربي– الصهيوني، بعدم إدراك السوريين القوميين أهمية وحدة الجيشين العربيين في جبهتين على حدود الكيان الصهيوني في ظل قيادة واحدة.

---

[٧٥٤] سعادة، **المحاضرات العشر**، ص١٧١-١٧٢.

[٧٥٥] **الاتحادات الأخيرة وشؤون الساعة**، الحزب السوري القومي الاجتماعي، بيروت، ١٩٥٨، ص ٢١.

[٧٥٦] المرجع نفسه، ص ٣٢.

هذا الموقف المعارض للوحدة، قضى بمتابعة أجهزة المخابرات السورية ما بدأته من قبل، في ملاحقة أعضاء الحزب القومي وقيادته في سورية ولبنان، وقد فشلت محاولات الحزب القومي في التقرب من عبد الناصر، مما أدى إلى انخراطه إلى جانب الحكومة اللبنانية في مواجهة أحداث ١٩٥٨ التي أضرمت نارها "الجبهة الوطنية" المعارضة لحكم الرئيس كميل شمعون، بتأييد وتشجيع من الجمهورية العربية المتحدة[٧٥٧].

بعد هذه الأزمة التي وقع فيها الحزب السوري القومي الاجتماعي، وجد المخرج منها بمحاولة انقلاب عسكري في لبنان نفذها ليل العام ١٩٦١-١٩٦٢، بتوجهات وحدوية مشرقية في "الهلال الخصيب" والتفاهم مع العراق على إقامة حلف دفاعي- اقتصادي – سياسي يضم سورية والأردن والعراق، ولبنان في حال نجاح الانقلاب، ودعم الحركات الثورية العربية، وتمسكه بالحق القومي في فلسطين، ولكنها باءت بالفشل، وكانت نتيجتها ملاحقة الحزب على مدى ثمانية أعوام[٧٥٨].

٤- دراسة الاتجاه القومي العنصري:

أ- الدراسة الاقتصادية الاجتماعية: البنية الطبقية.

اختصرت توصيات المؤتمر العام الأول لحزب الكتائب اللبنانية ١٩٥٦ من نضال الحزب في سبيل القضية الاجتماعية، بتبني مبادئ ستة للسياسة الاقتصادية التنموية، حيث جاء في البند الأول:" التمسك بمبدأ الاقتصاد الحر في الأوضاع الراهنة"[٧٥٩]. وهو نظام ليس له من نتيجة سوى الحفز على حرب الطبقات والاحتكار والإفقار، ولكن تبعية حزب الكتائب للاستعمار في كل شيء، منذ نشوئه عام ١٩٣٦، أرغمته على التماهي في النظم الاستعمارية الاقتصادية، لذلك رفض النظام الاشتراكي مبدئياً واشتراكياً.

يرفض حزب الكتائب الاعتراف بواقع الطبقات الاجتماعية، فيقول: "المواطنون ليسوا "طبقات" متراتبة ومتنافرة، إنما هم فئات اجتماعية يتساوى أفرادها في الكرامة الإنسانية، "وبحقهم الطبيعي" في الإفادة من الخير العام، وما يميز هذه الفئات في البنية الاجتماعية، حاجات

---

[٧٥٧] زكريا. مرجع سابق، ص ١٧٤.

[٧٥٨] لقد أخفق التيار السوري القومي الاجتماعي في مرحلة الخمسينيات إخفاقاً كبيراً و تراجع وجوده الشعبي، واستمر على هذه الحال لغاية ١٩٦٩ تاريخ انعقاد مؤتمره العام ليصوب مساره ويعود إلى المنطلقات الأساسية التي وضعها المؤسس .

[٧٥٩] ملف المؤتمر العام الأول ١٩٥٦، في: شرف، جان. **تاريخ حزب الكتائب، الجزء الرابع ١٩٥٣-١٩٦٧**، دار العمل للنشر، بيروت ٢٠٠٩، ص ١٣٦.

متفاوتة أرهقت البعض في ظروف صعبة، وقست على آخرين فأذلتهم وسدت في وجههم معارج التقدم، فالتحقوا بزعامات استغلتهم أو قبعوا في فقرهم يائسين"[٧٦٠].

إذن لا يوجد طبقات اجتماعية بالرغم من اعترافهم بالتفاوت بين الفئات الاجتماعية بلغ حد الإذلال، لأنه لا يريد أن يحمل البرجوازية الرأسمالية مسؤولية إفقار هذه الفئات، بل يحملها للأزمة الاقتصادية الناتجة عن الحرب العالمية الثانية، التي طاولت لبنان قاطبة، التي هي، حسب الحزب، أصل كل الأزمات في لبنان السياسية والاجتماعية[٧٦١]، ويفسر الغبن الذي حصل في الريف اللبناني لم يكن نتاجاً لاستغلال أرباب العمل للعمال والفلاحين، ولا لسياسة الدولة، بل عزا ذلك إلى "النكرزات" الحزبية التي تزيد في بؤس المواطنين الذين نزحوا من الريف إلى المدينة خصوصاً العاصمة بيروت التي ارتفع عدد سكانها من ١١٥ ألفاً، في العام ١٩٣٢ إلى نصف مليون عام ١٩٦٠[٧٦٢].

حرية الفرد بمفهوم الكتائب أعظم من حرية البلد، أعظم من القومية، أعظم من الاستقلال، أعظم من الرخاء الاقتصادي.... لا قيمة للرخاء الاجتماعي إذا لم يتمتع الفرد بحريته[٧٦٣].

يُستنتج من هذه الرؤية الكتائبية أن قيادة الحزب هي قيادة برجوازية مرتبطة بالغرب الرأسمالي، ملتصقة بالسلطة ونظامها طالما هي مرتبطة بالغرب، أما بنية الحزب فهي بنية طائفية، مسيحية، تحتوي مختلف الطبقات بما فيها العمالية التي تحتاج لها لكي تكون وقوداً لها في حروبها الطائفية. لاسيما أن اسم الكتائب يدل على بنية عسكرية متقدمة في رسم الغايات والأهداف للاستعمار الغربي والصهيونية.

أما الحركة الكردية في العراق وبعد أن آلت الزعامة إلى الملا مصطفى البرزاني، بدأت بالتحول من حركة تمردية إقطاعية إلى حركة "قومية سياسية" تنادي بالوطن الكردي[٧٦٤].
على أساس عنصري– لغوي، أكثر منه عنصري أثني، ذلك أن الأكراد ، وبعد أن أظهر علم السلالات البشرية أنهم من صنفين، إذ أن أكراد الشرق هم غي أكراد الغرب، فالكردي الشرقي يشبه الإنسان الفارسي في لونه وفي شكل جمجمته، أما الأكراد الغربيون فهم يختلفون عنهم

---

[٧٦٠] شرف، المرجع نفسه، ص ١٢٥.

[٧٦١] بيان بيار الجميل في مؤتمره الصحفي حول التصميم الشامل للمياه اللبنانية، في **جريدة العمل**، ٢٨/شباط/ ١٩٥٣ ، ص١

[٧٦٢] الجميل ، بيار، في **العمل** السنوي ١٩٧٢ ص ١٣.

[٧٦٣] المرجع نفسه، ص ١٣

[٧٦٤] زودو ، لوقا. **خفايا المسألة الكردية** ، د.ن، بيروت ١٩٧٤، ص٨٠.

بلونهم الأشقر وعيونهم الزرقاء، وشكل جمجمتهم، وقد أثبت ذلك العالم لوشان الذي يعتقد أن هؤلاء ينحدرون من شعوب أوروبا الشمالية[٧٦٥].

ب- الدراسة السياسية الأيديولوجية: الفكرية والتنظيمية.

بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق وجهت حكومة الثورة بقيادة عبد الكريم قاسم دعوتها للعراقيين كافة، المقيمين منهم في الخارج العودة إلى العراق، ولما لم يعد الملا مصطفى البرازاني، وجهت الحكومة الدعوة إليه للعودة إلى العراق في ظل تمهيد إعلامي أثارته الصحف العراقية. وعندما عاد مع رفاقه حظي من حكم الرئيس عبد الكريم قاسم بالترحيب والدعم، من تعيين بعض أتباعه في مختلف إدارات الدولة، وتقديم الأسلحة الحديثة، ولكن الملاّ مصطفى عاود نضاله في سبيل الاستقلال الذاتي في المناطق الشمالية من العراق، مما أدى إلى حركة كردية مسلحة بوجه الحكومة العراقية، كلفت الكثير من الضحايا[٧٦٦].

حاولت الحكومات العراقية، من زاوية إنكار القومية الكردية، على نشر دراسات تعود بالقبائل والعشائر الكردية إلى أصول أثنية عربية[٧٦٧]، ولكن هذه المحاولة اصطدمت بسؤال، كيف أصبح هؤلاء العرب أكراداً، ولم يعرّبوا كردستان [٧٦٨].

---

[٧٦٥] زودو ، مرجع سابق، ص ٢١.

[٧٦٦] الهماوندي، عبد الستار. **مجازر الدم في الموصل** ، لبنان، د.ن، ١٩٦٢، ص ٧٧-٨٥.

[٧٦٧] راجع بهذا الخصوص العلوي ، هادي حسن. أصل الأكراد والايدولوجيا القومية، في " ملف **المعلومات- الأقليات في العالم العربي**،مرجع سابق، ص٣٣-٣٧.

[٧٦٨] وعندما تولى حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة في العراق، في شباط ١٩٦٣. واستناداً إلى قول ميشيل عفلق " نحن لا نحارب تراث الحضارات المختلفة في قوميتنا ولا نحاول أن نحاربه بل العكس يُهمنا أن تغتني به عروبتنا" أصدر في ١١ آذار بياناً جاء فيه " يتكون الشعب العراقي من قوميتين، هي القومية العربية والقومية الكردية، ويقر الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وحقوق الأقليات ضمن الوحدة العراقية راجع: البعث. **فكراً، تنظيماً، نضالاً،** دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧. ص٨٤-٨٥.

الفصل الرابع:
الفكر القومي العربي وجامعة الدول العربية

محتويات الفصل الرابع

الموضوع

أولاً:النهوض القومي العربي ومكوّنات الظروف التاريخية المناسبة لتشكّل الجامعة:

خخخخخخخخ

١- مظاهر الحركة العربية الممتدة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥.

٢- الظروف التاريخية لتأسيس الجامعة العربية.

٣- تشكل جامعة الدول العربية وأبر انجازاتها حتى عام ١٩٦٣.

أ- بروتوكول الإسكندرية.

ب- ميثاق جامعة الدول العربية.

ج-ابرز انجازات الجامعة العربية حتى عام ١٩٦٣.

ثانياً: رؤية الفكر القومي لدور الجامعة العربية ١٩٤٥ – ١٩٦٣:

١-جذور أزمة جامعة الدول العربية.

أ- الإرث التاريخي.

ب- الحركة السياسية.

ثالثاً: الجامعة العربية وسبل تطويرها ١٩٤٥-١٩٦٣.

١-الجامعة العربية والإصلاحات الداخلية ١٩٤٥-١٩٦٣.

أ- الإصلاح الدفاعي.

ب-الإصلاح الاقتصادي القومي العربي:

٢-مساعي الجامعة العربية لتحقيق الاندماج الاقتصادي العربي:

أ- اتفاقية الوحدة الاقتصادية ١٩٥٧

ب- الجامعة العربية والوحدة الثقافية ١٩٤٥- ١٩٦٣.

٣- سبل تطوير الجامعة العربية.

أولاً:النهوض القومي العربي ومكوّنات الظروف التاريخية المناسبة لتشكّل الجامعة:

شهد الوطن العربي كثيراً من مظاهر النهوض القومي، وبخاصة السياسي والثقافي، في تاريخه الحديث والمعاصر الممتدة حتى تشكّل جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥، والذي مرّ في

ثلاث مراحل رئيسة: الأولى الممتدة منذ نهوض الفكرة القومية العربية حتى قيام الثورة العربية الكبرى عام ١٧٤٦، والثانية الممتدة بعدها لغاية بداية الحرب العالمية الثانية، والثالثة منذ قُبيل الحرب العالمية الثانية حتى نهايتها وتوفر الظروف التاريخية المناسبة لتشكّل الجامعة العربية.

١-مظاهر الحركة القومية العربية في المرحلة الممتدة حتى ١٩٤٥:

تمثّلت مظاهر النهوض القومي في هذه المرحلة، بالنضال ضد معطيات القمع والفساد والتمييز العنصري ضدّ العرب، والتي أدّت إلى تراجع الرابطة الإسلامية بين العرب والمسلمين كتجسيد باليقظة العربية وتصاعدت مظاهر هذا النهوض أثر وضوح ضعف السلطنة وتحالفاتها مع القوى الأوروبية، وسكوتها عن سيطرت القوى الاستعمارية على جميع مناطق العربي التي كانت للسلطنة لاسيما في شمال إفريقيا.

لجأت القوى الاستعمارية في كثير من الأديان إلى الاحتلال العسكري المباشر والحفاظ على امتيازاتها ومصالحها كما في جميع هذه المناطق باستثناء المشرق العربي حيث اقتصر وجودها على السيطرة الاقتصادية غير المباشر حيث كان النفوذ البريطاني في العراق، يقابله النفوذ الفرنسي في بلاد الشام، وبخاصة في لبنان ثم كان تواطؤ هاتين القوتين، البريطانية والفرنسية لدخول طرف ثالث هو ما يمثل الحركة الصهيونية إلى جنوب سوريا . فلسطين ودعمهما لنشاطه الاستيطاني المتنامي في ما بين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبما كان يرتبط به من تسهيلات لهجرة اليهود إليها .

ومما اضعف الرابطة العثمانية كليا، لصالح الرابطة العروبية، كان تواطؤ السلطات العثمانية التي كانت هذه المنطقة الفلسطينية تابعة إليها والذي كان يتم في أغلب الأحيان، بعيدا عن الأوامر السلطانية المعلنة، وكنتيجة للفساد وانتشار الرشوة ولقد أسفر الوعي القومي لهذه الوقائع مع بدايات القرن العشرين عن البحث لإصلاح الأوضاع العربية الذي توزّع في اتجاهات أربعة :

أولهم : اتجاه داع إلى الحكم اللامركزي والإصلاح في إطار الدولة العثمانية بحيث تحصل الولايات العربية بشيء من الاستقلال الذي من شأنه، أن ينمي الشخصية العربية ويحافظ على اللغة القومية [٧٦٩].

وثانيهم: اتجاه ينادي "بإنشاء مملكة عربية تتمتّع بالاستقلال الذاتي، وترتبط بالمملكة العثمانية ويمثّل هذا الاتجاه، جمعيتا القحطانية والعهد السريتان [٧٧٠].

---

[٧٦٩] داغر، أسعد، **ثورة العرب، : مقدماتها، أسبابها، نتائجها**، مطبعة المقطم، القاهرة، ١٩١٦، ص٥٧-٦٢

[٧٧٠] الشهابي، مصطفى، **القومية العربية، تاريخها وقوامها ومراميها**. ط٢، مطبعة الدراسات العربية،١٩٦١، ص ٦٩

ثالثهم: اتجاه داع للخلافة العربية وقد عبّر عنه الكوكبي [٧٧١].

رابعهم: اتجاه يدعي إلى الثورة على الأتراك والانفصال عن الدولة العثمانية، وإنشاء دولة عربية مستقلة تضم بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ومثّل هذا الاتجاه جمعية العربية الفتاة [٧٧٢].

وتأسيسا عليه ظهرت أول مشاريع الوحدة العربية تحت زعامة الأمير عبد القادر الجزائري [٧٧٣]. ومشروع نجيب عازروي بتوحيد آسيا العربية[٧٧٤]. فكانت الثورة العربية ١٩١٦ تمثيلا بهذا الاتجاه .

كان الانتصار اتجاه الثورة العربية أسباب كثيرة متعلقة بتصاعد الوعي القومي العربي وبنمو حركته المتطلعة إلى تحسين أوضاع الأمة وبرفض السيطرة الاستعمارية وما رافقها من تواطؤ للسلطات العثمانية وبخاصة بعد سيطرة جماعة الاتحاد والترقي على الحكم وبروز سياستها التعصبية ضد العرب ومنها سياسة التتريك التي أدت إلى قتل الكثير من الإصلاحيين العرب.

وكان مما لعب الدور الأساسي في قيام الثورة العربية ظروف الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وتحالف تركيا مع ألمانيا دون النظر لمصالح العرب في وجه الوجودين البريطاني والفرنسي اللذين كانا قد تعزّزا في بلدانهم منذ زمن. وأدى تقاطع المصالح بين قيادة الحركة العربية التي كانت تبحث عن جهة داعمة بالأسلحة الضرورية للقيام بثورتها وبين القيادتين البريطانية والفرنسية اللتين كانتا تفتشين عن سبيل إلى استقطاب العرب إلى جانب الحلفاء وكانت النتيجة تقديم هاتين القيادتين الدعم المؤقت للثورة العربية بقيادة الشريف حسين، ولكن، خوفا من تطور الثورة غالى ما لا تحمد عقباه إلى نشوء دولة عربية قوية، أرفق هذا الدعم بالتآمر السري ضد هذه الدولة قبل إعلان الثورة العربية في حزيران ١٩١٦ وذلك من خلال اتفاقية سيكس–بيكو التي هدفت إلى إكساب توزع مناطق النفوذ السابق في العراق وبلاد الشام، الطابع الرسمي الذي ألزم طرفي الأساسيين البريطاني والفرنسي بتنفيذ مضامينه وأهدافه ومنها تجزأت بلاد الشام وإضعافها لتسهيل التحكّم فيها بما يضمن تحقيق ما اتفقا عليه حول إقامة وحماية دولة الكيان

---

[٧٧١] الكواكبي ، عبد الرحمن، **أم القرى**، المطبعة العربية الأزهرية، القاهرة، ١٩٣١، ص١٠٦–١١٢ و ١٩٦–١٩٧

[٧٧٢] دروزة، محمد عزت، **الحركة العربية الحديثة**، تاريخ ومذكرات وتعليقات، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٥٠، ص ١١–١٤.

[٧٧٣] الصلح ، عادل، **سطور من الرسالة، تاريخ حركة استقلالية في المشرق سنة** ١٨٧٧، بيروت ص ١٠٥.

[٧٧٤] عازوري ، نجيب، **يقظة الأمة العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢١٩–٢٢٠.

الصهيوني في فلسطين، كحاجز أمام وحدة سوريا وبالتالي وحدة العرب جميعهم، وكسبيل لاستنزاف الطاقات العربية في حروب مدمّرة بعيدا عن حشدها في إنتاج المشروع القومي العربي النهضوي، الذي من شأنه تكوين القوة العربية الرادعة، سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا الذي من شأنه ضمان وجود الأمن القومي العربي أرضا وبشرا وهوية ومصالح لضمان المقدرة على التصدي لكل التحديات الداخلية والخارجية التي تهدّده [٧٧٥].

وكان من تداعيات هذه الاتفاقية تجزأت بلاد الشام بحدود ودول مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ وبعدها بحدود ودول الخرائط المفروضة من سلطات الاحتلال الفرنسي والبريطاني لتنته إلى الدول الحالية (سوريا، ولبنان، والأردن، فلسطين المحتلة) فيما كان طموح العرب كبيرا في حصول الدولة العربية على كيانها المستقل بعد الحرب العالمية الأولى، لكن ذلك لم يحصل فلا حصلوا على الاستقلال ولا الوحدة بل تم تركيز التجزئة في المشرق العربي مع اقتران هذه التجزئة بتعدد قوى الاستعمار وتنوع أساليبه في السيطرة، مما أدى إلى تحويل النضال القومي العربي إلى نضال كياني.

وقد ساعد على ذلك ضعف الطبقة البرجوازية وعجزها عن القيام بالدور التقدمي التي قامت به البرجوازية الغربية على صعيد ضرب الإقطاع وانجاز الثورة العلمية والقومية والصناعية، إذ قامت بالدور المعاكس من خلال تحالفها مع الإقطاع وتبعيتها من الخارج مكتفية بدورها الوطني في قيادة الكفاح السلمي من اجل الاستقلال ومتعاون مع الدول الغربية الاستعمارية في سبيل الحفاظ على موقعها كطبقة حاكمة في معظم الوطن العربي، والحفاظ على مصالحها ومنها رؤوس أموالها في بنوك هذه الدول.

وبمعونة قوى الاستعمار قامت هذه الطبقة الحاكمة المفروضة على الشعب لتشكيل دويلات مبنية على التسلّط، وشكّلت حلفا ضد قوى التحرر الرافضة لسياسة المساومة وقبول بالأوضاع القائمة، معتمدة على هذه القوى لتحميها من شعوبها وغاضت الطرف عن مساعيها في محاولات ترسيخ النزعة القطرية والهوية المحلية. وحين حصلت بعض الدول على الاستقلال عن الأجنبي، بذل هذا الأجنبي قصار جهده ليحمّل الاستقلال معنا عكسيا بحيث لا يكون استقلالا حقيقا عن الأجنبي بل استقلالا عن الإخوة [٧٧٦].

---

[٧٧٥] الكيلاني، هيثم، **هموم الأمن القومي العربي**، مع جواره، (مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، عدد٧٧

[٧٧٦] طربين، أحمد، **التجزئة العربية، كيف تحققت تاريخياً**، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٠٥

ونشأت مؤسسات وقوى اجتماعية قطرية بدأت وظيفيا وطبقيا، بخدمة أهداف السلطة المحتلة وارتبط نموها على مدى عدة عقود، في هذه السلطة، وعندما حصل الاستقلال الذاتي عن الغرب كانت تلك المؤسسات والقوى قد اكتسبت مواقع راسخة تمكنها من الاستمرار بقوة دفع ذاتية.

وكان أن عارضت القوى الغربية محاولات الوحدة المختلفة. فإن تصارع النفوذين البريطاني والفرنسي، إضافة إلى الصراع الهاشمي . السعودي قد أدى إلى منع توحيد الهلال الخصيب تحت حكم عربي مستقل. فالالتزام بتنفيذ وعد بلفور في فلسطين ووعد كليمنصور لبطريرك الموارنة في لبنان قد أسهم بمعارضة بريطانية وفرنسا لوحدة دول سوريا الطبيعية .

بيد أنّ توحيد الوطن العربي في كيان قومي سياسي، ظل مطلبا جماهيريا متصاعدا بقوة ويرنو إليه أبناء الأمة العربية لمواجهة تحديات خارجية وداخلية متنوعة، واستجابة لدواع ومقومات طبيعية وإنسانية وتاريخية عديدة لديهم ومع بدايات الثلاثينات، بدأت الاتجاهات الوحدوية يقوى مكانها في الحركات السياسية العربية وانتهز القوميون العرب في آسيا اجتماعهم في القدس، أثناء المؤتمر الإسلامي الذي عقد في كانون الأول ١٩٣٠ لبحث القضية العربية بحثا عاما "وصاغوا ميثاقا عربيا أكّد على وحدة الوطن العربي وعلى ضرورة توحيد الجهود في كل قطر عربي نحو الاستقلال والوحدة العربية [٧٧٧].

إن بريطانيا التي كانت تزال القوى العظمى للعالم في ذلك الوقت، استمرت في معارضتها لقيام أي شكل من أشكال الوحدة العربية وليس أدل على ذلك من المذكرة السريّة التي أعدّتها وزارة الخارجية بعنوان "موقف حكومة صاحب الجلالة من قضية الوحدة العربية " وهي مؤرخة في ٣ . ٦ . ١٩٣٣ ([٧٧٨]). وهو موقف عكس التخوّف من هذه الوحدة والعداء التآمري ضدها ولكن، قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، بدأت بريطانية في تغيير موقفها المعادي كليا للوحدة العربية

٢-الظروف التاريخية لتأسيس الجامعة العربية.

تعلّقت الظروف المناسبة لتشكّل الجامعة العربية بأمرين اثنين:

أولهما تصاعد المد القومي العربي الشعبي. وثانيهما اندلاع الحرب العالمية الثانية، وانعكاس الصراع الدولي، بين دول المحور بزعامة ألمانيا ، ودول التحالف بزعامة بريطانية، على مساعي كل منهما من أجل استقطاب المنطقة الإستراتيجية الهامة في هذا الصراع أي منطقة

---

[٧٧٧] دروزة، محمد عزت، **حول الوحدة العربية**، سعدون حمادي وآخرون، دراسات ف يالقومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤،ص٢٣٩

[٧٧٨] الحصري، خلدون ساطع، **حول الوحدة العربية**، سعدون حمادي وآخرون، دراسات في القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، ١٩٨٤، ص٢٣٩

الوطن العربي وكانت كل منهما تبحث عن مفتاح استقطاب جماهيري إلى جانبها، لا بد أن تكتشف وجوده في المد القومي المتصاعد لهذه المنطقة. وكان لاستغلال المشاعر القومية العربية من قبل نظام محمد علي وأبنائه في مصر الراسخة بقوة الوجدان العربي من أجل إقامة دولتهم القومية العصرية في مصر ومحيطها العربي، ومنذ صراعها مع هذه الدولة، وقيادتها للتآمر الدولي ضدها، قد تشكّلت القناعة لديها بأهمية هذه المشاعر لاستقطاب العالم العربي. وزادت هذه القناعة رسوخا، أثناء الثورة العربية الكبرى، وبعد بروز قضية الفلسطينية ورصدها للتوجهات العروبية المتوجّهة لدى حركة يقظة والتحرر العربية وقد كان آخرها، قبيل الحرب العالمية الثانية في توهّج مقررات ميثاق مؤتمر بلودان العربي في أيلول ١٩٣٨، حول دعم فلسطين واستنكار تقسيمها وإنشاء الدولة اليهودية فيها، والمطالبة بإلغاء الانتداب، ووقف الهجرة، وبيع الأراضي فيها حالا، وحول عدم تجزئة الوطن العربي. وكانت مؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية الذي عقد بعد شهر في القاهرة أي في تشرين الأول ١٩٣٨ انتصارا لعروبة فلسطين إذ أبرزت الأخوة الدينية الإسلامية إلى جانب الإخوة القومية العربية [٧٧٩]. ولقد كان مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩ والكتاب الأبيض الذي صدر عنه أول تحوّل نسبي في السياسة البريطانية. و اكتشفت دول المحور بزعامة ألمانيا، كما دول الحلفاء بزعامة بريطانية، بأن مفتاح اكتساب التأييد العربي هو في تأييد مطالب العرب الرئيسة آنذاك: الاستقلال وتحرير فلسطين والوحدة العربية. وهذا ما يفسّر قيام هذه الدول أثناء الحرب المذكورة، بتركيز دعايتها في العالم العربي ضد بريطانيا على معاداتها، هي وحليفتها فرنسا، للوحدة العربية ولنضال العرب من أجل الاستقلال، وضد خلق الكيان الصهيوني في فلسطين، مقابل دعمها لهذه الوحدة ولهذا النضال، ومنها تصريح الحكومة الألمانية وحليفتها الحكومة الايطالية بهذا الشأن في تشرين الأول ١٩٤٠ [٧٨٠]. وقد استغلت ألمانيا بهذا الشأن الغضب الشعبي العربي من احتلالهما أي بريطانيا وفرنسا للبلدان العربية ومن دعمهما لتشكيل هذا الكيان ومن ممارستهما بشكل خاص للتجزئة والتفرقة والقمع الوحشي للثورات العربية ضدها وآخرها آنذاك ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١.

في إطار هذه الظروف، برزت كل الأسباب التي دفعت انكلترا، وحماية مصالحها، الهامة في المشرق العربي، إلى إنشاء وزارة الدولة لشؤون الشرق الأوسط)، وإلى القيام، رداً على المطالب العربية الملحة لتوحيد الأمة العربية، وتحت التأثير القومي الجارف، قام ممثل وزير الخارجية البريطانية أنتوني أيدن، بالتصريح حول وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية والسياسية بين العرب، وحول تعاطف بريطانيا مع أمانيهم الوحدوية والتحررية، وبأنها لا تعارض

---

[٧٧٩] طربين، أحمد، **تاريخ المشرق العربي المعاصر**، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢، ص١٨١

[٧٨٠] المرجع نفسه، ص٦٠٣

الاتحاد العربي، " وسوف تبذل تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة تامة[٧٨١]. ولكنه عاد وقال في تقرير سري لحكومته: إن الاتحاد العربي غير قابل للتحقيق من الناحية السياسية بسبب الخصومة السعودية الهاشمية، ورغبة العراق في تولي زعامة العرب. لذا لم ير ضرراً من أن تعلن الحكومة البريطانية دعمها لأماني العرب في الوحدة، باعتبارها أمراً متعذر التحقيق[٧٨٢]. ومع ذلك اضطرت بريطانيا إلى الدعم الفعلي لقيام الاتحاد العربي بتأثير الأسباب التالية: قطع الطريق على ألمانيا في دعايتها المذكورة لاستقطاب العالم العربي. وضرورة مسايرة تيار القومية العربية الجارف من أجل كسب الرضا العربي الذي كان بأشد الحاجة إليه أثناء الحرب. وقطع الطريق على الجماهير العربية نفسها في استمرار حركتها القومية الفعلية من أجل الوحدة، والتي قد تنتهي الوحدة عربية شعبية حقيقية فاعلة، خارج إطار السيطرة الاستعمارية، وإلهائها بالتالي بتوحد عربي شكلي في منظمة تضم الحكومات العربية، تكون داخل إطار هذه السيطرة ويكون من شانها تسهيل التعامل مع كل القضايا العربية من خلال ربطها بها تحديداً، أي ببريطانيا ضمن دائرة واحدة عربية اتحادية وعلى مبدأ وحد وحكم، لا فرق واحكم لأن السياسة الأخيرة تحتاج إلى جهود مستمرة ونفقات كبيرة[٧٨٣]. طبعاً بشرط ضمان التحكم بعناصر التوحد التي هي الحكومات العربية في ذلك الحين. و التطلع إلى صرف نظر العرب من خلال اكتفائهم بمنظمة تجمع حكومتهم ككل عن مساعيهم الوحدوية الإقليمية الهامة والخطيرة بالنسبة للمصالح الاستعمارية، والممثلة باسترجاع الوحدة السورية، وبوحدة الهلال الخصيب، وبوحدة شبه جزيرة العرب، وبوحدة وادي النيل رابعاً، وبوحدة المغرب العربي خامساً، والتي تمحورت جميعها حول ضرورة ضمان أمن بلدان هذه الأقاليم. وهكذا وبتشجيع من انكلترا بدأت مساعي بعض الدول العربية لتشكيل هذه المنظمة. فكانت جامعة الدول العربية.

٣-تشكل جامعة الدول العربية وأبرز انجازاتها حتى عام ١٩٦٣.

بعد تصريح أيدن الآنف الذكر، أخذت الحكومة المصرية تتجاوب مع المد القومي العربي فكان أن استضافت في أواخر عام ١٩٤٢ مؤتمرين هامين، جسدا الوحدة العربية الثقافية، وتطلعاً على ترسيخها. أولهما كان تربوياً مستهدفاً دراسة وسائل التعاون الثقافي، وتوحيد التعليم في البلاد العربية. وثانيهما كان طبياً وهو المؤتمر الطبي العربي الخامس. وقد خطب فيه رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس حول تأكيد الوشائج التي تجمع المؤتمرين، وحول تأكيد الصلات

---

(٧٨١) طربين، أحمد، **تاريخ المشرق العربي المعاصر، ص٦٠١.**

(٧٨٢) Anthony Eden, Robert. First the Earl or Avon, the reckoning: the Eden memoirs London: 1965, pp. 246-248

(٧٨٣) Ibid. P.605

العربية بين مصر والبلدان العربية[٧٨٤]. وكان هذا بمثابة التمهيد لأخذ مصر لزمام المبادرة لحركة تشكي لالتحاد العربي، وتوطئة بالتالي لزعامته.

ظهرت عدة مشاريع لتوحيد البلدان العربية جزئياً و كلياً، مثل مشروع الوحدة السورية، أي وحدة أقطار سورية، والأردن وفلسطين، ولبنان، ومشروع وحدة الهلال الخصيب، أي وحدة هذه الأقطار السورية مع العراق، ومشروع الاتحاد العربي الشامل. ويمكن رؤية هذه المشاريع جميعها في مذكرة التي قدمها رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، في ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٣، إلى وزير الدولة البريطاني المقيم في مصر، المستر كيزي kasey والتي عُرفت باسم الكتاب الأزرق. ويمكن تلخيصها بالنقاط الآتية[٧٨٥]:

أ- توحيد سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين في دولة واحدة،

ب-إنشاء جامعة عربية تضم العراق وسوريا وأي دولة عربية أخرى، إذا شاءت ذلك.

ج- إنشاء مجلس دائم للجامعة يتولى شؤون الدفاع والخارجية والجمارك وحماية حقوق الأقليات.

د- إقامة إدارة ذاتية لليهود في المناطق التي يشكلون فيها أكثرية سكانية في فلسطين.

هـ- منح الموارنة في جبل لبنان، وضعاً مماثلاً للوضع الذي كانوا يتمتعون به أواخر العهد العثماني.

ولقد اعتبر السعيد أن التصريح الثاني لأيدن في شباط عام ١٩٤٣، والذي أكد فيه مجدداً أن الحكومة البريطانية، تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب، ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية، وجاء ذلك كمكافأة له على قضائه على ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق. وعدته الحكومات العربية، وبخاصة المشرقية تذكيراً بضرورة تشكيل الاتحاد العربي الذي يضم الجميع، وليس بعضهم كما هي الحال، مع المشروعين الآخرين الهاشميين المرفوضين من قبل المملكة العربية السعودية.

وتجاوباً مع فكرة هذا الاتحاد بادر السعيد على بعث رسائل إلى النحاس وإلى السعودية وسورية والأردن، يقترح فيها عقد مؤتمر عربي للتباحث بشأنه. تجاوب النحاس لكنه استلم مباشرة، وبدعم بريطاني المبادرة وبعث برسائل إلى الحكومات العربية لعقد مشاورات حول الوحدة العربية وكيفية تحقيقها. وكان أول تجاوب من العراق ثم الأردن وسورية والسعودية ولبنان[٧٨٦].

---

(٧٨٤) Anthony Eden p.619

(٧٨٥) Ibid. pp. ٦٢١-٦٢٤

(٧٨٦) راجع: الشقيري، أحمد . **الجامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية**، دار بو سلامة، تونس ١٩٧٩ ص ٤٤ .

ضضض

انتهت المشاورات العربية مع بدء عام ١٩٤٤، وكان الرأي العربي ، بأحزابه وصحفه ومنظماته ، يضغط باتجاه ضرورة قيام وحدة عربية حقيقية، لضمان الأمن القومي العربي في مواجهة قوى الاحتلال الاستعمارين وبخاصة ما تعلق منه بالاستيطان اليهودي في فلسطين، وفي هذا المناخ العربي والدولي، وجه النحاس دعوة في ١٢ تموز ١٩٤٤ إلى الحكومات العربية التي شاركت في المشاورات التمهيدية لإرسال مندوبيها للاشتراك في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام التي ستتولى صياغة المشروعات لتحقيق الوحدة العربية . وكان أن اجتمعت هذه اللجنة في ٢٥ أيلول ١٩٤٤ في الإسكندرية بحضور مندوبين عن مصر وسورية ولبنان والعراق وشرقي الأردن والسعودية واليمن وفلسطين، وعقدت ثمان جلسات ن استبعد المجتمعون فيها منذ البدء فكرة الحكومة المشتركة والمشاريع المطروحة سابقاً.

وانحصر النقاش في تكوين مجلس اتحاد له سلطة تنفيذية، أو مجلس اتحاد لا تنفذ قراراته إلاّ الدول التي توافق عليها. وهنا تدخل النحاس فأكد أن فكرة اتحاد عربي له سلطة تنفيذية وقراراته ملزمة، أمر يستبعده الجميع للأسباب نفسها التي أدت إلى استبعاد فكرة الحكومة المركزية، وأنه لا يبقى بعد ذلك إلاّ الرأي القائل بتكوين اتحاد لا تكون قراراته ملزمة إلاّ لمن يقبل لها، وقدم بعد ذلك اقتراحاً مكتوباً اعتمده المؤتمرون في بيان لجنتهم التحضيرية، ليكون برتوكول الإسكندرية.

أ-برتوكول الإسكندرية.

تضمن برتوكول الإسكندرية النقاط الأساسية الآتية[٧٨٧]:

أ- تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها، ويكون لهذه الجامعة، مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية، تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدر المساواة. وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من اتفاقات.

ب- تكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها.

ت- لا يجوز اللجوء إلى استعمال القوة لفض النزاعات بين دولتين من دول الجامعة. كما لا يجوز إتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية.

ث- الاعتراف بسيادة الدول المنضمة إلى الجامعة بحدودها القائمة.

وقع رؤساء الوفود على برتوكول الإسكندرية في ٧ تشرين الأول ١٩٤٤. باستثناء السعودية واليمن اللتين تحفظتا عليهن ثم عادت السعودية ووقعته في ٧ كانون الثاني ١٩٤٥،

---

[٧٨٧] انظر نص البرتوكول في الملحق رقم

ووقعته اليمن في ٥ شباط ١٩٤٥. ثم بدأت بعد اكتمال التوقيع اجتماعات اللجنة السياسية المشكلة من الدول الموقعة لصياغة ميثاق جامعة الدول العربية.

ب-ميثاق جامعة الدول العربية.

اجتمعت اللجنة السياسية الممثلة للدول العربية التي وافقت على برتوكول الإسكندرية في آذار ١٩٤٥ من اجل صياغة مشروع ميثاق للجامعة منسجم مع نص هذا البرتوكول. وبعد ست عشرة جلسة تمت الموافقة على صيغته النهائية، كميثاق لجامعة الدول العربية. ولقد أكد في ديباجته على أن نشأة الجامعة قد أتت استجابة لضغوط الرأي العام العربي في جميع الأقطار العربية، واعتبرت خطوة على طريق الوحدة العربية الشاملة ن يجب أن تتبعها خطوات أخرى. وأن الجامعة قد قامت تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصاً على توطيد هذه الروابط وتدعيمها على أساس احترام استقلال الدول وسيادتها، وتوجيهاً إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة، وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها[٧٨٨]. وتبين الدراسة المقارنة أن الميثاق رغم تشابهه مع بروتوكول الإسكندرية إلا أنه أقل إصراراً على بعض النقاط التي تهم المصلحة العامة للجامعة، من حيث دورها القومي الفاعل في تدعيم الروابط الأخوية، وتوحيد الأهداف، والمواقف العربية، بما يضمن مصالح الأمة.

تألفت إدارة الجامعة من الأمانة العامة، ومن مجلس الجامعة المؤلف من مندوبي الدول الأعضاء ويترأسه الأمين العام للجامعة. ورأت اللجنة السياسية أن يكون مركز الجامعة في القاهرة، ووافقت على تعيين عبد الرحمن عزام أول أمين عام لها. وتم التوقيع رسمياً. على ميثاق الجامعة في ١١ آذار ١٩٤٥ في القاهرة، وأودع لدى الأمانة العامة للجامعة فيها، وأصبح نافذ المفعول ابتداءً من ١١ أيار ١٩٤٥.

ومن المفيد التذكير هنا بأن الجامعة بدأت بعدة دول فقط هي الموقعة على الميثاق، (سبعة)، أي مصر وسورية والعراق والسعودية ولبنان واليمن والأردن، وهي الآن تضم ٢٣ دولة عربية بالإضافة إلى هذه الدول ك المغرب والجزائر وموريتانية وتونس وليبيا والسودان والكويت والإمارات والبحرين وعمان وقطر وجيبوتي والصومال واريتريا وجزر القمر.

ج- أبرز انجازات الجامعة العربية حتى عام ١٩٦٣

رغم طبيعة الظروف المذكورة التي تشكلت فيها جامعة الدول العربية ، وضعف الشكل الاتحادي الذي اتخذته، والذي كان وما يزال قاصراً عن التعبير عن مدى عمق واتساع الروابط القومية للأمة العربية التي هي أقدم الأمم، إلا أنها سرعان ما وضح توجهها القومي الإنساني التحرري المعادي للاستعمار بكل أساليبه وأشكاله، والذي انعكس في مواقفها من جميع القضايا

---

[٧٨٨] راجع مقدمة الميثاق التي تشكل جزءا منه.

القومية المحورية التي برزت منذ تلك المرحلة التاريخية الممتدة من تاريخ تشكلها حتى عام ١٩٦٣. أي قضايا حركة التحرر العربية النهضوية، وعلى رأسها قضية الصراع العربي– الصهيوني، وقضية النضال الوطني ضد القوى الاستعمارية من أجل الاستقلال وضمان سلام وأمن البلاد العربية، وقضية الوحدة العربية على كل صعيد سياسي واقتصادي واجتماعي.

في عام ١٩٤٥ الذي تشكلت فيه جامعة الدول العربية، هو العام نفسه الذي شهد نهاية الحرب العالمة الثانية، ونهاية الزعامة البريطانية للنظام الرأسمالي العالمي الاستعماري، وبداية الزعامة الأميركية لهذا النظام ولدول المعسكر الرأسمالي، وبدء الزعامة السوفياتية للمعسكر الاشتراكي، ودخول العالم فترة الحرب الباردة، والمتمثلة بالصراع الدولي بين هذين المعسكرين الزعامتين، سواء على الصعيد النظري الفكري والإيديولوجي، وإن على الصعيد الفعلي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وشكل الوطن العربي إحدى أهم مناطق هذا الصراع، وبخاصة مشكلة الصراع العربي– الصهيوني فيه، مشكلة فلسطين أرضاً وشعباً وهوية وعروبة.

أول القضايا التي أثارت اهتمام جامعة الدول العربية بعد تشكلها مباشرة، كانت قضية فلسطين،التي شكلت الموضوع المحوري في المؤتمرين العربيين اللذين عقدتهما بعد تشكلها، بحوالي سنة فقط، الأول في أنشاص في مصر أيار ١٩٤٦، والثاني في بلودان في حزيران ١٩٤٦ن ووعت الجامعة منذ مؤتمرها الأول " أن الصهيونية خطر داهم ليس لفلسطين وحدها، بل للبلاد العربية والشعوب الإسلامية جميعها[٧٨٩]، ولذلك فقد أصبح الوقوف أمام هذا الخطر الجارف، واجباً يترتب على الدول العربية والشعوب الإسلامية جميعها، ولقد شكلت قراراتها في هذا المؤتمر، الأسس من هذه القضية.

وكانت الجامعة أول من رفض مشروع تقسيم فلسطين[٧٩٠]، حتى قبل إقراره بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بتواطؤ دولي وبضغط أميركي هائل. وقد رفضه العرب داخل فلسطين وخارجها رفضاً قاطعاً، ثم كانت الحرب العربية– "الإسرائيلية" الأولى، حرب أيار ١٩٤٨، والتي انتهت إلى هزيمة الجيوش العربية في فلسطين، وإعلان دولة الكيان الصهيوني المغتصب "إسرائيل" فيها، بموجب قرار من منظمة دولية. لتصبح قضية فلسطين والصراع العربي– الصهيوني في صلب معظم التطورات السياسية التي شهدها ولا يزال يشهدها الوطن العربي منذ ذلك الحين حتى الآن.

وقد أشارت هذه الحرب بقوة إلى تحكم الدولتين الغربيتين "بريطانيا وأميركا" بإرادات الطرفين المتصارعين، وتحديدهما لمسار الصراع وجوانبه السياسية والعسكرية، في وقت لم تكن

---

(٧٨٩) قرار رقم ١ تاريخ ١٩٤٦/٥/٢٩

(٧٩٠) القرار رقم١٤٢/د٥/ج ١٦ تاريخ ١٩٤٦/١٢/١٢

فيه حركة التحرر القومي العربي، قد تمكنت من السيطرة على الحكم في أي من الدول العربية، ولم يكن بمقدور الدول العربية المتحررة، التوجه نحو الشرق الشيوعي للحصول على الأسلحة، لأن الاتحاد السوفيتي كان ما يزال يعتبر الدول العربية جزءاً من منطقة النفوذ الغربي ن وحلقة في الطوق الذي ضربته الدول الرأسمالية حول الاشتراكية، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

وأبرزت الحرب خلو ميثاق جامعة الدول العربية، من أي نص ينظم التعاون العسكري العربي، ولسد هذا النقص، عمل مجلسها على قيام دوله العربية بتوقيع " معاهدة الدفاع العربي المشترك والتعاون الاقتصادي" عام ١٩٥٠.

جاء الرد الغربي على المعاهدة سريعاً، بعد شهر تقريباً من ولادتها، بأن أعلنت الدول الغربية الثلاث، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، عن مبادرتين ترتبطان ارتباطاً مباشراً بالمشرق العربي، وتنطويان على آثار خطيرة على سيادة الأقطار العربية واستقلالها فيه، المبادرة الأولى كانت تأييد تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة الصهيونية، والثانية كانت قيام هذه الدول الغربية الثلاث بإصدار بيانها المعروف بـ "البيان الثلاثي" في أيار ١٩٥٠، الذي تضمن النقاط الآتية التي يتلخص أسس السياسة الغربية الاستعمارية في الوطن العربي، وبما يحفظ تفوق "إسرائيل" إقليمياً:

١- معارضة سباق التسلح بين العرب و"إسرائيل".

٢- معارضة أي استخدام للقوة أو أي تهديد باستخدامها، بين البلدان في المنطقة.

٣- ضمان الحدود وخطوط الهدنة.

٤- إذا تبين أن أي بلد من بلدان المنطقة، يستعد لانتهاك حرمة الحدود أو خطوط الهدنة، فإن الدول الأطراف في البيان لن تتردد، تنفيذاً لالتزاماتها، بصفتها أعضاء بالأمم المتحدة، في التدخل باسم منظمة الأمم المتحدة أو خارج نطاقها.

كان واضحاً أن المقصود من البيان، تقييد الدول العربية ومنعها من التسلح، وبالمقابل، إطلاق العنان "لإسرائيل" لكي تتسلح بأحدث الأسلحة. واعتبرت الجامعة العربية البيان الثلاثي نيلاً من سيادة واستقلال الدول الأعضاء فيها، اغتصاباً لوظيفتها الخاصة بالأمن الإقليمي وأداة للإبقاء على السيطرة الاستعمارية القديمة بأشكال جديدة. وأعلنت أن إتباع سياسة رشيدة فيما يتعلق بامتلاك السلاح. ضرورة حيوية "للدفاع المشروع من حيادها" ورفضت" الحق الأبوي"، أي وصاية الدول الثلاث في تقرير نطاق التسلح المناسب للأقطار العربية[٧٩١].

لكن الزعامة الأميركية في حربها الباردة مع الاتحاد السوفيتي، لم تتوقف عن هذه الوصاية، وغنما استخدمتها لتبذل كل ما في وسعها، لمنعه من امتلاك موطئ قدم له في

---

(٧٩١) Stooky, America and the Arab states: An Uneasy Encounter. P115.

المنطقة العربية، مستغلة انشغاله بتثبيت دعائم الحكومات الشيوعية في أوروبا الشرقية، وجاعلة من إضعاف نفوذه في هذه المنطقة هدفاً تقليدياً في سياستها. وكان أن اتجه جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأميركية منذ مطلع الخمسينيات إلى سياسة إنشاء تكتلات عسكرية ضد الاتحاد السوفيتي، من خلال العمل على تكتيل الدول العربية والإسلامية في حلف تكون مهمته تطويق حدوده الجنوبية.

وتقدمت واشنطن باقتراح إنشاء "منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط" الذي أعلنته في ١٣ تشرين الأول ١٩٥١. وكانت قد صاغت مع بريطانيا وفرنسا وتركيان المبادئ الأولية الأساسية فيه لاشتراك الدول العربية في سياسة الأحلاف العسكرية الغربية الهادفة إلى تطويق الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، ووعدت مصر في حال موافقتها على الحلف، بمنحها دور المؤسس فيه وتجهيز جيشها تجهيزاً خاصاً مقابل تعهدها بتقديم منشآت دفاعية إستراتيجية على أراضيها، وجر دول عربية أخرى إليه. غير أن نجاح حركة الضباط الأحرار في الوصول إلى السلطة، بعد تفجير ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، حال دون تنفيذ الفكرة.

وبدا الضغط على سورية من أجل جرها إلى حلف بغداد عام ١٩٥٥ ، وبرز الصمود السوري ن ونجحت القيادة المصرية الجديدة لعبد الناصر، بتزعم حملة المعارضة لسياسة الأحلاف العسكرية، وتأجيج النقمة الشعبية في الوطن العربي ، ضد السياسات الغربية، واعتبر قرار نوري السعيد بالانضمام لحلف بغداد ن تحدياً سافراً لميثاق الأمن الجماعي للجامعة العربية، أول شرخ عربي تواجهه هذه الجامعة الحديثة العهد . ولقد جوبه قراره هذا بإصرار مصر والسعودية واليمن على إقامة تحالف عربي استبعد العراق عنه، في حين أعلن لبنان أنه سينتهج خطاً حيادياً، لكنه فعلياً تجاوب مع اتجاه العراق.

وأدى التهديد الغربي لسورية ومصر، الذي أُرفق بمنع السلاح الغربي عنهما، إلى تطلعهما إلى كسر هذا المنع، باللجوء إلى التسلح من المعسكر الاشتراكي فكانت سورية أول بلد عربي في المنطقة، قام بكسر احتكار السلاح، حين عقدت صفقة أسلحة مع تشيكوسلوفاكيا في ربيع عام ١٩٥٥ [٧٩٢]. ولكن لم يجر الإعلان عن هذه الصفقة التي يتمت في إطار من السرية التامة.

ثم جاء عقد صفقة الأسلحة المصرية مع تشيكوسلوفاكيا[٧٩٣]، وإعلان الرئيس عبد الناصر عنه في أيلول ١٩٥٥، الذي وجه ضربة موجعة للنفوذ الغربي والسياسة الغربية في المنطقة، إذ شكل بظروفه وحجمه ومعانيه السياسية، نقطة تحول خطيرة ليس في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني فقط ، بل في تاريخ المنطقة أيضا، ليأتي بعده قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس

---

[٧٩٢] Seale,Seale. *The Struggle for Syria*, Oxford University ,Press1965,p233

[٧٩٣] لعبت تشيكوسلوفاكيا دور المصدر لأسلحة تم الاتفاق عليها مع الاتحاد السوفيتي.

عبد الناصر عام ١٩٥٦ ن وتقارب الحكومتين السورية والمصرية، وتعاونهما في دعم الثورة العربية في الجزائر، ضد الاحتلال الفرنسي.

تضافرت كل هذه الأسباب، من التأميم على صفقات السلاح، إلى دعم القوى القومية العربية للثورة الجزائرية، لتؤدي إلى العدوان الثلاثي، البريطاني –الفرنسي– الإسرائيلي، ولوقوع الحرب العربية– الإسرائيلية الثانية، في عام ١٩٥٦ ، وإذا كان كل ما ذكر نتاجاً للنهوض القومي العربي، فإنه كان سبباً لتصاعده بقوة، أكثر فأكثر، ولتكون الوحدة السورية – المصرية عام ١٩٥٨. ولتبر حالة من التمسك بالعمل العربي وبالجامعة العربية وضرورة تطويرها.

وهكذا كان النتاج العام، فشل الولايات المتحدة الأميركية في جر المنطقة العربية إلى جانبها، في ساحة الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، وكان أن تزايد عداؤها علانية لحركة التحرر القومية العربية ولأهدافها بكل أبعادها السياسية والعسكرية، والاقتصادية. الأمر الذي جعل هذه الحركة تعيد النظر في علاقاتها الدولية، متبنية خياراً استراتيجياً لجأت بموجبه، على موازنة النفوذ الأميركي بالنفوذ السوفيتي.

وتأججت العواطف الجياشة لدى الشعب العربي في كل مكان ضد إسرائيل، وضد الدول المسؤولة عن قيامها والداعمة لها، ولاسيما الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، مقابل التقدير لمواقف المعسكر الاشتراكي وزعامته السوفيتية، ولو الجزئية، مع الدول العربية الممثلة لحركة التحرر العربية النهضوية، وعلى رأسها سورية ومصر، وكان أن تحول التآمر الغربي لتغذية الانقسام والعداء في الوطن العربي بين معسكرين: الأول، معسكر الدول العربية التقدمية الممثلة للإرادة العربية المتطلعة إلى زيادة القوة العربية وحشدها ضد تحالف قوى الاستعمار الغربي والصهيوني، من أجل التحرير والوحدة والنهوض بالوطن العربي، على كل صعيد سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي، وانتهاج سياسة حياد دولية، وكان على رأس هذا المعسكر، سورية ومصر.

والثاني معسكر الدول العربية الرجعية: المتبنية لسياسة التعاون مع القوى الغربية وزعامتها الأميركية، والمنضمة إلى أحلافها، وعلى رأسها العراق والأردن، حينذاك، واللتان اتحدتا حين إعلان الوحدة السورية– المصرية، وقيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨.

وإذا كانت ثورة تموز في العراق ضد حكم نوري السعيد، في العام نفسه، قد أنهت الوحدة الهاشمية لها من الأردن، فإن حركة الانفصال في سورية عام ١٩٦١، بفعل عوامل كثيرة أهمها التآمر الاستعماري، قد أنهى الوحدة مع مصر.

ثانياً: رؤية الفكر القومي لدور الجامعة العربية ١٩٤٥ – ١٩٦٣:

وإذ انبرت الأحزاب العربية في مصر وسورية ولبنان والعراق لتؤيد قيامها[٧٩٤]، انفرد حزب البعث العربي الاشتراكي بنقد طريقة الجامعة وأسلوب تشكيلها، وقد فضح ميثاقها وأسسه التي كرست التجزئة، وتجاهلت قضية فلسطين واغتصاب لواء الاسكندرون، "وبرهنت على نقص في وضوح الفكرة العربية في نفوس الرجال الرسميين وأذهانهم، مضيفاً "إن الضرر يقوم في إيهام الشعب العربي بأنها الوحدة الحقيقية.

إن هذا التباين في المواقف يطرح السؤال بإلحاح، هل أضرت الجامعة العربية بالعمل العربي الوحدوي أم لا؟

مع بدايات النهضة القومية العربية التي بدأت مع محاولة مصر، أيام محمد علي باشا لإقامة دولة عربية قوية، كان على العرب أن يخوضوا معركتين في وقت واحد، معركة ضد الهيمنة العثمانية، ومعركة في وجه الاستعمار الغربي الذي بدأ غزوه للجزائر عام ١٨٣٠، وإذا كان مشروع النهضة القومية هو المحافظة على الوحدة السياسية للوطن العربي التي كانت قائمة أيام الدولة العثمانية، فإن سياق الصراع أدى إلى وقوع الوطن العربي في العام ١٩١٨ تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية، التي تمكنت من تفتيت الوطن العربي، إلى أوطان قطرية.

فرض تفتيت الوطن العربي إلى دويلات قطرية على المناضلين العرب المواجهة قطرياً بسبب ما صنعه الاستعمار من خلق ظروف مختلفة لكل قطر عن بقية الأقطار، قادت الحركة في هذه الأقطار طبقة كان همّها المحافظة على مصالحها الذاتية دون الالتفات إلى المصالح القومية العليا.

ولذلك، عندما قامت الجامعة العربية بمجهود الدول التي نالت الاستقلال، لم يكن ذلك الاستقلال الذي حصل مرتبطاً باتجاه وحدوي قط.

ولهذا كان للأجنبي دور فاعل في عملية إنشاء الجامعة العربية، ولكنه كان دور احتواء لا دور مبادرة، وكان دوراً تقريرياً لا دوراً إنشائياً[٧٩٥].

"إن الجامعة العربية مربوطة في جذورها ومبرر وجودها بفكرة الوحدة العربية، فهمها العرب، يوم وجدت، على أنها محطة من محطات السير نحو الوحدة، وفهمتها الدول الكبرى، بخاصة بريطانيا، على أنها شكل من أشكال التعامل مع نزعة الوحدة في الأمة العربية، وسواء

---

[٧٩٤] للمزيد من التفاصيل حول موقف الأحزاب من الجامعة العربية، أنظر: عليوي. مرجع سابق، ص ٢١٠-٢١٥.

[٧٩٥] حماد، مجدي. **جامعة الدول العربية**، ط ٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ٢٠٠٧، ص ٥٤.

اصطبغ عمل الجامعة بالتوجه الوحدوي كما حصل حيناً، أم بالجهد في لجمه، كما حصل أحياناً، فإن فكرة الوحدة موجودة دائماً، فعلاً أو ضمنياً في شكلها وكيانها[٧٩٦].

١-جذور أزمة جامعة الدول العربية:

تسعى كل أمة إلى أن تتجسد فكرتها القومية بكيان سياسي هو الدولة القومية، وعليه، فإن الكيان لسياسي للقومية العربية هو الدولة العربية الواحدة، وكون الأمة العربية مجزّأة إلى أقطار، فلا بد من توحيد هذه الأقطار على امتداد الوطن العربي، فإذا كانت يقظة القومية العربية، قد استندت إلى الثقافة العربية الواحدة على أساس اللغة العربية التي حملت هذه الثقافة،ثم الدين الإسلامي، فقد كون هذان العنصران تاريخياً تقليداً متواصلاً، أسهم في إرساء شعور مشترك بين العرب ينزع إلى الوحدة السياسية والاستقلال، ولذلك فإن النهضة القومية التي عرفها الوطن العربي كانت تبحث عن الكيان السياسي لحركة القومية العربية.

ولكن فرض التجزئة من قبل الاستعمار على الوطن العربي أدى إلى الفصل بين المكونات الثقافية، ولذلك كان الاستقلال مفرغاً من مضمونه الحقيقي، إذ نشأت كيانات تابعة للغرب ولو تعددت أشكال التبعية ، وبناء على ذلك لا بد من بحث أزمة جامعة الدول العربية على مستويين: الأول الإرث التاريخي، المرافق لنشأة الجامعة، والثاني مؤسسات النظام العربي.

أ- الإرث التاريخي.

عرف النضال العربي فترتين من فترات النهضة القومية، النهضة الأولى بمواجهة القومية التركية الطاغية، والثانية بمواجهة الاضطهاد القومي الذي تعرض له العرب من قبل الاستعمار الغربي، وفي المرحلتين كان التوجه السياسي هو تحرير البلاد العربية وإقامة كيان سياسي عربي واحد، أي تحقيق الوحدة العربية.

والواقع أن حصول الأقطار العربية على الاستقلال لم يرتبط بقيام الوحدة العربية ، لأن فرض التجزئة في الوطن العربي اقترن بتمدد قوى الاستعمار وتنوع أساليبها في السيطرة والعنف، مما أدى إلى خوض النضال في إطاره الوطني القطري بدلاً من النضال القومين وكان أن تصدرت قوى البرجوازية العربية قيادة الكفاح الاستقلالي، وتعاونت مع قوى الاستعمار الغربي في سبيل المحافظة على واقعها الطبقي، ومنافعها الخاصة على حساب المصلحة الوطنية الحقيقية، أو القومية "بحيث تنحصر سرقة الأمة في أبناء الأمة ".

لقد اتصفت مرحلة الصراع الأولى منذ النهضة المعاصرة لكفاح العرب القطري بقيادة الطبقة البرجوازية التي توافقت مع مصالح العائلات والطبقات والفئات التقليدية، فاستمرت الأوضاع على ما هي عليه غذ فرضت هذه الطبقة الحاكمة نفسها على الشعب بمعاونة

---

[٧٩٦]حماد، مرجع سابق ، ص ٥٤.

الاستعمار، بإقامة دولة قطرية مبنية على التسلط والإفقار، وبقدر ما كان الشعب يقاومها كانت تلجأ إلى المزيد من الاستبداد، فـ٦نشات حلقة مفرغة هي من صميم الأزمة السياسية العامة للأقطار السورية[٧٩٧].

درجت الكيانات المصطنعة وبرزت الدولة القطرية، ضد الشعب وفوقه، وعلى حسابه، وهكذا في ظل الطبقات الحاكمة ترسخت تجزئة الوطن العربي إلى كيانات مقتطعة لها بالذات، فتشكلت " إقطاعيات سياسية" شبيهة بالإقطاعيات الاقتصادية، في ظل الحكم العثماني، مع فارق شكلي هو زوال الخلافة، وملكيتها الرسمية للبلاد، وتحول التاريخ العربي إلى " تاريخ ملوك الطوائف" الذي ساد في زمن الأندلس[٧٩٨].

وحين حصلت بعض البلدان العربية على الاستقلال بموجب معاهدات ط الصداقة والتحالف التي أبرمتها مع الأجنبي، بذل هذا الأجنبي قصارى جهده ليحمّل " الاستقلال" معنى عكسياً.بحيث لا يكون استقلالاًً حقيقياً عن الأجنبي، بل استقلالاً عن الأخوة أساساً، وأن يكون لكل "وطن عربي مستقل"، ذاتية وخصوصية، تميزانه عن " الأوطان" العربية الأخرى[٧٩٩].

لقد استمرت الطبقة البرجوازية التقليدية مسيطرة على معظم الأقطار العربية، حتى مطلع الخمسينيات، عندما تمكنت الطبقة المتوسطة الجديدة والبرجوازية الوطنية الصغيرة من الوصول إلى السلطة عن طريق الانقلابات العسكرية، ولكن قضية الوحدة العربية لم تدخل جدياً في صلب مناهج تلك الثورات، بالرغم من أن التجزئة كانت محرضاً رئيساً في قيام هذه الانقلابات والثورات، ذلك أن ظاهرة التجزئة بما فرضته من اختلال جذري عام في الوطن العربي على مستوى العقيدة والكيان، هي التي دفعت بالمخططات العربية إلى داخل الجيوش القطرية[٨٠٠].

لقد أدى سقوط الوطن العربي في براثن الغربية على نتائج عدة، طويلة المدى، لا تزال تفعل فعلها حتى اليوم، لاسيما أنها استهدفت أسس الكيان والمعتقد، واستتبعت بالتالي تناقضات وصراعات عديدة، وكان لها نتائج سلبية عديدة أبرزها:

تفتت طاقة النضال الموحد إلى حركات وطنية قطرية، انشغلت بالكفاح ضد الاحتلال الأجنبي في كل قطر عربي على حده، وعندما وصلت هذه الأقطار إلى حافة استقلالها، ولت

---

[٧٩٧] حماد، نجدي. **جامعة الدول العربية**، عالم المعرفة عدد ٣٤٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت،٢٠٠٧، ص ٣٧-٣٨٧

[٧٩٨] بركات، حليم. **المجتمع العربي المعاصر**، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٧٧، ٢٧٨

[٧٩٩] طربين ، أحمد. **التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا**، سلسلة الثقافة القومية، ١٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص٣٠٥-٣٠٦.

[٨٠٠] راجع: حماد، نجدي، **العسكريون العرب وقضية الوحدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧ الفصل الرابع.

"إسرائيل" بدعم مباشر من الدول الاستعمارية، أدى إلى انشغال الدول العربية المحيطة "بإسرائيل" بكفاح آخر استنفد قدراً هائلاً من طاقاتها السياسية الاقتصادية والعسكرية[٨٠١].

فبدلاً من تطور قوى الإنتاج وعلاقاته من شكله القديم إلى شكل حديث، تحولت الأقطار العربية إلى تخصص في إنتاج المواد الأولية وتصديرها إلى الدول الغربية، وغلى سوق لاستقبال الواردات المصنعة من هذه الدول، فنشأت وتكرست تدريجياً علاقات التبعية للغرب.

وبفعل نشؤ مؤسسات وقوى اجتماعية قطرية تخدم أهداف السلطة المحتلة، ارتبط نموها على مدى عقود بهذه السلطة، وعلى الرغم من الاستقلال السياسي عن الغرب، فإن تلك المؤسسات وقواها التي نشأت على يده اكتسبت مواقع قوية وراسخة تمكنها من الاستمرار بقوة دفع ذاتية.

إن تشويه التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي للأقطار العربية، أوجد اقتصاديات عربية متشابهة في تبعيتها، ومتشابهة في وظائفها ن ولكنها متنافرة في ما بينها وغير متكاملة، وبما أن علاقات اقتصاديات هذه الأقطار لا زال مع الدول التي هيمنت عليها في الماضي، وهي مازالت قوية، فلا بد من أن تخلص إلى الهيمنة مازالت مستمرة[٨٠٢].

إن أخطر ما أحدثته الهيمنة الأجنبية هو التجزئة السياسية، التي نتج عنه سلسلة من المتناقضات القطرية، مثل التفاوت في المساحة والسكان، وفي الثروات القطرية ، والتكوينات الاجتماعية، والمستويات التعليمية والتكنولوجية، التي أصبحت عقبة رئيسة في انجاز التكامل والتوحيد، ولكن لا بد من القول إن القيادات والفئات الفاعلة في الأقطار العربية تتحمل المسؤولية في الدرجة الأولى.

لقد منع الغرب نشوء كيان قومي عربي يتولى أمر النهضة الحضارية فيها بإرادتها و اختيارها، عندما نقض وعودوه بتأييد " المملكة العربية المتحدة" وحارب المحاولات الاتحادية الوحدوية التالية لها حتى اليوم. كما انه لم يسمح بأي حركة للنهضة العربية الجدية، من ناحيتي التنمية والديمقراطية في "الأوطان" الواقعة تحت سيطرته، على الرغم من تظاهره من حمل رسالة التحديث[٨٠٣].

---

[٨٠١] حماد، نجدي. **جامعة الدول العربية**، ص٤١

[٨٠٢] شقير، محمد لبيب. **الوحدة الاقتصادية العربية**، ج٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦ ص٧٦٥.

[٨٠٣] الأنصاري، محمد جابر، **تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، ١٩٣٠-١٩٧٠** ، سلسلة عالم المعرفة، ٣٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠، ص ٣١.

لقد أظهرت الوثائق البريطانية, أن بريطانيا قامت بكل ما تستطيع القيام به لإقناع الملك فيصل الأول بالعدول عن مساعيه، لمنعه من توحيد العراق وسوريا، وكان موقف الحكومة البريطانية المعارض لمثل هذه الوحدة يستند إلى مذكرة سرية، أعدتها وزارة الخارجية البريطانية بعنوان "مواقف صاحب الجلالة من قضية الوحدة العربية"، وهي مؤرخة في ١٩٣٣/٦/٣ [٨٠٤]، وكذلك خلص الدكتور علي محافظة إلى هذه التوجهات نفسها في دراسة لمواقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩٢٠– ١٩٤٦ [٨٠٥].

أما بالنسبة إلى الوحدة السورية–المصرية (١٩٥٨–١٩٦١) فمن المعروف أن الاتحاد السوفيتي ظل يعارضها من الناحية المبدئية الإيديولوجية منذ قيامها، وان الغرب تآمر عليها حتى تم إجهاضها بنجاح الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة.

وعارض الغرب محاولات التنمية في الوطن العربي، إذ شهدت العقود الأربعة الأولى، من القرن التاسع عشر، محاولات مهمة لتحقيق نهضة عربية مستقلة، تعتمد على الطاقات الاقتصادية والفكرية، وتدل كل الدلائل على أن هذه المحاولات لو تركت وشانها دون ضغط خارجي لكانت جديرة بأن تُثمر تقدماً اقتصادياً، لا يلغي السمات الخاصة للثقافة العربية الإسلامية، وبأن تؤدي في الوقت نفسه إلى قيام الدولة العربية الواحدة، ولكن الضغط الغربي المتواصل هدف إلى نزع هذه الحيوية وإحباط ذلك الاستعداد. ثم تكفل الاستعمار المباشر للمنطقة بإعادة تشكيل البنية الاقتصادية للمستعمرات على أساس التجزئة. ليكون اقتصادها، واقتصاد كل قطر فيها مشوهاً وتابعاً للنظام الرأسمالي العالمي، وبعد الاستقلال استمر بالوظيفة نفسها[٨٠٦].

وعمل الغرب على معارضة التحديث السياسي في الوطن العربي لاسيما تطبيق الديمقراطية، وأنظمة الحكم الدستورية البرلمانية.

ففي السنوات الخمس الأولى من عمر الديمقراطية في مصر ١٩٢٣–١٩٢٨، قدمت الحكومة البريطانية أربعة إنذارات للحكومة الدستورية الجديدة في مصر ضد محاولات تشريعية للبرلمان المصرين بسن قوانين تعطي حرية أكبر للشعب المصري. وعندما أطيح بالحكومة البرلمانية الشعبية برئاسة مصطفى النحاس، وفرضت مكانها حكومة أقلية استبدادية من جانب القصر –وزارة محمد محمود وحزب "الأحرار الدستوري" الموالي للسلطة الانكليزية المحتلة،

---

[٨٠٤] الحصري، خلدون ساطع، حول الوحدة العربية، في سعدون حمادي وآخرون، **دراسات في القومية العربية والوحدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٤ن ص ٢٣٩.

[٨٠٥] محافظة، علي، السياسة الغربية المعادية للوحدة العربية في سوريا ولبنان، ١٩٢٠– ١٩٤٦ في: حمادي وآخرون، ص ٣٤٣–٣٥٨

[٨٠٦] حماد، مجدي. **جامعة الدول العربية**، ص ٤٥.

في١٩٢٨/٦/٢٧، وجرى حل البرلمان المنتخب، وتم تعطيل الدستور في ١٩٢٨/٧/١٩. عندما توالت هذه التطورات ضد البرلمان وضد الديمقراطية المصرية، وهي في مهدها. لم يجد تشمبرلن وزير الخارجية البريطانية ما يقوله أمام البرلمان البريطاني، سوى هذه المقولة الاستبدادية: " لن نسمح لي سلطة، سواء أكان دستور أو لم يكن هناك دستور، بأن تهمل التحفظات البريطانية بشأن الاستقلال، فمهما كان نوع الحكومة التي يختارها الملك فؤاد وشعبه فيجب عليهم أن يضعوا في حسابهم هذه التحفظات ويعطوا بشأنها الترضيات [٨٠٧].

أما في التجربة العراقية، حيث أدت العلاقات الخاصة التي قامت بين بريطانيا وجماعاتها المحليين إلى قيام "برلمانات تعارض الإصلاحات بالضرورة"، وقد وصف كاتب بريطاني هذا الوضع وصفاً دقيقاً إذ قال: ولهذا فقد وجد ملوك العرب، ورؤساء وزاراتهم أنفسهم دائماً في موقف مربك محير هو موقف الوسيط ، الذي ينقل إلى البريطانيين ما يتعرض له من ضغط شعبي ممثل في المعارضة، وينقل إلى هذه المعارضة، إصرار بريطانيا على التمسك بسيطرتها وإشرافها [٨٠٨].

يوصف ياسين الحافظ هذه الحالة بقوله: إنه "مع الاستعمار، ولول مرة في التجربة العربية الحديثة، أمكن للفرد العربي أن يعارض سلطة قائمة دون أن يُقتل أو يُحاصر إلى أن يستسلم. من جهة، وأن يحظى بضرب من العطف السلبي الصامت من قبل المجتمع من جهة أخرى، من هنا يمكن القول أن التجربة الكولونيالية هي التي أطلقت، من دون أن تتعمد ذلك، عملية تسييس المجتمع العربي ن الذي لم يعرف التقليد السياسي من قبل[٨٠٩].

يتضح من هذا الشرح الموجز لمواقف الغرب من محاولات النهضة القومية العربية، العربية الحديثة،في مجالات الوحدة والتنمية والديمقراطية، أن الغرب يعارض التقدم العربي أساساً، حتى لو اتخذ العرب من الغرب ذاته نموذجاً لذلك التقدم، ذلك أن الغرب يهتم أساساً بمصالحه الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية المباشرة، أكثر بكثير من اهتمامه برسالته الحضارية وقيمه الإنسانية في الحرية والإخاء والمساواة، وشيئاً فشيئاً أخذ يتراءى لمجموعة الجيل الليبرالي العربي، الذي تربى في ظل الحكم الأوروبي، وتعلم في جامعاته ثم عاد إلى بلاده العربية يدعو إلى القيم الأوروبية في السياسة والحضارة والحياة كلها. أنه كان مخدوعاً. وأن للغرب وجهين

---

[٨٠٧] أمين، جلال أحمد، **المشرق العربي والغرب، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية**، العربية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٠ص ٥٦-٦٣

[٨٠٨] ايونيوس، ميشيل جورج. **فرّق.... تخسر: ثورة العرب١٩٥٥**-١٩٥٨، ترجمة خيري حماد، دار الطليعة، بيروت ١٩٦١ ص ٤٠-٤١

[٨٠٩]الحافظ، ياسين. **الهزيمة والأيديولوجية المهزومة**، الآثار الكاملة، دار الطليعة، بيروت، ص ١٤.

متناقضين، وأن مؤثراته التي يجلبها إلى المستعمرات أغلبها قشور، أما تبشيره بثقافته وقيمه، فلزعزعة تراث المنطقة العربية، ولهدم كيانها الحضاري الموحد، أكثر منه نشراً مخلصاً للفكر الإنساني الحديث المتحرر.

إن محاولات الاستجابة العربية لهذا التحدي الاستعماري بدأ به منذ العام ١٩٢٠ ، أخذت تتجمع مؤشرات الإحياء التوفيقي المستجد بين التراث والعصر، ، وذلك بعد أن تباعد التياران السلفي والعلماني بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٠، وكادا أن يؤديان بانشطارهما على تصدع خطير في بنيان الأمة العربية وكيانها الثقافي الحضاري، إضافة إلى ذلك أن هذا الإحياء الفكري التوفيقي، في الثلاثينات كان بمنزلة التمهيد وحجر الأساس للاتجاهات القومية والاجتماعية الصاعدة في الخمسينيات التي حلت محل الاتجاهات الليبرالية السابقة ذات النمط الغربي والمستغرب[٨١٠].

فالجيل العربي الليبرالي الإصلاحي، المتطلع عبر المتوسط نحو أوروبا، وجد في معاهدة ١٩٣٦ المصرية– البريطانية، تقدماً وتصحيحاً لمسار العلاقة بين أوروبا ومصر، واعتبرها مكافأة لجهده نحو التحديث والاستقلال الديمقراطي، أما الجيل الآخر، الذي عبر عنه فيما بعد ، جمال عبد الناصر ، رأى فيه صك استسلام للخديعة الكبرى التي وقعت فيها ثورة ١٩١٩، فقد كانت مقدمتها تنص على استقلال مصر، بينما كان صلبها ن في كل عبارة من عباراته، يسلب هذا الاستقلال كل قيمة وكل معنى[٨١١].

وفي سورية قامت انتفاضة شعبية كبيرة عام ١٩٣٦ضد الاحتلال الفرنسي، كانت اشد عنفاً من انتفاضة مصر في العام نفسه، وافقت الكتلة الوطنية المكونة من الزعماء التقليديين ذوي الوجه العصري، على طمس خلافاتهم والاتحاد لمجابهة الفرنسيين، وكانت قمة جهودهم المفاوضات مع حكومة بلوم عام ١٩٣٦ من أجل إبرام المعاهدة ، تلاها تشكيل حكومة من تلك الكتلة، ولكن البرلمان الفرنسي لم يصادق على المعاهدة، وقد انتهت المفاوضات ليس فقط بانهيار الآمال الوطنية، بل بخسارة لواء الاسكندرون بعد فصله عن سوريا وضمه إلى تركيا، وتقوضت سلطة الكتلة الوطنية بسبب وجود عدد كبير من الضباط الفرنسيين كمستشارين، وسوريا بالنسبة للمستشارين في حال استقلالها تشكل أمراً شاذاً بالنسبة إليهم، على الرغم من تحويل الشعب السوري الشارع إلى جحيم[٨١٢]. وكانت معاهدة العراق مع بريطانيا ١٩٣٠، ثم

---

(٨١٠) الأنصاري، مرجع سابق، ص٥

(٨١١) عبد الناصر، جمال. **الميثاق الوطني** ، الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٦٢ن الفصل الثالث.

(٨١٢) سيل ، باتريك ، **الصراع على سورية ، دراسة للسياسة العربية بعد الحرب ١٩٤٥–١٩٥٨**، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، دار الكلمة للنشر ١٩٨٠، بيروت ص ٤ .

دخوله عصبة الأمم مستقلاً عام ١٩٣٢. قد رمزا إلى النجاح العراقي النسبي في تلك الفترة في الحقلين الداخلي والخارجي، وجعلاه مثلاً يحتذى من جانب مصر وسوريا في بحثهما، ولكن هذا الانجاز لم يغير في واقع العراق من الوجهة الاجتماعية، فالاستقلال بقي قائماً، والفقر بقي متفشياً، والوضع العشائري كان متفاقماًن ناهيك عن الأوضاع الطائفية المأزومة بعدم العدالة(٨١٣).

كنتيجة لهذه الحقائق ن ليس مستغرباً أن تشير الصحف العربية إلى المباحثات التي سبقت قيام جامعة الدول العربية، باسم مباحثات الوحدة العربية، لاسيما وان المباحثات التي دعا إليها رئيس وزراء مصر عدداً من الحكومات العربية عام ١٩٤٣، كانت تدور حول كيفية قيام وحدة عربية أو اتحاد بين الدول العربية، كما قام رئيس وزراء العراق بزيارات إلى لبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن في العام نفسه، لبحث شؤون الوحدة العربية. فجامعة الدول العربية في الأساس مربوطة جذورها ومبرر وجودها بفكرة الوحدة العربية، فهمها العرب يوم وجدت أنها محطة من محطات السير نحو الوحدة، وفهمتها بريطانيا على أنها شكل من أشكال التعامل مع نزعة الوحدة في الأمة العربية، وسواء اصطبغ عمل الجامعة بالتوجه الوحدوي ، كما حصل أحياناً: أم في الجهد في لجمه، كما حصل في أحيان أخرى، فإن فكرة الوحدة العربية موجودة دائماً، فعلاً أو ضمناً، في شكلها وكيانها(٨١٤).

ب- كابحات الحركة السياسية. يمكن القول أن هناك مجموعة من المحددات الكوابح الأساسية التي يتوجب تحليلها كمدخل لتقييم مؤسسة النظام العربي، وبخاصة جامعة الدول العربية، لكي نتمكن من وضع اليد على الأزمة الحقيقية التي تعيشها الجامعة.

يبدو من خلال النصوص المتعلقة بإنشاء جامعة الدول العربية أنها ثمة محصلة لالتقاء بين اتجاهين: الاتجاه القومي التوحيدي والاتجاه القطري المحافظ على التجزئة حيث ينص الميثاق في ديباجته على أن إنشاء الجامعة جاء "تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال

---

(٨١٣) Longrig, Stephan Hemsly**.** *Iraq 1900 to 1950: A political Social and Economic* history, London, New York: Oxford University press 1953.p222 .

(٨١٤) حماد ، مجدي، **المنظمات الإقليمية ومسألة الوحدة، في الوحدة العربية تجاربها وتوقعاتها** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٣٣٨-٣٨٥

تلك الدول وسيادتها، وتوجيهها لجهودها بما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها و آمالها، واستجابة للرأي العام العربي في جميع الأقطار العربية[٨١٥].

فالاتجاه القومي يظهر في النص من خلال تأكيد العلاقات والروابط بين الدول العربية، وتأكيد ضغوط الرأي العام العربي من أجل الوحدة، فيما يتأكد الاتجاه القطري في النص أساس التعامل مع هذه الحقيقة هو احترام الاستقلال والسيادة.

إن جدلية القومي– القطري هي المفتاح الأساسي والمتغير الأصيل في فهم ديناميات الجامعة، ومؤسسات النظام العربي الأخرى، وتتبع مسارها، وتوقع مستقبلها، وتأخذ هذه الجدلية شكل الالتزام أو التنافس، أو التنازع . وأحياناً الصراع بين القطبين: القومية العربية، باعتبارها عقيدة النظام العربي. والأقطار العربية باعتبارها الأطراف الرسمية والفاعلة في ذلك النظام.

أما من حيث الدوافع، فقد كان الأمر أكثر تعقيداً إذ ينبغي إدخال الدور الأجنبي في الاعتبار، بخاصة أن نشأة النظام العربي قد اقترنت بمحاولات التغلغل والاختراق الأجنبي. ومن هذه الناحية المرتبطة بعنصر الدوافع، يلاحظ أن الجامعة قد نشأت نتيجة تفاعل عقيدة النظام العربي مع البيئة الدولية ومع وحدات ذلك النظام. فقد كان التيار القومي متصاعداً ودافعاً نحو قيام وحدة عربية ترضي تطلعات أجيال متعاقبة من الوطن العربي، بينما كانت القوى الاستعمارية تسعى سعياً محموماً إلى التعجيل بإنشاء شكل من أشكال التنظيم الاقليمي يحتوي على تطلعات هذا التيار دون أن يحققها، ولذلك برزت الجامعة الى الوجود تحمل معها تناقضات متغيرات ثلاثة: فكر قومي، وتدخل حاد من البيئة الدولية، ومنطق القطرية والسيادة الوطنية. وهذه المؤثرات الثلاثة لا تسير في اتجاه واحد. وأساس ذلك أن التيار القومي هدفه الوحدة العربية، وكان ينظر على مفاوضات "الاتحاد الأوروبي" كخطوة على هذا الطريق ، والحكومات العربية أرادت أن تستجيب لهذا التيار دون أن تؤثر في سيادتها واستقلالها، وتراوحت مواقف الدول الغربية من الفكرة وفقاً لمصالحها ولاعتبارات التوازن الدولي حمل الميثاق والجامعة آثار هذه النشأة فهي تتعرض منذ نشأتها لتصارع ثلاثة أنواع من الارادات[٨١٦].

١–إرادة الفكر القومي الذي تخضع لعوامل تفرض عليها ألا تصدر عنها قرارات تتناقض مع عقيدة النظام العربي.

---

[٨١٥] **مسألة تعديل ميثاق الجامعة العربية** ، كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية، مركز الدراسات البحوث والنشر، تونس، ١٩٨١، ص ٢٨١

[٨١٦] مطر، جميل. وهلال، علي. **النظام الاقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية** ، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٣٩–١٤٠

٢- إرادة الأعضاء القطريين، التي تخضع لعوامل تفرض عليها ألا تصدر عنها قرارات تتناقض مع عقيدة النظام العربي.

٣- إرادة البيئة الدولية ، مما يجعلها عرضة لتدخلات متواصلة من البيئة الدولية للتأثير على التوجهات والتوازنات الدولية.

بات من المؤكد أن الجامعة العربية ليست أداة تلقائية تتحقق عن طريقها الوحدة العربية بصورة آلية وحتمية، بل أن الميثاق ذاته قد انطوى على نص يدل إلى أن الخطوات الأكثر وحدوية ستتم خارج إطار الجامعة ، حيث ينص في المادة ٩ من على الآتي: " لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق . أن تعقد بينها الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض[٨١٧].

بناء على ما تقدم، أظهر الموقعون على الميثاق بأنه يمثل الحد الأدنى الممكن، إذ أشار رئيس وزراء مصر ورئيس المؤتمر العربي العام في جلسة توقيع الميثاق إلى أنه على الرغم من أن "مصدر الوحي"، في فكرة الجامعة " هو الرأي العام في العالم العربي كله" وأنه على الرغم من أن الجامعة هي صدى "لصوت مدو"، فإن ميثاقها هو "خطوة الحذر" ويتابع رئيس المؤتمر قائلاً: إنه "من الخير لنا أن نبدأ السير باتئاد" ويعترف مندوب المملكة العربية السعودية بأن الميثاق"بسيط في مبناه" ونرى ممثل لبنان يقول: "إننا نعلم حق العلم أن هذه الجامعة ليست هي غاية ما يصبو إليه العرب... ولكنها خطوة مباركة"[٨١٨]

ذلك أن الدول العربية المؤسسة كان بعضها مستقلاً بالمعنى القانوني فقط، وكانت تخضع عملياً لدول الانتداب السابقة، التي تعارض توثيق العلاقات بين الدول العربية، أو الذهاب في ذلك بعيداً، فالقوى الغربية التي كانت تمارس درجات اختراق عالية للنظام العربي، كانت تعارض بشدة قيام قطب، أو تحالف عربي قوي، في إطار مؤسسي قد يستطيع أن يعرقل أو يواجه مصالحها مستقبلاً.

إن العلاقة بين مؤسسات النظام العربي وأساليب عملها يساعد على تبيان الثنائية بين "القومية" و"القطرية" وحقيقة " أزمة النصوص" و "أزمة النفوس" ونجد في ذلك المثالين التاليين: المجلس الاقتصادي الاجتماعي ومجلس الوحدة الاقتصادية.

إن سلوك الأقطار العربية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للجامعة العربية، يوضح مدى تمسك الوفود بعدم المساس بمبدأ سيادة الدولة وقوانينها الداخلية، وعدم اصدرا

---

[٨١٧] **مسألة تعديل ميثاق الجامعة العربية**، مصدر سابق، ص ٢٨٧.

[٨١٨] جامعة الدول العربية، **محضر المؤتمر العام**، مطبعة فتحي سكر، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٣-٨.

توصيات أو قرارات في مسائل أو مشروعات تمس بأي شكل من الأشكال مشروعات الدولة الاقتصادية وخططها وبرامجها.

فالحكومات العربية لا تبدي حماساً حقيقياً وفعالاً تجاه قضايا ومشروعات العمل العربي المشترك، والأقطار العربية سواء أكانت غنية أو فقيرة، تفضل في الدرجة الأولى المعونة المباشرة، أو قروضاً غير مرتبطة بمشروعات[٨١٩].

أما مجلس الوحدة الاقتصادية، فمنذ نشأته حتى نهاية الستينات تقريباً لم تبرز خلافات أساسية بين البلدان الأعضاء. أما بعد ذلكن فإن الخلافات السياسية بين القطار العربية كان لها تأثير سلبي على أعمال ومقررات المجلس[٨٢٠].

ثالثاً: الجامعة العربية وسبل تطويرها ١٩٤٥-١٩٦٣:

قامت الجامعة العربية منذ نشوئها بمهمات ناجحة عديدة، وأخفقت في بعضها، لاسيما في مجال القضية القومية المركزية – فلسطين، وهذا ما يوجب إعادة النظر بميثاقها لجهة تطويره، ودفع العمل العربي المشترك في هذه المؤسسة إلى الأمام.

كان تاسيس الجامعة العربية حالة تقدمية في نظر قيادات الأنظمة العربية التي أنشأتها، لأن " كلمة الجامعة، وفق رياض الصلح رئس وزراء لبنان، استبعدت الوحدة والاتحاد والحلف واكتفت بالجامعة فقط، فبارك الله بالمسمى وبارك بالذي أطلق الاسم"[٨٢١]. فيما كانت الجامعة عند بعض العاملين في الحقل القومي العربي عديمة الفائدة [٨٢٢]. إذ أنها لم تكن إلاّ وسيلة لاستبقاء القديم المبتذل على قدمه[٨٢٣]، فارتفعت الاصوات لتعديل ميثاقها لتصبح قوة لا ضعفاً وتكتلاً لا تفسخاً[٨٢٤]، وهذا ما حدا بالدكتور نبيه أمين فارس رئيس دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية – بيروت، للإعلان بوجه المترددين بقبول تقويتها، وجعلها قادرة على تحقيق أهدافها لتعزيز روابط التعاون الوثيق بين أعضائها، والخروج من الواقع المتردي الذي وصلت إليه، والاكتفاء ببقائها

---

[٨١٩] حماد، **جامعة الدول العربية**، ٧٢

[٨٢٠] المرجع نفسه، ص ٧٣

[٨٢١] الصلح، رياض: **مجلس النواب اللبناني ، الدور التشريعي الخامس، العقد الاستثنائي الثالث، الجلسة الحادية عشرة**، تاريخ ١٩٤٤/١٠/١٤ ، ص١٠

[٨٢٢] يقول الأمير عادل ارسلان:" نحن ندعي أمام الدول وأمام الصهيونية إننا كتلة واحدة ، وأن الجامعة العربية دول يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص... ألا يحق للصهيوني أن يقول لنا: بل أنتم كالزيتون المرصوص" ارسلان، عادل ، **مذكرات**، ج٢ ص ٦١٥: خوري. مرجع سابق، ص، ق.

[٨٢٣] مروة، كامل. الحياة –بيروت، العدد ٨٤٩ تاريخ ١٩٤٩/٢/١٧.

[٨٢٤] جنبلاط ، كمال: **محاضر مجلس النواب اللبناني**، ١٩٤٩/١/٢٥ ص ٢٢.

هيئة صورية لا روح لها، قائلاً: " أما مثل الذين يريدون استمرار الوضع الراهن، بحيث تبقى جامعة الدول العربية كما هي الآن، جمعية خطابية لا غير، فمثل الصينيين الذين يحشرون أقدام بناتهم في قوالب حديدية حتى لا تنمو ولا تكبر، مقترحاً الاستعاضة عنها بقيام وحدات أربعة مترابطة: وحدة الهلال الخصيب، ووحدة الجزيرة العربية، ووحدة وادي النيل، ووحدة المغرب الأقصى، مستوحاة من مقتضيات المنطق الجغرافي والاقتصادي والتاريخي، تؤلف كل منها: "وحدة سياسية تقابل وحدتها الجغرافية والاقتصادية والتاريخية، ويتبع ذلك قيام اتحاد فدرالي بين هذه الوحدات، تنبثق منه الولايات العربية"[٨٢٥]. ومهما اختلفت التسميات فإن المقصود، إحياء ميثاق الجامعة العربية بما يؤمن الخروج من حالة الشلل العربي العام حيال القضايا العربية المصيرية.

1- الجامعة العربية والإصلاحات الداخلية ١٩٤٥-١٩٦٣:

لم يكن ميثاق الجامعة العربية بمستوى الاستجابة لرد التحديات التي يواجهها الوطن العربي على أكثر من صعيد، ولذلك برزت الحاجة إلى إصلاح الجامعة العربية إثر كارثة فلسطين عام ١٩٤٨، والفشل الذي انتهت إليه تجربتا جيش الإنقاذ ودخول القوات العربية إلى فلسطين، وهما التجربتان الوحيدتان[٨٢٦] اللتان عرفهما العمل العسكري العربي المشترك.

أ-الإصلاح الدفاعي.

لم يكن دور الجامعة العربية يوم ذاك بمستوى الحماسة الوطنية لدى الشعب العربي، فكان الإحباط، وكان معه الرفض للواقع العربي المتفكك والضعيف والمهزوم والذي فرض البحث داخل الجامعة العربية وخارجها، عن الحل لضمان الأمن العربي. فكانت معاهدة "الدفاع المشترك" التي وقعت في حزيران /يونيو ١٩٥٠، ودخلت مرحلة التنفيذ القانوني في ١٩٥٢/٨/٢٢، فكانت تعديلاً غير مدون لميثاق الجامعة، إذ تنازلت الدول العربية فيها عن بعض مظاهر السيادة القطرية والتجزئة، والتزمت بحكم أغلبية الثلثين، بدل حكم الإجماع الوارد في الميثاق، لقد جاءت المعاهدة لتكفل إقامة التنظيم العسكري العربي المشترك، وتنشئ الأجهزة اللازمة لاستخدام هذا التنظيم، وترفد العمل العسكري بعمل اقتصادي مخطط. وبذلك خطت

([٨٢٥]) فارس، نبيه أمين. **رأي في الوحدة العربية -دراسات عربية**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٠٩-١١١ . والأزهري، رياض. له اقتراح شبيه بهذا الاقتراح على الأساس الفدرالي بين الوحدات المتقاربة جغرافياً، وكونفدرالي بين هذه الوحدات . (الأزهري، رياض. **النظام الفيدرالي للدول العربية وشروط تحقيقه**" الأبحاث، ج٦، بيروت ١٩٥٣ ص ٤٧٠.)

([٨٢٦]) لمزيد من التفاصيل: راجع: الكيلاني، **هيثم: الجانب العسكري من جامعة الدول العربية**. مجلة شؤون عربية، العدد: ٦، تونس ١٩٨١، ص١٨

الجامعة العربية الخطوة الأولى في طريق الوحدة السياسية العربية، وهي إقامة بنية للعمل العسكري العربي المشترك، وفق المبادئ والوسائل والأحكام التي تضمنتها المعاهدة[٨٢٧]:

- اعتبار كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها أو على قواتها، اعتداءً عليها جميعاً.
- توحيد الخطط والمساعي لاتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها التهديد الموجه إلى دولة عضو.
- التعاون لدعم المقومات العسكرية وتعزيزها، والتشارك في تهيئة الوسائل الدفاعية الخاصة والجماعية، لمقاومة أي اعتداء مسلّح.

يظهر من خلال دراسة النصوص في مبادئ وأسس كل من الميثاق والمعاهدة، اقترابهما الشديد في تكوين مفهوم العمل العسكري وعناصره، وتحديد أهدافه ووسائله، ولو أنها لم تكن في الوقت نفسه، كاملة، ففيها من الثغرات والنواقص الكثير، ومع هذا فقد دلت الأحداث أن الأمر لا يتعلق بالنصوص بقدر ما يتعلق بالتنفيذ، الذي بدونه لا ضمان للأمن القومي العربي[٨٢٨].

ب- الإصلاح الاقتصادي القومي العربي:

لما كان الانقسام السياسي يعدّ أخطر أنواع الانقسامات في الأمة، لما يحدثه من ارتدادات تقسيميه في جميع النواحي المتعلقة في حياة الشعب الواحد، وبما أن الوحدة السياسية للأمة العربية متعذرة لأسباب كثيرة، سعت الجامعة العربية إلى تحقيق الوحدة الاقتصادية بين الأقطار العربية أعضاء الجامعة.

ارتكزت مساعي الجامعة العربية من أجل التوحيد الاقتصادي على مواد الميثاق لاسيما المادتين الثانية والرابعة منه، إذ تضمنت المادة الثانية: "ضرورة العمل على توثيق العلاقات بين الدول المشتركة، وتنسيق خططها، السياسية تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة استقلالها وسيادتها

---

[٨٢٧] أنظر نص معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي في: خوري، يوسف ، مرجع سابق ص ١٦٠-١٦٤

[٨٢٨] الحالة التي تعيشها معاهدة الدفاع العربي المشترك، منذ بدء مفعولها عام ١٩٥٢ ولغاية اليوم، هي أنها لم توضع موضع التجربة العسكرية العملياتية، ولكنا وضعت موضع الاستخدام سياسياً، وقد ظهر ذلك جليّاً في مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في القاهرة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٨ إثر غزو العراق للكويت، فكان الاعتماد على المعاهدة، وعلى أساسها قرروا موقفهم المؤيد لتحرير الكويت، كما ظهر ذلك أيضاً في اتفاق "إعلان دمشق" ١٩٩١/٣/٦ حين صاغت مصر وسورية ودول الخليج الست الاتفاق، الذي طرح= =الأمن الإقليمي العربي، وإمكانية تجزئته إلى قطاعات إقليمية، بيد أن هذا الاتفاق بقى، كمعاهدة الدفاع العربي المشترك حبراً على ورق، ليس له أي نتيجة سوى فشل مساعي الجامعة في التوحيد العسكري.

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشترك فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الآتية:

أ- الشؤون الاقتصادية والمالية، ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك، والعملة، وأمور الزراعة والصناعة.

ب- شؤون المواصلات، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق، والطيران، والملاحة، والبرق والبريد.

ج- شؤون الثقافة

د- شؤون الجنسية، والجوازات، والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين.

هـ- الشؤون الاجتماعية.

و- الشؤون الصحية.

أما المادة الرابعة فقد جاء فيها: تؤلف لكل من الشؤون المبنية في المادة الثانية لجنة خاصة تمثل الدول المشتركة في الجامعة وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه، وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها، تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة.

ويجوز أن يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثّلون البلاد العربية الأخرى، ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين، وقواعد التمثيل.

٢- مساعي الجامعة العربية لتحقيق الاندماج الاقتصادي العربي:

بدأت مساعي الجامعة العربية للاندماج الاقتصادي العربي بصورة قانونية، مع إحداث المجلس الاقتصادي العربي في العام ١٩٥٢، بموجب المادة الثامنة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي للعام ١٩٥٠، ولقد بدأ في ممارسة اختصاصاته لتحقيق الأهداف التي حددتها المادة السابعة من المعاهدة المذكورة، وذلك من خلال تعاون الدول. المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها، واستثمار مرافقها الطبيعية، وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعية والصناعية، وبوجه عام، على تنظيم نشاطها الاقتصادي وتنسيقه، وإبرام ما يقتضيه الحال من اتفاقات خاصة، لتحقيق هذه الأهداف.

أقرّ المجلس الاقتصادي، في دورته الأولى، عدداً من الاتفاقات، كان في مقدمتها: اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت التي اعتبرت الخطوة الأولى نحو تخفيض الحواجز الجمركية بين البلاد العربية، تمهيداً لرفعها.

وبدأت في عام ١٩٥٣ بصورة فعلية مع إقرار اتفاقيتين الأولى اتفاقية التبادل التجاري وتنظيم العبور "الترانزيت" والثانية اتفاقية تسديد المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال.

وافق مجلس الجامعة على الاتفاقية الأولى في ١٩٥٣/٩/٧، وكان من أهم أهدافها: تسهيل التبادل التجاري في السلع الزراعية والصناعية العربية المنشأ، على أساس المعاملة التفضيلية، عن طريق التقليص التدريجي للتعريفات الجمركية.

كان نجاح هذه الاتفاقية محدوداً في مجال زيادة التبادل التجاري، بين الأقطار العربية الموقعة عليها، إذ زادت في السنة الأولى لتطبيقها ١٩٥٤، نسبة واردات البلاد العربية: سورية ومصر والسعودية والعراق ولبنان والأردن فيما بينها، إلى مجموع وارداتها، من ١٠.٤٪ إلى ١٣.٢٪ وزادت نسبة الصادرات من ١١.٩٪ إلى ١٩.١٪ وسجّلت زيادة أخرى ملموسة سنة ١٩٥٥[٨٢٩] رغم حداثة عهد الاتفاقية وتعود أسباب قصور الاتفاقية عن تحقيق زيادات كبيرة في التبادل التجاري، بين الأقطار العربية إلى سببين رئيسين: **أولهما:** يتعلق بعدد الدول العربية المنضمة للاتفاقية إذا كان محدوداً، وعدم اتفاق هذه الدول على الجدول الزمني لسريان التخفيضات المقترحة، بالإضافة إلى خضوع نظم إجازات الاستيراد والتصدير، للسلطات السياسية التي قد تعترض دون أن تأخذ بعين الاعتبار المصلحة العربية ، إضافة إلى اختلاف نظم التعريفة الجمركية المعمول بها في الأقطار الأعضاء، علاوة على التحفظات العديدة لهذه الأقطار بخصوص تقييد حركة الاستيراد والتصدير.

وثانيهما: خاص باقتصاديات البلدان المنضمة إلى الاتفاقية، وقد نشأ عن تماثل البنيات الاقتصادية في الأقطار المنضمة للاتفاقية، والتي يغلب عليها القطاع الزراعي، الذي يعاني من ضعف في القطاع الصناعي التحويلي. وتشابه الإنتاج، الذي افتقد للتنوع[٨٣٠].

أما الاتفاقية الثانية، اتفاقية تسديد المدفوعات الجارية، وانتقال رؤوس الأموال العربية فقد أقرّت الاتفاقية الأولى في عام ١٩٥٣، وكانت تهدف أساساً إلى تسهيل تحويل مدفوعات المعاملات الجارية، وانتقال رؤوس الأموال بين الأقطار المتعاقدة.

يؤخذ على هذه الاتفاقية، أنها نصّت أعلى أن يكون تنفيذ أحكامها في حدود الواقع السائد في الأقطار المتعاقدة، ووفقاً لأنظمة التحويل الخاص بالنقد الأجنبي في كل قطر. وكذلك أنظمة الاستيراد المطبقة في كل منها، وهذا ما يجرّد الاتفاقية من أية فعالية في مجال تسهيل سداد المدفوعات الجارية بين الأقطار المتعاقدة. ولم تحدث فعلياً أية انتقالات لرؤوس الأموال العامة. أما بالنسبة لرؤوس الأموال الخاصة، فقد كان انتقالها محدوداً، ولغرض الاستثمار في قطاع

---

[٨٢٩] القرعي، أحمد يونس، منظمة العمل العربية وقضاياها العاجلة، مجلة **السياسية الدولية**، القاهرة، السنة ٥، العدد ٢٧ (كانون الثاني/يناير ١٩٧٢، ص ١٣٨ – ١٤٣.

[٨٣٠] ناصر، وفيق صالح، **دور جامعة الدول العربية في أبرز قضايا العرب السياسية**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ٢٠٦٦ – ٢٠٠٧، ص ٢٨١.

البناء والتشييد فقط، دون الاستثمار في بقية مشاريع التنمية، كما نصّت الاتفاقية. ذلك لأن الاتفاقية لم تحدد الخطوات العملية لتنفيذ ما جاء فيها، ولم تحاول إلغاء أنظمة الرقابة على الصرف والتحويلات الخارجية في الأقطار المنضمة إليها، والأمر الذي ترتب على الاتفاقية، كان شل فعاليتها، والحد من تأثيرها في تيسير التبادل التجاري وتوزيع رؤوس الأموال على الاستخدامات البديلة في الوطن العربي، بما يؤدي إلى رفع إنتاجيتها من ناحية، وتوسيع النشاط الاستثماري من ناحية أخرى، وسد حاجات الأقطار العربية إلى العون الخارجي من ناحية ثالثة[٨٣١].

أما بشأن تقييم دور المجلس الاقتصادي الاجتماعي العربي، في التعاون الاقتصادي العربي، يلاحظ بأن المجلس أعلى أولوية لتحقيق الانسياب السلعي وانتقال رؤوس الأموال بين الأقطار العربية، وهذا ما يفسر ما جاء في الاتفاقيتين السابقتين، على إزالة العقبات القانونية والإدارية، لانتقال السلع وعناصر الإنتاج، في وقت كانت معظم الاقتصاديات العربية تشكو من ضعف قاعدتها الإنتاجية، وشح رؤوس الأموال العربية المتوفرة لديها، لذلك فإن قرارات المجلس هذه لم تأت معبرة عن الواقع الموضوعي للاقتصاديات العربية في تلك الفترة، إذ كان من غير الممكن الدعوة إلى تنشيط التبادل السلعي فيما بين الأقطار العربية، في الوقت الذي لم يكن فيه لديها، ما يمكن تبادله، والأمر نفسه ينطبق على موضوع رؤوس الأموال العربية[٨٣٢].

تنبه المجلس الاقتصادي إلى هذا الواقع، فأخذ بالدعوة إلى ضرورة الاهتمام بتكوين جهاز إنتاجي، والعمل على تسييره وتقدمه، والنظر إلى أن القاعدة الإستراتيجية الواسعة هي أساس هام للتبادل السلعي، وقد انعكس اتجاهه هذا، في مجموعة القرارات التي صدرت عنه بشأن إنشاء مؤسسة مالية مشتركة لتمويل المشروعات العربية، وإنشاء شركة ملاحة عربية، واستغلال أملاح البحر الميت، ويعتبر قرار المجلس الصادر عنه بتاريخ ١٩٥٦/١/١٥[٨٣٣] أول مشروع اقتصادي عربي مشترك تشهده ساحة العمل الاقتصادي العربي، منذ قيام الجامعة العربية، وقد جاءت بعد اتفاقية الوحدة الاقتصادية.

أ- اتفاقية الوحدة الاقتصادية ١٩٥٧

---

[٨٣١] مراد، أحمد فارس، **بعض قضايا التعاون الاقتصادي العربي**، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق ١٩٧٤، ص ٤٣.

[٨٣٢] صائغ، يوسف عبد الله، الاندماج الاقتصادي العربي وذريعة السيادة الوطنية "مجلة المستقبل العربي" بيروت" العدد السادس، آذار مارس ١٩٧٩، ص ٢٤.

[٨٣٣] مجموعة قرارات وتوصيات المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي، ١٩٥٣ – ١٩٨٠ الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية، جامعة الدول العربية، تونس، الأمانة العامة ١٩٨٠، ص ١٦ – ٣٠

نشأت اتفاقية الوحدة الاقتصادية التي أقرت من قبل المجلس الاقتصادي العربي والأمانة العامة لجامعة الدول العربية بتاريخ ١٩٥٧/٦/٣[٨٣٤] فجاءت أكثر تقدماً للتعاون الاقتصادي العربي المشترك ، إذ تهدف إلى إقامة وحدة اقتصادية بين البلدان الأطراف المتعاقدة، وذلك بإلغاء القيود عن العلاقات الاقتصادية فيما بينها وإحاطتها بسياج جمركي موحد في مواجهة العالم الخارجي، وتنسيق سياستها الاقتصادية على اختلاف أنواعها وقد كشفت الاتفاقية في مادتها الأولى، عن هدفها هذا، فنصّت على ما يلي[٨٣٥]:

تقوم بين دول الجامعة العربية وحدة اقتصادية تضمن بصوره خاصة، لتلك الدول ولرعاياها، على قدم المساواة:

١- حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال.

٢- حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية.

٣- حرية الإقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادي.

٤- حرية النقل والترانزيت، واستعمال وسائل النقل والمرافئ والمطارات المدنية.

٥- حقوق التملك والوصية والإرث.

وقد حرصت نصوص الاتفاقية على تقرير حق بعض الأقطار المتعاقدة في تجاوز أحكامها، وذلك باتخاذ خطوات أوسع في سبيل الوحدة الاقتصادية فيما بينها، دون بقية الأطراف المتعاقدة، فقضت بأنه لا يجوز لبلدين أو أكثر، من بلدان الأطراف المتعاقدة، عقد اتفاقيات اقتصادية تستهدف وحدة أوسع مدى، من هذه الاتفاقية[٨٣٦].

وبسبب تأزّم العلاقات بين الأقطار العربية، الذي أدّى إلى تأزم في مجال التعاون العسكري، فصل المجلس الاقتصادي عن معاهدة الدفاع المشترك عام ١٩٥٩، لكي لا تسبب هذه الأزمات في التأثير على العلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية.

بدأت فلسفة الاندماج الاقتصادي بين الأقطار العربية بالتبلور، مع بداية عقد الستينيات، وهي فلسفة مقاربة للفلسفة التي اعتمدتها الجماعة الاقتصادية الأوروبية "السوق الأوروبية المشتركة"، فتجلت الدعوة إلى قيام السوق العربية المشتركة، يضاف إلى ذلك، أن هذا العقد شهد تكيفاً للجهود العربية، من أجل إنشاء بعض المؤسسات العربية المشتركة، لتحقيق أهداف تنموية

---

[٨٣٤] المجلس الاقتصادي العربي، الدورة الرابعة، الأمانة العامة، اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية، عمان، الأمانة العامة ١٩٨٢ ق(المادة الثانية).

[٨٣٥] التعاون الاقتصادي بين الدول الاقتصادي العربي في إطار جامعة الدول العربية والمنظمات العربية ١٩٤٥ – ١٩٧٦، جامعة الدول العربية، الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية، القاهرة، كانون أول/ديسمبر، ١٩٧٦، أرشيف الأمانة العامة ملف ٣٣.

[٨٣٦] نص الاتفاقية، المادة ١٥ (وثائق الأمانة العامة)

أو تجارية تخدم المصلحة العربية، مما أدى إلى ظهور العديد من بيوت الخبرة العربية والمراكز الاستشارية كمركز التنمية الصناعية للدول العربية[٨٣٧].

وفي عام ١٩٦٢ تم إنشاء هيئة متخصصة للمجلس، هي مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، لتنفيذ نصوص الوحدة الاقتصادية العربية ذاتها[٨٣٨].

ب- الجامعة العربية والوحدة الثقافية ١٩٤٥- ١٩٦٣.

عملت القوى الاستعمارية على تشويه الثقافة العربية، لما للثقافة من فعل في تشكيل الهوية القومية، وذلك من أجل إضعاف الأمة العربية، وإيقافها في حالة التبعية لقوى الاستعمار ومنعها من النهوض القومي.

وعلى الرغم من إنشاء الاستعمار مؤسسات تعليمية حديثة في أقطار الوطن العربي، فقد ظل التعليم، دون سد حاجات المجتمع العربي لأسباب سياسية من جهة ثانية، نظراً لكلفته العالية، ولذلك ظل التعليم الحديث خلال فترة السيطرة الاستعماري المباشرة على أقطار الوطن العربي. حكراً على الطبقات البرجوازية المتماشية مصالحها مع الاستعمار، الأمر الذي أدّى إلى انتشار الأمية بشكل واسع في الوطن العربي[٨٣٩] كون انتشار الأمية كان مترافقاً على الدوام مع الفقر وما زال.

لقد فرض الاستعمار مناهجه ولغته على التعليم العربي، في القطر الذي كان يستعمره، فأصبح هناك تعليم حسب المنهج الفرنسي، وآخر حسب المنهج الإنكليزي، وعندما بدأ الجهد الوطني بعد الاستقلال، بإصلاح النظم التعليمية، واجه صعوبات كثيرة: علمية فنية ومالية وتاريخية، فلم يكن من الممكن هدم نظام تعليمي قائم واستبداله بنظام آخر فوراً، إذ أن للزمن دوراً أساسي في مجال التعليم، وعلى كل المستويات.

أنشأت الجامعة العربية إدارات متخصصة، بدأت في نطاق الأمانة العامة، لتحقيق التكامل والوحدة بين نختلف النظم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية، وصولاً إلى الأهداف القومية التي قامت الجامعة من أجل تحقيقها. ولما اتسع نطاق هذه النظم، وضاق وعاء الإدارات الملحقة بالأمانة العامة، عن استيعاب النشاط الذي يتطلبه العمل العربي المشترك في هذا

---

[٨٣٧] رأى مركز التنمية الصناعية النور في أواخر الستينات، وتحول في أواخر السبعينات، إلى "المنظمة العربية للتنمية الصناعية" ناصر، مرجع سابق. ص ٢٨٥.

[٨٣٨] عفر، محمد عبد المنعم، **اقتصاديات الوطن العربي بين التنمية والتكامل**، دار المجمع العربي، جدة، ١٩٨٠، ص ١٢٠.

[٨٣٩] على الرغم من استقلال الأقطار العربية، فلا تزال الأمية منتشرة بشكل خطير، حيث تصل في بعض التقديرات إلى ٦٠٪. **المشروع النهضوي الغربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠، ص٢٦.

المجال، عقدت اتفاقيات في إطار الجامعة العربية، بين الدول الأعضاء وأقيمت منظمات عربية متخصصة للقطاعات المختلفة[٨٤٠].

أول ما بادرت إليه الجامعة العربية في مجال التوحيد الثقافي، كان في الجلسة الأولى لاجتماع دول الجامعة الأعضاء عام ١٩٤٥ حيث تم إبرام معاهدة الوحدة الثقافية التي حددت التوجهات الأساسية للعمل الوحدوي في مجال التربية والثقافة، وذلك استجابة من الجامعة للشعور بالوحدة الطبيعية بين أبناء الأمة الواحدة، وإيماناً بأن وحدة الفكر والثقافة هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الوحدة العربية، وبأن المحافظة على التراث الحضاري العربي، وانتقاله بين الأجيال المتعاقبة، وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الأمة العربية ونهوضها بدورها الطليعي الإبداعي في مجال الحضارة الإنسانية والسلام العالمي المبني على أسس العدالة والحرية والمساواة، وتحقيقاً لوحدة الفكر والثقافة، ولإكساب الجامعة العربية بعداً حضارياً غرضه تنشئه جيل عربي مؤمن بأهداف أمتة، عامل على تحقيقها فقد دعت المعاهدة الثقافية إلى: تنشئة جيل عربي واسع مستنير، مؤمن بالله، مخلص للوطن العربي، يثق بنفسه وأمته، ويدرك رسالته القومية والإنسانية، ويستمسك بمبادئ الحق والخير والجمال، ويستهدف المثل العليا الإنسانية في السلوك الفردي والجماعي... وتعمل الدول الأعضاء على رسم الفلسفة التربوية العربية التي تنهض بهذا الهدف العام، وعلى تعيين أهداف التربية في جميع مراجل الدراسات، وقد أفضت المشاورات والدراسات إلى ميثاق الوحدة الثقافية العربية الذي وقع في شباط عام ١٩٦٤ والذي كان من نتائجه إنشاء عدة أجهزة، وذلك تنفيذ للمادة الرابعة من ميثاق الجامعة العربية وهي:

١- اللجنة الثقافية: وتتكون من ممثلين عن الدول العربية لمجلس الجامعة الدول العربية. وقد بدأت نشاط هذه اللجنة في عام ١٩٤٦.

٢- معهد أحياء المخطوطات العربية: أنشئ بناء على قرار بمجلس الجامعة الدول العربية، في نيسان ١٩٤٦. وقد تم تطور هذا المعهد بمقتضى القرار رقم ٥٧٢ بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩٥٦، الذي وافق عليه مجلس الجامعة، بناء على اقتراح من الأمانة العامة للجامعة العربية.

٣- معهد الدراسات العربية العالية الذي افتتحت فيه الدراسات في كانون الثاني/ يناير ١٩٥٣ وشملت حينئذٍ: الآداب واللغات والتاريخ والجغرافية والاقتصاد، والدراسات الاجتماعية

---

[٨٤٠] عز العرب، محمد، التكامل الثقافي العربي في عصر العولمة: ندوة معهد البحوث والدراسات العربية، التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٥ – ٢٦ /١٢/٢٠٠١ مجلة شؤون .

والقانونية الدولية. وهو معهد أنشئ أساساً، لتأصيل الفكر الوحدوي في كل جوانب الحياة الفكرية العربية، ولإعداد قيادات لهذه الغاية[٨٤١].

٣- سبل تطوير الجامعة العربية.

لقد أخفقت الجامعة العربية في حل النزاعات العربية- العربية، غزو الكويت مثلاً. وفي التوصل إلى حل عادل ومقبول للقضية الفلسطينية، وفي تجنيب العديد من البلدان العربية نتائج الحصار الدولي، كما حصل إزاء العراق وليبيا والسودان وغيرها. وفي تجنيب البلدان العربية الحروب العدوانية سواء أكان العدوان من الجانب "الإسرائيلي" أو حربي الخليج الأولى والثانية وما تبعها من حروب، كما أخفقت في تجنيب الشعوب العربية من انفراد حكوماتها بها والهيمنة المذلة عليها، وانتهاك حقوق الإنسان وإلحاق الضرر بالتنمية والديمقراطية.

كل ذلك يستدعي عملاً جاداً لتطوير الجامعة العربية يتلخص بما يلي:

- يحتاج ميثاق الجامعة العربية إلى مراجعة جذرية نظراً لتخلفه قياساً للتطور الدولي، وتكييفه بحيث يصبح صالحاً للانسجام مع المتغيرات الدولية، وبخاصة قواعد القانون الدولي للجامعة المعاصر.
- تكييف ميثاق الجامعة لينسجم مع ميادين حقوق الإنسان، بما فيه"التدخل لأغراض إنسانية"عند وقوع انتهاكات جسيمة وخطيرة لحقوق الإنسان كالتطهير العرقي والاثني أو الديني أو المذهبي أو إبادات جماعية. ل
- تحقيق إصلاحات هيكلية على المستوى الإقليمي في أجهزة الجامعة على الصعيد القانوني والإداري، وتعديل دور الموظف العمومي الإقليمي بحيث يكون مُمثلاً للجامعة وليس لبلاده.
- لابد من اهتمام الجامعة بمؤسسات المجتمع المدني، فيكون لها دور فيما يتعلق بالحريات وحقوق المرأة، واحترام حقوق الإنسان وحقوق العمل والثقافة والأدب والفن والاتصالات والرياضة والصحة والتعليم والبيئة والسياسة وغير ذلك.
- معالجة مسألة صنع القرار، لتجتاز الوضع البيروقراطي المؤسسي والعقبات التنفيذية الفعلية.
- معالجة النقص الفادح في موضوع النزاعات العربية-العربية، بعصرنة الميثاق بما يستجيب للتطور الدولي.
- معالجة مشكلة التصويت، وذلك باعتماد ثلاث درجات له، فبدلاً من الإجماع الذي يمكن حصره في قضايا محددة كالأمن العربي والقضايا الجوهرية، فهناك قضايا أقل أهمية يمكن أن

---

[٨٤١] راجع الملحق رقم [١٣]

تكون بـ"أغلبية موصوفة" محددة الثلثان أو ثلاثة أرباع، وهناك مسائل إجرائية يمكن التصويت عليها(بالأغلبية +١) [٨٤٢].

الخاتمـة

[٨٤٢] () شعبان، عبد الحسن، النظام الإقليمي والأزمة المعتّقة!!جامعة الدول العربية نموذجاً في: **العروبة والقرن الحادي والعشرين**، تيار المستقبل، ٢٠٠٨ ص ٤٩٨-٥٠٧

القومية من حيث هي ظاهرة إنسانية– اجتماعية، تمكن الفرد من أن يوحد شعوره بشخصيته لذاته مع شعوره بشخصية أمته موضوعياً مما يوصله إلى حقيقة مفادها، أن مصيره متوقف على مصير أمته، التي تشكلت نتاج الروابط الثقافية التاريخية في الأمة، من لغة ودين وعادات وتقاليد ودورة اقتصادية–اجتماعية.

ولذلك تعود الفكرة القومية في الوطن العربي إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلي، وقد تبلورت هويتها بوضوح، مع تطور المجتمع العربي منذ بداية التاريخ، ولغاية قيام الدولة العربية الإسلامية.

لم تكن القومية العربية، في الوطن العربي، منذ نشوئها ولغاية اليوم، لتقوم على قواعد الكراهية للشعوب والأمم الأخرى، بل قامت على قاعدة التطور الذاتي، وحمل ثقافتها إلى أصقاع العالم لتتفاعل معها، بهدف الإسهام بتطوير الإنسانية كلها.

ولئن أصيبت القومية العربية بانتكاسات عديدة في تاريخها الطويل، بدءاً من سقوط الدولة الكلدانية أمام الغزو الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد، استعادت ذاتها في القرن السادس الميلادي، مع ظهور الدعوة العربية الإسلامية المعاصرة، لتصاب بانتكاسة ثانية، في القرن التاسع الميلادي عندما تسلطت أقوام غير عربية على شؤون الدولة العربية، لتستفيق مجدداً في تاريخنا الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

واجهت اليقظة العربية الحديثة، أخطار جمة كبيرة، تمثلت بضرورة التخلص من الحكم العثماني في الجانب العربي الآسيوي، الذي أنهك العرب، على مدى أربعة قرون، بنظام الملل

والنحل، وتحكم الإقطاع برقاب معظم أفراد الشعب من عمال وفلاحين. ومواجهة الاستعمار الغربي الذي انقض تدريجيا الوطن العربي بدءاً من المغرب العربي على الجانب العربي الإفريقي، احتلالاً وتمزيقاً واستغلالاً للشعب والأرض ليصل إلى المشرق ويثبت سيطرته مع بدايات القرن العشرين على كامل التراب العربي.

بيد أن الفكرة القومية العربية واجهت أزمات فكرية سياسية جمة نوجزها بالتالي:

لقد تأثر المفكرون القوميون العرب الأوائل بالفكر القومي الأوروبي، الغربي منه، والشرقي، حتى كادت القومية العربية أن تصاب بالتشوه لابتعادها عن الأصالة النضالية، التي ما كانت لولا امتلاكها الأصالة الفكرية العروبية.

هذا التشوه الفكري أدى إلى تشوه في الفكر السياسي تمثل بأول تجربة خلال الحرب العالمية الأولى، عندما تحالفت الثورة العربية الكبرى مع الاستعمار الغربي، بدافع الجهل والثقافة الضحلة، حول طبيعة الاستعمار وأسلوبه ونهجه التدميري، الذي لا يترك فرصة لضحاياه من الإفلات، فكان استكمال تجزئة الوطن العربي في مشرقه، والعمل الدقيق لإقامة الكيان الصهيوني لمنع النهوض العربي.

ولما استطاعت الحركات القومية العربية انجاز استقلال الأقطار العربية باستثناء فلسطين، واتجهت لتحقيق الهدف الثاني بإقامة نموذج الوحدة العربية، برز الضعف في الفكر السياسي القومي بما ارتكب من أخطاء كان في طليعتها.

أولاً:عدم إدراك أهمية الديمقراطية كأداة رئيسة من أدوات الحرية، إذ استبدلت بـ "الشرعية الثورية"، التي قلصت الديمقراطية السياسية إلى درجة الإلغاء، وحلت محلها الدكتاتورية ومنطق الغلبة في السياسة والحكم، فكانت النتيجة ترك الانجازات على صعيد الحرية الاجتماعية، بدون عنصر الحماية الذي يكمن بالحرية السياسية للشعب، فافتقد الفكر القومي العربي مصداقية شعار الحرية الذي رفعه.

وبسبب غياب الديمقراطية في الفكر والسياسة على أرض الواقع، سادت حالة من "الحرب الأهلية" بين قوى التقدم العربية، فأرست فيما بينها شعور الكراهية بدل مفهوم الإخاء القومي. وإذ انتصر فريق على فريق بالغلبة والقهر، انقسم الفريق المنتصر على نفسه ليخوض صراعاً جديداً، يطلق عليه بعض الباحثين "الصراع على السلطة" فيما هو في الواقع دليل على غياب الديمقراطية، وقد أدى في معظم الحالات إلى انقسامات في القوى القومية الفاعلة، مما أوهنها وأدى إلى فقدان ثقة الشعب بها.

وغياب الديمقراطية دليل على غياب العلمانية، المفترض أن تكون بمجاراة الديمقراطية، إذا لم نقل أن لها أسبقية على الديمقراطية، حيث أن الديمقراطية لا تستطيع أن ترسو إلاّ على

أرضية علمانية لا تفرق بين مواطن وآخر، بل تساوي جميع المواطنين أمام القانون بدون أي تمييز.

وفي الوقت الذي كان الفكر القومي يعاني من أزماته الناتجة عن الإخفاقات المتوالية، كان الوقت يمر، والمصاعب تزداد شدة وشراسة، إذ تعمقت القطرية في الوطن العربي أكثر فأكثر، وتعاظمت قوة الدول الامبريالية وأخطارها، وقد بلغت مرحلة التوحش. وهي تطل في كل يوم بمشاريعها الإلغائية للوطن العربي برمته، تارة بالعولمة وطوراً "بالنظام الشرق أوسطي" حتى بلغت حد إعلان الحرب على قوى الممانعة العربية باسم الحرب على "الإرهاب".

إزاء هذا الواقع المؤلم الذي وضع الأمة العربية في حالة الخطر، أصبح لزاماً على الفكر القومي العربي أن يشحذ نفسه، بالتجديد والتطوير والعصرنة، لأن الفكر القومي هو السبيل الوحيد لإنقاذ الأمة العربية من الضياع والهلاك.

نظرة مستقبلية حول الوحدة العربية

ظظظظظظظظظظ

مستقبل الوحدة العربية

بعد سقوط الوحدة السورية المصرية ٢٨ أيلول ١٩٦١ بأشهر، نشرت جريدة الأهرام القاهرية مقالاً للمؤرخ البريطاني ارنولد توينبي، حول مستقبل الوحدة العربية، أجرى خلاله مقارنة بين ظروف الوحدة في كل من ألمانيا وايطاليا في القرن التاسع عشر، وظروف الوحدة السورية– المصرية ١٩٥٨، حيث كان التماثل من وجهة نظره متطابقاً، إذ كانت الوحدة الايطالية والألمانية عام ١٨٤٩ تبدو مستحيلة التحقيق، ولكنها أصبحت حقيقة عام ١٨٧١ . محتسباً عدد السنوات التي تبدأ مع انتهاء حروب نابليون عام ١٨١٥ وتاريخ قيام الوحدة الألمانية والايطالية، فكان عددها ٥٦ عاماً، عدّها زمناً كافياً للعرب لكي يحققوا وحدتهم، حيث انطلق من نهاية الحرب العالمية الثانية كنقطة بداية فيكون عام ١٩٧٤ هو التاريخ المفترض لتحقيق الوحدة العربية.

وإذ عدّ الكيان الصهيوني شوكة في قلب الوطن العربي تؤلمه وتمنعه من النهوض، فإن الوضع، وفق رأيه، كان شبيها في ايطاليا بوجود الدولة البابوية، حيث استطاعت الوحدة الايطالية احتواءها، أما العقبات التي تواجه الوحدة كالخلافات العربية– العربية، عدّها مألوفة ولن تعيق إقامة الوحدة نظراً لحاجة جميع الأقطار العربية للتنمية وتعميم الرخاء الذي لا يمكن أن يتم بصورة جيدة بدون تحقيق الوحدة. وبذلك يفهم من مقالة توينبي أن الوحدة السورية– المصرية

في العام ١٩٥٨ قامت قبل أوانها بست عشرة سنة[٨٤٣]. وأن العرب لم يحققوا وحدتهم في العام ١٩٧٤ نظراً لعدم احتواء العرب للكيان الصهيوني، مما أبقى الجسم العربي معتلاً ولم يتمكن من بلوغ الوحدة.

تبدو الوحدة العربية في الوقت الراهن صعبة المنال، لعدم توفّر القاعدة الجاذبة لأقطار الوطن العربي، إذ فقدها منذ عام ١٩٦١، يقول اتزيوني، وهو احد كبار مفكري الغرب الاجتماعيين حول انتهاء الوحدة عام ١٩٦١، أن مصر مارست وحققت دورها كقاعدة قادرة ومستعدة أن تستخدم مواردها وان تضحي بها في قيادة العملية الوحدوية... ولكنها فقدت هذا الدور أواسط عام ١٩٦١ بسبب عدم قدرتها على زيادة الموارد والمعونات لسوريا[٨٤٤]، وفقدته نهائياً بفعل اتفاقيات كمب ديفيد ١٩٧٨، وانحسار فعلها في القضية العربية القومية إلى حد التلاشي.

الوحدة العربية لا تخضع لقانون طبيعي ولذلك هي ليست شأناً حتمياً، إذ علمنا التاريخ بأن حدثا ما يحصل في يوم واحد يؤسس لحالة جديدة قد تستمر لقرون عديدة، وللعرب شاهد على صحة هذا الكلام، إذ كان يوم الأحد ٢٥ رجب ٩٢٢هـ الموافق ٢٤ آب ١٥١٦ [٨٤٥] الذي جعل سيطرة العثمانيين على الوطن العربي تمتدّ أربعمائة عام ونيّف، فالأمة العربية اليوم هي أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن تنهض وتتقدّم وتنفض عنها حالة التأخّر والتقهقر، وإما ستزيد عروتها تفككا ونسيجها تمزّقا، وفكرتها العربية الجامعة اندثاراً[٨٤٦].

أما من يحقق الوحدة العربية، فهو قطعاً، ليس قوى خارجية كما كان يحصل في عصر الإمبراطوريات البائدة، ولا القوى الامبريالية المعاصرة التي انتهجت مبدأ التقسيم سبيلا لهيمنتها، فالذي يحقق الوحدة العربية هو الشعب العربي وأنظمته السياسية لا أحد غيرهما.

الشعب العربي القادر على تحقيق الوحدة هو من ارتقى من حالة التخلّف الاقتصادي والاجتماعي والفكري إلى حالة التطوّر والتقدّم في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، لاسيما بلوغه وعي حقيقي لفكرة الحرية وأداتها الرئيسة الديمقراطية بمفهوميها السياسي والاجتماعي، إذ لا دولة قومية بدون ديمقراطية، يقول سعادة في كتابه نشوء الأمم: "...الدولة الديمقراطية هي دولة قومية حتماً، فهي لا تقوم على معتقدات خارجية أو إرادة وهمية، بل على إرادة عامة ناتجة عن الشعور بالاشتراك في حياة اجتماعية اقتصادية واحدة. الدولة أصبحت

---

[٨٤٣] جريدة الأهرام تاريخ ١٩٦٢/١/١٧.

[٨٤٤] Etzioni Amitai, Political unification, A comparative study of leaders and forces , new York: Holtrichart and Winston. 1965,p.295

[٨٤٥] تاريخ معركة مرج دابق، المحامي ، مرجع سابق، ص ١٩٢ .

[٨٤٦] **المشروع النهضوي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠، ص ١٢٨

تمثّل هذه الإرادة. فتمثيل الشعب هو مبدأ ديمقراطي قومي لم تعرفه دولة سابقة. الدولة الديمقراطية لم تمثل التاريخ الماضي ولا التقاليد العتيقة ولا مشيئة الله ولا المجد الغابر، بل مصلحة الشعب في الحياة الواحدة الممثلة في الإرادة العامة، في الإجماع الفاعل لا في الإجماع المطاوع"[٨٤٧].

ولكي تأخذ الديمقراطية أبعادها لا بدّ من تهيئة الأرضية اللازمة لإقامة مجتمع مدني علماني، جميع أفراده متساوون في الحقوق والواجبات دون تمييز بين فرد وآخر لا بسبب الدين، أو الجنس، أو اللغة، أو اللون، أو أي سبب آخر، إذ أن الدولة القومية لا يقيمها غير القوميين على الأساس الديمقراطي بمفهوميه السياسي والاجتماعي وقاعدته العلمانية.

إذا كانت الوحدة القومية في أحسن مظاهرها هي الوحدة السياسية، فإن الوطن العربي لا يستطيع بلوغ الوحدة دفعة واحدة، بل تدرجاً. وإذا كان الاعتقاد بأن الانقلابات وتغيير أنظمة الحكم بحيث تصبح متشابهة تهيئ لإقامة وحدة فإن تجربة الوطن العربي تنبئ بأن الانقلابات وتغيير أنظمة الحكم، على الرغم من حدوثها في أكثر من قطر، لم تحدث أي وحدة صحيحة بين أي قطرين عربيين من الأقطار التي شهدت قيام انقلابات أو ثورات.

ومن نافل القول، محاولة التشبّه بأية وحدة حصلت في التاريخ، في مرحلة، ما قبل الحرب العالمية الثانية، لأن معظم الوحدات التي قامت كانت الغلبة طريقها، ولذلك فالوحدة لا يمكن قيامها في المستقبل المنظور إلا عن طريق الإرادة وبالأسلوب السلمي.

ومن يعتقد بأن وصول حزب واحد إلى أكثر من قطر عربي قد يقيم وحدة، فهذا ضرب من الخيال واللاواقعية، إذ ما حصل بين سوريا والعراق البعثيين في أحد المراحل من تاريخهما المعاصر، لم يحصل مثله بين قطرين شقيقين!.

وبعد إن فقدت مصر دور القاعدة في بناء الوحدة القومية، وكون الكيان الصهيوني لا يزال شوكة في الجسم العربي. أمام كل هذه الحواجز والموانع تبدو الخيارات قليلة ومتواضعة جداً والصعوبات بالغة الجدّة، ولكنّ منطق التاريخ يقول إن القوى الحيّة هي من تستطيع انتزاع أدوات النضال من الواقع مهما كان صعباً.

ولأن فكرة القومية العربية هي مشرقية النشأة[٨٤٨]، وسوريا لا تزال هي رائدة العمل القومي العربي، فهي مؤهلة اليوم لأن تكون القاعدة الوحدوية الجاذبة لأقطار المشرق العربي على الأقل، وكلما ارتقت الحياة من مختلف الوجوه في القطر – القاعدة، كلما أصبحت جاذباً للشعب العربي

---

[٨٤٧] سعادة، أنطون، الأعمال الكاملة، ج٥، نشوء الأمم، دار سعادة للنشر، بيروت ١٩٩٩، ص ١٢٣٠-١٣١.
[٨٤٨] سلامة، مرجع سابق، ص ٢٨٦-٢٨٧

في الأقطار المجاورة، وإذا ما استطاعت سوريا تحقيق أية وحدة، ولو على المستوى الكونفدرالي لأصبحت فيما بعد هي القاعدة الجاذبة لجميع الأقطار العربية.

أعود فأقول، تبدو الوحدة العربية بعيدة المنال كما كان الاعتقاد منذ ثلاثين عاماً، بأن العدو الصهيوني لا يقهر، ولكن بعد الانتصارات التي حققتها المقاومة الوطنية، في لبنان وغزة، في وجه الاعتداءات الصهيونية بات تحرير فلسطين أقرب بكثير مما كان عليه في الماضي، فتجربة المقاومة التي قامت على أساس أفكار ثقافية قومية هي: الحق والإرادة والتضحية، استطاعت بناء إنسان من نوع آخر، إذ أصبح المقاوم الواحد المسلّح بالإيمان، يساوي ثلاثين جنديا صهيونيا مسلّحين بالحديد والباطل .

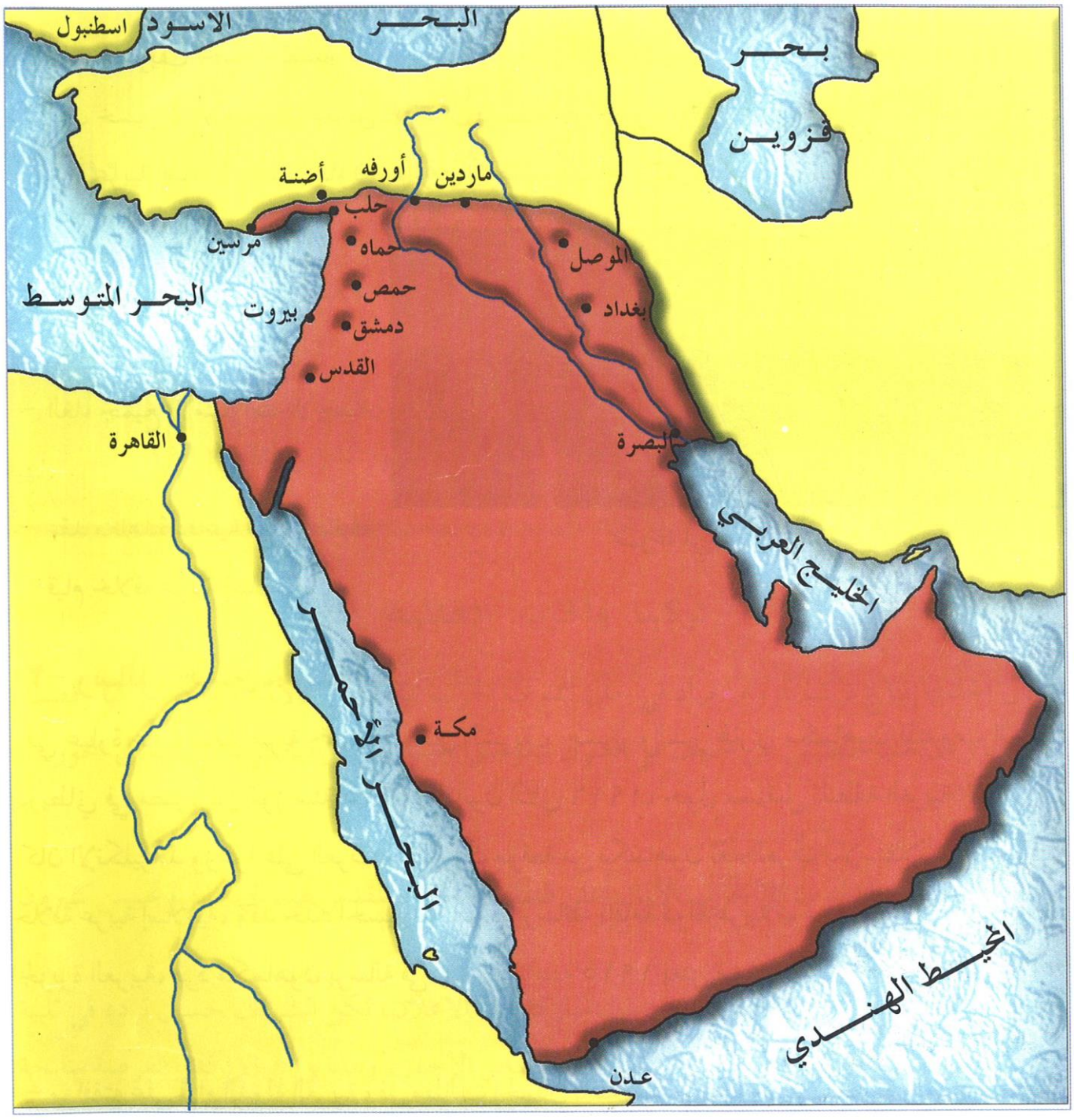
عندما يرتقي وعي المواطن العربي بالإيمان بضرورة قيام الوحدة العربية كحق مقدّس، ولكنه ضائع في متاهات الامبريالية والصهيونية والرجعية، وتتوفر لديه الإرادة الحقيقية في استعادة هذا الحق، ويؤمن بالتضحية ثمناً لاسترداد هذا الحق، فأن هذا الإيمان كلما كبر تصغر المسافة التي يرى فيها الإنسان العربي نفسه في دولة عربية واحدة.

ملاحق الدراسة

ملحق رقم (١)

خريطة الدولة العربية كما حددها ميثاق دمشق ١٩١٥

ككككككككك



ملحق رقم(٢)

رسالة الشريف حسين الى مكماهون بتاريخ ٩ أيلول ١٩١٥

نقلاً عن زين نور الدين زين الصراع الدولي في الشرق الأوسط ولادة دولتي سوريا ولبنان

لللللللل

من الشريف حسين الى السر ماكماهون

— ٣ —

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ « ٩ ايلول سنة ١٩١٥ »

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر ، سلمه الله .

بمزيد السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في ١٩ شوال وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الاساسية ، اعني نقطة الحدود .

وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم اخلاصنا نحو بريطانية العظمى واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشؤون ، وفي أي شكل ، وفي أية ظروف ويجب أن أؤكد لكم ايضاً ان مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم .

ويعذرني فخامة المندوب اذا قلت بصراحة ان « البرودة » و « التردد » اللذين ضمنهما كتابه فيما يتعلق بالحدود ، وقوله ان البحث في هذه الشؤون انما هو اضاعة للوقت ، وان تلك الاراضي لاتزال بيد الحكومة التي تحكمها ... ويعذرني فخامته اذا قلت ان هذا كله يدل على عدم الرضا ، او على النفور او على شيء من هذا القبيل .

فان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد تتمكن من ارضائه ، ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود ، وهو متفق باجمعه على هذا الاعتقاد .

وهذا ماجعل الشعب يعتقد انه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويعلقون عليها كل الآمال وهي بريطانية العظمى .

واذا اجمع هؤلاء على ذلك ، فانما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك ، وهم يرون انه من الضروري جداً أن تنظم الاراضي المجزأة ، ليعرفوا على أي اساس يؤسسون حياتهم ، كيلا تعارضهم انكلترة او احدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي الى نتيجة معاكسة ، الامر الذي حرمه الله .

وفوق هذا فان العرب لم يطلبوا — في تلك الحدود — مناطق يقطنها شعب اجنبي بل هي عبارة عن كلمات والقاب يطلقونها عليها .

أما الخلافة فان الله يرضى عنها ، ويسر الناس بها .

وأنا على ثقة ياصاحب الفخامة ، انكم لاتشكون قط بأني لست انا شخصياً الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب باسره ، يعتقد انها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية .

وبالاختصار فاننا ثابتون في اخلاصنا ، نصر بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع أكنتم راضين عنا — كما قيل — أو غاضبين !.. أما مايتعلق في قولكم ، بأن قسماً من شعبنا لايزال يبذل جهده في سبيل تأمين مصالح الاتراك ، فلا أظن ان هذا يبرر « البرودة » و « التردد » اللذين شعرت بهما في كتابكم فيما يتعلق بموضوع الحدود ، الموضوع الذي لااعتقد ان رجلاً مثلكم ثاقب الرأي ينكر أنه ضروري لحياتنا الادبية والمادية .

وانا حتى الساعة لاازال أنفذ ماتأمر به الديانة الاسلامية في كل عمل أقوم به ،

فالمؤسف بالحركة التي فيه من الفوائد بقدر جاري فيه من المحاذير اوله خشية لوم الوسطاء
كما سبق البيان الباهد عن حقائق الحالة بأننا شققنا عصاها وأبدنا قواها الطائي الما
تركيا مما صدقها جميع معاني قوى حربانا لجهلها عما اذا حصل وهن أحد دول الوئلاث
واجبها على صلح دولة الاتفاق فكيف تكون غلطة بريطانيا العظمى وحلفائها للائمة
الأمة العربية امام تركيا وحلفائها معا اذ لا يلزمنا ما اذا كنا والعنانية رئيسا الرأس
وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الأوجه ولا سيما عقد صلح يشترك فيه حربه بصورة
غير سيمه يحول للمتصالحين البحث فيه عن شؤونا

ثانيا ان الأمة العربية تعتقد يقينا ان العثمانية عند فتح أبواب الحرب سيبذلون كل
اعمالهم فيما يقضب الحرب ويقصف عمرها المادية والمعنوية وذهاب شعائرهم
واحسابكم وأعراضهم بكل معاني الاحتضاح حيا بقاؤها تحت النفوذ الالماني فلهم عازمون
على حربهم حتى لو يبقانا باقية وما يرى فينا الان من التأني فقد سبق بيان علته

ثالثا متى علمت العرب ان حكومة بريطانيا حلفائهم لا يتركونهم عند الصلح على حالهم امام
تركيا وحربانا وانهم بها صادقون لهم مدافعون عنهم الدفاع الفعلي فالدخول في الحرب من
الساعة لا شك انه مما يوافق المصالح العمومية العربية

رابعا افادتنا السابقة الصادرة بتاريخ ٩ شوال ١٣٣٣ نفى عن اعادة
القول في الاماره التالية والرابعة من مرسومكم هذا الموقر في خصوصات الهيئات
الحاكمة والمشاورين والموظفين سيما وقد صرحتم يا حضرت السلم بأنكم لا تتداخلون
في امور الداخلية

خامسا وصول الجواب الصريح القطعي في اقرب زمن على ذكر اعمده من الطلبات اذا نا
استعجلنا كما يقربنا اليكم من المسائل الحربية الذي لا يزاد به حقيقة جوهرية فانا
نفهم ان لغيرنا من هذه الحروب اما سعادة تفضي للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم
او الأضمحلال في سبيلها ولولا ما يتهم ، رغبتنا في عزهم لكنا خيرة العزلة في هذا
شؤون الشرق ولكن ابو علي يا عزيزي اعزك الباري بمرضاته الان يقودني
الى هذه الموافق ودم غانما سالما يا نجيبه وتوفيقه وحرر ٧ من بلكجه ١٣٣٤
5 Nov 1915

ملحق رقم (٤)

رسالة مكماهون إلى الشريف حسين بتاريخ ١٤ كانون الأول ١٩١٥

نقلاً عن زين نور الدين زين الصراع الدولي في الشرق الأوسط ولادة دولتي سوريا ولبنان

CERTIFIED TRUE COPY.

Assistant Oriental Secretary.
19.6.37.

BRITISH EMBASSY BAGHDAD

G.

Arabic Version of letter from Sir Arthur McMahon to King Hussein dated 14.12.15
(Despatch 172 of 14.12.15)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المجد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشرف المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين ادامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة ١٣٣٢ وسرني ما رايت فيه من قبولكم اخراج ولديتي مرسين [وأضنه] وأضنه من حدود البلاد العربية

وقد تلقيت ايضا بمزيد السرور والرضى تاكيدكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم اخليفه محمد بن الخطاب رضى الله عنه وغيره من السادة اخلفاء الاولين - التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء.

هذا وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الاخرين يعلم منه طبعا ان هذا يشمل جميع البلاد الداخله في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع ان تنقض اتفاقات قد ابرمت بينها وبين اولئك الرؤساء.

اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كلما ذكرتم بشانهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة - ولكن لما كانت مصالح حليفتنا فرنسا داخلة فيهما فالمسالة تحتاج الى نظر دقيق - وسنخابركم بهذا الشأن مرة اخرى في الوقت المناسب.

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فاخبرتكم مستعدة لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية وكل مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة وديه ثابتة كما وتصمم على ان صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرا ادق واتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.

واننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد ان ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا

(49)

ooooooooo

في الوقت نفسه نرى من الضروري جدًا ان تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على ان لا يمدوا يد المساعدة الى اعدائنا باي وجه كان. فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب ان يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام اي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك.

هذا وعربون على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين الف جنيه.

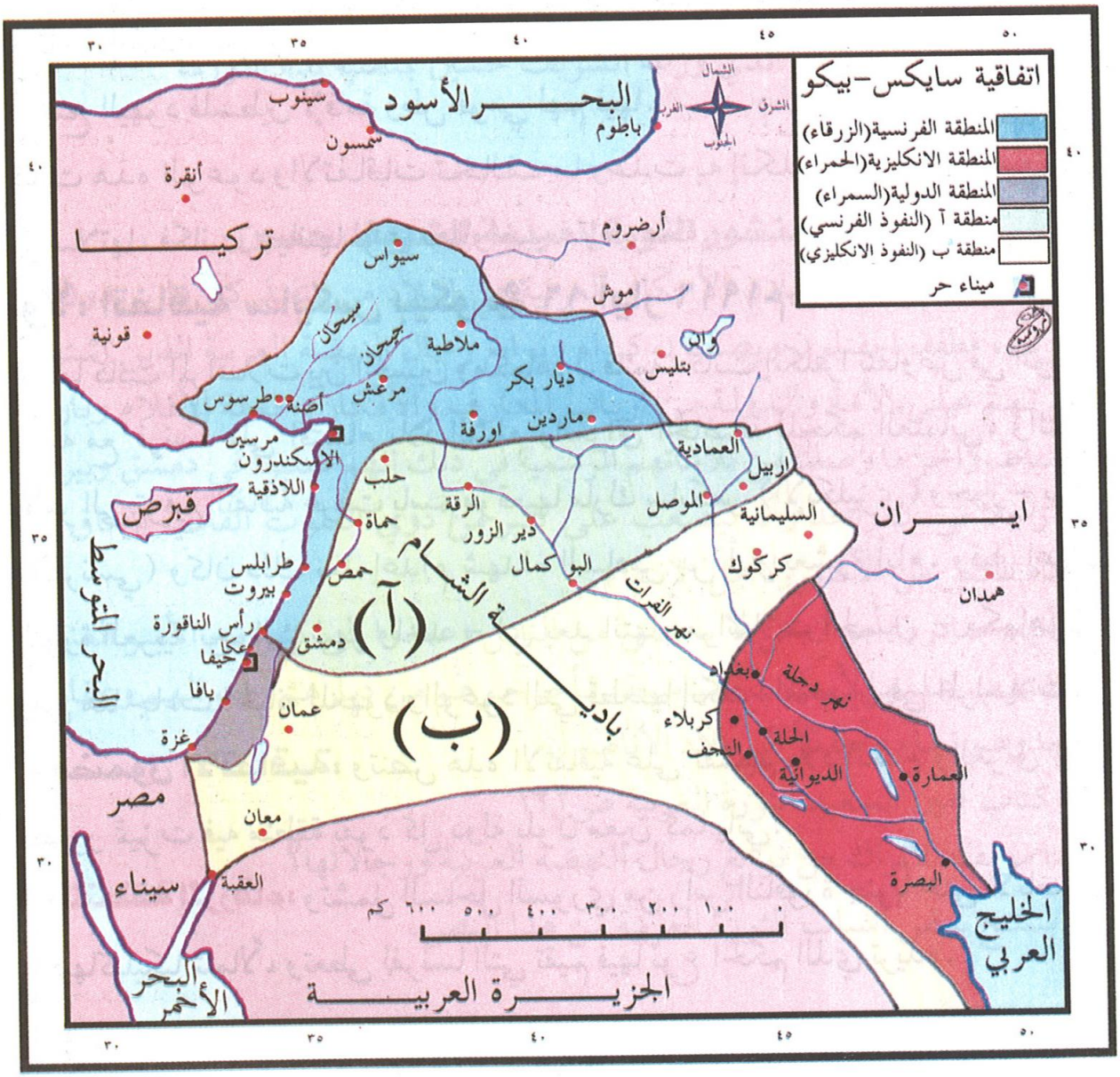
واقدم في اثناء عاطر التحيات الخالصة وخالص التسليمات الودية مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد اسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام.

تحريرًا في ٨ صفر ١٣٣٤ المخلص

نائب جلالة الملك بمصر
السير ارنولد هنري مكماهون

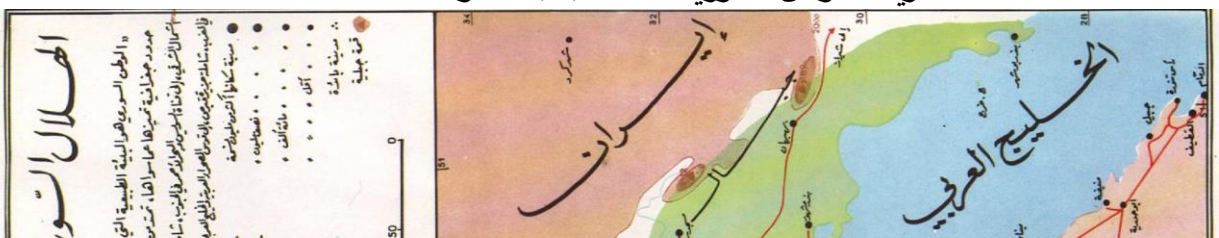
ملحق رقم(٥)

خريطة المشرق العربي وفق اتفاق سايكس- بيكو ١٩١٦



ملحق رقم(٦)

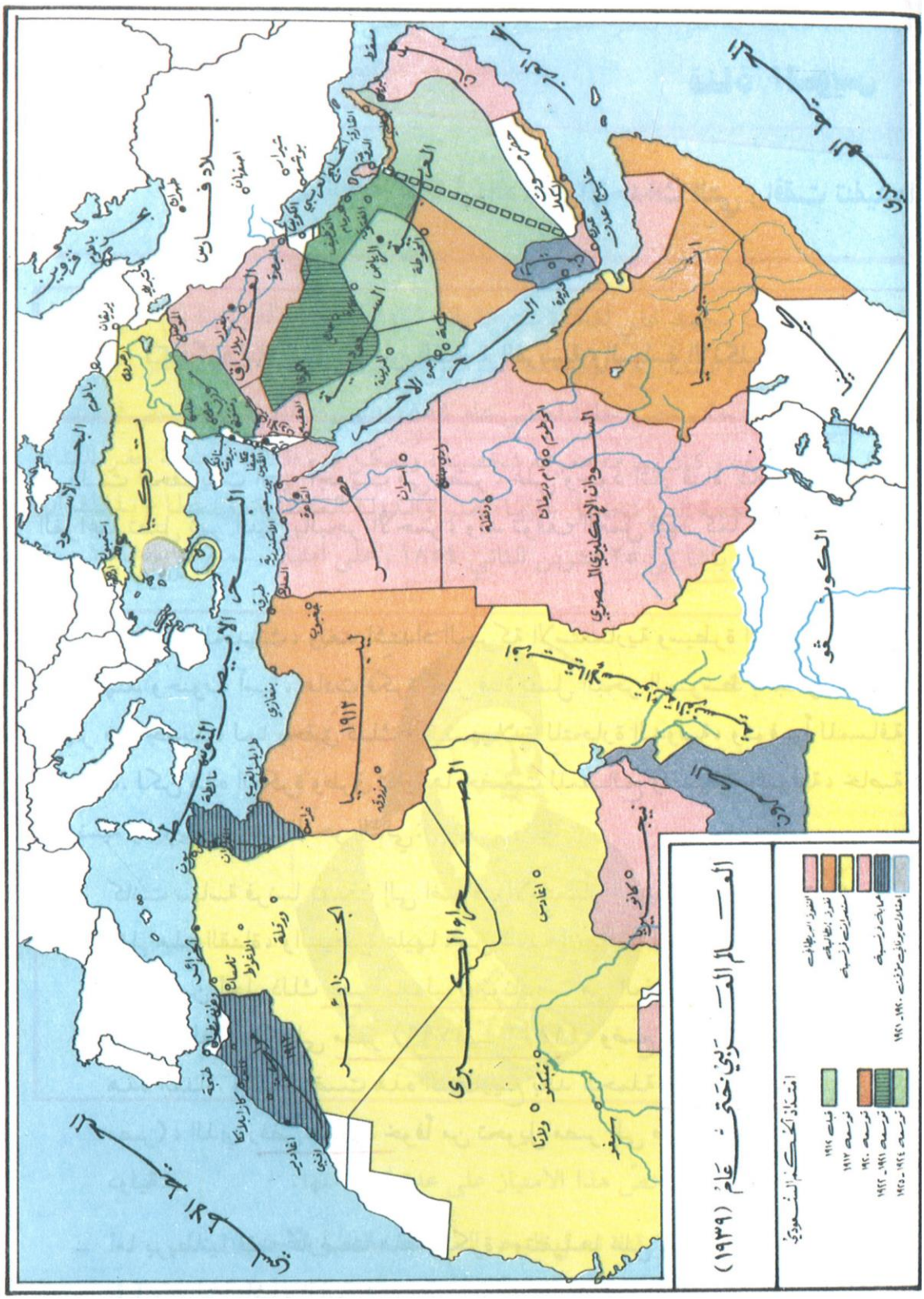
خريطة الوطن السوري كما طالب به أنطون سعادة ١٩٣٢



ملحق رقم(٧)

خريطة الوطن العربي كما طالبت به عصبة العمل القومي ١٩٣٣

أأأأأأأأأأ


المعالم المغربية حتى عام (١٩٣٩)
امتداد الحكم السنوسي
ليبيا ١٩١٢
الصحراء الكبرى
البحر الأبيض المتوسط
الحكومة
تركيا
بلاد فارس
الجزائر
السودان الإنجليزي المصري

ملحق رقم(٨)

من مقاله: اتجاهان في الحركة الوطنية العربية، الذي نشره خالد بكداش في المجلة الدولية الجديدة في عدد رقم ١١ الصدر في تشرين الثاني ١٩٥٩، يحلل فيه نظام الوحدة السورية –المصرية، ويحدد موقف الحزب الشيوعي السوري منه. نقتطف المقطع التالي حول الوحدة العربي [٨٤٩].

القومية العربية والوحدة العربية

إن الشيوعيين العرب، وسائر المناضلين التقدميين العرب، ليسوا أبداً ضد القومية العربية والوحدة العربية. بل هم، على العكس، إنما يريدون أن تتطور القومية العربية والوحدة العربية في الطريق الطبيعي، طريق التقدم والديمقراطية.

إن القومية العربية من حيث هي حركة ترمي إلى توحيد البلدان العربية برزت وتطورت في ظروف تاريخية معينة، خلال النضال ضد الاستعمار، وذلك ما جعلها تختلف عن قومية الأمم الأوروبية التي تكونت قبل عهد الاستعمار [٨٥٠].

يقول لينين: "إن في كل قومية برجوازية لأمة مظلومة مضطهدة، محتوى ديمقراطياً عاماً موجهاً ضد الاضطهاد. وهذا المحتوى هو ما نؤيده دون أي تحفظ" (من مقال "حق الأمم في التصرف بنفسها". المؤلفات الكاملة– المجلد ٢٠– الصفحة ٣٨٤، الطبعة الروسية).

وبالفعل اصطدمت القومية العربية دائماً، في كل خطوة من خطواتها، وفي كل بلد من البلدان العربية، بنير المستعمرين وحرابهم. وهذا ما أدى بشكل رئيسي إلى إبراز المحتوى الديمقراطي التقدمي للقومية العربية الذي تمثل في السعي للانعتاق من سيطرة الاستعمار، وفي التضامن مع قوى السلم في العالم بأسره.

واليوم، تريد الأوساط اليمينية طمس وقتل هذا المحتوى التقدمي للقومية العربية، وتحويل القوميين إلى حلفاء للاستعمار الأمريكي. غير أنه يجدر بالذين يحاولون هذه المحاولات أن يذكروا أن نوري السعيد نفسه زعم في زمانه أنه حامل لواء "القومية العربية" وجمع تحت هذا اللواء جميع العناصر الرجعية في العراق، ونادى بأعلى صوته، أن العدو الأول للقومية العربية هو "الشيوعية الدولية".

---

[٨٤٩] نقلاً عن : نداف عماد ، خالد بكداش يتحدث، دار الطليعة ن بيروت، ١٩٩٣، ص، ١٧٨–١٨٢

[٨٥٠] الاستعمار هنا (وفي كل مقال) بمعناه العلمي الحديث (الإمبرياليزم) وقد نشأ وأخذ يتطور في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ويسميه لينين: المرحلة العليا للرأسمالية حيث تسود الاحتكارات الرأسمالية الكبرى، ويتمتع تصدير الرساميل، ويحتدم النضال، بين الدول الرأسمالية العظمى لإعادة تقسيم الأسواق والمستعمرات فيما بينها مما يؤدي إلى اصطدامات عنيفة وحروب دورية.

وماذا يبقى من قومية أمة بقيت خلال أجيال وأجيال، مجزأة، أناخ عليها الاستعمار بنيره فأضعفها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. ماذا يبقى منها إذا هي تنكرت لمصالح ومطامح الجماهير الشعبية في بلادها، وإذا هي عزلت نفسها عن قوى التقدم في الميدان الدولي؟ إن مثل هذه القومية تتحول في مثل هذه الحالة، إلى حركة ضيقة، معزولة، وتصبح في النهاية ستاراً يخفي تحالف هذه الفئة مع الاستعمار.

إن الوقائع تثبت أن القومية العربية يمكن أن تكون قوة ذات شأن فقط في معمعان النضال العام الذي تشنه الشعوب العربية في سبيل تحررها.

إن فكرة الوحدة العربية تقوم على أساس واقعي. فالعرب ينتمون إلى قومية واحدة، ولهم لغة مشتركة، وثقافة مشتركة، كما تتطور لديهم العلائم الأساسية الأخرى المميزة للأمة، غير أن هنالك واقعاً تاريخياً هاماً هو أن العرب، منذ أن غابت من الوجود، الدولة العربية العظمى المتمركزة التي كانت عاصمتها أولاً دمشق وبعدها بغداد، عاشوا خلال مئات السنين في دول وأقطار مختلفة، ذات ظروف وأوضاع مختلفة. وقبل الحرب العالمية الأولى بمدة طويلة، انتزع المستعمرون أجزاء عديدة من العالم العربي وأخضعوها لنيرهم (مصر، السودان، بلدان المغرب العربي، عدن، إمارات جنوبي الجزيرة العربية...الخ). وبعد الحرب العالمية الأولى، استولى المستعمرون على العالم العربي بأسره.

ومن الواضح تماماً أن تحرر الأقطار العربية من سيطرة الاستعمار، هو الشرط الأولي الضروري لتوحيدها. وبالتالي، فالتضامن بين الشعوب العربية في النضال ضد الاستعمار، وتوحيد قواها للحصول على الاستقلال، يبقى العنصر الأساسي الحاسم في حركة الوحدة العربية. وعلى هذا، ينبغي أن يدخل في الحسبان اختلاف الظروف في البلدان العربية، ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار أن أشكال الوحدة يمكن أن تكون مختلفة، فليس من الضروري الحتمي أبداً في المرحلة الحاضرة أن تندمج جميع الدول العربية، من حيث هي دول، اندماجاً كلياً تاماً.

وأبرز مثال على ذلك هو لبنان. فحتى الغلاة من أنصار الوحدة العربية، أو أكثريتهم الساحقة، إن لم نقل جميعهم، يعترفون بوضع لبنان الخاص ويستثنونه من مختلف مشاريع الوحدة بين العرب. غير أن ذلك لا يعني أبداً أن لبنان بلد غير عربي، أو أن الوطنيين اللبنانيين لا يناضلون في سبيل إقامة أوثق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع سائر البلدان العربية.

ولنأخذ الآن بعض الأمثلة في البلدان التي تسعى إلى الوحدة مع الأقطار العربية الأخرى، أو حتى من البلدان التي توحدت مع غيرها كمصر وسوريا. إن في بعض هذه البلدان صناعة نسيج، غير أن تكاليف الإنتاج في أحدها أقل من تكاليفه في البلد الثاني،

فإذا لم يؤخذ ذلك بعين الاعتبار، فسيؤدي التوحيد المستعجل المرتجل إلى أن صناعة البلد الأول ستهدد صناعة البلد الثاني بالاضمحلال ويتحول الاحتكاك بين الفئتين من الصناعيين إلى احتكاك بين البلدين.

ومثال آخر: متوسط أجور العمال في سوريا (وسكانها أربعة ملايين) أعلى بمرتين وحتى، أحياناً، بثلاث مرات من متوسط أجور العمال في مصر(وسكانها ٢٣ مليوناً). فهل سيكون في المستطاع، بعد التوحيد، وخلال مدة معينة، رفع مستوى أجور العمال المصريين إلى مستوى أجور العمال السوريين؟ طبعاً لا. بل إن الذي سيحدث هو أن مستوى معيشة عمال البلد الأصغر هو الذي سينزل إلى مستوى معيشة عمال البلد الأكبر، أي ستسوء حالة العمال في سوريا، دون أن تتحسن حالة العمال في مصر، والرابح هو فقط فئة معينة من فئات البرجوازية المصرية.

ومثال ثالث: تكونت في سوريا تاريخياً تقاليد ديمقراطية (حرية الكلام والنشر والصحافة، وحرية الاجتماعات، وحرية النشاط النقابي، وحرية الأحزاب السياسية...الخ) ولم تبق وقفاً على فئة مختارة من الإقطاعيين أو البرجوازيين أو محترفي السياسة، بل تغلغلت هذه التقاليد الديمقراطية في الجماهير الشعبية التي مارستها للنضال في سبيل حقوقها ولمراقبة سلوك القائمين على الحكم. فهل من الممكن محو هذه التقاليد الديمقراطية بجرة قلم دون أن يحدث ذلك نفوراً واستياءً واحتجاجاً؟

في أواخر عام ١٩٥٨، كتب أحد "مفكري" حزب البعث زاعماً أن الظروف الموضوعية في سوريا، التي "ينوح" عليها الشيوعيون السوريون، هي "ظروف رجعية" (كذا!...) ولكن هل وجود صناعة في دولة عربية هو ظاهرة رجعية فينبغي أن تزال؟ وما هو الشيء الرجعي في ارتفاع مستوى أجور العمال؟ أم ربما أن الحريات الديمقراطية التي يمارسها الشعب هي كذلك أشياء رجعية فينبغي محوها؟

لقد مضى عام منذ ذلك الحين. وخلال هذا العام، فقد البعثيون، نتيجة سياستهم، كل ثقة لدى الشعب السوري، وأصبحوا في عزلة مطلقة حتى أن جمال عبد الناصر نفسه قرر أن يتخلص منهم بأمل أن يحرر تأييد بعض فئات من الساسة السوريين، خصوم حزب البعث. فبودنا أن نسأل اليوم قادة البعث: هل هم موافقون على جعلهم، هم أيضاً، في عداد "الظروف الموضوعية الرجعية"، التي ينبغي التخلص منها؟ يقول مثل سائر في سوريا "إن التجارب تفتح حتى أعين العميان". ولكن هل يصح هذا المثل على أعضاء حزب البعث؟

إن كل محاولة ترمي إلى تجاهل الظروف الموضوعية أو طمسها، مصيرها الفشل المحتوم. وقد كانت الدعاية المصرية، ودعاية حزب البعث، قبل الوحدة بين مصر وسوريا، تؤكد أن من الضروري، لنجاح الوحدة "تماثل" الأوضاع بين البلدين. وعلى هذا الأساس

برروا حل الأحزاب السياسية وحل البرلمان في سوريا، وبرروا القضاء على حرية الكلام والصحافة والاجتماعات والنقابات. وقالوا للشعب أنها "تضحيات تافهة"- ولكنها مؤقتة على كل حال- ولا قيمة لها بالمقارنة مع "الخيرات العظمى" التي ستجلبها الوحدة.

ماذا كانت هذه "الخيرات" وماذا كانت نتائج الوحدة بعد انقضاء ما يقارب السنتين عليها؟

لقد كان الاقتصاد السوري، قبل الوحدة، بوجه عام، في حالة تطور ونهوض. أما اليوم فإن سوريا، التي كانت قبلاً بلداً مصدراً للقمح، أصبحت تستورد القمح من الولايات المتحدة الأمريكية ومن إيطاليا وغيرها. وانخفضت المساحة المزروعة قطناً. أما زراعة الرز فهي في هبوط وانحطاط.

والتجارة تعاني الركود والكساد. أما الإنتاج الصناعي فهو في تقلص وهبوط مستمر. وفي صناعة النسيج، وهي الصناعة الرئيسية في سوريا، أوقفت كثير من المعامل الصغيرة والمصانع الحرفية أعمالها تماماً. وأخذت معامل النسيج في حلب، وهي تعد أكبر وأقوى المعامل في سوريا تقلص إنتاجها وتسرح عمالها شيئاً فشيئاً أو تشغلهم جزئياً. وهبط إنتاج الجلود والسكاكر والموبيليا وأفلس عدد من معامل الصابون. وشملت البطالة آلاف الناس، هذا عدا عشرات الألوف الذين هاجروا إلى الأقطار المجاورة وخصوصاً إلى لبنان سعياً وراء اللقمة. وقد صرحت مصادر رسمية في الحكومة اللبنانية أن عدد الشغيلة السوريين المهاجرين إلى لبنان بلغ خمسين ألفاً.

وهبطت قيمة النقد السوري، وتقلص التوظيف بشكل ملحوظ واتخذ تهريب الرساميل إلى الخارج نطاقاً واسعاً. وتفاقم الغلاء بشكل فاحش، وقد ارتفعت أسعار اللحم والسمن بصورة سريعة وبلغت حداً لم تعرفه سوريا منذ الحرب العالمية الثانية.

إن السبب الرئيسي لتدهور الوضع الاقتصادي في سوريا هو السياسة التي تكمن وراءها المطامع الأنانية للأوساط الاحتكارية من البرجوازية المصرية، التي لم تكن الوحدة مع سوريا في نظرها سوى وسيلة للاستيلاء على السوق السورية وإخضاع الاقتصاد السوري لمطامعها.

من أجل ذلك ينبغي أن يتوقف إنتاج القطن في سوريا أو، على الأقل، أن يصبح إنتاجه والتجارة به وتصديره وتحويله خاضعة كلياً لمصالح الماليين المصريين والرز السوري يجب أن يزول أمام الرز المصري. والنسيج السوري ينبغي إما أن يزول ويتخلى عن سوقه السورية وأسواقه التقليدية الأخرى في الأقطار المجاورة للنسيج المصري وإما أن ينتقل إلى قبضة الرأسمال المصري. وفعلاً فإن المنسوجات المصرية، نظراً لرخصها (بسبب انخفاض أجرة العامل المصري) أغرقت أسواق سوريا وأنزلت أضراراً كبرى بأصحاب مصانع النسيج

السورية. وبينما تقفل معامل النسيج السورية الصغيرة أبوابها، وبينما معامل النسيج الكبيرة مهددة كذلك بالمصير نفسه، يجري الاستعداد لإنشاء معمل نسيج جديد في الإقليم السوري يقوم على تمويله بصورة رئيسية بنك مصر.

ويعاني المثقفون السوريون ويلات البطالة، بينما يحل المعلمون والمدرسون المصريين محل السوريين في مدارس سوريا ومؤسساتها التعليمية.

إذا أضفنا إلى ذلك كله، تسريح ألوف الموظفين السوريين، المدنيين والعسكريين، تتمثل لنا الصورة الكاملة للوضع في سوريا ولما تمض بعد على الوحدة سنة ونصف السنة.

ويتساءل الشعب السوري عن مصير المشاريع التي نصت عليها الاتفاقات الاقتصادية مع بلدان المعسكر الاشتراكي. صحيح تم بناء مصفاة النفط في حمص التي بدأت تشيكوسلوفاكيا ببنائها قبل الوحدة ولكن أين المشاريع الكبرى الأخرى التي نصت عليها الاتفاقات السوفيتية السورية المعقودة عام ١٩٥٧. إن الناس في سوريا لا يسمعون أي شيء عنها، رغم مرور عامين على عقدها، هذا بينما يعلم الشعب السوري علم اليقين أن الاتحاد السوفييتي كان ولا يزال أميناً كل الأمانة لتعهداته. ومما يقلق الرأي العام السوري قلقاً عظيماً ما يرى في الصحف، بين حين وحين، من أنباء عن أن نية حكام القاهرة متجهة إلى إعادة النظر في هذه المشاريع أو تسليم تمويلها، إلى الدول الغربية.

أما من الناحية السياسية فإن سوريا تعاني اليوم حالة من الاستبداد المطلق لم تعرف لها مثيلاً في كل تاريخها الحديث. فقد عطلت وحلت جميع الأحزاب الوطنية، حتى مبادئ الدستور المؤقت التي أعلنها جمال عبد الناصر بصورة فردية فور قيام الوحدة، ألقيت في سلة المهملات. وحتى البرلمان المؤقت الذي كان ينبغي أن يعين رئيس الجمهورية نوابه تعييناً (على أن يكون نصفه على الأقل من نواب البرلمانيين السابقين المصري والسوري) ويبقى طوال مرحلة الانتقال، هذا البرلمان نفسه لم يؤلف رغم أن صلاحياته كانت محدودة جداً.

أما انتخابات الاتحاد القومي التي جرت في شهر تموز، فقد كانت مهزلة أتت ومضت دون أن تترك أي أثر ملحوظ في حياة الشعب. فاللجان المحلية التي تم "انتخابها" لا تعرف ما هي مهمتها ولا وظائفها. وعندما حاولت بعض هذه اللجان أن تمارس ولو شيئاً من النشاط، أفهمت بأنها تتطاول وتتجاوز "صلاحياتها" وأن السلطات نفسها تعرف ما لها وما عليها ولم تلبث أن دخلت هذه اللجان في عالم النسيان.

وثمة ألوف من خيرة أبناء الشعب، من خيرة الوطنيين الديمقراطيين: من العمال والفلاحين والحرفيين والضباط والمثقفين، من الكادحين بسواعدهم وأدمغتهم، يملؤون اليوم سجون سوريا ومصر. وغالبية هؤلاء المعتقلين (إذا استثنينا الـ٦٤ وطنياً مصرياً، الذي

حوكموا سراً في الإسكندرية خلال آب وأيلول من العام ١٩٥٩) يعانون عذاب الاعتقال والسجن دون أن يحالوا إلى المحاكم. وقد ألغيت في سوريا وظيفة قاضي التحقيق وأصبح البوليس هو المحقق الوحيد.

أما أساليب الإهانة والإرهاب والتعذيب المطبقة على المعتقلين فلا يمكن تشبيهها إلا بالأساليب الفاشستية: شك الدبابيس تحت الأظافر، التعرية والتغطيس في الماء البارد طوراً والساخن طوراً ثم الجلد حتى الإغماء، حرق أجزاء من الجسم بالنار، التعذيب بالكهرباء، نفخ البطن بإدخال أنبوب من خلف كما تنفخ دواليب السيارات، منع النوم بتسليط الأنوار الوهاجة على الوجوه أو بإحداث ضجيج مستمر، دفن المعتقلين حتى العنق في الأرض وهم أحياء... الخ.

وقد مات عدد من المعتقلين تحت التعذيب منهم: المعلمان سعيد الدروبي ومحي الدين فليون والطالب جورج عدس.

وتلجأ الشرطة السرية (المباحث) في الجمهورية العربية المتحدة إلى أساليب الغاتغستر. فقد اختطفوا من أحد شوارع دمشق المناضل البارز في الحركة التحررية العربية الرفيق فرج الله الحلو. وقد رفضت شرطة المباحث حتى مجرد الاعتراف باعتقاله. وقد جاءت الأنباء الرهيبة عن التعذيب الذي لقيه فرح الله الحلو وعن موقفه الباسل البطولي الجدير بمناضل شيوعي، فأثارت موجة عارمة من التأثر والاستنكار والاحتجاج بين الناس. وانطلقت في لبنان وكذلك في البلدان العربية الأخرى ولدى الرأي العام الديمقراطي العالمي حركة واسعة عظيمة تحت شعار: الحرية لفرج الله الحلو.

في خريف عام ١٩٥٨، حين بدأت تبرز وتتفاقم في سوريا المصاعب الاقتصادية والسياسية ولما تمض على الوحدة بضعة شهور، تقدم الحزب الشيوعي بمنهج سياسي كان من الممكن أن يكون أساساً صالحاً لبناء الجمهورية العربية المتحدة وتطورها.

لقد جاء في هذا المنهج المؤلف من ١٣ بنداً اقتراحات عملية واضحة: إقامة حكومتين في كل من الإقليمين السوري والمصري من الجمهورية العربية المتحدة (إلى جانب حكومة مركزية للجمهورية كلها تهتم بشؤون الدفاع والسياسة الخارجية وغيرها من الشؤون المشتركة)، تنظيم العلاقات الاقتصادية بين سوريا ومصر على أساس يؤدي إلى دعم التطور الاقتصادي، وخصوصاً الصناعي، في كلا الإقليمين، حياة برلمانية ناشئة من انتخابات عامة حرة، تأمين حرية الكلام والصحافة والاجتماع والأحزاب السياسية ونقابات العمال ومنظمات الفلاحين، إصلاح زراعي شامل يؤمن الأرض لجميع الفلاحين المحررومين منها ويضمن لهم وسائل استثمارها.

أما فيما يتصل بالسياسة الخارجية فيقترح المنهج: إقامة علاقات إخاء وتعاون وثيق مع الجمهورية العراقية –توطيد الصداقة مع اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وسائر بلدان المعسكر الاشتراكي لصيانة استقلال الجمهورية العربية المتحدة وضمان تطور اقتصادها الوطني، مقاومة مطامع المستعمرين، وخصوصاً، الاستعمار الأمريكي، حماية الاقتصاد من تغلغل الرأسمال الاستعماري، حماية الاقتصاد من تغلغل الرأسمال الاستعماري.

وقد أثار هذا المنهج الذي تقدم به الحزب الشيوعي، غضب بنك مصر، وانبرى جمال عبد الناصر في خطاب ألقاه في بور سعيد في ٢٣ كانون الأول ١٩٥٨ يتهم الحزب الشيوعي السوري بالانفصالية وبمقاومة الوحدة العربية والقومية العربية. تلت ذلك تدابير اضطهاد عنيفة كانت فاتحة الحملة الإرهابية الواسعة ضد القوى الوطنية الديمقراطية في سوريا ومصر. واضطر الحزب الشيوعي السوري للمرة الرابعة في تاريخه، الانتقال إلى العمل السري.

غير أن الشعب السوري، استقبل منهج الحزب الشيوعي بتأييد حار شامل، حتى أنه أصبح شبه ميثاق وطني للبلاد بأسرها.

ويرى جميع الوطنيين اليوم أن هذا المنهج قد عالج قضية الوحدة العربية بشكل صحيح، وأبان السبيل الناجع لإحباط مساعي الاستعمار الرامية إلى تحطيم وحدة العرب الوطنية وضرب العرب بالعرب.

خالد بكداش

أواخر أيلول ١٩٥٩

ملحق رقم(٩)

تحليل لنظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة أثناء الوحدة

أسباب الخلاف العقائدي بين حزب البعث وهذا النظام [٨٥١]

هذه النشرة صدرت عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في آذار عام ١٩٦٠ بمناسبة استقالة الوزراء البعثيين ولتوضيح أسباب الخلاف الذي قام بين الحرب وبين حكم عبد الناصر. وفي ما يلي القسم الأول من هذه النشرة:

- واقع الحكم القائم:

أ- قومية الحكم القائم:

لقد تجاهل الحكم القائم المنطق القومي في الوحدة الذي يعني تفاعل تجربتي قطري سورية ومصر في النضال والتنظيم والحكم وما ينتج عن هذا التفاعل من استخلاص لحسنات كل تجربة وتعميمها على مستوى القطرين معاً (مستوى الجمهورية كله)، ومن خلق لوسائل ونظريات جديدة في التنظيم والحكم والنضال القومي.

لقد عمد الحكم القائم إلى تمديد منطق ونظام الحكم اللذين كانا يسيّران القطر المصري قبل الوحدة على الإقليم السوري بكثير من القسر والجهل، وبإصرار متزايد، جمّد وهدّد بالتقلص والضياع منجزات شعبية وأساليب في التنظيم والحكم والنضال حققها نضال القطر السوري قبل الوحدة ورفع بها مستوى النضال العربي كله.

لقد مدّد في الإقليم السوري نظام الحكم الفردي الذي يعتمد على أجهزة الاستخبارات والدعاية والضغط، وجمدت حركة التنظيم النقابي والشعبي، بل قامت وما تزال محاولة خطيرة لتفكيك هذه الحركة وضربها... لتساير في الضغط والشلل التنظيمي النقابي والشعبي الموجود في مجاري قوانين إصلاحية نسبياً إذا قيست بما سبقها من قوانين رجعية وضرب الاتجاه العقائدي التقدمي الذي كان يسير في طريق تخطيط اشتراكي ثوري تعتمده بثقة انطلاقة البلاد على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والتربوي ويساعد في تركيز أسس سياسية قومية ودولية مناسبة، من أجل الحفاظ على "التخطيط" الارتجالي المتردد الذي يستعير شعارات تقدمية ويعطيها مضموناً إصلاحياً رجراجاً، والذي يعتمد على سياسة داخلية رجراجة غامضة، تضطر للمغامرة وتقع في أزمات وانتكاسات تزيد من غموضها وإساءاتها، وخطر انحرافها.

---

[١] أحمد عبد الكريم، حصاد، ص ٥١٩-٥٢٦.

لقد حصر تأثير تجربة القطر السوري على الجمهورية بمستوى إقليميها في أضيق الحدود الممكنة في الشعارات التي أصبحت تستخدمها دعاية الدولة، وفي صياغة القوانين الثانوية وركزت الأساليب السيئة المشتركة بين القطرين والتي عرفها القطر السوري لفترة وخلال حكم الدكتاتوريات العسكرية (تسلط أجهزة استخبارات الجيش واستخدام عملاء لهذه الأجهزة في بقية الأقطار لاستخدامهم في السياسة العربية والدولية للدولة). وقد ظهر في أكثر من مناسبة خطر ترسبات في فهم الوحدة العربية والمسؤولية القومية للجمهورية، كمجال حيوي وإستراتيجية سياسية بالنسبة لقطر مصر ولزعامة معينة.

ب- شعبية الحكم القائم:

إن الحكم في الجمهورية العربية المتحدة فردي يعتمد على شخص الرئيس وأجهزة المساعدين الفنيين وأجهزة الاستخبارات والدعاية والضغط.

إلى الوزارة المركزية هيئة ليس لديها أية مسؤوليات حقيقية أو أية صلاحيات، ويمكن أن توحي بأنها من مظاهر قومية الحكم (بحكم اختيار أعضائها من الإقليمين وصلاحياتها النظرية في حكم الإقليمين) أو يمكن أن توحي بأنها من دلائل القيادة الجماعية.

والحكم الفردي يعتمد على بعض الفنيين كمستشارين في الشؤون الاقتصادية وفي الاستخبارات والدعاية ومختلف شؤون الدولة دون أن يكون هنالك أساس عقائدي ومنطق سياسي لتوجيه دراسات الفنيين أو تقييم اجتهاداتهم. كما يعتمد أيضاً على الوزراء المركزيين والتنفيذيين في التنفيذ.

- الاستخبارات:

تلعب أجهزة الاستخبارات دوراً أساسياً في تأمين تبعية سائر وزراء الدولة والمسؤولين في أجهزتها والأجهزة الشعبية والنقابية، للحكم وانقيادها لأسلوبه وسياسته. ويتم ذلك عن طريق:

أ- إيجاد انقسامات بين المسؤولين في كل مؤسسة بين المؤسسات المختلفة.

ب- تسجيل أخطاء أو اتهامات على كل فئة وتهديدها بها أو بالضغط لتأمين تبعيتها أو التخلص منها في الوقت المناسب.

ج- محاولة المحافظة على توازن بين مختلف الفئات التي كونت الأسلوب يبقى على حاجة كل منها لدعم السلطات العليا، وذلك بتشجيع فئة على الأخرى دورياً.

لقد أصبح لموظفي الاستخبارات في مختلف دوائر الدولة والمؤسسات الأخرى، نفوذ تخريبي يظهر بتشجيع كل فئة من المسؤولين على مراقبة الفئة الثانية والطعن بكفاءاتها وانضباطها وإخلاصها للسلطات العليا والتناقض في التملق للسلطة والامتناع عن لفت النظر

للأخطاء أو تقديم اقتراحات إيجابية يمكن أن تفهم كانتقاد للوضع القائم، والامتناع عن الدفاع عن حقوق المواطنين ومصلحة الدولة، فضعف الإنتاج والتقدم في المؤسسات.

وقد أدى هذا الأسلوب إلى إبعاد العناصر الكفوءة التي رفضت السير في هذا الأسلوب أو انتقدته، عن أجهزة الدولة، كما أبعد جميع الذين لا ترغب السلطات بوجودهم لأي سبب من الأسباب، استناداً إلى تقارير توضع خصيصاً بتهم حزبية أو أي تهمة أخرى. وقد نقل بعض كبار الموظفين من الإقليم الجنوبي لتأمين انتظام أجهزة الحكم في الإقليم الشمالي وفق التوجه الجديد.

وبما أن خبراء سياسة الاستخبارات هذه والذين أثبتوا كفاءتهم فيها إخلاصهم للرئيس في ممارستها هم من المجرمين في القطر المصري، فقد شاهد مواطنو الإقليم السوري ضباط وموظفي أجهزة الاستخبارات المصرية يبرزون في كل دائرة ويدربون ويختارون الموظفين الجدد من أجهزة المكتب الثاني السوري ومن الموظفين الضعفاء والعناصر الانتهازية في كل عهد.

وهذا ما أفسح المجال لعناصر كثيرة بالتحدث عن "الحكم المصري" و"الاستعمار المصري"، كما أدت هذه السياسة في الحكم إلى شلل أو إبعاد العناصر الكفوءة والثورية والمضمونة الإخلاص للوحدة واتجاهها الثوري لأنها تؤمن بالوحدة اتجاهها الثوري وقد ضحت وما تزال على استعداد للتضحية من أجلها. لقد أبعدت الكفاءات التي رفضت أن تسير في هذا الأسلوب أو التي رأت أن واجبها يقتضي التنبيه إلى إخطار هذا الأسلوب، عن المراكز الأساسية في الدولة سواء في الإدارة والتخطيط الاقتصادي أو التوجيه الثقافي أو الصحفي أو مراكز الجيش، والمؤسسات الشعبية. وتجري الآن محاولات إبعاد بقايا هذه العناصر في النقابات أو الدوائر التي حال وجود وزراء "بعثيين" دون إبعادها حتى الآن.

- الدعاية:

ولقد رافق هذه السياسة في الإدارة، التي تعتمد على أجهزة الاستخبارات وعلى العناصر الضعيفة التي تشعر بأن ولاءها السلبي هو كل كفاءتها لاحتلال مركزها، رافق هذه السياسة الاعتماد على الدعاية لتغطية فشلها وصرف أنظار الرأي العام عن نواقصها، وتزيد ارتباط المواطن العاطفي بالدولة، عن طريق معلومات مبالغ فيها كثيراً عن مشاريع التصنيع تتجاهل أخطاء التطبيق، وعن طريق الدعاية في الصحف والإذاعة وأقواس النصر والرموز في كل مناسبة لمختلف الوزارات ومختلف الأعمال العادية، وعن طريق المبالغة الهائلة في الدعاية للانتصارات الحقيقية. وتبرر أخطاء هذه الأعمال في أن إشراف الدولة الكامل على وكالات الأنباء والصحف والإذاعة والجمعيات الثقافية، يوجه للسكوت عن النواقص والأخطاء والأزمات التي يساعد كشفها وانتقادها في تصحيحها والتغلب عليها.

- **الضغط:**

وقد رافق هذه السياسة بتعطيل جو الحريات العامة والخاصة في إقليمي الجمهورية، وتعدت صلاحيات المباحث حفظ سلامة الدولة، إلى الدفاع عن سياسة الحكومة، بل وتنفيذ رغبات أفراد الحكومة أحياناً، بأسلوب جاهل يتخطى السلطات القضائية في الدستور وفي شرعة حقوق الإنسان والحقوق المضمونة لكل شخص في الدستور. فالاعتداء على الأفراد وعلى البيوت والمؤسسات وحجز حرية الأشخاص وتعذيبهم حتى الموت يتم أحياناً دون تحقيق قانوني ودون تقديم للمحاكمة ودون ضمانات الدفاع عن النفس وإبداء الرأي بما لا يمس الأمن أو المصلحة العامة. إن هذه الأساليب التي هي من خصائص الدكتاتوريات اليمينية والشيوعية لا يمكن إقرارها في ظل نظام يفترض لنفسه التقدمية والإنسانية ولن يمكن أن تنجح في درء أخطار الفئات المتآمرة على مصلحة البلاد، أو العاملة لمصلحة دولة أجنبية، كما ينجح أسلوب التوجيه العقائدي الوطني والمحاكمات القضائية السليمة.

- **التنظيم الشعبي:**

ويحاول المسؤولون أن يطبقوا في إقليمي الجمهورية ليس فقط نظام الحكم المصري السابق بمعناه الإداري بل بمضمونه العام في الميدان الشعبي، متجاهلين تجربة القطر السوري والانتصارات القومية الكبرى التي حققها في ميدان العمل الشعبي.

فالنقابات العمالية والجمعيات المهنية المختلفة في الإقليم السوري التي حققت انتصارات كبرى ليس فقط لجماهير الطبقة الكادحة وإنما للبلاد كلها بربط نضالها من أجل مطالبها المهنية بمطالب الشعب القومية العامة. هذه النقابات يحاول المسؤولون خنقها وتحويلها إلى هيئات شكلية تابعة لمؤسسات الاستخبارات والدعاية كما هو وضعها الحاضر في الإقليم الجنوبي.

لقد صدرت تنظيمات تلغي حق الإضراب على جميع العمال والمهنيين، وتشل بالتالي سلاح العمال في حماية حقوقهم ضمن التنظيم الرأسمالي الذي ما يزال يطبع النظام الاقتصادي في الجمهورية العربية. وقد عقدت نقابات العمال مؤتمرات فرعية ومؤتمراً عاماً في الإقليم السوري أعلنت فيها تمسكها بحق الإضراب وقدمت قراراتها مع طلبات برفع الحد الأدنى للأجور في بعض محافظات الإقليم في مذكرات للمسؤولين وللرئيس.

كما أعلن عن تحضير تنظيمات نقابية جديدة بمناسبة عيد الوحدة تتضمن تفتيت النقابات إلى نقابات صغيرة متفرقة ووضعها تحت إشراف الاتحاد القومي.

وقد قدم العمال عرائض تبيّن وجهة نظرهم في ضرورة مشاركة العمال مع الحكومة بوضع تعديلات قانون العمال وبحرصهم على وحدة الحركة النقابية وتماسكها واستقلالها من أجل تدعيم أهداف الجمهورية والانسجام مع روح الثورة.

وتعرضت نقابات العمال في الإقليم السوري لعمليات استفزاز خطيرة من محاولة فصل مستخدمي الإدارات والمؤسسات التابعة للدولة عن التنظيم النقابي إلى محاولة التدخل الرسمي في انتخابات النقابات وفرض عملاء أجهزة الاستخبارات على النقابات، إلى اعتقال رئيس اتحاد نقابات عمال الإقليم السوري بسبب تدخله لمنع التزوير الرسمي للانتخابات النقابية. وقد استطاع العمال التغلب على جميع هذه الاستفزازات بسبب حكمتهم ووقوف وزير الشؤون الاجتماعية والعمل السابق "البعثي" إلى جانبهم ورده للتدخل في شؤون النقابات الذي كان يأتي من دوائر أخرى متجاوزاً صلاحياته وتمر أزمة العمال الآن في مرحلة حاسمة.

- الاتحاد القومي:

لقد كان الحزبيون السابقون في الجمهورية العربية يعتقدون عند قيام الوحدة وإلغاء الأحزاب أن الاتحاد القومي سيكون مؤسسة شعبية ثورية، تقوم مع المؤسسات الشعبية النقابية كنقابات العمال وجمعيات الفلاحين والمنظمات المهنية والطلابية الخ.. بدعم الاتجاه الشعبي والاشتراكي والديمقراطي للدولة الجديدة، عن طريق رقابتها على الحكم وتوجيهها له ومشاركتها في بناء المجتمع الاشتراكي الجديد وحمايته من الردة الرجعية وتنظيم الشعب لحماية اتجاه الدولة التقدمي وحماية الوحدة تجاه هجوم الرجعية العميلة في الأقطار العربية، وهجوم الاستعمار ومن أجل توسيع انتصارات الوحدة.

وكان يعتقد ذلك مع الحزبين السابقين داخل الجمهورية، الرأي العام العربي التقدمي خارجها، والرأي العام العالمي، الذي اعتبر الوحدة خطوة اشتراكية جماهيرية وسجلها انتصارات لحركة البعث وللاتجاه الشعبي العربي.

وقد ارتضى الحزبيون السابقون حل الحزب على أساس أن الاتحاد القومي سيكون المنظمة الشعبية التي تتسلم تحقيق أهداف الشعب كما عبّر عنها الحزب، في مرحلة سياسية جديدة تتطلب تنظيماً سياسياً جديداً. وقد أخلصوا لهذا الموقف وتوقفوا عن كل نشاط حزبي وانتظروا تكوين الاتحاد القومي على أسس شعبية ملائمة خصوصاً بعد أن أكّد المسؤولون المصريون قبل الوحدة فشل الأسس التي اعتمدوها في تنظيم الاتحاد القومي في مصر، ولأن النضج الشعبي في القطر السوري يساعد في تنظيم تجربة ناجحة.

ولكن الاتحاد القومي، كما صمم وكما حضر لأن يكون في الانتخابات المعروفة، كان بعيداً عن تحقيق ما هو منتظر منه.

لقد وضعت للاتحاد أهداف وصلاحيات محدودة حصرت مهمته في الدعاية لسياسة الدولة وتنفيذ خططها.

وأدت حملة الدعاية الرسمية ضد المرشحين من البعثيين السابقين، وتشجيع العصبيات العائلية والشعائرية والرجعية والإقليمية المعادية لهم بسبب مساهمتهم في تحقيق الوحدة

والانتصارات التقدمية السابقة، وحملة تحذير جماهير الفلاحين والعمال المثقفين من تأييدهم (لأنهم محابون من العهد) إلى انسحاب عدد كبير من المرشحين "البعثيين" واستقالة بعض الذين نجحوا منهم بالتزكية، احتجاجاً على حملة الدولة المعادية لهم وزوّرت النتائج من أجل إنجاح بعض العناصر التي ترغب الدولة في نجاحها ومن نجاح جميع الوزراء بعدد من الأصوات مدروس لكل منهم، بعد أن حجز الوزراء المركزيون في القاهرة بحجة اجتماعات روتينية للوزارة لمنع القادة الشعبيين بينهم من العمل في مناطقهم، ثم أمرهم بالتوجه إلى مناطقهم قبل الـ٤٨ ساعة من الانتخاب التي يمنع فيها النشاط الانتخابي.

وهكذا تكوّن الاتحاد القومي من أغلبية ساحقة من الموظفين والأشخاص الذين لا لون لهم ومن موظفي أجهزة الاستخبارات والدعاية.

وهذه الخطة التي اتبعت في تنظيم الاتحاد القومي مع سياسة الحكم هذه توضح منذ الآن نوعية مجلس الأمة الذي سيعين أعضاؤه في المستقبل القريب... وتؤكد أن ليس في الوضع الحاضر بذور التطور نحو الديمقراطية وإفساح جو الحريات العامة والخاصة الضروري لنمو ثقة المواطنين بأنفسهم وبمستقبلهم ونمو وعيهم وكفاءاتهم للحفاظ على مكاسب الوحدة وتوسيعها.

ملحق رقم (١٠)

النص الكامل لبيان رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي الدكتور عبد الله سعاده إلى القوميين الاجتماعيين بتاريخ ١٨ أيلول ١٩٦٠، في اطار التحضير لاستلام السلطة في لبنان، وقد حدد مفهوم الحزب للعروبة والتزامه بالقضايا العربية.[٨٥٢]

أيها القوميون الاجتماعيون:

([٨٥٢]) نقلاً عن جريدة البناء (بيروت) ، تاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٠.

تحييكم الرئاسة. وتتوجه إليكم في هذه الفترة القلقة من تاريخ أمتنا، لتؤكد ثقتها بكم، وتلفت نظركم إلى أهمية المسؤولية التي تتنكبون، وإلى الأمر الخطير الذي يرتقبه منكم التاريخ وتنتظر النهضة تحقيقه. لقد بدأ شعبنا يتنبه خلال نصف القرن الأخير إلى وضعه المتخلف وإلى الفراغ الرهيب الذي يدور فيه، والذي تدنت فيه حياته- عبر أجيال طويلة من التفسخ والانحطاط- إلى درك العيش الذليل والسعي المحموم وراء تأمين الاستمرار الفردي والعائلي. فانقطعت فيه الصلة بين حاضرة المتبلبل المستسلم، وبين ماضيه الحضاري المتوثب، وغابت عنه معالم شخصيته المتفوقة التي تعهدت العقل والمعرفة، وحملت مشعل الكرامة والحضارة إلى العالم يوم كان العالم لا يزال على مستوى العيش الغريزي، فبنت أسس العقل والمعرفة ودعمت قواعد القيم الإنسانية التي لا تزال ترسو عليها حضارة العالم المتمدن إلى اليوم.

وفي رهبة هذا الفراغ المؤلم، ووسط حالة اليأس والاستسلام اللذين كادا يعدمان ثقة الشعب بنفسه وبجدارته بالبقاء وبالتفوق، وبفاعل الخيوط الخفية التي تربطه بأصالته وحقيقته المدفونة تحت أردام الأجيال الانحطاطية، تمخضت نفسيته بتوق إلى الانعتاق والانطلاق وتحركت كرامته الدفين تريد التعبير عن نفسها وفرض وجودها. فبدأت تتلمس طريق الخلاص والتعبير، متطلعة إلى العالم الراقي- إلى ثقافته وعلمه ونظمه، فأقبلت عليه- تدرس وتتعلم وتغرف من معينه الغنى فكثر عندنا الأفراد المتعلمون- واستوردنا الفكر والفن والفلسفة، ولكن ذلك لم يشبع توقنا إلى التحقيق ولم ينقذ كرامتنا المهدورة، إذ بقي العلم اقتباساً واستيراداً وتراكماً، دون أن يفجر في النفس القيم الحياتية وفي العقل المجابهة والتحدي، ودون أن يتجسد فعلاً ًوينصهر حياة في الشعب- فزادت بلبلتنا، وتعمقت آلامنا، واحترق توقنا إلى التعبير عن حقيقتنا وعن نفسيتنا كأمة عقل ورسالة، وإلى الانطلاق إلى أجواء الكرامة القومية العزيزة.

وتطلعنا إلى نظم الحكم والعقائد نستوردها، فاستوردنا الديمقراطية البرلمانية نفرضها نظام حياة وحكم في أمة مجزأة جهلت هويتها، وفي شعب مفسّخ إلى تجمعات عائلية وإقطاعية وطائفية وعرقية، فأثبتت فشلها وعجزها، وكانت تذبح كل يوم بأيدي القيمين على تطبيقها وحياتها، واستهدفتها الثورات والانقلابات العسكرية- فبرهنت أنها بأشكالها وممارستها الحالية لم ترو غلة ولم تداو علة. واستوردنا الشيوعية الماركسية التي تمركزت في دولة من دول العالم، فما إن وصلت إلى الحكم أو لونته في الشام حتى أفلست الإفلاس الكلي، وأدت إلى الفوضى وانعدام الثقة. فتوهمت الشام أنها غير قادرة على الاستمرار في حكم ذاتها فاستسلمت لسراب القاهرة تبتغي الخلاص من الوضع المؤلم الذي تدهورت إليه- لأن الشيوعية خروج كلي عن نفسية أمتنا وخطها الحضاري العريق.

فالأمة التي بدأ العالم يدرك شخصيتها وفعل عقلها رغم تجاهل أو تآمر المؤرخين عليها لا تتسامح بأن تذوب قوميتها وشخصيتها فتخسر وجودها ويخسرها العالم.

ططططططططط

والأمة التي أدركت قيمة الوجود الإنساني الكامل، المادي- الروحي لا يمكن أن تجتزئ الوجود اليوم وتبني كيانها على أحد عنصريه.

واستوردنا الأحزاب السياسية والنظم الاقتصادية فلم يكن نصيبها من النجاح والصمود بأحسن من غيرها.

الوعي القومي

في فجر هذا السعي الحثيث التائه نحو الخلاص، وهذا الحنين للتعرف إلى شخصية الأمة ونفسيتها الخلاقة التي طمرت وجهلها عقل أبنائها، كانت النهضة القومية الاجتماعية، تنفض تراكم غبار الأجيال عن وجه الأمة، وتستمد روحها من مواهب الأمة وتاريخها، وتبعث شخصيتها من وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلي، وتؤمن له نظاماً جديداً- ليس مقتبساً من الغرب ولا من الشرق بل منبثقاً من شخصيته ونفسيته وحضارته: نظام فعل وإيمان وحياة، نظام تحقيق وتجسيد، نظام عقل ومعرفة وكرامة، أعاد العقل والمعرفة والكرامة إلى المهد الذي فيه ترعرعت ومنه انبثقت هادية معمرة- نظاماً أروى حنين الأمة وتوقها إلى معرفة نفسها والعودة إلى حقيقتها- نظاماً ألهب الكرامة الراقدة في نفوس الذين تفتحت نفوسهم وعقولهم على أجواء النهضة القومية الرحيبة المنيعة. فتآمرت على هذا النظام العناصر التي عاشت على وضع الأمة المتخلف والتي تعاقبت على حكمها وإذلالها- فأنزلت به من النكبات والمصائب ما لو حل جزء منها بأي حزب من الأحزاب لكان انطوى في عالم النسيان.

ولكن الحزب القومي الاجتماعي تحدى كل هذه النكبات ولا يزال حاملاً مشعل الخلاص- لأنه حزب الأمة- وتجسيد حقيقتها ولأنه يرتفع على زنود جبابرة لا يحبون الحياة إلا كريمة عزيزة عاقلة، ويحبون الموت في سبيل كرامة وعز الحياة.

حزب أمة تاقت إلى الخلود منذ وجودها- فبحثت عنه خارج المجتمع برسالاتها الروحية التي لا يزال العالم كله يتغذى من معينها- وجاءت اليوم تؤمنه في المجتمع معتبرة الحياة بقيمها ومضامينها ومدركة أن هذه القيم والمضامين التي تعطي الحياة معناها لا يجوز أن تنتهي بقبر الأفراد ولا في خزانات المكاتب. بل يجب أن يجد فيها الأفراد استمرارها وخلودها ونموها في المجتمع الخالد.

أيها القوميون الاجتماعيون

ليس إلا أنتم في هذه الأمة يكون أمراً أساسياً وجوهراً حقيقياً. أنتم خميرة الشعب التي لم تفسدها قرون الانحطاط والفساد. انبثقتم من نفسيته السليمة فكنتم منه عطاءه الخير المتجدد وكان بكم ينبوعاً لا ينضب.

فالعقائد المستوردة برهنت أنها ليست لنا ولا يمكن أن تعني لأمتنا قضية تساوي وجودها والتشكيلات السياسية والاجتماعية– التي تتنافس على الحكم في كيانات الأمة متظاهرة بالتقدمية والتحررية ومرتدية أثوابها– ليست إلا مظاهر جديدة للرجعية العقيمة التي أقعدت الأمة عن قضيتها وألهتها عن حقيقتها وثورتها. وما الانتصارات السياسية التي تحقق إلا انتصارات مزيفة تحمل بذور الفناء واليأس مع الانتصار المؤقت.

فلا خلاص للأمة– إلا بالنهضة القومية الاجتماعية التي تملأ الفراغ النفسي وتشبع ألتوق إلى التحقيق والكرامة– وتمثل الثورة الحقيقية التقدمية على الرجعية وعلى محاولاتها الجديدة.

إن عليكم أن تعوا هذا الأمر وأن تعدّوا أنفسكم لمرحلة التحقيق الكامل فلا تضيعوا في القضايا الصغيرة عن المطالب الكبيرة ولا تتلهوا بالقشور عن الجوهر. ولا تسمحوا للتراخي أن يعتري هممكم الثائرة في مرحلة نضالكم الحاسمة.

ولا تدوخوا إذا منيتم بفشل سياسي– كفشلنا بالانتخابات النيابية اللبنانية الأخيرة. فلا يلهينكم هذا الأمر عن إدراك الانتصارات الشعبية التي حققتم والتي هي عدة النهضة الحقيقية ودعامتها الدائم.

معالم الانتصار

من غايات أعمالنا السياسية إبراز نهضتنا القومية الاجتماعية وتوضيح قيمها ومضامينها وتفجير القوى النفسية الكامنة في الشعب خارج صفوف النهضة وتعويدها على السير في تيارنا، وتدريبها على العزة والبطولة في معاركنا الهينة– لكي تلبي نداء النهضة في المعارك الحاسمة.

في هذا الميدان، حققت الانتخابات النيابية التي خاضها الحزب، انتصارات شعبية ملموسة واضحة لا يتجاهلها إلا من يرى في النيابة غاية تضيع عندها كل الغايات التي من أجلها نخوض المعارك الانتخابية. أما فشلنا بالمقاعد النيابية فلم يكن إلا نتيجة لتضافر عديد من القوى الرسمية وغير الرسمية على محاربة الحزب بالتكتل، وبالضغط، وبالتزوير خوفاً على مصيرها ودفاعاً عن وجودها. وقد نجحت في هذه الدورة، إلا أن فعل تيار النهضة في الشعب وتحريك اهتمامه وكرامته قد بدأا يشيران بوضوح إلى حتمية انهيار هذه الجبهات وتدهورها وإلى سيرنا التصاعدي نحو الانتصار الأكيد.

إن الفوز بالمقعد النيابي– على أهميته عندنا– يبقى أمراً ثانوياً بالنسبة إلى تحريك الضمير الشعبي لدى حركة ثورية كحركتنا، تمثل الثورة الشاملة على الأوضاع والمفاهيم والنفسية البالية التي تحكمت بهذا الشعب مدمنة على إذلاله وإسكات ضميره.

وقد بدا لنا في المعركة الانتخابية بصورة أوضح– ما كنا نلمس من قبل من أن تلبية الشعب كانت أشمل وأعم لولا بعض الترسبات النفسية ولولا بعض التساؤلات التي زرعت في نفسه، والتي جعلت بعضه يقف بشيء من الريبة والجل، فعلينا أن نواجه هذه التساؤلات بوضوح

كلي وأن نعطى عليها الجواب الحاسم والصريح بالأسلوب الناجح- من خلال مبادئ نهضتنا القومية الاجتماعية.

الحزب والعروبة

إن عمل الحزب القومي الاجتماعي بالقضية السورية وانصبابه على توضيحها وترسيخها هو في الوقت نفسه العمل الإيجابي الحقيقي للعروبة ولإدراك قيمتها الكبرى.

فالأمة السورية هي قلب العروبة النابض وهي محورها- فيها انتقلت العروبة من المفهوم الديني إلى المفهوم التاريخي العلمي، ومنها أيضاً بعد أن تكتمل شخصيتها ويتركز مجتمعها الغني بتراثه وأصالته وإمكانياته- ستنطلق العروبة واضحة المعالم- صافية القصد- بناءة معمرة لكل الأقطار العربية- هادية العالم العربي إلى قيمة الرابطة العربية- التي تكمله وتصونه جبهة منيعة ضد كل الطامعين والعابثين به والمستغلين إمكانياته وخيراته.

فالعروبة رابطة قوة ومناعة لكل العالم العربي، لا حقل نفوذ وتسلط يسخر لخدمة قطر دون سواه ويستغل نبل العاطفة والرابطة والتاريخ- ليطعن العاطفة ويفصم الرابطة ويزور التاريخ.

إن في اكتمال شخصية الأمة السورية، وإرسائها على قاعدة الواقع الحياتي، قوة وكرامة لأمتنا، وقوة ومناعة للعروبة. وتدعيماً لقيمها ومضامينها التي فيها الخير والمناعة لكل الأقطار العربية في كل الظروف.

فالحزب القومي الاجتماعي لا يمكنه أن يتسامح بالعبث بهذه القيم وهذه المضامين في حمى الحماس العاطفي الذي لا يعقبه إلا خذلان عاطفي مخرب.

فنحن للعروبة، نحميها، ونصونها ونؤمن بها، ونحمي ونصون كل أقطارها ونؤمن بتدعيم مصالحها الحقيقية.

وإننا لن نتنازل عن مركزنا في العالم العربي ولا عن رسالتنا للعالم العربي.

وبقدر ما تكون قوتنا في أمتنا بقدر ما تكون فعاليتنا البناءة الإيجابية في عالمنا العربي نسهم في تحقيق الغاية الكبرى.

إن القوميين الاجتماعيين مدعوون في كل الظروف إلى تبني القضايا العربية الحقة- بإيمان وإيجابية والاهتمام بها بإخلاص وصدق- وإلى أخذ المبادرة في هذه الأمور كقضية الجزائر التي يعتبرها الحزب القومي الاجتماعي من القضايا العربية الرئيسية ويوليها اهتمامه الصادق وهو مستعد أن يعمل لنصرتها ونجدتها بكل إمكانياته ووسائله.

الحزب ولبنان

بدأ بعض عناصر الشعب في لبنان ينتقل من طور الخوف من النهضة على كيانه، وعلى نفسه وقيمه، إلى طور الإيمان بأن النهضة القومية الاجتماعية هي الضامن الدائم لما يحمله كيانه من قيم وتراث يغار على بقائها غيرته على بقائه.

غغغغغغغغغغ

وإن التيارات العاطفية الطائفية التي كانت تحاول فيما مضى الحفاظ على بعض هذه القيم ممسوخة ضمن هذه المؤسسات المجزئة للمجتمع، لم تعد بعد اليوم قادرة على الاستمرار، ولا بدّ لها من أن تنسجم في وحدة اجتماعية- تعبئ كل إمكانيات الشعب لخدمة مصلحة الشعب لا مصلحة طوائفه ومؤسساته المتناقضة.

ولكن بعض عناصر الشعب لا تزال تبدي تخوفها على لبنان وعلى التراث والقيم التي يحميها الكيان اللبناني من النهضة القومية الاجتماعية.

فيجب علينا أن نعلم ونُعلّم الشعب في لبنان بأن القيم ومنها الحرية التي يحصنون في لبنان تجد في النهضة القومية الاجتماعية حصنها ودرعها واكتمالها ووجودها الحقيقي، وإن الحصن اللبناني الذي يبنون بعزل لبنان عن محيطه- لئلا يضيع فيه- متوهمين بأن في ذلك قوة، هو هو، مصدر الضعف والوهن اللبنانيين ولا تكون قوة لبنان وتحصنه وضمانه إلا بالعمل للانسجام الفاعل- لا المنفعل المنصاع- مع محيطه لئلا يتعرض للأخطار التي تهدف إلى تذويبه وهدمه وليست سنة ١٩٥٨ وشهادتها الدامية ببعيدة عن ذكريات أحد.

وإننا نعلن أن الحزب القومي الاجتماعي يعتبر مسألة لبنان وأمره منوطين بإرادة شعبه- وهو يدافع عن هذه الإرادة بإيمان وإخلاص ويعمل على تدعيم استقلال لبنان وعلى تثبيت سيادة شعبه على أرضه ومقدراته.

ويعمل على صيانة حقوق لبنان من أن يعبث بها أحد من الداخل، إذ يهدف إلى توحيد وصهر كل عناصره في وحدة اجتماعية، وتخليصه من الرجعية والطائفية التي تفسخه وتشله وتلهيه عن مطلبه وعن دوره، ويصونه من الخارج بفعل النهضة القومية الفاعلة في كل محيط لبنان- في الأمة السورية بكاملها- فتشمله ويجد نفسه فيها بكل قيم الخير والحق والجمال، بأسمى وأمنع وأدوم مما يؤمنه منفرداً.

وقد أعطى الحزب القومي الاجتماعي شهادة الدم على غيرته هذه وعلى دفاعه المسؤول عن لبنان واستقلاله.

والقوميون الاجتماعيون مدعوون إلى بعث الطمأنينة في القلوب الوجلة وتوضيح نظرة الحزب الصادقة نحو لبنان واستقلاله بإيجابية وارتياح.

الحزب والعالم

إن العالم- بما فيه قوتاه التقليديتان الشرقية والغربية، قد بدأ يدرك بأن أمر تقرير مصير السلم العالمي أو الحرب العالمية كحل للصراع البارد أو الحامي بين الكتلتين المتصارعتين- لم يعد وقفاً عليهما دون سواهما.

فإن هنالك قوى أساسية بدأت تفرض رأيها وسياستها في العالم- كقوة الدول الأوروبية المنسجمة باتجاه وتعاون واضح.

وقوة الدول الأفريقية– الآسيوية التي لها وزنها والتي تطلب السلم ليتاح لها تحقيق أهدافها وتطوير نفسها إلى المستوى العالمي الراقي– فتقف في سياسة حيادية بين الشرق والغرب لتفصل الاحتكاك الحربي بينهما.

والحزب القومي الاجتماعي– لا يؤمن بحرب ليست له فيها مصلحة– ولا يؤمن بسلم يفرض الأوضاع الراهنة المتخلفة في أمته– ولن يكون مع الغرب من أجل مصالح الغرب ولا مع الشرق من أجل مصالح الشرق ولا ضد الغرب إكراماً للشرق ولا ضد الشرق إكراماً للغرب بل تقرر سياسته ومركزه مصلحة الأمة الحقيقية واعتراف القوى العالمية بهذه المصلحة ومساعدته على تحقيقها، مطمئنين إلى حضارتنا وقيمنا من أن يلونها الغرب أو الشرق واثقين من نهضتنا بأنها أمنع من أن تجرفها رأسمالية الغرب أو شيوعية الشرق. وإنها قادرة أن تقدم الحل المنشود للمشاكل الناجمة عن الرأسمالية الغربية وإجحافها بحق المنتجين وعدم تأمينها العدالة الاجتماعية إلى جانب محاولتها تأمين الحرية الشخصية الفردية، وعن الشيوعية وديكتاتوريتها الطبقية والمادية– وعدم تأمينها الحرية الشخصية إلى جانب محاولتها تأمين العدالة الاجتماعية المجتزأة.

ذلك أن النهضة القومية الاجتماعية تؤمن الحرية الشخصية وقدسيتها في كل الأمور المتافيزيكية الخارجة عن نطاق المجتمع وتؤمن الكرامة والخلود للذات الإنسانية– التي ترى الحياة قيماً ومضامين لا يجوز أن تحد بزمن حياة الفرد– بل تستمر حية نامية خالدة في الإنسان– المجتمع، في المجتمع الخالد.

وتؤمن العدالة الاجتماعية الشاملة، لكل أبناء الأمة دون اجتزاء، في مجتمع تغور عروقه في غزارة تربة الأمة ومادتها لتنطلق فروعه قيماً حية وروحاً هادية له ولسائر الأمم.

وإلى القوميين الاجتماعيين الذين تمردوا على المؤسسات وخرجوا على نظامها وعن طاعتها– وهدروا جهودهم خارج الحزب لأسباب وتفسيرات مختلفة متنوعة، وتبريرات برئة عند البعض وغير بريئة عند البعض الآخر، وإلى الذين غرر بهم واستغل إيمانهم وحماسهم.

وإلى الذين نصبوا أنفسهم حكماً مطلقاً في كل الأمور، فتمادوا في مهاوي الفردية وديكتاتوريتها المخربة.

وإلى الذين عجزوا عن تكوين رأي واضح حول قضية الحزب المستمرة بمؤسساته الدستورية المؤمنة استمراره حزباً سورياً قومياً اجتماعياً بفلسفته الشاملة، ونظامه المنبثق عن طبيعته ورسالته.

إلى هؤلاء الذين بغيرتهم الجاهلة يهدفون إلى الحلول الوسط والصلح العشائري المهدم للحزب وقيمه ورسالته ونظامه.

إليهم جميعاً أتوجه بالدعوة الأخيرة إلى الانتظام في صفوف الحزب.– تحت رايات الزوبعة بقيادة قائده ومعلمه وهديه، زعيمنا الخالد المستمر بمؤسساتنا الدستورية صفوفاً بديعة النظام موحدة الإرادة موحدة الهدف– قوية منيعة– واثقة مؤمنة– بالرسالة والوسيلة والهدف.

أدعوهم الدعوة الأخيرة– وأتوجه إليهم بهذا النداء المخلص المتسامح. فمن لبى منهم الدعوة خلال شهرين من تاريخ تبليغه وجد نفسه في حزبه وتحصن حزبه به ومن تأخر أو أحجم– فإنني وقد استأذنت المجلس الأعلى– سأعتبر هؤلاء المتأخرين المترددين المشككين مطرودين من صفوف حزبنا المنظم لأنني لا يمكن أن أقبل بأن يكون أي قومي اجتماعي بالحزب وخارجه بعد اليوم.

فتحلوا أيها الرفقاء بالشجاعة القومية الاجتماعية وبالثقة والإيمان والتواضع وتنازلوا عن المكابرة والعناد الفرديين– المنافيين لحقيقتنا ورسالتنا ونهضتنا– ولا تتخلفوا عن قافلة الحياة والبطولة فتموتوا أحياء وتموتوا أمواتاً– وتكونوا حجارة لقبر التاريخ مغمورة بالتراب.

أيها الرفقاء القوميون الاجتماعيون

تحلوا بفضيلة وقوة الإيمان وابتعدوا عن مهاوي الشك والريبة. ما أسهل طريق الشك– تسلكها القلوب العاجزة والعقول العاجزة التي تنقصها قوة التقرير وتعوزها الثقة بالنفس.

وما أصعب الإيمان المدرك وأجمله– لأنه يتطلب الوضوح العقلي والروحي وقوة التقرير.

عاملوا الناس بالإيمان والثقة إلى أن يثبتوا العكس، ولا تسمحوا لأنفسكم بأن تعملوا حسب حكمة الجبناء المترددين الذين يعاملون بالشك والريبة وسوء الظن إلى أن تثبت الثقة. الإيمان والثقة يبعثان الإيمان والثقة.

والشك والريبة يبعثان الشك والريبة وانعدام الثقة.

مارسوا الإيمان الواعي المسؤول بحزبكم ومؤسساته. فتصونوه بإيمانكم وتسلحوه بثقتكم عن الانزلاقات التي تعترض سيره دائماً.

وإذا ما لمستم أن مؤسساتكم قد وقعت في إحدى الانزلاقات، فثقوا أنه لا يصونها ولا ينجيها ويعيدها إلى الاندفاع في خطها وعملها غير إيمانكم وثقتكم التي هي قوتها ومناعتها.

ثقوا بالمؤسسات ضامنة تفادي الانزلاق وثقوا بالمؤسسات في كبواتها لكي تنتصر على كبواتها.

هذه هي مناقبنا وهذه هي أخلاقنا وهذه هي رسالتنا.

- فإلى العمل المثمر.
- إلى البناء والتعمير.
- إلى الانطلاق والانفتاح.
- إلى الثورة الشاملة.

- إلى النصر الأكيد.

الملحق رقم (١١)

ميثاق جامعة الدول العربية

إن حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية، و حضرة صاحب السمو أمير شرق الأردن و حضرة صاحب الجلالة الملك العراق، و حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية، و حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، و حضرة صاحب الجلالة ملك مصر، و حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن.

تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط بين الدول، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها، وتوجيها لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وأمالها، واستجابة للرأي العام في جميع الأقطار العربية. قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية، وأنابوا عنهم المفوضين الآتية أسماؤهم:
حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية قد أناب عن سورية، حضرة صاحب الدولة السيد فارس الخوري، رئيس مجلس الوزراء، وحضرة صاحب الدولة جميل مردم بك وزير الخارجية.

حضرة صاحب السمو أمير شرق الأردن، قد أناب عن شرق الأردن: حضرة صاحب الفخامة سمير الرفاعي باشا رئيس الوزراء، حضرة صاحب المعالي سعيد المفتي باشا، وزير الداخلية، حضرة صاحب العزة سليمان النابلسي بك، نائب سر الحكومة.

و حضرة صاحب الجلالة الملك العراق: قد أناب حضرة صاحب المعالي السيد أرشد العمري، وزير الخارجية، حضرة صاحب الفخامة السيد علي جودة الأيوبي، وزير العراق المفوض بواشنطن، حضرة صاحب المعالي السيد تحسين العسكري، وزير العراق المفوض بالقاهرة.

، و حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية، قد أناب عن المملكة العربية السعودية، سعادة الشيخ يوسف ياسين، نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية، سعادة السيد خير الدين الزركلي، مستشار مفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة.

و حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، قد أناب عن لبنان: حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامي رئيس الوزراء، سعادة السيد يوسف سالم، وزير لبنان المفوض القاهرة.

و حضرة صاحب الجلالة ملك مصر، قد أناب عن مصر: حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء، حضرة صاحب السعادة محمد حسنين هيكل باشا، رئيس مجلس الشيوخ، حضرة صاحب المعالي عبد الحميد بدوي باشا، وزير الخارجية، حضرة صاحب المعالي مكرم عبيد باشا، وزير المالية، حضرة صاحب المعالي محمد الحافظ باشا، وزير العدل، حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك، وزير المفوض بوزارة الخارجية.

حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن، قد أناب عن اليمن.

الذين تبادلوا وثائق تفويضهم التي تخولهم سلطة كاملة، والتي وجدت صحيحة ومستوفاة، قد اتفقوا على ما يلي:

مادة ١:

_تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق[٨٥٣] ولكن دول العربية مستقلة الحق ف أن تنضم إلى الجامعة، فإذا رغبت في الانضمام، قدمت بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة، ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب.

---

٨٥٣) انضمت إلى الميثاق تطبيقاً لهذه المادة الدول العربية الآتية: (١) المملكة الليبية المتحدة في ١٩٥٣/٣/٢٨. (٢) جمهورية السودان في ١٩٥٦/١/١٩. (٣) الجمهورية التونسية في ١٩٥٨/١٠/١. (٤) المملكة المغربية في ١٩٥٨/١٠/١. (٥) دولة الكويت في ١٩٦١/٧/٢٠. (٦) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية في ١٩١٧/٨/١٦. (٧) جمهورية اليمن الديمقراطية والشعبية في ١٩٦٧/١٢/١٢. (٨) دولة البحرين في ١٩٧١/٩/١١. (٩) دولة قطر في ١٩٧١/٩/١١. (١٠) سلطنة عمان في ١٩٧١/٩/٢٩. (١١) دولة الإمارات العربية المتحدة في ١٩٧١/١٢/٦. (١٢) الجمهورية الإسلامية الموريتانية في ١٩٧٣/١١/٢٦. (١٣) جمهورية الصومال الديمقراطية في ١٩٧٤/٢/١٤. (١٤) فلسطين في ١٩٧٦/٩/٩. (١٥) جمهورية جيبوتي في ١٩٧٧/٩/٤.

مادة ٢:

الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها، وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها.

كذلك من أغراضها تعاون المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الآتية: (أ) الشؤون الاقتصادية والمالية، ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك، والعملة، وأمور الزراعة والصناعة. (ب) شؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية، والطرق، والطيران، والملاحة، والبرق والبريد. (ج) شؤون الثقافة، (د) شؤون الجنسية، والجوازات، والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين، (هـ) الشؤون الاجتماعية، (و) الشؤون الصحية.

مادة ٣:

يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلي المشتركة في الجامعة، ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عد ممثليها.

وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة، ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات في الشؤون المسار إليها في المادة السابقة، وفي غيرها.

ويدخل في مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل، لكفالة الأمن والسلام، ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

مادة ٤:

تؤلف لكل من الشؤون المبنية في المادة الثالثة لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة، وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون وماده، وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها، تمهيداً على الدول المذكورة.

يجوز أب يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الآخرين ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين، وقواعد التمثيل.

مادة ٥:

لا يجوز الالتجاء إلى قوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة، فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق استقلال الدولة وسيادتها أو سلامة أراضيها، ولجأ المتنازعون على المجلس لفض هذا الخلاف كان قرار عندئذ نافذاً وملزماً. وفي هذه الحالة لا يكون للدولة التي وقع بينها الخلاف الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته.

ويتوسط المجلس في الخلافات الذي يخشى منه وقوع حرب بين دول الجامعة، وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها، للتوفيق بينهما. وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء.

ننننننننن

مادة ٦:

إذا وقع اعتداء من دول على دولة من أعضاء الجامعة، أو خشي وقوعه فللدولة المعتدي عليها، أو المهددة بالاعتداء، أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً. ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء، ويصدر القرار بالإجماع، فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة، لا يدخل في حساب الإجماع رأي الدولة المعتدية.

وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدي عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس، فلممثل بمجلس الدولة فيه أن يطلب انعقاد للغاية المبنية في الفقرة السابقة، وإذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة، حق لأي دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده.

مادة ٧:

ما يقرر المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة في الجامعة، وما يقرر المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله، في الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً نظمها الأساسية.

مادة ٨:

تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى، وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول، وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمي إلى تغير ذلك النظام فيها.

مادة ٩:

لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون أوثق وروابط أقوى مما نصّ عليه هذا الميثاق، أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض، والمعاهد والاتفاقات التي سبق أن عقدتها، أو التي تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى، لا تلزم ولا تفيد الأعضاء الآخرين.

مادة ١٠:

تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة أن يجتمع في أي مكان آخر يعنيه.

مادة ١١:

ينعقد ملس الجامعة انعقاداً عادياً مرتين في العالم في كل من شهري مارس وسبتمبر[٨٥٤]، وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة.

مادة ١٢:

---

[٨٥٤]) عدل موعد الاجتماع من أكتوبر إلى سبتمبر بقرار مجلس الجامعة رقم ١٥٠٨ بتاريخ ١٩٥٨/١٠/١٧ في دور الانعقاد العادي الثلاثين.

يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين، وعدد كاف من الموظفين، ويعين مجلس الجامعة بأكثرية ثلثي دول الجامعة الأمين العام، ويعين الأمين العام بموافقة المجلس، الأمناء المساعدين والموظفين بالرئيسيين في الجامعة، ويضع الجامعة نظاماً داخلياً لأعمال الأمانة العامة وشؤون الموظفين، ويكون الأمين العام في درجة سفير، والأمناء المساعدون في درجة وزراء مفوضين ويعين في ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة.

مادة ١٣:

يعين الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة، ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل كل سنة مالية ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة في النفقات، ويجوز يعيد النظر فيه عند الاقتضاء.

مادة ١٤: يتمتع أعضاء مجلس الجامعة، وأعضاء لأنها وأعضاء لجانها وموظفون الذين عليهم في النظام الداخلي بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم، وتكون مصونة حرمة المباني التي تشغلها هيئات الجامعة.

مادة ١٥:

ينعقد المجلس في المرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية، وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام. ويتناوب ممثلو ول الجامعة رئاسة المجلس في كل انعقاد عادي.

مادة ١٦:

فيما عدا الأحوال المنصوص عليها في هذا الميثاق، يكتفي بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة في الشؤون الآتية: أ- شؤون الموظفين، ب- إقرار ميزانية الجامعة، ج- وضع نظام داخلي لكل من المجلس، واللجان والأمانة العامة، د- فض أدوار الاجتماع.

مادة ١٧:

تودع الدول المشتركة في الجامعة، الأمانة العامة نسخاً من جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها أو تعقدها مع أية دولة أخرى من الجامعة أو غيرها.

مادة ١٨:

إذا أرادت إحدى، دول الجامعة أن تنسحب منها، أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة. ولمجلس الجامعة أن يعتبر آية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة، وذبك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليه.

مادة ١٩:

يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق، على خصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ولإنشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام.

ولا يبت في التعديل إلا في دور الانعقاد التالي للدور الذي يقدم فيه بالطلب، وللدولة التي تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذ، دون التقيد بأحكام المادة السابقة.

مادة ٢٠:

يصدق على هذا الميثاق وملاحقة وفقاً الأساسية المرعية في كل من الدول المتعاقدة، وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة، ويصبح الميثاق نافذاً من قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول.

حرر هذا الميثاق باللغة العربية في القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ في الأمانة العامة، وتسلّم صورة مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة.

ملحق خاص بفلسطين

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية، سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدول العثمانية، ومنها فلسطين، ولاية تلك الدولة، وأصبحت مستقلة بنفسها، غير تابعة لأية دولة أخرى، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها الشأن فيها، وإذا لم تكن قد مكنت من تولي أمورها، فإن ميثاق العصبة في سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذي وضعه إلا على أساس الاعتراف باستقلالها، فوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية أم لا تشك فيه، كما أنه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك ظلت محجوبة لأسباب قاهرة، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها أعمال مجلس الجامعة.

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الدول الموقعة على ميثاق الجامعة انه نظراً لظروف فلسطين الخاصة وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله [٨٥٥]. ولما كانت قرارات مؤتمرات الإسكندرية عام ١٩٦٤، ثم مؤتمر الجزائر عام ١٩٧٣، ومؤتمر الرباط عام ١٩٧٤، قد أكدت أن المنظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. ولما كان العمل في الجامعة قد جرى منذ عام ١٩٦٤ على مشاركة فلسطين، ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية في ميع أعمال الجامعة بمجالسها ولجانها ومنظماتها ومؤسساتها المختلفة، "فإن اللجنة توصي بقبول فلسطين، تمثّلها منظمة التحرير الفلسطينية عضواً كامل العضوية بجامعة الدول العربية".

---

٨٥٥) اتخذ مجلس الجامعة بتاريخ ١٩٧٦/٩/٩ القرار رقم ٣٤٦٢ الآتي نصّه الذي يقضي بقبول فلسطين، تمثلها منظمة التحرير الفلسطينية عضواً كامل العضوية بجامعة الدول العربية: يقرر المجلس الموافقة على توصية لجنة الشؤون السياسية الآتية: نظرت لجنة الشؤون السياسية في مذكرة وزارة خارجية جمهورية مصر العربية بشأن قبول فلسطين. تمثّلها منظمة التحرير الفلسطينية، عضواً كامل العضوية بالجامعة. ولما كان ميثاق الجامعة قد نصّ على شرعية استقلال فلسطين، وعلى اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة.

ملحق خاص

بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة

نظراً لأن الدول المشتركة في الجامع ستباشر في مجلسها وفي لأنها شؤونها يعود خيرها وأثرها على العالم العربي كله، ولأن أماني البلاد العربية غير المشتركة في المجلس ينبغي له أن يرعاها وان يعمل على تحقيقها، فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية، يعنيها بوجه خاص أن توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشتراك تلك البلاد في اللجان المشار إليها في الميثاق، بأن يذهب في التعاون إلى أبعد مدى مستطاع، وفيما عدا ذلك بألا يدخر جهداً لتعرف حاجاتها وتفهم أمانيها وآمالها، وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل السياسية من أسباب.

<u>ملحق خاص بتعيين الأمين العام للجامعة</u>

اتفقت الدول الموقعة على هذا النطاق على تعيين سعاد عبد الرحمن عزام بك أميناً عاماً لجامعة الدول العربية، ويكون تعيينه لمدة سنتين، ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة

ملحق رقم (١٢)

ميثاق العمل الاقتصادي القومي

١- انطلاقاً من الإيمان بالانتماء القومي للأمة العربية وبتراثها الحضاري ومصيرها المشترك وحتمية تضامنها في وجه التحديات دفاعاً عن وجودها ومستقبلها.

٢- وتعبيراً عن المسؤولية القومية لتحقيق وتأمين التنمية المتوازنة والأمن القومي والتحرر والأصالة في كامل الوطن العربي.

٣- واعترافاً بان العمل الاقتصادي يمثّل عنصراً رئيسياً في العمل العربي المشترك وقاعدة راسخة ومنطلقاً مادياً له وبأنه يشكل الأرضية الصلبة للأمن القومي الذي يتعزز بالتنمية المستقلة الشاملة وبأن جدوى العمل المشترك تتجاوز الجمع الآلي للعمل القطري.

٤- وإدراكاً لضرورة تهيئة الاقتصاد العربي بحيث يكون مهيئاً للمعركة المصيرية ضد التخلف والتبعية وان يعبأ في مواجهة العدوان الصهيوني والقوى المساندة له.

٥- والتزاماً بمبادئ التكامل الاقتصادي القومي والاعتماد الجماعي على الذات.

٦- وباعتبار أن من الضروري تنسيق السياسات الاقتصادية والمالية في الأقطار العربية بشكل فعال من اجل القضاء على أسباب التجزئة فيما بينها ومن أجل ترسيخ سبل التضامن بينها وبين الدول الإسلامية والإفريقية وبقية بلدان العالم الثالث في سياق الجهود الرامية إلى إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد.

٧- وحفاظاً على الثروات العربية القابلة للنضوب وعلى عوائدها التي أصبحت معرضة للعديد من المخاطر وبالنظر للدور الأساسي لهذه الثروات ولعوائدها في تحقيق أهداف الوطن العربي في التحرير والأمن والنهضة العلمية والتكنولوجية.

٨ – وإيماناً بان الإنسان العربي هو صانع التنمية العربية وينبغي أن يكون هدفها من أجل تنمية وتوفير فرص التعليم والتدريب له حرصاً على تسهيل انتقال العمالة والكفاءات داخل الوطن العربي وضبط هجرتها للخارج واستعادة الموجود منها في الخارج إلى الوطن العربي أو تعظيم الاستفادة منه في موقعه.

قرروا لكامل بهذا الميثاق وحشد جهودهم وطاقاتهم ومواردهم لتنفيذ اقتناعاً منهم بأن ذلك هو ضرورة حتمية لتعزيز القدرة العربية الذاتية التي تكفل للوطن والمواطن العربي حريته وكرامته وذلك على النحو التالي:

الباب الأول: في العلاقات العربية: تحييد العمل الاقتصادي:

تلتزم الدول العربية بتحييد العمل الاقتصادي العربي المشترك عن الخلافات العربية وإبعاد عن الهزات والخلافات السياسية الطارئة باعتباره الأرضية المشتركة لبناء التضامن العربي عن طريق المصالح المتبادلة ونسج الصلات العضوية والوشائج التي تحقق المنافع المتوازنة، وتتعهد جميع الأقطار العربية بالسعي لتحقيق أقصى حد من الاستقرار والتطوير للعلاقات الاقتصادية العربية أو تقليصها إلا بقرار من المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي وعند الضرورات القصوى المرتبطة بالمصالح القومية العليا المشتركة.

ثانياً: التعامل التفضيلي المتبادل:

أ– تلتزم الدول العربية بأولوية علاقاتها ومعاملاتها الاقتصادية بالنسبة لعلاقاتها مع العالم الخارجي.

ب– وتتكفل بمبدأ التعامل التفضيلي الكامل للسلع والخدمات وعناصر الإنتاج العربية ذات الهوية العربية المؤكدة "ملكية وإنتاجاً وإدارةً وعملاً".

ج– منح المعاملة التفضيلية التامة للمشروعات العربية المشتركة ذات الطبيعة والتكاملية.

ثالثاً: الالتزام بمبدأ المواطنة الاقتصادية العربية:

أ– معاملة رأس المال والعمل العربي بما لا يقل عن معاملة مثيليهما من أصل وطني في كل قطر عربي وبما يحقق الضمانات اللازمة والحوافز المناسبة لهما.

ب– تحقيق التوازن في الحقوق والامتيازات والتسهيلات التي تمنح لعناصر الإنتاج العربية المساهمة في التنمية العربية.

ج– تحريراً تنقل الأيدي العاملة العربية وضمان حقوقها وإعطائها التسهيلات اللازمة والمساعدات لتطويرها.

رابعاً: العمل قمن أجل التقليص السريع والفعال للفجوة التنموية والداخلية فيما بين الأقطار بالعربية وداخل كل قطر منها بما يكفل الاستقرار والانسجام الاقتصادي والاجتماعي

والعدالة الاجتماعية القومية وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية الفعالة في عملية التنمية العربية لتعزيز وتصحيح مسيرتها.

خامساً: اعتماد مبدأ التخطيط القومي للمشاريع العربية المشتركة كأسلوب لتوجيه وتنظيم وتطوير العمل العربي المشترك على النحو التالي:

أ- الالتزام الإستراتيجية العمل العربي الاقتصادي المشترك وعقود التنمية العربية المشتركة والخطط القومية المنبثقة عنها.

ب- الالتزام بأن تضمن كل خطة قطرية بالإضافة إلى عناصرها القطرية توجها يتمثل في تخصيص نسبة معينة من الموارد لتمويل مشروعات الخطة القومية.

سادساً: التزام بمبدأ التكافل الاقتصادي القومي ينبغي:

أ- تكافل الدول العربية كل بقدر طاقتها ووفقاً لما يقرره المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي في تمويل الحاجات العربية المشتركة ويشمل ذلك خاص احتياجات الأمن القومي وتنمية الموارد والطاقات البشرية ومشروعات البني الأساسية.

ب- التزام الأقطار العربية بالدعم الكامل لأي قطر عربي يتعرض لعدوان أجنبي أو لإجراءات اقتصادية مضادة بسبب ممارسته حقوق السيادة الوطنية أو لكوارث طبيعية وفقاً لما يقرره المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي.

سابعاً: الاتفاقيات الجماعية:

إعادة النظر في الاتفاقيات الجماعية المنعقدة في إطار الدول العربية بهدف تقييمها وتطويرها في ضوء المتغيرات العربية والدولية المستجدة على النحو الذي يحقق المزيد من الفاعلية لها لتحقيق أهدافها القومية وفي ضوء تجارب تطبيقاتها.

ثامناً: في المال والنقد.

أ- التعجيل باتخاذ الإجراءات الكفيلة بإطلاق حرية المعاملات الجارية العربية وفق أحكام اتفاقية صندوق النقد العربي.

ب- التوضيح التدريجي في استخدام الدينار العربي الحسابي وتهيئة الظروف الاقتصادية لخلق نقدية عربية.

ج- ربط رأس المال العربي داخل الوطن العربي بالهدف التنموي التكاملي.

تاسعاً: في التبادل التجاري.

أ- تحرير التبادل التجاري المباشر بين الدول العربية على أن يكون ذلك في إطار تنموي تكاملي يعزز القاعدة الإنتاجية وينوعها.

ب- منح المشروعات العربية التكاملية المشتركة معاملة تفضيلية تجاه بالمشروعات الأجنبية في الأقطار العربية ولاسيما من حيث التمويل والتسويق وفق قواعد يضعها المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي.

ج- التنسيق المسبق في دخول الأسواق الدولية لضمان الحصول على أفضل العروض للسلع الأساسية التي يقررها المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي وفق إستراتيجية عربية جماعية للتفاوض.

د- وضع سياسة عربية للتخزين الإستراتيجي السلعي بالنسبة لمجموعة من السلع الرئيسية المنتجة والمستوردة التي يحددها المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي.

عاشراً: المنظمات العربية المخصصة.

تطوير الهيكل التنظيمي لمؤسسات العمل العربي الاقتصادي المشتركة وأجهزته الشمولية منها والقطاعية وتقييم أدائها بهدف زيادة فاعليتها وتعزيز التعاون وأحكام التنسيق فيما بينها وإزالة أية ازدواجية ضارة وتحديد دور كل منها في إطار إستراتيجية العمل العربي الاقتصادي المشترك والخطط القومية التي توضع لتنفيذها واتخاذ كافة الوسائل لدعم في تحقيق المهام الموكلة إليها.

أحد عشر:

تعمل الأقطار بالعربية على أن يكون الهدف النهائي لأي تعاون وكامل اقتصادي عربي الوصول باقتصاديات الأقطار العربية على وحدة اقتصادية عربية.

الباب الثاني: في العلاقات الدولية.

ثاني عشر: وضع المصالح الاقتصادية في خدمة القضايا القومية.

ضرورة الالتزام العربي باستثمار القوة الاقتصادية العربية لصالح قضايانا القومية العربية وعلى الأخص منها القضية الفلسطينية وذلك وفقاً للسياسات والإجراءات التي يقررها الجامعة العربية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي.

ثالث عشر:التعاون مع الدول العربي.

ضرورة تعزيز التعاون العربي مع الدول النامية على أسس من التضامن وعلى نحو يدعم مجموعاتها التنموية ويعزز استقلالها الاقتصادي.

رابع عشر: النظام الاقتصادي الدولي الجديد.

أ- الإسهام العربي الفعّال من اجل إقامة نظام اقتصادي دولي جديد بهدف إقامة علاقات اقتصادية متكافئة وعادلة ومعمقة بين أطرافه وإلقاء التبعية ووقف استنزاف موارد العالم الثالث.

ب- اتخاذ كافة الإجراءات الفعّالة لمنع التسلل "الإسرائيلي" إلى الاقتصاديات العربية.

ج- الوقوف بحزم في مواجهة الدول المساندة للعدو الصهيوني.
د- دعم دول المواجهة ومنظمة التحرير الفلسطينية ودعم صمود الشعب العربي في الأراضي المحتلة.

(حرر هذا الميثاق بمدينة عمان في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر محرّم سنة ١٤٠١ هجرية الموافق للسادس والعشرين من شهر تشرين ثاني نوفمبر سنة ١٩٨٠ ميلادية من أصل واحد يحفظ لدى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وتسلم صورة مطابقة للأصل لكل من الدول الموقعة على الميثاق أو المنضمة إليه.)

ملحق رقم(١٣)
ميثاق الوحدة الثقافية العربية

استجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين أبناء الأمة العربية، وإيماناً بأن وحدة الفكر هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الوحدة العربية، وبأن الحفاظ على التراث الحضاري العربي وانتقاله بين الأجيال المتعاقبة وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الأمة العربية ونهوضها بدورها الطبيعي الإبداعي في مجال الحضارة الإنسانية والسلام العالمي المبني على أسس العدل والحرية والمساواة.

وتنفيذاً لما جاء في ميثاق جامعة الدول العربية، ومتابعة لما حققته المعاهدة الثقافية التي أبرمت بين الدول العربية في سنة ١٩٤٥.

واعتزازاً بانضمام أجزاء الوطن العربي إلى جامعة الدول العربية بعد خلاص هذه الأجزاء من رقبة الاستعمار.

وتطلعاً إلى استعادة العرب أراضيهم المقدسة المغتصبة واستكمالهم حريتهم في سائر أجزاء وطنهم وانطلاقاً لما حققه مؤتمر الذروة بين ملوك العرب ورؤسائهم من وحدة الهدف ووحدة الصف في مجالات واسعة من حياة الأمة العربية.

ولما للتعاون في ميادين التربية والثقافة والعلوم ورقيها من آثار فعالة في الإنسان والمجتمع العربي والقومية العربية على الصعيد العالمي. بما يؤدي إليه هذا التعاون من ضمان حقوق الإنسان العربي في التعليم والحرية والكرامة والرفاهية وتمكينه من الإسهام في خدمة مجتمعهم. وبما يؤدي إليه هذا التعاون من إبراز الشخصية العربية في المجال العالمي وقدرتها على الوقوف في وجه قوى الشر العالمية المتمثلة في الاستعمار والصهيونية، وإسهامها في إقرار السلام العالمي، وقيامها بدورها التاريخي في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها.

توافق الدول العربية على الميثاق التالي للوحدة الثقافية العربية.

ככככככככככ

المادة الأولى

يكون هدف التربية والتعليم:

تنشئة جيل عربي واعٍ مستنير، مؤمن بالله، مخلص للوطن العربي، يثق بنفسه وأمته، ويدرك رسالته القومية والإنسانية، ويستمسك بمبادئ الحق والخير والجمال، ويستهدف المثل العليا الإنسانية في السلوك الفردي والجماعي.

جيل يهيئ لأفراده أن ينموا شخصياتهم بجوانبها كافة، ويملكوا إرادة النضال المشترك وأسباب القوة والعمل الإيجابي، متسلحين بالعلم والخلق، كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي والسير به قدماً في معارج التطور والرقي، وفي تثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة، وتأمين حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة.

وتعمل الدول الأعضاء على رسم الفلسفة التربوية العربية التي تنهض بهذا الهدف العام، وعلى تعيين أهداف التربية في جميع مراحل الدراسة، وإبرازها في مجال العمل والتنفيذ بما يحقق ما تعقده الأمة العربية على تربية شبابها من آمال.

المادة الثانية

تتعاون الدول الأعضاء تعاوناً كاملاً في ميادين التربية والثقافة والعلوم وإرساء دعائمها على أساس من التكافل والتكامل، وتعمل بصفة خاصة على تنسيق أنظمتها التعليمية وتطويرها، وعلى تبادل الخبرات والمعلومات وثمرات البحوث العلمية والتقنية، وتبادل الأساتذة والمدرسين والخبراء، وقبول الطلبة بالمدارس والمعاهد والجامعات، وتقديم المساعدات التقنية والمشاركة في إنشاء معاهد البحوث ومراكزها، وعقد المؤتمرات والحلقات الدورية والتدريبية، وتيسير انتقال المطبوعات العربية، وتنسيق ألوان النشاط الرياضي والفني، وتحقيق التعاون بين الهيئات والمجالس المختصة بهذه الشؤون حكومية وغير حكومية.

المادة الثالثة

توافق الدول الأعضاء على تطوير الأجهزة الثقافية بجامعة الدول العربية (الإدارة الثقافية، معهد المخطوطات العربية، ومعهد الدراسات العربية العالية) إلى منظمة واحدة تشملها جميعاً في نطاق جامعة الدول العربية تسمى "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" وفقاً للدستور الذي يقره مجلس الجامعة بناءً على مقترحات المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية والتعليم لتتولى هذه المنظمة تنظيم الجهود المشتركة التي تقوم بها للدول الأعضاء في سبيل تحقيق هذا الميثاق وفقاً لدستورها.

المادة الرابعة

تعمل الدول الأعضاء على بلوغ مستويات تعليمية متماثلة عن طريق تنسيق أنظمة التعليم فيها، وبخاصة توحيد السلم التعليمي، وتوحيد أسس المناهج وخطط الدراسة، والكتب المدرسية،

ومستوى الامتحانات وقواعد القبول، وتعادل الشهادات، وأساليب إعداد المعلمين، وإدارة المؤسسات التعليمية.

المادة الخامسة

توافق الدول الأعضاء على تنسيق التعليم الجامعي والعالي، ومراكز البحوث والمعاهد الجامعية، فيما بينها بحيث يسهل تبادل الخبرات في هذا المجال، وتعمل الدول على توحيد الدرجات العلمية أو تعادلها، وعلى تنشيط البحث العلمي.

ويشكل مجلس أعلى لتنسيق التعليم الجامعي في الوطن العربي بالتعاون مع الجامعات العربية والجهات المسؤولة عن التعليم العالي، لتحقيق هذا التنسيق من جميع وجوهه.

كما تعمل المنظمة على إنشاء اتحاد للجامعات العربية، وتشجيع الجامعات العربية على الانتساب إليه.

المادة السادسة

تتعاون الدول الأعضاء على تطوير أنظمة التعليم فيها بالعمل على تحقيق إلزام التعليم في مرحلته الابتدائية على الأقل، ومحو الأمية، وتيسير التعليم الثانوي وتنويعه، وتمكين ذوي الاستعدادات من التعليم العالي، والعناية بالتعليم الفني على أن يتم ذلك ضمن مخطط عام يهدف إلى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد العربية.

المادة السابعة

تتفق الدول الأعضاء فيما بينها على تبادل إنشاء المعاهد العلمية والتعليمية والمراكز الثقافية في بلادها وخاصة المعاهد العلمية ذات التخصص الدقيق.

وتعنى بإصدار المجلات الدورية في مختلف ميادين العلوم.

المادة الثامنة

تعمل الدول الأعضاء على تنشئة الأجيال الصاعدة على التمسك بمبادئ الدين.

المادة التاسعة

توافق الدول الأعضاء على النهوض بتعليم البنات وفقاً للمبادئ الديني والقيم العربية والتقدم العلمي الحديث، مع مراعاة تزويد هذا التعليم بما تقتضيه رسالة المرأة بان تكون أماً ومواطنة صالحة في المجتمع لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما يتماشى مع مسؤولياتها في المجتمع.

المادة العاشرة

توافق الدول الأعضاء على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها، وعلى الأقل في المرحلتين الابتدائية والثانوية، وفي الوقت نفسه تعمل الدول

العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الأدبية والعلمية والفنية الحديثة، ومساعدتهم على إتقان الوسائل اللغوية التي تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة.

المادة الحادية عشرة

تعمل الدول الأعضاء في المجال الثقافي على تعريف أبنائها بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في سائر البلاد العربية، وذلك بواسطة الكتب المدرسية وبواسطة التليفزيون والإذاعة والتمثيل والصحافة وبغيرها من الوسائل، وبإنشاء متاحف للحضارة والثقافة العربية، وبإمدادها بما ييسّر نجاحها وبإقامة معارض دورية للفنون والمنتجات الأدبية ومهرجانات عامة ومدرسية في البلاد العربية.

المادة الثانية عشرة

توافق الدول الأعضاء على تأليف "الكتاب الأم" الذي يعد المرجع الرئيسي لما يؤلف من الكتب المدرسية في تاريخ البلاد العربية وحضارتها وجغرافيتها ولغتها وأدبها ومقومات المجتمع العربي.

المادة الثالثة عشرة

تؤكد الدول الأعضاء أهمية العناية بإعداد المعلم العربي روحياً بتزويده بالمبادئ الدينية والقيم العربية الأصيلة، وقومياً بتزويده بالثقافة العربية، ومهنياً بتزويده بأحدث النظريات التربوية وطرق التربية والتعليم، وعلمياً بتزويده بأساس علمي متين في مواد تخصصه، وذلك إيماناً بأن المعلم هو من أهم العوامل في تنفيذ السياسة التعليمية وتحقيق التطور القومي والإصلاح الاجتماعي.

المادة الرابعة عشرة

تساعد الدول الأعضاء، وفقاً لأوضاعها ونظمها الخاصة، على إنشاء منظمة للمعلمين في كل منها، لتعمل هذه المنظمات على ترقية مستوى المهنة التعليمية، ورفع مستوى المعلم العربي، على أن يجمع هذه المنظمات اتحاد المعلمين العرب.

المادة الخامسة عشرة

تتعاون الدول العربية فيما بينها على إحياء التراث العربي- الفكري والفني- والمحافظة عليه ونشره وتيسيره للطالبين بمختلف الوسائل، وعلى ترجمة روائعه إلى اللغات الحية، وعلى التعريف بالثقافة العربية الإسلامية، وبشؤون الفكر العربي وتيسير تعليمها في البلاد الأجنبية عامة وفي البلاد الإسلامية خاصة.

المادة السادسة عشرة

تعمل الدول الأعضاء على تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة وتنظيم تلك الجهود، كما تعمل على تنشيط الإنتاج الفكري في البلاد العربية بمختلف الوسائل، كإنشاء معاهد للبحث العلمي والأدبي وتنظيم مسابقات في التأليف ووقف جوائز على المتفوقين من أهل العلم والأدب والفن.

المادة السابعة عشرة

توافق الدول العربية على أن تسعى إلى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية، وعلى أن تساعد حركة التعريب بما يحقق إغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها، وذلك بالتعاون مع المكتب الدائم للتعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ليقوم برسالته على خير وجهة ممكن، وكذلك بالتعاون مع ما قد ينشأ من هيئات مماثلة.

المادة الثامنة عشرة

تعمل الدول الأعضاء على إنشاء مجلس للمجامع اللغوية تمثل فيه المجامع العربية والمكتب الدائم للتعريب والعلماء المتخصصون، ويعنى هذا المجلس على وجه الخصوص بتوحيد المصطلحات العلمية وتنسيقها ونشرها.

المادة التاسعة عشرة

توافق الدول الأعضاء على أن تعمل على توثيق الصلات بين دور الكتب فيها ومتاحفها العلمية والتاريخية والفنية بشتى الوسائل، كتبادل لمؤلفات والفهارس والقطع الأثرية ذات النسخ المتعددة، وتبادل الفنيين وبعثات التنقيب عن الآثار، كما تتعاون في مجال الكشف عن الآثار وصيانتها والتعريف بها والإعلان عنها وحسن استثمارها للأغراض التربوية والثقافية والعلمية.

المادة العشرون

تتعاون الدول العربية على تبادل الخبرات الثقافية الخاصة بالموسيقى والمسرح والسينما والفنون الشعبية والصحافة ووسائل الإعلام المختلفة، وتعمل على تسجيل هذه الفنون ورعايتها وتنسيق جهود العاملين فيها وتبادل خبراتهم.

المادة الحادية والعشرون

تعمل الدول الأعضاء على أن تضع كل منها تشريعاً لحماية الملكية الأدبية والعلمية والفنية لما ينتج في هذه الميادين في دول من دول الجامعة العربية.

المادة الثانية والعشرون

تتفق الدول الأعضاء على إصدار قانون إيداع المطبوعات وعلى إنشاء مراكز للتسجيل في كل دولة منها، على أن ترسل كل دولة إلى مراكز التسجيل في المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم بيانات وافية عن كل مطبوع، وفقاً لبطاقة خاصة موحدة يعدها المركز، ثم يقوم المركز بإصدار نشرات ببليوجرافية دورية تتضمن ما طبع في الدول الأعضاء.

المادة الثالثة والعشرون

توافق دول الجامعة العربية على تبادل الأساتذة والمدرسين والخبراء بين معاهدها العلمية بالشروط العامة والفردية التي تتفق عليها، على أن تعتبر مدة الخدمة لمن هو موظف حكومي من المدرسين أو الأساتذة أو الخبراء الذين يشملهم التبادل كأنها في حكومية، ومع حفظ حقه من حيث المنصب والترقية والتقاعد. وكذلك تيسر انتقال غير الموظفين وتعاقدهم تعاقداً فردياً مع الحكومات أو المؤسسات التي تحتاج إلى خدماتهم، على أن يتم ذلك عن طريق الجهة المختصة وتبعاً للأنظمة الموضوعة لذلك.

المادة الرابعة والعشرون

توافق الدول الأعضاء على تبادل الطلاب والتلاميذ بين مدارسها ومعاهدها التعليمية، وتيسير قبولهم، على قدر إمكاناتها، في المراحل والصفوف المناسبة ومع مراعاة الأنظمة المتبعة فيها.

وريثما يتحقق توحيد الأسس المشار إليها في المادة الرابعة من هذا الميثاق تعمل الدول، مع احتفاظها بأنظمة التعليم العامة فيها، على تعادل أو توحيد الشهادات في مراحل الدراسة المختلفة، ويمكنها أن تعقد اتفاقيات بعضها مع بعض لتيسير ذلك، وكذلك تقدم كل دولة التسهيلات الممكنة للدولة أو الدول الأعضاء التي ترغب في إنشاء بيوت لإقامة طلبتها فيها.

المادة الخامسة والعشرون

تتعاون الدول الأعضاء على تلبية الحاجات الثقافية في البلاد العربية التي تكون في حاجة إليها، وتتبادل المساعدات الفنية بعضها مع بعض.

المادة السادسة والعشرون

تعمل الدول الأعضاء على تشجيع الرحلات الثقافية والكشفية والرياضية بين البلاد العربية، وذلك في المناطق التي تسمح الحكومات بارتيادها، وفقاً لإمكاناتها، مع العمل على تيسير أسباب كل ذلك.

المادة السابعة والعشرون

تتخذ الدول الأعضاء الوسائل اللازمة للتقريب بين اتجاهاتها التشريعية التربوية والثقافية وتوحيد ما يمكن توحيده منها، وإدخال الدراسات القانونية المقارنة للبلاد العربية في مناهج جامعاتها ومعاهدها.

المادة الثامنة والعشرون

ززززززززز

تتعاون الدول الأعضاء على تنسيق جهودها في سبيل التعاون الثقافي الدولي وخاصة مع منظمة اليونسكو، وعلى تبادل الخبرات وتنظيم الاتصالات وإنشاء المؤسسات الثقافية في البلاد الصديقة.

المادة التاسعة والعشرون

يصدق على هذا الميثاق من الدول الموقعة بالتطبيق لنظمها الدستورية في أقرب وقت ممكن وتودع وثائق التصديق بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية التي تعد محضراً بإيداع وثيقة تصديق كل دولة وتبلغه إلى الدول المتعاقدة الأخرى.

المادة الثلاثون

يجوز للبلاد العربية التي ليست أعضاء في جامعة الدول العربية أن تنضم إلى هذا الميثاق بإعلان يرسل منها إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي يبلغ انضمامها إلى الدول المتعاقدة الأخرى.

المادة الحادية والثلاثون

يعمل بهذا الميثاق بعد شهر من إيداع وثائق التصديق عليه ثلاث دول من الدول الأعضاء.

المادة الثانية والثلاثون

يجوز لأية دولة ملتزمة بهذا الميثاق أن تنسحب منه وذلك بمقتضى إعلان يرسل إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، وينتج الإعلان أثره بعد سنة من تاريخ إرساله.

١٦ شوال ١٨٣٨

بغداد في ٢٩ فبراير (شباط) ١٩٦٤

المصادر والمراجع

ششششششششششششش

أولاً–المصادر العربية.

١- وثائق حزبية ورسمية.

– **أزمة حزب البعث العربي الاشتراكي من خلال تجربته في العراق**، دراسة تحليلية نظرية أعدتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي السابع ، دار الشعب ، د.ت.

– **الاتحادات الأخيرة وشؤون الساعة**، الحزب السوري القومي الاجتماعي، بيروت،١٩٥٨

- بحوث لباحثين مختصين، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، عمان، ١٩٨٩.

– **البعث. فكراً، تنظيماً، نضالاً**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

– **بعض المنطلقات النظرية** التي أقرّها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣. حزب البعث العربي الاشتراكي.

- **البيان السياسي للمؤتمر القومي** السابع ، حزب البعث العربي الاشتراكي اليساري، د.م، د.ن، د.ت. –

–**التقارير المقدمة إلى المؤتمر القومي الثامن**، القيادة القومية، وثائق رقم ٣، دمشق آذار ١٩٦٧، والتقرير التنظيمي

– جامعة الدول العربية، **محضر المؤتمر العام**، مطبعة فتحي سكر، القاهرة، ١٩٤٩.

– **فلسطين تاريخها وقضيتها**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، قبرص ١٩٨٣ .

– **قضية الحزب القومي** وزارة الأنباء اللبنانية، بيروت، ١٩٤٩

– **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، وزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني – ومؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٧٣ .

–**القوى السياسية في لبنان**، النادي الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠.

–**القيادة القومية "حركة القوميين العرب"**، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢ ، القيادة القومية التنفيذية، لجنة الإدارة ، تعميم حول الوحدة والانفصال، تشرين الأول ١٩٦١،ص٤ .

–**القيادة القومية،"حركة القوميين العرب"** مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، تعميم للجهاز القيادي بعنوان: حول إستراتيجية الحركة أو مخططنا للمدى البعيد، ١٩٦٤ .

–**الكتاب الأردني الأبيض**، الوثائق الوطنية في الوحدة السورية الطبيعية، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٤٧.

– **مجلس النواب اللبناني ، الدور التشريعي الخامس، العقد الاستثنائي الثالث، الجلسة الحادية عشرة**، تاريخ ١٩٤٤/١٠/١٤

–**محاضر مجلس النواب اللبناني**، ١٩٤٩/١/٢٥

– **محاضر محادثات الوحدة**، ج١وج٢، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٨.

–**مذكرات مجلس النواب السوري**، الدور الاشتراعي السادس الدورة الاستثنائية الرابعة، الجلسة التاسعة، تاريخ ١٩٥٦ ٧/٥.

– **مشروع التقرير السياسي المقدم إلى المؤتمر القومي الاجتماعي العام** (مخطوط)، الحزب السوري القومي الاجتماعي، بيروت، أول آب ١٩٩١.

– **معالم المسيرة النضالية**،القيادة القومية،حزب البعث العربي الاشتراكي، العيد الذهبي ١٩٤٧–١٩٩٧. دمشق ١٩٩٧ .

- **منشأ القضية الفلسطينية وتطورها**، الأمم المتحدة. نيويورك ١٩٩٠

– **المؤتمر القومي العام لبلاد الشام والعراق**– اللقاء التحضيري، ١٥–١٦ أيار ٢٠٠٩ مخطوط.

– **نضال البعث**، الجزل الأول، ١٩٤٣–١٩٤٩، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠.

– **نضال البعث**، الجزء الرابع، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٤ .

– **نضال البعث**، الجزء السادس، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٥.

– **نضال حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٣–١٩٧٥ دراسة تاريخية تحليلية موجزة**، القيادة القومية، دمشق، ١٩٧٨

– **نضال حزب العبث العربي الاشتراكي** ١٩٤٣ . ١٩٨٠، القيادة القومية، ١٩٨١.

– **الوحدة ثورة ومسؤولية** (منشورات حركة القوميين العرب)، ١٩٥٩

–الوثائق العربية ، ١٩٦٣ رقم ٦٨ مصلحة الاستعلامات ، القاهرة.

٢–سير وتراجم

– إسماعيل، فايز. **البدايات**، دمشق، حزب البعث العربي الاشتراكي، القيادة القومية، مكتب الدعاية والنشر، دمشق،١٩٨٠

– الحفار، سلمى الكزبري. **لطفي الحفار**، دار رياض الريس، بيروت ١٩٧٧ .

–الخوري، بشارة. **حقائق لبنانية من ١٠آب سنة ١٨٩٠إلى ١٨ أيلول ١٩٥٢**، ج٣،منشورات أوراق لبنانية، بيروت، ١٩٦١.

– الرزاز، منيف. التجربة المرة ، دار غندور، بيروت ١٩٦٧.

– رعد.إنعام، **الكلمات الأخيرة**، مذكرات ووثائق، مؤسسة إنعام رعد الفكرية، بيروت، ٢٠٠٢.

– نداف، عماد. **خالد بكداش يتحدث**، دار الطليعة، دمشق، ١٩٨٣.

– نداف، عماد، **نايف حواتمه يتحدث**، دار المناهل، بيروت، دار الكتاب دمشق، د.ت.

–عبد الكريم، أحمد. **حصاد**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.

– الفكيكي، هاني، **أوكار الهزيمة**، رياض الريس للكتاب والنشر، لندن، قبرص، ١٩٩٣.

– مطر، فؤاد، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ط٤، منشورات هاي لاين، لندن، ١٩٤٨.

- المالكي،رياض. **ذكريات على درب الكفاح والهزيمة**، مطبعة الثبات، دمشق، ١٩٧٢ .

– قدورة، أديب، **حقائق ومواقف**، دار فكر،، بيروت، ١٩٨٩.

ضضض

- السمان، مطيع. **وطن وعسكر**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.
- زكريا، غسان. **السلطان الأحمر**، دار آرادوس، لندن،١٩٩١ .
- قاسمية، خيرية. عوني عبد الهادي : أوراق خاصة ، **منظمة التحرير الفلسطينية**، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٤.

٣-منشورات وثائقية:

- أرشيف الأمانة العامة للجامعة العربية ملف ٣٣.
- خوري، يوسف. **المشاريع العربية الوحدوية١٩١٣-١٩٨٩**، مؤسسة دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠ .
- الخوند، مسعود. **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج ١-١٢ الشركة العالمية للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- الحكيم، حسن. **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي**، ١٩١٥-١٩٤٦، دار الصياد، بيروت، ١٩٤٧.
- حلاّق، حسّان. **مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦**، الدار الجامعي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.
- عطية الله، أحمد. **القاموس السياسي**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨ .
- **مسألة تعديل ميثاق الجامعة العربية** ، كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية، مركز الدراسات البحوث والنشر، تونس، ١٩٨١.
- **الموسوعة الفلسطينية** "القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٨٤

٤-الكتب

- إبراهيم، محسن. في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي، دار الفجر الجديد للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٢.
- **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين**، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية، "تحليل ونقد" دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠
- إبراهيم، سعد الدين. وآخرون. **مصر والعروبة وثورة يوليو**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٢.
- الأرسوزي، زكي. المؤلفات الكاملة، مطابع الإدارة السياسية للجيش، دمشق،١٩٧٣
- الأزهري، رياض. **النظام الفيدرالي للدول العربية وشروط تحقيقه**" البحاث، ج٦، بيروت ١٩٥٣
- الأشقر، يوسف. **عولمة الرعب**، د.ن، بيروت، ٢٠٠٢
- أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧
- أمين، جلال أحمد، **المشرق العربي والغرب، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية**، العربية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٠،
- الأنصاري، محمد جابر، **تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، ١٩٣٠-١٩٧٠** ، سلسلة عالم المعرفة، ٣٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠.
- أنيس، محد. و حراز، محمد رجب. **الشرق العربي في التاريخ العربي الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

ططططططططط

– الأورفة لي، جلال. **الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي**، المكتبة العصرية، بغداد، ١٩٤٤.

–البراوي، راشد. **مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥١.

– **من حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

– **الكتلة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.

– **اقتصاديات العالم العربي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.

– بركات، حليم. **المجتمع العربي المعاصر**، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤،

– بشارة، عزمي. **أن تكون عربياً في أيامنا**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.

– بطرس، أنطوان. **قصة محاكمة أنطون سعادة وإعدامه**، ب.ن، ط٢ ، بيروت، ٢٠٠٢.

– البيطار، نديم. **حدود الهوية القومية، نقد عام**، دار الوحدة ، بيروت، ١٩٨٢.

– بو فرحات، هدى. قصة **وتاريخ الحضارات بين الأمس واليوم**، Edito Creps INT، د.م،د.ت.

– التل، سهير سلطى. **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢.

– جبور، جورج. **الفكر السياسي المعاصر في سورية**، دار المنارة، بيروت، ١٩٩٣.

– الجندي، سامي. **البعث** ، دار النهار، بيروت، ١٩٦٩.

–الحافظ، ياسين. **الهزيمة والأيديولوجية المهزومة**، الآثار الكاملة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩ .

– الحسين، عبدالله بن. **مذكراتي١٨٨٢–١٩٥١**، الدار الأهلية، عمان، ١٩٨٩.

– حشاد، عدلي. وعبد الجواد، عطية. **سقوط الانفصال**، الدار القومية، القاهرة، د.ت.

– الحصري، ساطع. **الأعمال القومية لساطع الحصري**، سلسلة التراث القومي، ٣ أقسام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

– **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

–**يوم ميسلون. صفحة من تاريخ العرب الحديث**، مكتبة الكشاف، بيروت، ١٩٦٤.

–حماد، مجدي، **المنظمات الإقليمية ومسألة الوحدة، في الوحدة العربية تجاربها وتوقعاتها**، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٩.

–حماد، مجدي. **جامعة الدول العربية**، عالم المعرفة عدد ٣٤٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت،٢٠٠٧،

-حماد، مجدي، **العسكريون العرب وقضية الوحدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧

–حمادي، سعدون.وآخرون، **دراسات في القومية العربية والوحدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٤،

– حمدان، جمال. **إستراتيجية الاستعمار والتحرير**، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣.

– حمدان، حمدان. **أكرم الحوراني رجل للتاريخ**، دار بيسان، بيروت، ١٩٩٦.

– حمروش، أحمد. **قصة ثورة يوليو**،ج١–٤،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

ظظظ

.١٩٧٧-١٩٧٥
- حوراني، البرت. **الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩**، تعريب كريم عزقول، ط٤، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٦.
- خليل، محسن. **النظام الدستوري في مصر والجمهورية العربية المتحدة**، نشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠
- دروزة، محمد عزة. **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، الجزء الثاني، دائرة الإعلام والثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية.د.م، د.ت.
- دروزة، الحكم. **الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية**. منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، ١٩٦٣.
- دروزة، الحكم. والجبوري، حامد، **مع القومية العربية**،اتحاد بعثات الكويت، القاهرة، ١٩٥٨ .
- دندشلي، مصطفى. **حزب البعث العربي الاشتراكي**، ١٩٤٠-١٩٦٣، ط١، الإيديولوجيا والتاريخ السياسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩.
- الدوري، عبد العزيز. **التكوين التاريخي للأمة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
- دي طرازي، فيليب. **تاريخ الصحافة العربية**، ٤ أجزاء، المطبعة الأدبية، بيروت، د.ت.
- رافق، عبد الكريم. **العرب والعثمانيون**، ١٥١٦-١٩١٦، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧٤.
- الربيعي، فاضل . **كبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العرب**، منشورات رياض الريس، بيروت، ١٩٩٩ .
- رفلة، فيليب. و مصطفى، أحمد سامي. **جغرافية الوطن العربي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
- الروسان، ممدوح. **العراق وقضايا الشرق العربي القومية ١٩٢١-١٩٥٨**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
- الريحاني، أمين. **ملوك العرب. رحلة في البلاد العربية**، دار الجيل، بيروت،١٩٥١ .
- الزركلي، خير الدين. **الاعلام**، دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٨٠
- زريق، قسطنطين، **نحن والتاريخ:** مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩ .
- **معنى النكبة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٨.
- الوعي القومي: **نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي**، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٥.
- زودو، لوقا. **خفايا وملابسات المسالة الكردية**، د.ن، بيروت، ١٩٧٤.
- زيادة، معن. **تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى**، ط٣، ورقة قدمت إلى القومية العربية في الفكر والممارسة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤ .
- زين، زين نور الدين. **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**، دار النهار،بيروت، ١٩٧١.

ججججججججج

- سابا، عيسى مخايل. **الشيخ إبراهيم اليازجي**، سلسلة نوابغ الفكر العربي، ١٤، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٥ .
- سعادة، أنطون. **الآثار الكاملة**، الجزء ١-١٦ بيروت ، مؤسسة فكر للأبحاث، بيروت،١٩٧٥-١٩٨٩.
- **مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته**، عمدة الثقافة، بيروت، ١٩٩٤ .
- **المحاضرات العشر**، بيروت، ١٩٨٠
- **مختارات في المسألة الفلسطينية**، دار فكر، بيروت ١٩٩١
- الأعمال الكاملة، ج٥، **نشوء الأمم**، دار سعادة للنشر،بيروت، ١٩٩٩
- سعيد، أمين. **أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٠.
- ------ **الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، منشورات عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت.
- السعيد، نوري. **استقلال العرب ووحدتهم** : مذكرة في القضية العربية مع إشارة خاصة إلى فلسطين ومقترحات الى حل نهائي مربوط بنصوص جميع الوثائق المتعلقة بالقضية، د.ن، بغداد، ١٩٤٧.
- سلامة، غسان. **المجتمع والدولة في المشرق العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.
- السمان، أحمد. **اقتصاديات سوريا**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٥.

- السيد، جلال . **حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزقها**،دار اليقظة العربية، ط٢،بيروت، ١٩٧٣ .
- سيل، باتريك. **الأسد**، دار الساقي، لندن. وشركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
- شريف، محمد بديع. **النهضة العربية الحديثة**، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، كتبها محمد بديع شريف زكي المحاسني، أحمد عزت عبد الكريم، وضع خطتها وقام بترجمتها وترتيبها، محمد شريف غربال، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية،القاهرة، ١٩٦٠ .
- شعيب، علي عبد المنعم. **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء١٩١٨-١٩٤٦**، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤.
-شقير، محمد لبيب. **الوحدة الاقتصادية العربية**، ج٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦.
- الشقيري، أحمد. **الجامعة العربية كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية**، دار بو سلامة، ١٩٧٩، تونس ١٩٧٩.
- شكري، محمد عزيز. **جامعة الدول العربية ووكالاتها المتخصصة بين النظرية والواقع**، دار السلاسل، الكويت ١٩٧٥.
- شلاش، سعد مهدي، **حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٦**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٤.
- شوفاني، الياس. **الموجز في تاريخ فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠.

غغغغغغغغغغ

– الشيباني، أحمد. **القومية العربية في النظرية والتطبيق**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦.
– صايغ، أنيس. **في مفهوم الزعامة السياسية. من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر**، جريدة المحرر، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٥.
– الصلح، عادل. **سطور من الرسالة. تاريخ حركة استقلال قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧**، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦ .
– الصليبي، كمال. **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار، بيروت، ١٩٧٨.
–طربين، أحمد. **التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا**، سلسلة الثقافة القومية، ١٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص٣٠٥-٣٠٦.
–عازوري، نجيب. **يقظة الأمة العربية**، تعريب وتقديم أحمد بو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت،د.ت.
–عبد القادر، علي. **دراسة لظاهرة القومية في المجتمع العربي**، دار الاسفاري، القاهرة، ١٩٦٥.
–عبدالله، إسماعيل صبري وآخرون. **الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، وجامعة الأمم المتحدة، بيروت، ١٩٨٩.
–عبدالله، عبد الخالق. **العالم المعاصر والصراعات الدولية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩.
– عبد المولى، محمد. **الانهيار الكبير**، دار المسيرة، بيروت،١٩٧٧ .
– عبد الناصر، جمال: **فلسفة الثورة والميثاق**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.
–عبد الناصر، جمال. **الميثاق الوطني** ، الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٦٢.
– العجلوني، محمد سيف الدين، **معركة الحرية في شرق الأردن، وأقوال السياسة في سورية الكبرى**، مطبعة جودة، بابيل، دمشق ١٩٤٧.
–عصاصة، سامي. **أسرار الانفصال**، دار الشعب، القاهرة ، ١٩٨٩.
-العطار، نادر، **تاريخ سورية في العصور الحديثة**، ج١، مطبعة الإنشاء، دمشق ، ١٩٦٢.
–عفر، محمد عبد المنعم، **اقتصاديات الوطن العربي بين التنمية والتكامل**، دار المجمع العربي، جدة، ١٩٨٠.
–عفلق، ميشيل: **القومية العربية ومواقفها من الشيوعية**، دمشق، ١٩٤٤ .
– -------. **في سبيل البعث**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٥٩.
– ------- **في سبيل البعث**، دار الطليعة، بيروت ط٣، ١٩٦٣ .
– ------- **البعث والاشتراكية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣ .
– العقاد، د. صلاح: قضية فلسطين: **المرحلة الحرجة (١٩٤٥-١٩٥٦)**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٨.
–علوش، ناجي. **الثورة والجماهير، مراحل النضال العربي ١٩٤٨ . ١٩٦١ودور الحركة الثورية**، ط٢. دار الطليعة، بيروت. د.ت
–عليوي، هادي حسن. **الإتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي ١٩١٨-١٩٥٢**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠ .

- العمر، فاروق صالح. **الأحزاب السياسية في العراق١٩٢١-١٩٣٢**، مركز دراسات الخليجالعربي، بغداد، ١٩٧٨.
- عيد، عبدالرزاق. وعبد الجبّار، محمد. الديمقراطية بين العلمانية والإسلام، حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠.
- عيساوي، شارل. **التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب، ١٨٠٠-١٩١٤**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠.
- العيسمي، شبلي. **حزب البعث العربي الاشتراكي، مرحلة الأربعينات التأسيسية،١٩٤٠-١٩٤٥** ، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٧٥ .
- الغانم، وهيب. **الجذور الواقعية والفكرية لمبادئ البعث العربي**، دمشق- اللاذقية، ١٩٩٤
- غلات، عبدالكريم. **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير**، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.
-فارس، نبيه أمين. **رأي في الوحدة العربية** -دراسات عربية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٧.
- فرح، محمد. **الأمة العربية على الطريق إلى وحدة الهدف: تاريخ الأمة العربية منذ الاحتلال العثماني إلى مؤتمر القمة العربية ١٥١٤-١٩٦٤**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.
- فرزات، محمد حرب. **الحياة الحزبية في سوريا**، دار الرواد، دمشق، ١٩٥٥.
- قاسمية، خيرية، **تطورات القضية الفلسطينية (١٩٤٥-١٩٥٦) على الصعيدين الفلسطيني والعربي، القضية الفلسطينية والصراع العربي-الصهيوني**، الجزء الثاني، القسم الأول، بحوث لباحثين مختصين،إتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، عمّان، ١٩٨٩
- قدورة، زاهية. **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- القرعي، أحمد يونس، **منظمة العمل العربية وقضاياها العاجلة** ، ص ١٣٨ - ١٤٣.
- قلعجي، قدري. **الثورة العربية الكبرى١٩١٦-١٩٢٥**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٤.
- الكبيسي، باسل. **حركة القوميين العرب** ،ط٣ و ط٤، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥ .
-الكعكي، يحي أحمد، **مقدمة في علم السياسة**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣
- الكواكبي، عبد الرحمن. **الأعمال الكاملة**، نشر محمد عمارة، القاهرة، ١٩٧٠.
-**طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٣. ١٩٥٧ .
- كوثراني، وجيه. **الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي**، ١٨٦٠-١٩٢٠، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٢.

- مجموعة مؤلفين، **تاريخ الأقطار العربية المعاصر ١٩١٧-١٩٧٠**، دار التقدم، موسكو،١٩٧٥.
- مجموعة مؤلفين. **الأحزاب السياسية في العالم العربي**، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ٢٠٠٦ .
- المحاسني، زكي. **النهضة العربية الحديثة**، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، كتبها زكي المحاسني، محمد بديع شريف، أحمد عزت عبد الكريم، وضع خطتها وقام بترجمتها وترتيبها، محمد شريف غربال، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية ، القاهرة، ١٩٦٠ .
- محافظة، علي. **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية١٩١٩- ١٩٤٥ ومواقف**

ققققققققققق

الدول الكبرى من الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- ------- **فرنسا والوحدة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٨.
- المحامي، محمد فريد بك. **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.
-محمد، نجاح، **الحركة القومية العربية في سورية**، الجزء الأول، دار البعث، دمشق، ١٩٨٧.
- محي الدين، جهاد مجيد. **العراق والسياسة العربية، ١٩٤١-١٩٥٨**، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، بغداد ١٩٨٠.
- المدني، سليمان. **هؤلاء حكموا سوريا**.دار الأنوار، دمشق-بيروت، ١٩٩٦.
-مراد، أحمد فارس، **بعض قضايا التعاون الاقتصادي العربي**، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق ١٩٧٤.
- مراد، محمد عدنان. **بريطانيا والعرب**، دار طلاس، ط١، دمشق ، ١٩٨٩ .
- مرقص، الياس. **تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.
- **المشروع النهضوي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠.
-مطر، جميل. وهلال، علي. **النظام الاقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية** ، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣.
- المعلم، وليد. **سوريا**، دار طلاس، دمشق ١٩٨٨ .
- موسى، سليمان. **الحركة العربية١٩٠٨- ١٩٢٤**، دار النهار، بيروت، ١٩٨٦.
- ناصر الدين، علي. **قضية العرب**، ط٣، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٣.
- ناصر، وفيق صالح، دور جامعة الدول العربية في أبرز قضايا العرب السياسية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ٢٠٦٦ - ٢٠٠٧.
- نوار، عبد العزيز، **التاريخ المعاصر: أوروبا**، من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣
- الهاشمي، طارق. **الفكر القومي العربي لجمال عبد الناصر**، ورقة قدمت إلى تطور الفكر القومي العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، اتحاد المؤرخين العرب ومهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، ١٩٨٦ .
-هلال، علي الدين. **أمريكا والوحدة العربية ١٩٤٥-١٩٨٢**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . ١٩٨٩.
- --------- **السياسة والحكم في مصر**، دار الكتاب الجامعي، مكتبة نهضة الشرق القاهرة. ١٩٧٧
- الهماوندي، عبد الستارن. **مجازر الدم في الموصل**، د.ن، لبنان، ١٩٦٢.
- هيكل، محمد حسنين. **ما الذي جرى في سورية**، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٢.
- ياسين، بوعلي . **و آخرون. الأحزاب والحركات القومية العربية**، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية جزءان، د.م ، د.ت.

٥-مقالات ومحاضرات باللغة العربية.

- الجنحاني، حبيب. الصحوة الاسلامية في بلاد الشام، مثال سوريا في:عبدالله، إسماعيل صبري. وآخرون. **الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، وجامعة الأمم المتحدة، بيروت، ١٩٨٩.

كككككك

– الحلو، أمير. حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨–١٩٦٦، محاضرة في عمان بتاريخ ٧تموز١٩٩٦ .
– شتيوي، في:مجموعة مؤلفين، **الأحزاب السياسية في العالم العربي**، المركز اللبناني للدراسات،بيروت،د.ت
– شعبان، عبد الحسن، النظام الإقليمي والأزمة المعتّقة!! جامعة الدول العربية نموذجاً في: **العروبة والقرن الحادي والعشرين**، تيار المستقبل، ٢٠٠٨ .
–عز العرب، محمد، التكامل الثقافي العربي في عصر العولمة: ندوة معهد البحوث والدراسات العربية، التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٥ – ٢٦ /١٢/ ٢٠٠١
–يلد، ستيفان. نجيب عازوري وكتابه يقظة الأمة العربية، في: أوين، روجر. وآخرون. **الحياة الفكرية في المشرق العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، إعداد مروان بحيري، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت ١٩٨٣،ص ١١٠.

٦ – الصحف

–الإنسانية(بيروت) ١٩٢٥/٥/١٥
–الأهرام، القاهرة، ١٩٥٩/٣/١٤ و ٢٩ /١٢/ ١٩٦١ و١٩٦٢/١/١٧
–البشير(بيروت) ١٩٢١/١/٤
–البعث العربي. ١٩٥٢/١/٥
–الجنان (بيروت) ١٨٧٠
–الحياة(بيروت). ١٩٤٩/٢/١٧. ١٩٥٨/٢/١٥–١٩٥٨/٢/١٨–١٩٥٨/٣/٩ –١٩٦١/١٠/١٢
–الأخبار(بيروت)، تاريخ ٧/٣٠/ ١٩٦١و ١٩٦١/٨/٦
–السفير(بيروت) ١٩٧٥/٤/٢٧.
–صوت الأحرار(العراق). ١٩٤٦/١١/٢٩.
–العاصمة(دمشق) ١٩١٩/٥/١٩
– القبلة (مكة) ٢٢ شعبان١٣٣٧هـ و ١٩ رجب١٣٣٨.
–القلم الصريح(مرجعيون) ١٨/آذار ١٩٢٣
– لواء الاستقلال (العراق) ١٩٤٨/١٢/٦
–المفيد (بيروت) ١٩١١/٢/١٢–١٩١١/٦/٢٠–١٩١١/١٠/١–١٩١٣/١١/٢٣–١٩١٣/١٢/١٥
–المنار (بيروت) ١٩١٣–١٩٢٠
–المؤيد (القاهرة) ١٩١٣/٣/٢٧
–النداء، (بيروت)، ١٩٦١/٩/٢٢ و ٩/٢٧/ ١٩٦١
–النهار، (بيروت) ١٩٥٨/٢/٢
– الوطن،(العراق) ٢/٤/ ١٩٤٧

٧ – دوريا ت

–**الرائد العربي بيروت**، آب ١٩٦٣
– السياسية الدولية، القاهرة، السنة ٥، العدد ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٧٢
– شؤون عربية، العدد: ٦، تونس ١٩٨١.

لللللللللل

-**شؤون فلسطينية**، العدد ٥٥، آذار ١٩٧٦
-**شؤون فلسطينية**،بيروت، العدد٤٦ حزيران ١٩٧٥
- **المستقبل العربي**-مجلة" بيروت" العدد السادس، آذار مارس ١٩٧٩
- **المعرفة** -مجلة، دمشق، العدد ١١٣ تموز ١٩٧١
-ملف **المعلومات- الأقليات في العالم العربي** ، المركز العربي للمعلومات، بيروت ١٩٩٤
-**المناضل**، الأعداد: السابع ، تموز ١٩٦٦ / العدد ٢٥٦، أيلول-تشرين الأول ١٩٩٢
- **الفكر العربي**، السنة ٤، العدد ٢٨ (تموز-أيلول)
-**الفكر العربي**، العددان الرابع والخامس، معهد الإنماء العربي، ليبيا وبيروت، ١٩٧٨

٨- مؤتمرات وندوات:

-العروبة والقرن الحادي والعشرين، تيار المستقبل، بيروت ٢٠٠٩
- مؤتمر تجديد الفكر القومي والمصير العربي، دمشق١٥-١٩ نيسان ، ط١ ، دمشق ٢٠٠٨
- المؤتمر القومي العام لبلاد الشام والعراق، اللقاء التحضيري ١٥-١٦ أيار ٢٠٠٩ مخطوط.
- ندوة الفكر الوطني في مواجهة المشكلة الطائفية، منشورات مجلة فكر، بيروت، ١٩٨١.

٩- المراجع الأجنبية المعربة

- أزاكوفيتش، ليفين زلمان. **الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان-سوريا-مصر**، ترجمه عن الروسية بشير السباعي، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٧٨.
- أحيرون، شارل روبير. **تاريخ الجزائر المعاصر**، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٢.
- أوين،روجر. وآخرون. **الحياة الفكرية في المشرق العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، اعداد مروان بحيري، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت ١٩٨٣
-ايونيوس، ميشيل جورج. **فرّق.... تخسر: ثورة العرب١٩٥٥**-١٩٥٨، ترجمة خيري حماد، دار الطليعة، بيروت ١٩٦١.
- بطاطو، حنا. **الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث الفرنسية، ط١ن بيروت ١٩٩٢ .
- توري، غوردن هـ. **السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥-١٩٥٨**، ترجمة محمود فلاحة، دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٩
-حتي، فيليب، **تاريخ سورية**، نيويورك، ١٩٥١ ، ج٢، ترجمة جورج حداد و عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت،.١٩٥٨
- سيتون، وليمز. **بريطانيا والدول العربية: عرض للعلاقات الانجليزية العربية،١٩٢٠-١٩٤٨**، ترجمة وتعليق أحمد عبد الكريم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، مكتبة الانجلو المصرية.١٩٥٨
- سيل، باتريك. **الصراع على سورية**، ترجمة سمير عبده، محمود فلاحة، دار طلاس،دمشق،د.ت.

-سيل ، باتريك ، **الصراع على سورية ، دراسة للسياسة العربية بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٥٨**، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨٠.

- عازوري، نجيب. **يقظة الأمة العربية**، تعريب وتقديم أحمد بو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، د.ت.
- عبد الملك، أنور. **مصر مجتمع يبنيه العسكريون**، ترجمة دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١.
- غلمن، ولدمار. **عراق نوري السعيد، انطباعاتي عن نوري السعيد بين سنة ١٩٥٤-١٩٥٨**، ترجمة خيري حماد، مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت ١٩٦٥.
- فريدون. **الحسين**، ترجمة غازي غزيل، الدار العربية للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٨٧ .
- فوشيه، جورج. **عبد الناصر في طريق الوحدة و البناء**، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز ،منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٠

-قزيها، وليد. **التحول الثوري في العالم العربي**، حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية، ترجمة سليم بركات، الجامعة الأميركية، دائرة العلوم السياسية، القاهرة، ١٩٧٣

- لورنس، هنري. **اللعبة الكبرى: الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية**، ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، ١٩٩٢ .
- مايلز كوبلاند، **لعبة الأمم**، ترجمة مروان خير، بيروت، انترناشينال سنتر، ١٩٧٠ .

-موريس، جيمس، **الملوك الهاشميون**، المكتب العالمي للتأليف والترجمة،بيروت، د.ت

١٠- المصادر والمراجع الأجنبية

--American Foreign Policy, 1950-1955: Basic Documents, vol, 1, pp. 1257-1259

-France. Archives du Ministères des Affaires Etrangéres, **correspondance commerciale,** ,(vol. 5) et (vol.31).

-France. Archives du Ministères des Affaires Etrangéres, (Paris)1918-1929 séries , **Syrie- Liban** , no ,vol.212 .

- France. Archives du Ministères des Affaires Etrangéres**, Turquie** (19e siècl)

- Great Britain , Hansard, Parliamentary Debates, House of Commons, February 1943, co.1.139

- Great Britain, Public Record Office **,Kenball to Red chlif**, 26 December١٨٥٧ (FO. 195/577)

-Great Britain**, Accounts and papers 1875**-(vol. 75)

-Great Britain, Public Record Office, Foreign Office. **Trotter, Report on Visit ,** ١٠August 1891 (FO. 195/1723)

Great Britain, Public Record Office, Foreign Office. **"Finn to Canning**, 7 November 1861 (FO.78/874)

-Great Britain, Public Record Office, Foreign Office. **Skene to Bulwer**, 12May 1860, (FO.78/538) and **Rogers to Bulwer** 10 June 1861,(FO.78/1586)

-Great Britain, Public Record Office, Foreign Office**.**"**Report**" (FO. 618/3)

-FO. 371/2587.

ننننننننن

−FO. 371/3201.

−FO. 371/3395.

−FO. 686/37

-F.o.. 371-20028E621, **Record of Nuris talks with Samuel in Paris** in 27 October 1936. -F.o., 37120804, E1427, **From British Embassy-Bagdad**, to F.o., no 76 – 32 – 12 – 37 (17 February 1

-PRO,FO 371/3395 , 686/37, 686/38

١٠ –الكتب

−Abel Armand**. Psychologie et Comportements** (Monde Musleman Contemporain) , Bruxelles, 1962

-Batatu, Hanna. **The old social and the revolution movement of Iraq**. A study of Iraq's old landed and commercial classes and of its communists. Ba'thists and free officers (prince-ton, n.J: Princeton university press, 1978)

-Bears, Harry Ellis. **Challenge in the Middle East, communist influence and American Policy** (Mew York, Ronald Press, 1960

-Bertrand, Russell **. Power; a new social analysis**, London, George Allen and unwin, 1962.

−Bowring, John .**Report on the Commercial Statistics of Syria Addressed to Lord Viscount Palmerston**. New York**.** [n.pb.], 1972.

-Catroux,Geor*ges.* **Dans la bataille de méditerranée, Egypte, Levant, Afrique du nord, 1940-1944, témoignages et commentaries** (Paris : R, Julliard, 1949).

−Chevallier, Dominique**. La Société du Mont-Liban a L'Époque de la Rèvolution Industrielle en Europe**, Paris 1971.

−Cuinet, vital .**La Turquie d'Asie; Geographie Administrative, Statistique, Descriptive et Raisonné de Chaque -Province de L'Asie Mineure ,Paris** . leroux, 1891- 1895, 4 vols.

−Cuinet, vital. La Turquie d'Asie. **Géographie Administrative et Raisonné de chaque Province de L' Asie Mineure**,Paris vol.2,

-Davis, John H**. the evasive peace**, New York, 1970 .

−Davison,Rodevic.H .**Reform in the Ottoman Empire, 1856-1876** .New york,1974

− Dawn .c. Emest**. From Ottomanism to Arabism. Essays on the Origins of Arab Nationalism**, Urbana III. University of Illinois Press 1973.

-Eden, antony, **Freedom and order: selected speeches,1939-1946,** London Faber and Faber, 1947.

-Etzioni Amitai, Political unification, A comparative study of leaders and forces, new York: Holtrichart and Winston. 1965,p.295

-Gomaa, Ahmed M.: **The Foundation of the league of Arab states: wartime Diplomacy and inter-Arab politics, 1941 to 1945** (London, New York, Longman) 1977 .

-Hyder, Aqil Abidi, Hasan**: Jordon A Political Study, 1948-1957**, India, 1965 .

−Hourani, Albert**. Arabic Thought in the Liberal Age**, 1798-1939, London, 1962

−Hourani, Albert**. Minorities in the Arab World**, London .Oxford University press, Royal Institute or International Affairs, 1947.

− Hurewtz, Jacob Colman (ed) . **Diplomacy in the Near and the Middle East. A Documentary Record. Princeton**, N,J. Van Nostrand, 1956 2Vols.

−Issawi, Charles .**The Economic History of the Middle East, 1800-1914,** Chicago, III. University of Chicago Press, 1966.

−Jung, Eugéne**. La Révolte Arabe, 1906-1924**, 2 vols. (Paris. Colbert, 1924,1925), vol. 1, p105

-Khalidi, Walid**, From Haven to Conquest**, **Readings in Zionism and the Palestine problem until 1948**, see and printing, Washington, 1987

− Kalisky, René**. Le Monde Arabe. Le Réveil de la Quête de L' unité**, Verviers , Belgique, 1968−

−Kedourie, Elie .**Arabic political Memoirs and Other Studies**, London. cass, 1974

− Khaddouri, Majid**. Independent Iraq. A study in Iraqi Politics 1923-1953**, Oxford 1960.

−Khouri, Philip. **Urban Notables and Arab Nationalism. The Politics of Damascus, 1860-1920**, Cambridge, Mass. Cambridge University Press, 1983

−Lewis, Bernard**. The Emergence of Modern Turkey**, London; Oxford University press 1961.

−Lewis, Bernard**. The Arabs in History**, London, 1960(Revised edition1958)

−Lewis, Norman**. Nomads and Settlers in Syria and Jordon**, 1800-1980 , Cambridge, Mass, Cambridge University, Press 1987 .

-Longrig, Stephan Hemsly**.** *Iraq 1900 to 1950: A political Social and Economic* history, London, New York: Oxford University press 1953.

− Longrig, Stephen..H**. Iraq 1900-1950**, London, 1956

- Nutting, Anthony **. Nasser**, New York, Dutton, 1972

-Owen, Roger . **the Middle East in the World Economy**, London. Methuen, 1981

− Pool, David. **From elite to class: The transformation of Iraq Leadership.1920-1939,** Intimation Journal of Middle East studies, vol. 12 1980

− Presland, Johen . **Deeds Bey − a Study of sir Wyndham Deeds, 1883-1923** ,London, 1942.

-Richard L.Miller, **Dag Hammarskjöld and vises diplomacy** (New York, 1961), p. 178.

-Richard L.Miller**, Dag Hammarskjöld and vises diplomacy** (New York, 1961), p. 178.

−Rodinson, Maxime**. Islam et Capitalisme**, Paris, 1966.

-Rubin, Barry. **The Arab States and the Palestine Conflict**, Syracuse, N.Y.: Syracuse. university press, 1981

−Shaw, Stanford Jay and Ezel Shaw .**History of the Ottoman Empire and Modern Turkey**. Cambridge, Mass. Cambridge University press, 1977. 2 vols.

− Stevens,Richard p**. America Zionism and U.S. Foreign Policy 1942- 1947 New York,** 1962

−William Roepolk and R.L**. Chambers.eds . Beginning of Modernization in the Middle East. the Nineteenth century**, Chicago, III, University of Chicago Press, 1968,pp. 41-68

www. alwahdawi. Org.sy **موقع الكتروني**